شعر يهود

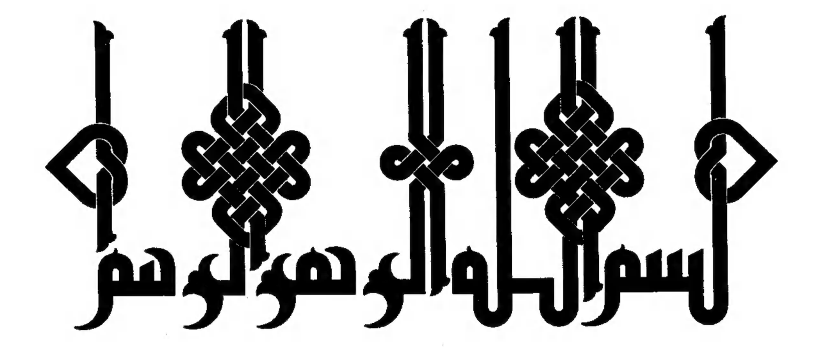
في الجاهلية وصدر الإسلام

تحقيق ودراسة

الدكتور عبد الله جبريل مقداد

جامعة العلوم التطبيقية - عمّان

دار عمار



شعر يهود

في الجاهلية وصدر الإسلام

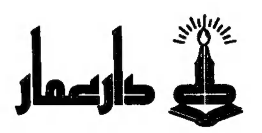
الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(١٦٤٥ / ١١ / ١٩٩٧)

رقم التصنيف :	٨١١,٩٦٥٦٠١
المؤلف ومن هو :	عبدالله جبريل مقداد
عنوان الكتاب :	شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام
الموضوع الرئيسي :	١- الآداب
	٢- الشعر العربي - العصر الجاهلي
بيانات الناشر :	عمان : دار عمار للنشر

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية



دار عمار - عمان - الأردن - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني

ص.ب : ٩٢١٦٩١ تلفاكس : ٤٦٥٢٤٣٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاةُ والسلام على مَنْ أشرقت بنور وجهه الظلمات ورضي الله عن آل بيت رسول الله، وعن أصحابه أجمعين، ومَنْ نهج نهجهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

وبعد، فإن موضوع هذا البحث:

شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام، تحقيق ودراسة

ومما دفعني إلى دراسة شعر هذه الفترة وجَمْعِهِ، أنه يرصد أحداثاً تعتبر بحق هامة في تاريخ أمتنا، ذلك أن مصير الأمة كان مرتبطاً بمصير قيم يهود وعاداتهم ونظم حياتهم في يثرب، والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام فاعتنقه العرب وسادوا به على أمم الأرض، على أن هناك سبباً آخر يكمن في نقص الدراسات التي تناولت شعر هؤلاء القوم الذين عاشوا في الجزيرة العربية قبل الإسلام وفي صدره، في حين أن شعر الجاهليين قد حظي باهتمام الدارسين، وعنايتهم، فتناولوا دراسته شاعراً شاعراً أمثال امرىء القيس، وطَرَفَة، والنابغة، والأعشى، وغيرهم، أما شعراء يهود أمثال - السَّمَوْأل بن عادياء، والرَّبيع بن أبي الحُقَيْق، وكعب بن الأشرف، وسَعْية بن الغريض، وأوس بن دني - وغيرهم فلم يجدوا مَنْ يلتفت إلى أشعارهم ويعتني بها.

ولم يصل إلينا من شعر يهود في الجاهلية إلا القليل، فربما تَحرَّجَ

الرواة عن نقلِ أكثره، وتَخَفَّفَ النُّسَّاخُ من تدوينه، ولا يزال هذا الشعر القليل مدوناً في بطون المصادر، لأنه لم يجد مَنْ يعتني بجمع شتاته، ويسهر على رأب صدعه، اللهمَّ إلا ما كان من محمد بن سلام الجمحي حيث خصص لشعر يهود طبقةً في كتابه «طبقات فحول الشعراء»[1] ولكنه لم يذكر إلا ثمانية منهم، ذكر لكل واحد نصاً واحداً فقط دون دراسة لهذا الشعر، وقام الأستاذ مراد فرج المحامي اليهودي في الاسكندرية حديثاً بذكر بعض شعراء يهود في كتابه «الشعراء اليهود العرب» ولكنه اقتصر كذلك على ذكر بعض النصوص من شعرهم، ولم يدرس هذه النصوص الدراسة الكاملة من حيث موضوعاتها وخصائصها الفنية وغير ذلك، بل اقتصر على بعض المقطوعات القصيرة من شعرهم استقاها من بعض كتب الأدب التي وجد فيها الشعر.

ولدى تحقيقي لشعر يهود حصلت على سبعين نصاً مُوثَّقاً وأربعة عشر نصاً مختلف في صحة نِسْبتها ليهود، فرأيت أن هذا الكَمَّ من النصوص جدير بالعناية والاهتمام لأنه يكاد يشكل ديواناً من الشعر، قاله شعراء في ظروف نفسية معينة، ولأن لهذا الشعر أهمية باعتباره يمثل وجهة نظر قائليه تجاه العرب قبل الإسلام، ثم تجاه الإسلام وتعاليمه في بداية البعثة المحمدية كما يمثل النفسية اليهودية في تلك الفترة من الزمن.

هذا ولقد قسمت بحثي هذا إلى قسمين، جعلت الأول منهما لدراسة شعر يهود، وخصصت الثاني لتحقيق هذا الشعر.

وقد قسمت القسم الأول إلى أربعة فصول وتمهيد.

---

(١) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي. تحقيق محمود محمد شاكر ج١ ص٢٧٩ وما بعدها. مطبعة المدني.

ففي التمهيد عرضت للفظة «اليهود»، «يهودن»، «هود» ومشتقاتها ومعنى هذه المشتقات والألفاظ كما وردت في أسفار العهد القديم وكما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثم معناها في المعاجم اللغوية أمثال «لسان العرب» و«الصحاح» وغيرهما...

وجاء الفصل الأول عن «اليهود في الجزيرة العربية» قبل الإسلام وصدره حيث تعرضت في هذا الفصل لتاريخ قدوم اليهود إلى بلاد العرب، وعلاقة يهود في يثرب بالأوس والخزرج، ثم إلى أعمالهم وحياتهم الاجتماعية وتأثيرهم في العرب وتأثرهم بهم، ثم موقفهم من الإسلام فالتآلب عليه، وأخيراً انتصار المسلمين عليهم وإجلائهم من جزيرة العرب.

وفي الفصل الثاني: تعرّضتُ لقضية الانتحال عند الأقدمين والمُحْدَثِينَ والمستشرقين والعرب وشعر يهود في ضوئها، ومصادر شعرهم وموقف الرواة والمؤرخين منه.

وأما الفصل الثالث فكان لموضوعات شعر يهود والتي أهمها الفخرُ حيث التعالي على الأمم وازدراؤهم إياها، فالهجاء الذي يتصل بنفس بالنفسية اليهودية، فالنقائض التي تتصل بالفخر والهجاء بين شعراء يهود المخضرمين وبين شعراء المسلمين في صدر الإسلام، فالأغراض الأخرى من غَزَلٍ وحِكمةٍ ومدح ووصف ورثاء وغير ذلك من الأغراض الأخرى.

وأما الفصل الرابع فكان دراسةً لخصائص شعر يهود الفنية، من حيث المقدمات والموسيقى والصور والأخيلة والمعاني والأفكار والألفاظ والأساليب وغير ذلك.

وأما القسم الثاني فكان تحقيقاً لهذا الشعر فكان أن تعرضت لشعراء

يهود ثم أشعارهم التي جمعتها من مصادرها المختلفة مع شرحٍ لهذا الشعر وأجوائه وظروفه، ثم ألحقت به بعض ما اختُلِفَ في نسبته ليهود، وبعض ما انْتُحِلَ عليهم من شعر.

ثم ختمتُ بحثي بخاتمة عرضت فيها أهم أركانه وأبرز النقاط فيه، بما استطعت من الإيجاز والاختصار، وذلك هرباً من الملل الذي يُوَلِّدُهُ التكرار.

وبودي أن أذكر أنني نهجت في دراستي لشعر يهود نهجاً كانت نفسي تتوق إليه، وهو الدراسة الموضوعية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تمهيد

أصل اليهود كما ورد في أسفارهم

الاسم: يهودي نسبة إلى سبط يهوذا، بالدال أو بالذال، وهو تلك العشيرة من أبناء يعقوب - إسرائيل - الذي نبغ منها داوود وسليمان أعظم حكام بني إسرائيل على الإطلاق، فانتسب الشعب كله إلى عشيرتهما وحملوا اسمَ اليهود[1]. ومعلوم أن يعقوب كان له اثنا عشر ابناً: هم يوسف والأحد عشر كوكباً، أنجبهم من أربع نساء: ليّا وجاريتها زلفة وراحيل وجاريتها بلهة، وكان أبناء ليّا ستة هم: راؤبين وشمعون، ولاوي (ليفي) ويهوذا ويساكر، وزبولون. أما راحيل فقد ولدت اثنين هما: يوسف وبنيامين، كما ولدت زلفة اثنين أيضاً هما: جاد، وآشر، وكذلك ولدت بلهة اثنين أيضاً هما: دان، ونفتالي. وعلى ذلك يكون (يهوذا) الذي ينتمي إليه اليهود هو الابن الرابع من أبناء يعقوب، وأمه الزوجة الأولى ليّا. واسم (يهوذا) مشتق لغوياً من أصل سامي قديم وهو مادة (ودى) التي تفيد الاعتراف والإقرار والجزاء، ومن هذا المعنى كلمة (الدية) عند العرب وفي العبرية اكتسبت هذه المادة معنى الإقرار والاعتراف بالجميل، وأخيراً تقديم الشكر[2]. ومن هذا المعنى الأخير استوحت ليّا اسم ابنها الرابع فقالت: «هذه المرة أشكر الرب، ولذلك

---

(١) د. حسن ظاظا. مقال بعنوان «الشخصية الإسرائيلية» في مجلة عالم الفكر العدد الرابع من المجلد العاشر ص٢١ وزارة الإعلام. الكويت.

(٢) نفس المصدر ص٢٢.

سمّته يهوذا ثم توقّفت عن الولادة»[١] وكان هذا التوقف لفترة ما. ولدت بعدها يساكر وزبولون كما ولدت بنتاً اسمها دينا لا تدخل في عداد المواليد في عقلية أولئك البدو الذين كانوا لا يعدون البنات.

وظل معنى الشكر في اسم يهوذا يشد انتباه الراوية المقدّس فيقول على لسان يعقوب وهو يبارك أبناءه قبل موته[٢]: «يا يهوذا، سيشكرك إخوتك. يَدُكَ على نواصي أعدائك. وسيسجدُ لك أبناء أبيك، يهوذا شبل أسد».

واستقرت ذرية يهوذا في منطقة النقب الصحراوية في جنوب فلسطين، وظهرت أسماء جغرافية تنسب إليهم مثل: «جبل يهوذا»[٣]، و«أرض يهوذا أو بلاد يهوذا»[٤]، «رقعة يهوذا أو إقليم يهوذا»[٥]، و«بلدة يهوذا أي أورشليم القدس»[٦]، «مدن يهوذا»[٧]، و«رجال يهوذا»[٨]، وظهر في لغة الشعر بنت يهوذا عَلَماً على مملكة اليهود كلها، وعلى عاصمتها أورشليم[٩]، وكثر استعمال لفظة اليهود بمعنى رعايا مملكة يهوذا في جنوب فلسطين كما جاء في سفر الملوك الثاني[١٠]: «في ذلك الزمان

(١) سفر التكوين، إصحاح ٢٩/٣٥.
(٢) سفر التكوين، إصحاح ٤٩ آية ٨-٩.
(٣) سفر القضاة ١: ٢.
(٤) عاموس ٧: ١٢.
(٥) أشعيا ١٩: ١٧.
(٦) أخبار الأيام ٢٥: ٢٨.
(٧) أرميا ٤: ٨.
(٨) ١ ملوك ١: ٩.
(٩) المراثي ٢: ٢.
(١٠) ٢ ملوك ١٦: ٦.

استرد رصين ملك آرام إيلام للأدوميين وطرد اليهود من إيلات»، ومع الزمن أصبحت لفظة يهودي تعني أحد بني إسرائيل عموماً كما ورد في شعر أستير[١]: «وعادت أستير فتكلمت بين يدي الملك وسجدت عند قدميه، وبكت، وتضرعت إليه في إزالة شر هامان الأجاجي، وكيده الذي دبّره ضد اليهود».

وجاء بخصوص عيد يوريم (الكرنفال)[٢] «سنّ اليهود، وأوجبوا على أنفسهم وعلى ذريتهم، وعلى كل من يتصل بهم ألا يبطل تعييدهم لهذين اليومين». ويتضح من نصوص كثيرة أن العبريين على أيام السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وبعد عودتهم من السبي تحت حماية قورش امبراطور الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، كانوا يُسمّون اليهود، كما كانت اللغة العبرية تُسمى «اليهودية»، فقد ورد في العهد القديم في قصة حصار الآشوريين لمدينة أورشليم، وحوار الوفد الإسرائيلي مع قائد الجيش الآشوري قول أعضاء هذا الوفد:[٣] «كلّم عبيدك بالآرامية لأننا نفهمها ولا تكلمنا باليهودية على مسامع الشعب الذي على السور» وجاء في قصة أورشليم بعد العودة من السبي[٤]: «ولما سمع سنبلط أننا نبني الأسوار، اشتد غضبه، واستاء كثيراً، واستهزأ باليهود».

ولقد عرفت الامم المسيحية مصطلح اليهودي التائه[٥] في أصل هذه

(١) أستير ٨: ٤.

(٢) أستير ٩: ١٧.

(٣) سفر الملوك الثاني ١٨: ٢٦.

(٤) نحميا ٣: ٣٣.

(٥) اليهودي التائه: اسمه حشويروش الذي زعم أنه ركل المسيح أو المُشَبَّه بالمسيح=

التسمية.

ذكر لفظة اليهود في القرآن الكريم والسنة المطهرة

اليهود: بنو اسرائيل، قيل: سموا بيهوذا أحد أبناء يعقوب، والواحد يهودي.

ورودها في القرآن الكريم: وردت لفظة اليهود في القرآن ثماني مرات:

١ - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة]، واللفظ مكرر.

٢ - ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

٣ - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة].

٤ - ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

٥ - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ

= ركله بقدمه فحدثت المعجزة وكتب على هذا اليهودي السير والخروج من بلده ويبقى يسير إلى يوم القيامة (الشخصية الإسرائيلية، مجلة عالم الفكر العدد الرابع المجلد العاشر ص٢٤.

﴿... ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

٦- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة].

٧- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

يهودياً: وردت لفظة يهودياً في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

هادوا - هدنا - هوداً: هادَ إلى الشق يهودُ هوداً: رجع إليه، ويقال من هدا: هاد إلى الله، تاب من ذنبه، ورجع إلى طاعته، ويقال هاد: دان باليهودية.

ورودها في القرآن الكريم: وردت لفظة «هادوا» في القرآن الكريم عشر مرات مسبوقة بالاسم الموصول «الذين».

١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة].

٢- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء].

٣- ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ [النساء].

٤- ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة].

٥- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة].

٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة].

٧- ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام].

٨- ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [النحل].

٩- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج].

١٠- ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [الجمعة].

هُدْنا:

ورودها في القرآن الكريم: وردت لفظة هدنا في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف].

هوداً: هود: جمع هائد أي يهوديّ.

ورودها في القرآن الكريم: وردت لفظة هود في القرآن الكريم ثلاث مرات:

١- ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

٢- ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

٣- ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة].

وفي السنة المطهرة:

١- قال ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتلوا يهود».

٢- «كُلُّ مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدانِهِ أو ينصِّرانه أو

يمجّسانه». .

٣- «أسرعوا المشيَ في الجنازة ولا تهوّدوا كما تهوّد اليهود والنصارى».

أصل كلمة يهود في المعاجم اللغوية

وردت لفظة يهود في المعاجم اللغوية كاللسان والصحاح وتاج العروس وغيرها كالآتي: الهود: التوبة، وهاد يهود هوداً. وتَهَوَّد: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وقوم هود مثل: حائك وحُوَّك، وبازل وبُزَّل. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف] أي: تبنا إليك فيما ذكر مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما من العلماء. وقال ابن سيده، فيما يروي ابن منظور في «لسان العرب» - عدّاه بأل لأن فيه معنى رجعنا وقربنا من المغفرة، وقال: المتهوّد: المُتقرِّبُ، وقال ابن الأعرابي فيما روى ابن منظور: التهود: العملُ الصالح، والهوادة: الحرمة والسبب، ويقول ابن الأعرابي أيضاً: هاد إذا رجع من خير إلى شر، أو من شر إلى خير، وهاد: إذا عقل، ويهود: اسم للقبيلة: قال: أحدهم:

أولئك أَوْلَى من يَهُودَ بِمِدْحَةٍ ... إذا أنتَ قلتها لم تؤنّب[1]

وقيل إنما اسم هذه القبيلة «يهوذ» فعرّب بقلب الذال دالاً. وقال ابن سيده: ليس هذا بقوي. والهود: اليهود: وأرادوا باليهود: اليهوديين ولكنهم حذفوا ياء الإضافة كما قالوا زنجيّ وزنج. قال ابن سيده: «ليس هذا بقوي».

وقالوا: اليهود، فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون

---

(١) ابن منظور «لسان العرب» مادة «هود».

اليهوديين وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [الأنعام] معناها: دخلوا في اليهودية.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة] قال: يريد «يهوداً» فحذف الياء الزائدة، ورجع إلى الفعل من اليهودية وفي قراءة أُبَيّ: «إلا من كان يهودياً أو نصرانياً».

قال: وقد يجوز أن يجعل «هوداً» جمعاً واحده هائد «مثل حائل وعائط من النوق. وجمعه «حول وعوط» وجمع اليهودي «يهود» كما يقال في المجوسيّ: مجوس، وفي العجمي والعربي: عجم وعرب.

والهود واليهود: وهادوا يهودون هوداً، وسمّيت اليهود اشتقاقاً من هادوا: أي تابوا. وأرادوا باليهود: اليهوديين، ولكنهم حذفوا ياء الإضافة كما قالوا: «زنجي وزنج»، وإنما عُرِّفَ على هذا الحد مجمع على قياس شعيرة وشعير، ثم عُرِّفَ الجَمْعُ بالألف واللام، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليه لأنه معرفة مؤنث فجرى في كلامهم مجرى القبيلة ولم يجعل كالحيّ.

وأنشد علي بن سليمان النحوي:

فَـرَّت يَهُـودُ وَأَسْلَمَـتْ جِيـرانُهـا ... صَمِّي كما فعلتْ يَهودُ صَمَامِ[(١)]

وهوّد الرجل: حوّله إلى ملّة يهود، قال سيبويه: وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه» معناه: أنهما يُعَلِّمانهِ دينَ اليهودية والنصرانية ويُدْخلانه فيه.

---

(١) ابن منظور - «لسان العرب». مادة هود. وصمام: كغطام ومعناها الداهية أي: زيدي يا داهية، والبيت للشاعر الأسود بن يعفر.

والتهود: أي يصير الإنسان يهودياً، وهاد تهوّد: إذا صار يهودياً.

وقد وردت لفظة يهود، ولفظة اليهود كثيراً في الشعر الجاهلي ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قول أبي قيس صيفي بن الأسلت[1]:

ولـــولا ربُّنـــا كنَّـــا يهـــوداً وما دينُ اليهودِ بذي شُكولِ

وخلاصة القول في القضية هي ما نستنبطه من القرآن الكريم، بصفته أصدق تلك المصادر على الإطلاق من ناحية، ولكون الأدلة المنطقية والتاريخية تؤيده من ناحية أخرى.

والذي نستنبطه من القرآن الكريم هو أن «اليهود» قد سُمّوا بذلك لقولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف] وهي سورة مكية، وقد ورد ما يؤيد ذلك أيضاً في سورتي الأنعام والنحل وهما مَكّيتان كذلك، حيث قال الله سبحانه وتعالى في الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴿١٤٦﴾﴾ وقال جل شأنه في النحل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴿١١٨﴾﴾.

ثم تتابعت الآيات الكريمة لتسمي اليهود بهذا الاسم اشتقاقاً من «الذين هادوا» أي: رجعوا إلى الله وتابوا - في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، ولكنها كلها مدنية، أي نزلت بعد الأنعام والأعراف والنحل وهي: البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، وأخيراً الجمعة - كما سبق أن ذكرنا - أما قول مَنْ قالوا بأن اللفظة مشتقة من يهوذا - ففيه نظر لسبب تاريخي واضح. وهو أن يهوذا هو أحد أولاد يعقوب، ويعقوب هو ابن إسحق، وإسحق هو ابن إبراهيم، عليهم جميعاً الصلاة والسلام، ولفظة (اليهود) معروفة من أيام إبراهيم بدليل قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا

(١) ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت: د. حسن باجوده ص٨٧.

وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴿٦٧﴾ [آل عمران]. أما الذين جاؤوا بعده فقد تَشعَّبَتْ بهم السُّبلُ، فكان إسماعيل ومَنْ تبعه من الحنفاء، وكان إسحق وذراريه من اليهود، والله أعلم.



القسم الأول
الدراسة



الفصل الأول

اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام

أ- قبل الإسلام

قدوم اليهود إلى بلاد العرب (جزيرة العرب):

وَفَدَ اليهود إلى الحجاز في الجزيرة العربية منذ عهد بعيد، ولم يتفق المؤرخون على تحديد أول هجرة من هجراتهم إلى هناك، وإنْ كانوا جميعاً على أنَّ هذه الهجرات بدأت في عهد مبكر. «وإذا ما استقينا من التاريخ الوثيق لليهود وجدناهم يُضطهدون مرات ويُسامون الخسف في فلسطين فيلوذ بعضُهم بالبلاد القريبة، ويحقُّ لنا أن نستنبط من هذا الفرار المتكرر أن بعضهم لجأ إلى الحجاز، فقد حمل عليهم الملك الآشوري شلمناصر سنة ٨٥٤ قبل الميلاد[١] والملك سنحاريب سنة ٧٠٢ قبل الميلاد[٢] «والملك بختنصر (نبوخذ نصر) سنة ٥٧ قبل الميلاد[٣]، وانقضّ عليهم الكلدان سنة ٥٨٦ ق.م[٤]». ثم انتيخوس والي مصر سنة ١٦٨

---

(١) يوسف غنيمة/ نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص٤٨، فيليب حتي تاريخ العرب ١/ ٤٥.

(٢) نزهة المشتاق ص٤٩.

(٣) تاريخ اليهود للسامري ص٥٠ ونزهة المشتاق ص٥٠.

(٤) نزهة المشتاق ص٥٢.

ق.م»[١] ثم الامبراطور الروماني بومبي سنة ٦٤ ق.م[٢]. والامبراطور الروماني تيطس سنة ٧٠م[٣]، وهادريان سنة ١٣٤م[٤]...

ومن الراجح أنهم نزحوا إلى الحجاز في بعض هذه النكبات وإن كان نزوحهم ثابتاً لما هدم (بختنصر) بيت المقدس، وأجلى مَنْ أجلى وسبى مَنْ سبى من بني إسرائيل فقدم قوم منهم إلى الحجاز ونزلوا وادي القرى ويثرب وتيماء[٥].

أما أبو الفرج الأصفهاني فيروي أن هجرتهم كانت منذ عهد سيدنا موسى عليه السلام فقد روى[٦]: «أن سيدنا موسى عليه السلام كان قد بعث جيشاً من بني إسرائيل إلى العماليق سكان يثرب، فانتصر عليهم وأفناهم، ثم أقام بنو إسرائيل بيثرب بعد وفاة موسى واتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع، ولبثوا فيها زمناً طويلا» ويرى المستشرق فيليب حتي[٧]: «أن خروج بني إسرائيل من مصر في نحو ٢٢٥ ق.م يرتبط بهجرتهم إلى المدينة»، ويُرْجِعُ بعضُهم هجرةَ اليهود إلى المدينة إلى طرد اليهود على يد بختنصر بين سنتي ٥٨٨- ٥٨٦ ق.م. وأقرب الأقوال إلى الصواب - كما يقول فيليب حتي وما كاد يُجْمِعُ عليه الثقات: أن نزول اليهود بيثرب كان على أثر تدمير الرومان لبيت المقدس سنة ٧٠م.

---

(١) تاريخ يوسيفوس اليهودي ص٥٣ والعقد الأنفس في ملخص التاريخ المقدس ترجمة تادرس وهبي ص١١٦.
(٢) نقلاً عن جواد علي/ تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥١١.
(٣) تاريخ يوسيفوس اليهودي ص٢٥٣ وما بعدها.
(٤) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص٢٩.
(٥) تاريخ الطبري ١/٢٨١ وفتوح البلدان للبلاذري ص٢١/٢٣.
(٦) الأغاني ج١٩ ص٩٤ وما بعدها. ط. دار الكتب.
(٧) فيليب حتي/ تاريخ العرب ١/٤٨.

أما الدكتور إسرائيل ولفنسون فيرى أن هجرة اليهود، إلى بلاد العرب مرت في طورين[1]: الأول: وينتهي مع بداية القرن الخامس قبل الميلاد والثاني: بعد القرن الأول والثاني للميلاد.

أما الطور الأول، فقد شَكَّ في أكثر الروايات التي وردت عنه في العهد القديم وفي الكتب العربية، أمثال قصة أبي الفرج الأصفهاني عن جيش موسى عليه السلام الذي بعثه إلى العماليق بالحجاز ليقتلوهم، وما انتهت إليه هذه القصة من قتلهم جميعاً ما عدا ولد وسيم أرجعوه معهم، وكان موسى قد توفي، فقالت لهم أحبار يهود: لقد عصيتم موسى فارجعوا إلى حيث كنتم فرجعوا...

وأما الطور الثاني: فيرى ولفنسون أن هجرة اليهود إلى بلاد العرب بدأت في القرن الأول والثاني بعد الميلاد، ويرجع هذه الهجرة إلى أسباب ثلاثة هي:

١- زيادة عدد اليهود في فلسطين زيادة مضطردة جعلت البلاد تَضِيقُ عن أنْ تسعهم وتنفسح لعملهم في سبيل الحياة، وقد بلغ عددهم في ذلك الحين أربعة ملايين نسمة، وهو عدد كبير لا تتسع له بلاد ضيقة كفلسطين فاضطروا إلى الهجرة.

٢- حدث حوالي القرن الأول قبل الميلاد أن هاجمت الدولة الرومانية بلاد فلسطين وقوّضت أركان الدولة اليهودية فيها، وأخضعتها لسلطان النسر الروماني الذي قبض على زمام الحكم بيدٍ من حديد، ولكن النفور والاستياء في نفوس اليهود كان شديداً إلى حد أن الفتن والثورات العنيفة كانت تشتعل نيرانها من حِينٍ لآخر، وكان الرومان يقمعون تلك الثورات

---

(١) إسرائيل ولفنسون. تاريخ اليهود في بلاد العرب. حتي ص١٠.

بشدة وقسوة تزيد النفور وتضاعف الاستياء فلجأ اليهود إلى أرض الجزيرة العربية التي كانت أَحبَّ إليهم من غيرها نظراً لأنظمتها البدوية الحرة ونظراً لوجودها في أقاليم رملية بعيدة تَعُوقُ سير القوافل الرومانية وتمنع تَوغُّلَها.

٣- بعد حرب اليهود والرومان سنة ٧٠ ق.م التي انتهت بخراب فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس، وتشتت اليهود في أصقاع العالم، قصدت جُموعٌ كثيرة من اليهود بلاد العرب للمزايا التي ذكرت.

كما يتحدث عن ذلك المؤرخ اليهودي «يوسف» الذي شهد تلك الحروب وكان قائداً لبعض وحداتها. وتؤيد المصادر العربية كل هذا وخاصة الأغاني[1].

«إذ أنه لما ظهرت الروم على مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل، ولما غلبتهم الروم على الشام وفصلوا عنها بأهليهم بعث ملك الروم في طلبهم ليردهم فأعجزوه، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز وصحارى لا نبات فيها ولا ماء، فلما طلب الروم التمر وانقطعت أعناقهم عطشاً وماتوا، وسُمِّيَ الموقع «تمر الروم» فهو اسمه إلى اليوم. وتتلخص بقية آراء مؤرخي العرب في أن جموع اليهود في الجزيرة العربية قد زادت وكثرت بعد اضطهادات الرومان لليهود. ويحتمل أن تكون هذه الروايات اتصلت بالعرب من يهود يثرب وخيبر.

وينكر المؤرخ اليعقوبي وجود طوائف يهودية أصلية كثيرة في الحجاز، بل يعتقد أن أغلبها من العنصر العربي وأقلها من العنصر اليهودي فيقول: «إن بني النضير فَخِذٌ من جُذام إلا أنهم تَهوَّدُوا ونزلوا بجبل يقال له

---

(١) الأغاني ج١٩ ص٩٥.

النضير فتسموا به، ونزل بنو قريظة بجبل يقال له قريظة فَنُسِبُوا له»[١].

وقد أخذ أهل الأخبار ما رووه عن دخول اليهود إلى يثرب في أيام سيدنا موسى عليه السلام، وما ذكروه عن إرساله جيشاً إلى هذه المنطقة، ثم رووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز من سفر (صموئيل الأول) من التوراة[٢]. وقد حسب أهل الأخبار العمالقة من سكان يثرب القدماء ومن سكان أعالي الحجاز، فزعموا أن تلك الحروب قد وقعت في هذه المنطقة وأن اليهود قد سكنوها لذلك من أيام سيدنا موسى.

وقد أخذ الأخباريون رواياتهم هذه من اليهود وممن دخل منهم في الإسلام[٣].

ويرى بعض الأخباريين أن ابتداء أمر اليهود في الحجاز ونزولهم وادي القرى وخيبر وتيماء ويثرب إنما كان في أيام (بخت نصر) فلما جاء بختنصر إلى فلسطين هرب قسم منهم إلى هذه المواضع واستقروا بها إلى مجيء الإسلام[٤]. ولا يستبعد الدكتور جواد علي هذا الخبر فيقول: «وليس في هذا الخبر ما يحملنا على استبعاده فهروبُ اليهود إلى أعالي الحجاز، ودخولهم الحجاز أمر سهل يسير، فالأرض واحدة وهي متصلة والطرقُ مفتوحةٌ مطروقة، ولا يوجد أي مانع يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز لا سيما أن اليهود كانوا خائفين فارّين بأنفسهم من

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩-٥٠ طبعة ليدن.

(٢) صموئيل الأول الإصحاح ٥ الآية ٥ وما بعدها.

(٣) نقلاً عن جواد علي. تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥١٨.

(٤) الأغاني ج١٩ ص٩٤ وابن خلدون ٢/٥٩٤ والكامل في التاريخ لابن الأثير ١/٤٠١.

الرعب، فهم يبحثون عن أقرب ملجأ إليهم يحميهم من فتك ملك بابل بهم، وأقرب مكان مأمون إليهم هو الحجاز[1].

ويرى ابن خلدون: أن ما ورد في روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود إلى أطراف يثرب وأعالي الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم بهم، مما اضطر ذلك بعضهم إلى الفرار إلى تلك الأنحاء الآمنة البعيدة عن مجالات الروم فإنه يستند إلى أساس تاريخي صحيح[2].

والذي نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدى إلى هجرة عدد كبير من اليهود إلى الخارج فلا يستبعد أن يكون أجداد يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين. وقد كان يقيم «بمقنا» عند ظهور الإسلام قوم من اليهود اسمهم (بنو ضبة) وقد كتب إليهم الرسول لوالي أهل «مقنا» يدعوهم إلى الإسلام أو إلى دفع الجزية[3]. وكتب إلى قوم من يهود اسمهم (بنو عاديا)[4]، وإلى قوم آخرين اسمهم (بنو عريض)[5].

أسماء قبائل يهود المهاجرين إلى الحجاز ومناطق سكناهم:

يفهم من روايات الأخباريين أن يهود الحجاز كانوا قبائل وعشائر وبطوناً منهم: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع، وبنو عكرمة، وبنو محمر، وبنو زعورا، وبنو زيد، وبنو الشظية، وبنو جشم، وبنو بهدل،

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام. جواد علي ج٦ ص٥١٨.

(٢) ابن خلدون ٢/ ٥٩٤. ط بيروت ١٩٥٦.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ٢٧٦.

(٤) نفس المصدر السابق ١/ ٢٧٩.

(٥) نفس المصدر.

وبنو عوف، وبنو الفصيص (العصيص) وبنو ثعلبة[١].

غير أنهم لم يكونوا أعراباً أي بدواً يتنقلون من مكان إلى مكان بل كانوا حَضَراً استقروا في الأماكن التي نزلوا فيها، ومارسوا مهن أهل المدر كل جماعة مستقلة تحمل اسماً من تلك الأسماء التي ذكرها الأخباريون.

وقد سار بنو قريظة وبنو النضير وبنو بهدل إلى الجنوب في اتجاه يثرب، فلما بلغوا موضع الغابة وجدوه وَبِيّاً، فكرهوا الإقامة فيه، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً طيباً وأرضاً عذبة حتى إذا بلغ (العالية) وهي بطحان ومهزور «واديان من حَرَّة على أرض تلاع أرض عذبة بها عيون ومياه غزيرة» رجع إليهم بأمرها وأخبرهم بما رآه منها، فقرّ رأيهم على الإقامة فيها، فنزل بنو النضير ومَنْ معهم على بطحان، ونزلت قريظة وبهدل ومَنْ معهم على مهزور فكانت لهم تلاعه وما سقى من بعاث وسموات[٢] وسكن اليهود يثرب. سكنها منهم بنو عكرمة، وبنو ثعلبة.

وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف، وبنو القصيص، وبنو ماسله. سكن هؤلاء المدينة وأطرافها وكان يسكن معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم: بنو الحرمان (حي من اليمن)، وبنو مرثد (حي من بَلِيّ) وبنو نيف (وهم من بَلِيّ أيضاً) وبنو معاوية (حي من بني سُلَيم) ثم بنو الحرث بن بهته وبنو الشظية (حي من غسان).

---

(١) الأغاني ٩٥/١٩ وما بعدها وسيرة ابن هشام ١٤٧/٢ وما بعدها.
(٢) الأغاني ٩٤/١٩ وما بعدها، وابن خلدون ٥٩٤/٢ وتاريخ أبي الفداء ١٢٣/١.

وظل اليهود أصحاب يثرب وسادتها حتى جاء الأوس والخزرج فنزلوها، واستغلوا الخلافات التي كانت قد وقعت بين اليهود فتغلبوا عليهم وسيطروا على المدينة وقسموها فيما بينهم فلم يبق من يومئذ عليها سلطان[١].

علاقة يهود الحجاز بالأوس والخزرج:

تذكر روايات أهل الأخبار أن مجيء الأوس والخزرج إلى يثرب كان بعد حادث سيل العرم جاؤوا إليها لفقر حالهم، والتماساً لوطنٍ صالح جديد، وأنهم حينما نزلوها لم يكن لهم حولٌ ولا قوة، ولذلك قنعوا بالذي حصلوا عليه من أرض ضعيفة موات، ومن رزق شحيح. أما المال والثروة والملك والجاه فلليهود، بقوا على ذلك أمداً حتى إذا ما ذهب مالك بن العجلان وهو زعيم الخزرج آنذاك إلى أبي جبيلة الغساني رئيس غسان يومئذ ونزل عنده، شكا لأمير غسان سوء حال قومه وما هم عليه من بؤس وضنك فوعده أبو جبيلة أن يأتي على رأس جيش من قومه لمساعدته، على أن يقوم بعد عودته ببناء حائر عظيم، يعلن أنه بناه لاستقبال الأمير فيه وأن يطلب من اليهود الخروج لاستقباله والتشرف بزيارته في ذلك الحائر، فإن فعلوه فتك بهم وأبادهم، فلما تم البناء، ووصل الأمير في الأجل الموقوت، ودخل المدعوون (رؤساء اليهود) الحائر فتكت عساكر أبي جبيلة بهم وأهلكتهم، وتمت الغلبة يومئذ للأوس والخزرج وعاد أبو جبيلة إلى مقر ملكه[٢].

على أن اليهود ظلوا مع هذه الغلبة يتهاترون مع الأوس والخزرج

---

(١) الأغاني ١٦/٩٥، والكامل لابن الأثير ١/٤٠١.

(٢) الأغاني ١٩/٩٧ وما بعدها، وابن خلدون ٢/٥٩٦، وأبو الفداء ١/١٢٣، والكامل ١/٤٠١.

ويتناوبونهم، فعمد مالك بن العجلان إلى الحيلة فتظاهر أنه يريد الصلح معهم وأنه عزم على تسوية العداوات وطمس الحزازات وأنه لذلك يدعو رؤساءهم إلى طعام ليتفاوضوا مع سادات قومه في أمر الصلح فلما حضر رؤساء يهود فتك بعشراتٍ منهم ممن استجاب لدعوته، وفرّ أحدهم ليخبر قومه بما حدث، وحذّر أصحابه الذين بقوا فلم يأتِ منهم أحد. فلما قتل مالك من يهود من قتل ذلّوا وقلّ امتناعهم، وخافوا خوفاً شديداً، وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم لبعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هم بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم فكان كل بطن من يهود لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم ومنذ ذلك الزمن لم يبق لليهود على هذه الأرض سلطان[١].

وورد في رواية أخرى أن (مالك بن العجلان) كان من الخزرج وكان سيد قومه يومئذ، وكان على اليهود رجل منهم اسمه (الفطيون) ملك عليهم، واستبد بأمر الناس وكان يهودياً ومن بني ثعلبة، وكان امرأ سوء فاجراً، قرر ألا تدخل امرأة على زوجها إلا بعد دخولها عليه، فاغتاظ مالك من فعل الفطيون، ومن استذلاله بالعرب، ولما كان زفاف أخته لزوجها، وكان لا بد من إدخالها على الفطيون أولاً ليستمتع بها كبر ذلك عليه فدخل معها في زي امرأة، فلما أراد الفطيون الخلو بها وثب مالك عليه وعلاه بسيفه وقتله، وخلص قومه منه وفر عندئذ إلى أبي جبيلة ملك غسان[٢]. وتذكر الرواية أن (أبا جبيلة) لم يكن من غسان بل كان

---

(١) الأغاني ٩٥/١٩ وما بعدها، ابن الأثير «الكامل» ٤٠١ وما بعدها.

(٢) الكامل لابن الأثير ٤٠١/١، وفي بعض الكتب (الكتيون) بحرف الكاف وهو تحريف، والمحبر ١١٢، وجمهرة أشعار العرب ١٤٣، القاهرة ١٩٣٦.

من الخزرج وكان عظيماً ذا منزلة كبيرة في الناس حتى صار ملكاً على الغساسنة، وَيُرَجِّح رواتها أنه لم يكن ملكاً على آل غسان، بل كان مقرباً عند ملكهم، عظيم الحظوة لديه، ودليلهم على ذلك عدم اعتراف الغساسنة بوجود ملك عليهم اسمه (عبيد بن سالم بن مالك بن سالم) وهو اسم أبي جبيلة المذكور، ويذكرون أن (الرمق بن زيد الخزرجي) مدحه بشعر[1] وتذكر رواية أخرى أن الفطيون اسم عبراني واسمه (عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة) وكان تملّك بيثرب، فلما قتل خرج مالك بن العجلان حتى قدم أبا جبيلة ملك غسان، فأعلمه غلبة اليهود على يثرب وفعله بهم فقدم أبو جبيلة يثرب، ثم صنع طعاماً، ومَكَّنَ الأوس والخزرج ممن دعاهم إلى الطعام من قتل مئة من أشراف اليهود، فقويت الأوس والخزرج عليهم[2]. وجاء في رواية أخرى أن (مالك بن العجلان) إنما فَرَّ إلى تُبَّع بعد قتله الفطيون، فاستصرخه على اليهود، فجاء حتى قتل ثلاث مئة وخمسين رجلاً غيلة من سادات يهود بذي حرض، ولما أدّبهم رجع إلى أرضه اليمن[3]. وقد رثت (سارة القرظية) أشراف يهود الذين قتلوا بوادي ذي حرض بشعر منه[4]:

بِنَفْسِي رِمَّةٌ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً ... بِذِي حُرُضٍ تُعَفِّيهَا الرِّيَاحُ
كُهُولٌ مِنْ قُرَيظَةَ أَتْلَفَتْهُمْ ... سُيُوفُ الخَزْرَجِيَّةِ والرِّمَاح
رُزِئْنَا والرَّزِيَّةُ ذاتُ ثِقْلٍ ... يُمِرُّ لأَجْلِهَا الماءُ القَرَاحُ
ولو أُذِنُوا بِحَرْبِهِمُ لَحَالَتْ ... هنالِكَ دونَهُمْ حَرْبٌ رَدَاحُ

---

(١) ابن الأثير الكامل ١/ ٤٠١.
(٢) نوادر المخطوطات وأسماء المغتالين ١٣٦ وما بعدها.
(٣) البدء والتاريخ ٣/ ١٧٩.
(٤) الأغاني ج١٩ ص٩٦.

أما مالك بن العجلان فقد صوّرُه اليهود شيطاناً ملعوناً وصوروه في بيعهم وكنائسهم ليلعنوه كلما دخلوا ورأوه، وذكروه في شعرهم في أقبح هجاء قالوه[١].

وقد كان بين يهود يثرب قوم يقال لهم بنو الفطيون بقوا حتى جاء الرسول ﷺ إلى يثرب فأجلاهم في السنة الثالثة من الهجرة[٢].

وذكر ابن دريد أن بعضاً من بني الفطيون الذين هم من نسل الفطيون ملك يثرب قد شهد بدراً واستشهد بعضهم يوم اليمامة، وذكر أن نسب الفطيون في غسان وأن من ولد الفطيون (أبو المقشعر) واسمه (أسيد بن عبدالله)[٣] وقد فسر أهل الأخبار كلمة الفطيون بـ(مالك) وقالوا إنها تقابل (النجاشي) عند الحبشة، و(خاقان) عند الترك، وذكروا أسماء نفر ممن كانوا يُلَقَّبون بالفطيون[٤].

وقد عرف بنو قريظة وبنو النضير من بين اليهود بالكاهنين نسبوا ذلك إلى جدّهم الذي يقال له الكاهن، والكاهن هو: الكاهن بن هرون بن عمران على زعم بعض أهل الأخبار[٥] فهم على هذه النسبة من أصلٍ رفيع، ومن نسب حسيب يميزهم عن بقية طوائف يهود. ولهذا كانوا يفتخرون بنسبهم هذا، ويرون لهم السيادة والشرف على مَنْ سواهم من إخوانهم في الدين. ويرى (نولدكه) احتمال كون بني النضير وبني قريظة من طبقة الكهّان في الأصل هاجروا من فلسطين على أثر الحوادث التي

---

(١) الأغاني ١٩/ ٦٩، والاشتقاق ص٢٧٠.

(٢) المحبر ص١١.

(٣) الاشتقاق ١/ ٢٤٩ ط وستنفلد.

(٤) الاشتقاق ٢/ ٢٥٩.

(٥) الأغاني ١٩/ ٥٩، تاج العروس مادة قرظ.

وقعت فيها فسكنوا هذه الديار، وهناك جملة عشائر يهودية تفتخر بإلحاق نسبها بالكاهن هرون شقيق موسى النبي عليهم السلام[١]، كذلك يرجع (أوليري) كأمثاله من المستشرقين أصل بني قريظة وبني النضير حينما غزاهم الرسول ﷺ في وادي بطحان وبموضع البويرة، ووادي بطحان هو أحد أودية يثرب الثلاثة وهي: العقيق وبطحان وقناة وهو واد فيه مياه غزيرة وعيون اتخذ به اليهود الحدائق والآطام وقد كان موضع البويرة عامراً كذلك وهو من فيحاء فيه نخل وزرع وأشجار، ومن سادتهم: حيي بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وهو أبو رافع الأعور، وعمر بن جحاش والربيع بن أبي الحُقَيْق[٢]. ومن بني النَّضِير: كعب بن الأشرف وكان معاصراً للرسول ﷺ وكان صاحب لسان ونفوذ، أبوه من طي على رواية، ومن بني النضير على رواية أخرى، أما أمه فهي من بني النضير بإجماع الرواة. وكان لبني قريظة حصون يتحصنون بها وقت الخطر ولهم آبار، ومنهم محمد بن كعب القرظي[٣] والزبير بن باطان بن وهب وعزال بن شمويل وكعب بن أسد وشمويل بن زيد وجبل بن عمر بن سكينة.

أما بنو قَيْنُقَاع، فكانوا يسكنون في أحياء يثرب وكانوا أغنياء على غير

---

(١) نقلاً عن د. جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٢٣.

(٢) البلدان مادة بويرة، وكذلك معجم البكري طبعة مصطفى السقا مادة (بويرة) وشرح ديوان حسان للبرقوقي ص٩٣ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٢٤ ط الاستقامة، وفتوح البلدان للبلاذري ١/ ١٣٢ (١٩٣٢ القاهرة).

(٣) تاج العروس مادة (قرظ)، والبداية والنهاية ١١٦/٤، والأغاني ٩٤/١٩، وفتوح البلدان للبلاذري ١/ ٢٣-٣٥، والطبري ٢/ ٢٤٥ طبعة الاستقامة، والسيرة الحلبية ٢/ ١٤٥.

وفاق ووئام مع بقية أبناء قومهم بني قريظة وبني النضير وقد اشتركوا في يوم بعاث ووقعت بينهم وبين بني النضير وبني قريظة معارك فُتِكَ فيها ببني قينقاع وأصيبوا بخسائر كبيرة اضطرتهم على ما يظهر إلى الالتجاء إلى يثرب والإقامة في حي واحد من المدينة[١] ويرى (أوليري) احتمال كون بني قينقاع من أصل عربي متهوّد أو من بني أدوم[٢] أما يهود خيبر فقد اشتهروا من بين سائر يهود الحجاز بشجاعتهم، وخيبر موضع غزير المياه كثيره، وقد عرف واشتهر بزراعته وبكثرة ما به من نخيل، وقد اشتهرت خيبر بالحمى حتى نُسبت إليها فقيل لها (حمى خيبرية) ويزعم أن يهود خيبر هم من نسل (ركاب) المذكور في التوراة[٣] وأن (يونادب) (جندب ابنه تَبَدَّى مع أبنائه ومن تبعه وعاش عيشة تقشف وزهد وخشونة، وأن نسلهم هاجر بعد خراب الهيكل الأول إلى الحجاز حتى بلغوا خيبر فاستقروا بها واشتغلوا بزراعة النخيل والحبوب وأنهم أقاموا فيها قلاعاً وحصوناً تحميهم من غارات الأعراب عليهم. وذكر بعض الأخباريين أنها ولاية من سبعة حصون منها حصن ناعم بن أبي الحقيق وهو أقواها وأعزها وقد أقيم على مرتفع من الأرض حماه وعزز دفاعه، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السلالم، وحصن وجده، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة (الكثيبة)، وقد أُخْرِجُوا منها وأُجْلُوا عنها زمانَ عمر بن الخطاب[٤] وقد زعم بعض الأخباريين أن خيبر لفظة عبرانية وأن

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ٣٣، والطبري ٣/ ١٧٣، والبدء والتاريخ ٤/ ١٩٥.

(٢) نقلاً عن د. جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٤٣.

(٣) سفر الملوك الثاني الإصحاح العاشر الآية ١٥-٢٨.

(٤) تاج العروس مادة «خبر»، وزاد المعاد ٢/ ١٣٤، والبلدان، ومعجم البكري مادة «خبر».

معناها الحصن في عربيتنا[١] وزعم بعض آخر أنها نسبة إلى رجل اسمه (خيبر بن فاتيه بن مهلاييل) سميت خيبر باسمه لأنه كان أول من نزلها[٢] وذهب (وايل) Well إلى أن اللفظة لفظة عبرانية وهي بمعنى مجموعة مستوطنات[٣]. أما (دوزي) فقد أخذ بالرواية العربية فزعم أن خيبر كناية عن جماعة من اليهود هاجرت في أيام السبي من فلسطين إلى هذا الموضع وهي من نسل (شفطيا بن مهللئيل) من بني فارص[٤] وأن (فاتيه) هو تحريف (شفطيا) المذكور في سفر (نحميا) من أسفار التوراة وهو ابن (مهللئيل) الذي هو (مهلاييل) عند أهل الأخبار، وزعم أن زمان هجرة هذه الجماعة يتناسب تماماً مع الرواية القائلة: أن هجرة اليهود إلى جزيرة العرب في أيام بختنصر[٥].

أما **تيماء** فقد استبد بها اليهود فأقاموا بها وجعلوها من أهم مستوطناتهم في الحجاز استغلوا أرضها فزرعوها، واستنبطوا الماء من الآبار بالإضافة إلى واحاتها ذات المياه العذبة الغزيرة التي كان لها الفضل في تكوين هذا الموضع وإعماره، وعلى تيماء كان يشرف حصن السموأل (الأبلق الفرد) وقد نعتت تيماء في بعض الشعر بتيماء اليهود[٦] ويرى بعض المستشرقين أن (شمعون التيماني) المذكور في التلمود والمدراس هو من أصل تيماء ولا يستبعد أن يكون من بين أهل هذه المدينة من حصل على شهرةٍ في العلم بفقه اليهود وبأحوال دينهم، فإن مركزها

---

(١) نقلاً عن جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٢٦.
(٢) نقلاً عن د. جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٢٦.
(٣) نقلاً عن جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٢٦.
(٤) سفر نحميا الإصحاح الحادي عشر آية ٤ وما بعدها.
(٥) نقلاً عن جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٣٦.
(٦) معجم البلدان مادة (تيماء)، وفتوح البلدان ١/ ٢٩.

وموقعها يجعل من السهل على سكانها الوصول إلى فلسطين وبقية بلاد الشام وأخذ العلم من علماء تلك البلاد، وقد عثر الرحالة (أوتينك) على كتابة مُدَوّنة بقلم بني أرم تعود إلى عهد كان الفرس قد استولوا فيه على هذا المكان تتحدث فيه عن أهمية تيماء ورقيها في هذا العهد[1]، ولا توجد اليوم بقية للأبلق الفرد الذي افتخر السموأل وآل السموأل به وكذلك يهود تيماء وليس يستبعد أن يكون ذلك الحصن من بقايا قصر (نبونيد) أو من بقايا قصور رجاله أو بقايا أبنية غيره ممن نزل هذا المكان وقد يكون بناء أقامه السموأل وبناه بحجر تلك الأبنية القديمة[2]. وقد أكسب قصرُ السموأل هذا الموضعَ شهرةً وأكسبه خبر وفاء السموأل شهرةً كذلك على النحوِ المذكورِ في كتب الأدب والأخبار[3].

وفَدَك: موضع آخر من المواضع الذي غلب عليها اليهود وسكانه يمثل أغلب يهود الحجاز - مزارعون عاشوا على الزراعة، كما اشتغلوا بالتجارة وبعض الحرف الذي تخصص فيها اليهود مثل الصياغة والحدادة والتجارة[4]. والموضع من المواضع القديمة التي يعود عهدها إلى ما قبل الإسلام، وقد ذكره الملك (نبونيد) في جملة المواضع التي زارها والتي خضعت لحكمه في الحجاز، وكان رئيس فدَك عند ظهور الإسلام وهجرة الرسول ﷺ إلى يثرب (يوشع بن نون)[5].

---

(١) نقلاً عن جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٤٢٦.

(٢) نفس المصدر ج٦ ص٥٢٩.

(٣) أبو الفداء تقويم البلدان ص٨٦، ومعجم البكري ١/٣٢٩، وابن خلدون ٢/٥٧٤.

(٤) تقويم البلدان ص٧٨ للبكري، وكذلك معجم البكري مادة (فدك).

(٥) تاريخ الطبري ٣/٩٨، وحوادث السنة السابعة لابن الأثير ٢/٩٣ ذكر (فدك)، وفتوح البلدان ص٣٦.

ووادي القرى: هو من المواضع التي غَصَّت باليهود فكان أكثر أهله منهم، وقد كان يَهُودُهُ من المزارعين[١]. وقد حفروا به الآبار، وتحالفوا مع الأعراب وعاشوا معهم متحالفين يعملون بالزرع وقد غزاهم الرسول ﷺ عند رجوعه من خيبر سنة سبع للهجرة على أثر إصابة (مدعم الأسود) مولى الرسول ﷺ بسهم غارب قتله وهو مولى مُوَلَّدٌ من (حسمى) كان أهداه (رفاعة بن زيد الجُذَامي) أو (فَرْوَة بن عمرو الجُذَامي) إلى الرسول ﷺ[٢].

وكان بين أهل مقنا وأيله في أيام الرسول ﷺ قوم من اليهود، وكذلك أهل بقية القرى الواقعة في أعالي الحجاز، وعلى ساحل البحر، وقد صالحوا الرسول ﷺ على الجزية وبذلك ضمنوا لهم البقاء في هذه الأنحاء[٣]. ومن هؤلاء اليهود (بنو جنبه) وهم يهود بنو (مقنا) وبنو (عادياء) وبنو (عريض)[٤].

وكان بالطائف قوم من اليهود طُردوا من اليمن ويثرب فجاؤوا إليها فأقاموا بها للتجارة فلما أسلمت صالح أهل الطائف الرسول ﷺ على أن يسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، واشترط عليهم ألا يربوا ولا يشربوا الخمر وكانوا أصحاب ربا، ووضعت الجزية على يهودها وبقوا فيها. ومن بعضهم ابتاعَ (معاوية) أمواله بالطائف[٥] ويظهر

---

(١) زاد المعاد ٢/١٤٦.

(٢) الطبري ٣/١٦، والإصابة ٣/٣٧٤.

(٣) البلاذري فتوح البلدان ص٦٦، وزاد المعاد ٢/١١٧، ومعجم البلدان (مقنا).

(٤) طبقات ابن سعد ١/٢٧٦ وما بعدها.

(٥) البلاذري فتوح البلدان ص٦٣.

- كما يرى الدكتور جواد علي[1] - أنه لم تكن لليهود جاليات كبيرة في جنوب المدينة حتى اليمن لعدم إشارة أهل الأخبار إليهم. وإن كان لا يستبعد وجود أفراد وأسر في مكة وفي عدن التي اشتهرت بالتجارة كبعض موانىء البحر الأحمر وموانىء سواحل العربية الجنوبية غير أن وجودهم في هذه المواضع لم يكن له أثر واضح مهم فلم يتجاوز محيط التجارة والاتجار. ويقول الدكتور جواد علي: «وقد ذهب بعض المستشرقين استناداً إلى دراسة أسماء يهود الحجاز عند ظهور الإسلام إلى أن أولئك اليهود لم يكونوا يهوداً حقاً بل كانوا عرباً مُتَهوِّدين تهوّداً بتأثير الدعاة اليهود ولكن الاستدلال من دراسة الأسماء على أصول الناس لا يمكن أن يكونَ حُجةً للحكم على أصولهم وأجناسهم» فالفرس والروم والهنود وغيرهم ممن دخل في الإسلام تسموا بأسماء عربية، وبعضها أسماء عربية خالصة، وتسمياتهم هذه لا تعني أن مَنْ تَسَمَّى بها كان عربيَّ الأصل، ثم إن كثيراً من اليهود في الغرب وأمريكا وفي البلاد العربية والإسلامية سموا أنفسهم بأسماء غير عبرانية ولكنهم كانوا وما زالوا على دين يهود. فالأسماء وحدها لا تكفي في إعطاء رأي علمي في تعيين الأصول والأجناس ولا سيما في المواضع الكائنة على طرق التجارة والمواصلات وفي الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط. ويرى أحد المستشرقين وهو (ونلكر)[2] أن أولئك اليهود لو كانوا يهوداً حقاً هاجروا من فلسطين إلى هذه المواضع لكانت حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كان عليه هؤلاء اليهود، كانت حالتهم أرقى وأرفع من الحالة التي كانوا عليها إذ لا يعقل - في رأيه - وصول

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٣٠.

(٢) نقلاً عن د. جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص٥٣٠ وما بعدها.

جماعة إلى هذا المستوى الاجتماعي الذي كان عليه يهود جزيرة العرب لو كانوا من بلادٍ مستواها الثقافي والمدني أرقى من مستوى من هو دونهم كثيراً في شؤون الحياة، ومستوى الحياة في جميع نواحيها في فلسطين أرقى وأرفع من مستواها في الأماكن التي وجد فيها اليهود من بلاد العزب، فهم - في رأيه - عرب مُتَهَوِّدون لا يهود مهاجرون.

وهذا الرأي لا يمكن أن ينطبق على مَنْ ترك دياره وهاجر واستقر في وطن جديد لأمد طويل، لأن الأوضاع المحيطة بالوطن الجديد سرعان ما تؤثر في المهاجرين ولا سيما إذا كانوا جماعات صغيرة، أو جماعات ليست ذات بأس شديد فتجعلها تنصاع للمحيط الذي نزلت به بعض الانصياع فتفقد بعض خصائصها لتكتسب خصائص المجتمع الجديد ثم إن اليهود الذين نزلوا في الحجاز كانوا يختلفون مع ذلك عمن كان في جوارهم أو بينهم، إذ كانوا يشتغلون بالزراعة ويمتهنون بعض المهن التي يأنفها العربي الأصيل.

الحياة الاجتماعية

الأسرة اليهودية وحدة سياسية صغيرة، كما أنها تكوّن جماعة دينية ينوب فيها ربّها عنها أمام الله أو معبود القبيلة، فالوالد هو الكاهن الذي ينظم العلاقات بين أفراد أسرته والإله، كما نتبين هذا من طقوس عيد الفصح[1]. والملاحظة الجديرة بالاعتبار إطلاقة لفظ «أب» على الكاهن[2]. وفي العصور التاريخية تجد الأسرة تجتمع بأكملها في أعياد القرابين[3] وحتى العبيد كانوا يصبحون منها إذا ما شاركوا في

(١) سفر الخروج. إصحاح ١٣. آية ٣.

(٢) سفر القضاة. إصحاح ١٧. آية ١٠.

(٣) صموئيل الأول إصحاح ٢٠/ آية ١٠.

طقوسها[١]. والأسرة اليهودية قد تكون أسرة أبوية أعني ربها وسيدها هو الوالد لا الوالدة، فالوالد هو الذي كان يقرر قيام القرابة أو التبعية أو حق الوراثة، ولكننا نتبين من العهد القديم أن الأسرة الإسرائيلية عرفت أيضاً نظام الأم، إذ نجد نساء مثل «ليّا» زوجة يعقوب كانت أمّاً لقبائل روبين وشمعون وليفي ويهوذا وزبولون وأيساخر وابنتها دينا من يعقوب، وغير «ليّا» نجد «راحيل» وهي أم يوسف وبنيامين ومنهما انحدرت بطون كثيرة كذلك نجد «بلها» أم قبيلتي «دان ونفتالي»، و«زلفا» أم لقبيلتي «جاد وأشير» ثم هاجر أُمّ الإسماعيليين العرب الشماليين وغيرهن. كما نعلل إباحة زواج الأخت وامرأة الأب وامرأة الابن[٢] بعدم الاعتراف بصحة النسب إلى الأب مع الجزم بصحة نسبته إلى الأم وهذا هو المنطلق الذي يحدد أن الأسرة اليهودية أسرة أموية وليست أبوية.

والأسرة اليهودية في مختلف عصورها قديماً وحديثاً أسرة تقوم على تعدد الزوجات وتتساوى جميع الزوجات، وعددهن يتفاوت قِلةً وكثرة حسب ثروة الزوج ومكانته، ولو أن علماء التلمود يحددون للرجل أربع زوجات فقط، وللملك ثماني عشرة زوجة، كما أن قانون الملوك يمنعهم من المبالغة في اقتناء الزوجات[٣]، وقد استغل اليهودي هذا الحق فبالغ فيه[٤] أما الرجل الفقير فكان يقنع بامرأتين، ولا شك في أن هذا الوضع في الأسرة اليهودية سَبَّبَ كثيراً من المشاكل، فالمنافسة شديدة جداً بين الزوجة التي تلد والعاقر[٥]. وفي عصور متأخرة نجد الشريعة الإسرائيلية

---

(١) التكوين ٢٤/١١.

(٢) حزقيال ٢٣/١٠/١١.

(٣) سفر التثنية إصحاح ١٢ آية ١٧.

(٤) القضاة ٨/٣٠، وصموئيل الثاني ٥/١٣.

(٥) صموئيل الأول ١/٦، والتكوين ١٦/٤، ٣٠.

تسن قانوناً يحمي الزوجة المكروهة[١]، كذلك حرّم الجمع بين الأختين، كما جرت العادة من قبل تجنباً للغيرة، ولم يقنع اليهودي بزوجاته بل كان حرّاً في علاقاته الجنسية الخارجية. وبينما نجد اليهودي يتمتع بحقوق كثيرة فيما يتصل بالناحية الجنسية، إذ بالشريعة تقسو كثيراً على المرأة[٢]، فالمرأة الزانية ترجم[٣].

النكاح:

النكاح يتم بدفع العروس المهر لعروسه، أو بدفع جزء منه، فالزواج الإسرائيلي زواج شراء، وارتكاب الفاحشة مع العروس قبل الزواج يعاقب عليه القانون كما لو أنه ارتكب مع زوجة رجل آخر[٤]. أما إغراء العذراء فيعتبر وكأنه إضرار بملكية والد الفتاة[٥] يعوض عنه بما يقابل مهر الفتاة لو زُوِّجَتْ. أما المهر فلم يرد في الشريعة الإسرائيلية ما يحدده ولكن يظهر أنه لم يختلف عما جاء في شريعة حمورابي، وفي حالات كثيرة نجد العروس يؤدي خدمة لوالد العروسة نظيره، هكذا فعل يعقوب وموسى وغيرهما، وكان الرجل يعيّر إذا ما استغل مهر ابنته لنفسه[٦]. أما اختيار العروس فكان من عمل والد العروسة أو رئيس العائلة[٧]، وكان يستقبح أن يختار الابن عروسه[٨]، وموافقة الفتاة لم تكن ضرورية، وفيما

---

(١) التثنية ٢١/١٥-١٧.

(٢) التثنية ٢٢/٢١.

(٣) التثنية ٢٢/٢٢.

(٤) التثنية ٢٢/٢٣.

(٥) الخروج ٢٢/١٥.

(٦) التكوين ٣١/١٥.

(٧) التكوين ٢٤/٢-، ٣٨/٦.

(٨) التكوين ٢٤/٥٠، ٣٤/١٢.

يتصل بتقدير المهر فهذا من عمل أعضاء الأسرتين[١]، كما أنه كان يحدث أحياناً أن الوالدين يسألان الفتاة رأيها في عروسها[٢] كما حدث أن (عيسار) خالف أهله واقترن بنساء أجنبيات عن قبيلته[٣]. والواقع أن اللقاء بين الشاب والفتاة لم يكن صعباً كما هو الحال في الأوساط الشرقية[٤]، فعند النبع كثيراً ما التقى الجنسان، وقدم كل للآخر مساعدته، كما تبادلا الرأي في كثير من المسائل التي تهم الطرفين[٥]. وهذه الاجتماعات لم تكن بريئة دائماً[٦] بالرغم من حماية القانون للأخلاق[٧]، وكانت العادة عند الإسرائيليين أن الزواج يتم بين أفراد القبيلة الواحدة، وهذا النكاح أفضل بكثير عندهم من ذلك الذي يتم بين عشيرتين مختلفتين[٨] لذلك كثيراً ما تم النكاح بين الأقارب، فمثلاً موسى ولد لقريبين، كذلك الحال مع إسحق وربيكه، ويعقوب وراحيل... وغيرهم كثير.

حفلات الزفاف:

تنتقل العروسة إلى دار الزوجية حيث تنتقل من أسرتها إلى أسرة الزوج فكانت تتحلى بحلي الزفاف[٩]، ويرافقها أقارب العروس

---

(١) التكوين ٢٤/٥٨، وصموئيل الأول ١٨/٢٠.
(٢) التكوين ٢٦/٣٤-٣٥.
(٣) التكوين ٢٦/٣٤-٣٥.
(٤) القضاة ١٤/١-، وصموئيل الأول ٩/١١.
(٥) التكوين ٢٤/١٥، ٢٩/١٠.
(٦) الخروج ٢/١٦.
(٧) الخروج ٢٢/١٥، والتثنية ٢٢/٢٣.
(٨) التكوين ٢٩/١٩، والقضاة ١٤/٣.
(٩) أشعيا ٦١/١١.

وأهله[١]، إذ كانت العادة أن العروس يتوجه إلى دار العروسة ويرافقها مساء إلى داره وخلفهما جمهور المهنئين يُهَلِّلون ويصيحون ويحيون العروس في زينتها[٢] كما ترافق العروس صويحباتها[٣] ويسير الموكب حتى بيت الزوجية[٤] وحتى أن تصل العروس إلى دار الزوجية كانت تحتفظ بالحجاب[٥]. وفي دار العروس كانت الحفلة الكبرى حيث تستمر سبعة أيام أو أربعة عشر يوماً[٦]، وقد يحدث أن الرجل يتزوج في بيت العروس كما فعل يعقوب[٧] وكذلك شمشون[٨]، كما أن حفلة الزفاف تتم في بيت العروسة لا العروس[٩].

المرأة اليهودية:

قامت شريعة إسرائيل على ما تقتضيه الأمة الحربية من خضوع المرأة الحربية للرجل والرغبة في كثرة النسل، فالمرأة تسبى وتباع وتورث، وللآباء أن يؤجروا أبناءهم لموعد، وأن يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق، وأن يقتلوهم[١٠]. والمرأة الإسرائيلية لم يكن مركزها سيئاً كما

---

(١) القضاة ١٤/١١، ومتى ٩/١٩.
(٢) أشعيا ٤٩/١٨، وأرميا ٣/ ٣٢.
(٣) غرمور ٤٥/ ١٥.
(٤) أرميا ٧/ ٣٤، ١٦/ ١٩.
(٥) التكوين ٢٩/ ٣٥.
(٦) التكوين ٢٩/ ٢٧، والقضاة ٣٤/ ١٢.
(٧) التكوين ٣١/ ٣١.
(٨) التكوين ١٩/ ١٠.
(٩) حضارة العرب ٤٩٢.
(١٠) حضارة العرب ٤٩٢.

نتصوره فكونها ملك الرجل[1] ليس نقيصة وذلك لأنها قبل الزواج كانت ملكاً لأبيها وكان له الحق في بيعها فتصبح أمةً، والطاعة العمياء لسيد البيت كانت مفروضة أيضاً على الأطفال، وأخيراً فلها في أهلها وأقاربها درع يقيها العاديات، وعلى كل حال فمكانة المرأة من الشعب كانت قاسية حقاً، وذلك لأنها كانت تقوم بأشق الأعمال وأتعبها في البيت وخارجه، فهي التي تجلب الماء إلى البيت وهي التي تطحن الحبوب، وتخبز الخبز، وسائر أعمال المنزل، وعلاوة على ذلك كانت تقوم بأعمال الحقل وترعى الماشية[2]. أما الأرملة فكان مركزها سيئاً جداً فهي تُوَرَّثُ مع سائر أمتعة المتوفى ونجده أحياناً مثل (روبين) الذي أراد أن يرث والده إبان حياته[3] كذلك (أبشالوم) الثائر يريد أن يعبر لشعبه أنه وريث والده وخليفته باستيلائه على حريمه[4] فالأرملة كانت مضطربة بعد وفاة بعلها لأنها لا تعرف ما إذا كان أحد الورثة سيعولها أم لا، ولو أنه كان من حقها العودة إلى أهلها إذا كان والدها حياً ولا يمانع، كذلك كان لها الحق في الزواج ثانية[5] بعد موافقة الورثة.

الأطفال:

والأطفال منحة من الله، لذلك نجد أن أمنية الإسرائيلية الأطفال[6] وبالرفاء والبنين خير دعوة عند الزفاف[7]، وعدم الحمل عقوبة من

---

(١) التكوين ١٦/٦-٧.

(٢) فؤاد حسنين علي. إسرائيل عبر التاريخ ص١٠٤ دار النهضة.

(٣) التكوين ٣٥/٢٢.

(٤) صموئيل الثاني ١٦/ ٢٠.

(٥) التثنية ١٠/١٨، ٢٤/١٧، وقارن أرميا ٧/٦.

(٦) التكوين ٣٠/١.

(٧) التكوين ٢٤/٦.

الله[١]، والمرأة تبلغ المكانة المرموقة في الأسرة عندما تنجب أطفالاً[٢]. والمجتمع الإسرائيلي يُفَرِّقُ بين الولد والبنت وذلك بحكم الواقع فالولد يحافظ على جنس الأب بينما البنت بحكم الزواج تنتقل إلى أسرة أخرى، فالولد هو الذي يحافظ على تقاليد الأسرة وعاداتها وعقيدتها، بينما البنت غير قادرة على القيام بها، والفتى لا يُباعُ بينما تباع الفتاة عند الزواج، ومن هنا نتبيّن تمييز الولد في الميراث، فالولد فقط هو الذي يرث والده، وليست الأرملة أو البنت، وبين الأولاد يمتازُ البِكْرُ عن الآخرين فهو يرث ضِعْفَ الآخر من إخوته[٣]، كما منحه المجتمع تمثيل الأسرة في المسائل الخاصة والعامة[٤]. أما تسِمية الوليد فكانت تتم عقب ولادته مباشرة، وكانت الأم غالباً ما تختار الاسم[٥] كذلك كان الوالد أحياناً هو الذي يختار الاسم[٦]، وفي العصور المتأخرة كان الوليد بعد تسميته بأسبوع يُخْتَنُ، وهذه الظاهرة كانت شائعة حتى في العهد المسيحي[٧].

المهن التي امتهن بها اليهود في بلاد العرب:

الزراعة:

عني اليهود في مستعمراتهم عامة بالزراعة أول الأمر[٨]، ثم أخذ

---

(١) صموئيل الأول ١/ ٥.

(٢) التكوين ١٦/ ٤، وصموئيل الأول ١/ ٦-٧.

(٣) التثنية ٢١/ ١٧.

(٤) التكوين ٢٤/ ٥٠.

(٥) التكوين ٤/ ١، ١٩/ ٣٧.

(٦) التكوين ١٦/ ١٥.

(٧) لوقا ١/ ٥٧.

(٨) حتي. تاريخ العرب ١/ ١٤٦.

الاهتمام بالزراعة يتحول إلى اتجاه اقتصادي أَثَّر في العنصر اليهودي كله من القرن الرابع وما تلاه[1]، وقد اعتنوا عناية خاصة بزراعة النخيل، وعرفت القطعة المزروعة عندهم بـ(الصورين) أو (الصور)[2] والزراعة عند الإسرائيليين توجيه من الله تعالى[3].

التجارة:

وكانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار لبعضهم فيها شهرة عظيمة ويمكن أن يقال: إن تجارة البلح والشعير والقمح كانت خاصة بهم في شمال الحجاز[4]. وقد أصبحت تجارة المدينة بأيديهم، فكانوا يرسلون القوافل التجارية بينها وبين مكة وكانت تجارتهم رابحة مزدهرة.

الصناعة:

وكانت لبني قَيْنُقَاع شهرة خاصة بالصناعة فهم الذين اتجهوا إليها ومهروا في الصياغة وصنع الجواهر والسلاح والدروع وسائر الآلات الحديدية، وكان لهم حيّ خاص[5] ويؤكد السمهودي أنه كان بالمدينة ثلاث مئة صائغ من اليهود[6].

وكان لبني قينقاع سوق بالمدينة ولها صوت وضجيج كما دلت على

---

(١) أوليري. الجزيرة العربية قبل الإسلام ١٧٤.

(٢) الروض الأنف ٢/ ١٩٤، وابن هشام في السيرة ٢/ ١٩٥.

(٣) أشعيا ٢٨/٢٦.

(٤) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص١٨.

(٥) أوليري. الجزيرة العربية قبل الإسلام ص١٧٤. فتوح البلدان ٦٠.

(٦) الأغاني ٢١/ ٦١-٦٢ ط. دار الكتب.

ذلك قصة خروج (النابغة) الشاعر بناقته وقد لحق به (الربيع بن أبي الحقيق) الشاعر اليهودي فحاصت ناقة النابغة من الضجة التي في السوق، فقال النابغة كادت تهالُ من الأصواتِ راحلتي، ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أجز يا ربيع، فقال الربيع: والنفرُ منها إذا ما أوجزتْ خلقُ فقال النابغة: ما رأيت كاليوم قط[1]، وكذلك اشتغل اليهود بالنسيج والحدادة وهي صناعة يَأنفُ منها العرب ويزدرونها.

الثروة والعمران:

كان في حيّ بني قَيْنُقَاع دُورٌ عالية من ثلاث طبقات ومن أربع، وكانت لهم أموال وعبيد[2] وكان لا بد لهؤلاء الذين اقتنوا الضياع، وملكوا الأموال والعبيد أن يُحَصِّنُوا أنفسهم وأموالهم من غارات أعدائهم.

الحصون والآطام:

فأقاموا الحصون والآطام على قمم الجبال لرد الأعراب الذين قد يغيرون عليهم، وصَدّ قبائلَ أخرى من اليهود قد تَغْزُوهم، فقبائل اليهود كانت تنيف على العشرين، وآطام اليهود ومن نزل معهم من العرب تزيد على السبعين[3] وكانوا يرون أنفسهم محاربين ممتازين ويغالون في هذا الادِّعاء. ولم يكن من مصلحة اليهود وهم أهلُ زرعٍ وضرع ومال وتجارة وأرض ثابتة أن يشتركوا في الحروب أو أن يشجعوا وقوعها في ديارهم؛ بل من مصلحتهم أن يعم الاستقرار مجتمعهم الخاص، أما المجتمعات الأخرى فمن مصلحتهم أن تتناحر لتستهلك صناعة السلاح التي كانت

---

(١) الأغاني ٢١/٦١-٦٢ ط. دار الكتب.

(٢) هيوارث. تاريخ العرب ١/ ١٣٣.

(٣) السمهودي. وفا الوفا ص٨٠. ط بولاق.

بأيديهم أما هم فيعيشوا عيشة هنيئة وليبيعوا ما عندهم للأعراب وليشتروا ما عندهم من سلع وليقبضوا أموالهم منهم والأرباح التي استحقت على تلك الأموال. وفي النزاع الذي يقع بين القبائل لم يكن من مصلحتهم في كثير من الأحيان تأييد حزب على حزب خوفاً من الوقوع في أخطاء تجرُّ عليهم أخطاراً ومهالك هم في غنى عنها، وفي مأمن من شرها، ثم إنهم بِتحزُّبِهم لطرفٍ يغضبون الطرف الآخر فيضمر عندئذ شراً لهم، فيخسرون بذلك مشترياً وبائعاً، وهم أناسٌ أصحابُ سوق وتجارة. وفي بعض الأحيان كانوا هم يثيرون الحروب لأن في إثارتها فائدة لهم ومصلحة ترتجي منها: بيع السلاح الذي يصنعونه، ومنها: إنهاك العدو بحرب مع عدو آخر، بإيقاع الفتنة وإشعال النيران، كما أوقعوا بين الأوس والخزرج، لإضعاف الطرفين معاً حتى لا تبقى لهم قوة تهددهم وتكون خطراً عليهم. وفي يوم بعاث استعان الأوس ببني قريظة والنضير، فبلغ ذلك الخزرج، فأرسلوا إليهم يحذّرونهم من سوء عاقبة الاشتراك في هذا النزاع فتوقفوا، غير أنهم عادوا فعاونوا الأوس وانضم إليهم بنو النبيت، فلما كسب الأوس الحرب، كسب بنو قريظة والنضير والنبيت غنائم من الخزرج وخرجوا من هذا اليوم منتصرين بانتصار الأوس[(١)]. والحقيقة أنهم لا يسعون إلى انتصار فريق على فريق بقدر ما يهمهم مصلحتهم من مكاسب ومن إضعاف المتحاربين من كلا الأطراف. وكان يهود يثرب إذا تضايقوا من الأوس والخزرج يهددونهم بقرب ظهور نبيٍّ يستعلون به عليهم وكانوا يقولون لهم: إن نبيّاً يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وإرم[(٢)].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٩٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٦ طبعة محيي الدين عبد الحميد وتفسير الطبري ١/ ٣٢٤.

ويرجع إلى هذا مساعي الأوس والخزرج إلى الإيمان بالرسول ﷺ خوفاً من أن تسبقهم اليهود إلى ذلك.

اختلاطهم بالعرب:

كثر اليهود بالحجاز واختلطوا بالعرب، لأن الأوس والخزرج حين نزلوا يثرب وجدوا بها عدة قبائل من بني إسرائيل هم: بنو عكرمة، وبنو ثعلبة، وبنو محمر، وبنو زاعورا وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو قريظة، وبنو بهدل، وبنو عوف، وبنو الفصيص وهم جميعاً من أهل الشرف والثروة والعز على سائر اليهود[1]. وكان هنالك بنو صخم، وبنو ماسكة، وبنو العقصة، وبنو زيد اللات، وبنو حجر: وبنو زهرة، وبنو زبالة، وبنو ناغصة، وبنو عكوة، وبنو مزاية[2] حتى لقد نيّفت قبائلهم على العشرين وزادت آطامهم وآطام من نزل معهم من العرب على السبعين[3]. وكانت معهم بطون من العرب منهم بنو الحرماز - حي من اليمن - وبنو مرثد - حي من بلي - وبنو نيف - من بلي - وبنو معاوية من بني سليم - وبنو الشطية من غسان[4] وبنو مريد من بلى - وبنو الجذمي (الجذماء) من اليمن[5]. ثم بعد سيل العرم وفد إليهم الأوس والخزرج، واستوطنوا المدينة، وأقام بعضهم بين القرى اليهودية، وأقام الآخرون مع اليهود في قراهم ونزل بعضهم وحده لا مع اليهود،

---

(١) معجم البلدان مادة «قرظ»، والأغاني ١٩/ ٩٥.

(٢) الأعلاق النفيسة ٧/ ٦٢.

(٣) خلاصة الوفا ٧٦.

(٤) الأغاني ١٩/ ٩٥.

(٥) الأعلاق النفيسة ٧٠/ ٦٣، وخلاصة الوفا ٧٩.

ولا مع العرب الذين كانوا قد تألفوا إلى اليهود[1] وقضى الأوس والخزرج عليهم وأفنوا كثيراً من اليهود وقد رثتهم سارة القرظية[2]. ولكنهم بعد ذلك ذلّوا وتخوفوا بطش العرب، وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضُهم إلى بعض، كما كانوا يفعلون، بل يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين يعيش بين أظهرهم لأن كل قوم من يهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم[3]. ويقول الدكتور إسرائيل ولفنسون: «ويذهب المؤرخ جريتز Gratz إلى أن بطون الأوس والخزرج لم تكاشف اليهود بالعداء إلا بعد النكبة التي حلت باليهود في اليمن لأنه لا يتصور أن يضطهد اليهود في الحجاز في العصر الذي كان فيه ملوكٌ مُتهوِّدون يسيطرون على اليمن ويتعصبون لدينهم، ويناهضون كل من يعارضهم أو يعتدى عليهم[4]. وهناك سبب آخر هو أن الأوس والخزرج قد تكاثروا ونبتت منهم فروع عدة فتطلعوا إلى تملك الأرض التي يتملكها اليهود ونفسوا عليهم أن يستأثروا بخيرات يثرب وغيرها، وأن يكون لهم السلطان المالي والاقتصادي على العرب، فانتهزوا سقوط دولة اليهود في اليمن فرصة يتحللون فيها من نفوذ يهود الحجاز فكان لهم ما أرادوا. وإذن فلم يكن بين العرب واليهود حائل يمنع الاختلاط فإن قبائل عربية يمنية قد شرعت تنتشر في الحجاز بين الجاليات اليهودية[5].

---

(١) خلاصة الوفا ٨٢.

(٢) الأغاني ١٩/ ٩٦، والأعلاق النفيسة ٧/ ٦٣.

(٣) الأغاني ١٩/ ٩٦، والبدء والتاريخ للمقدسي ج٣، والروض الأنف ٢/ ٢٤، وخلاصة الوفا ٧٩/ ٨٤.

(٤) الأغاني ١٩/ ٩٧.

(٥) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٦١.

ومما كان يدعو إلى الاتصال أيضاً أن اليهود أهل مهارة في الصناعة وبراعة في تثمير المال فلم يكن للعرب بد من أن يعاملوهم، فمثلاً كان بنو قينقاع صَاغةً بالمدينة، وكان لهم سوق عظيمة ذات ضجيج حتى لقد نفرت من ضجتها ناقة النابغة الذبياني.

وكان آل أبي الحقيق مَهَرةً في صناعة الحِلي بخيبر، والعرب يقصدونهم ليشتروا لنسائهم من حليهم[١] ثم إن تجار العرب كانوا يفدون إلى الأسواق اليهودية في شمال الحجاز ليبتاعوا من حاصلات اليهود وصناعاتهم، وكذلك كان اليهود يعرضون بضاعتهم في أسواق العرب، وكان العرب يمرون بمستعمراتهم على طريق القوافل بين الحجاز واليمن، وبين الحجاز والشام، «فينتج من التعاون الاقتصادي والاختلاط الاجتماعي تبادل في الآراء وجدال في الديانات»[٢].

على أن الاختلاط كان يتخذ مظهراً أقوى في تحالف بعض العرب مع اليهود ضد إخوانهم العرب فالأوس تحالف قريظة ضد الخزرج، والنبيت تذهب إلى خيبر تحتمي بيهودها، فتعيّرها الخزرج وتفتخر عليها[٣]. وبنو النضير يحالفون بني عامر[٤]، وبنو قَيْنُقَاع حلفاء لعبيدة بن الصامت ولعبدالله بن أبيّ[٥]، وأهل خَيْبَرَ حلفاء لغطفان[٦]، ويهود وادي القرى وما والاه حلفاء لقبائل سعد هذيل من قضاعة، يمنعونهم من العرب وهم

---

(١) نقلاً عن د. جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص

(٢) الواقدي المغازي ٢٧٧.

(٣) خلاصة الوفا ٨٩.

(٤) المغازي ٣٥٤.

(٥) نفس المصدر ص١٧٩.

(٦) معجم ما استعجم للبكري ٢/ ٥٢٣.

الذين حموهم من غزو النعمان بن الحارث الغساني وظلوا حُماتَهم إلى أن أشرق الإسلام[١].

اليهود باليمن وما جاورها:

منذ عهد بعيد كانت لليهود صلة باليمن فقد كان لسبأ صيت تجاري ذائع عند اليهود وكانت قوافل سبأ تَفِدُ إلى أسواق اليهود الكنعانيين[٢]، وكان تجار اليهود يرحلون إلى جنوبي جزيرة العرب[٣]، وقصة سليمان وملكة سبأ ثابتة بنص القرآن الكريم والتوراة[٤]. ويقول الدكتور «إسرائيل ولفنسون»: وقد أثبت العالم جلازر Glazr أن اليهود كانوا في اليمن وحضرموت منذ عهد بعيد قبل الإسلام، وهم الذين مهدوا لدينهم هناك، ثم ظهرت أسباب عند ملك أو ملوك حَبَّبَتْ إليهم اليهودية، على أن اليهودية لم تنتشر باليمن إلا بعد الغزو الحبشي سنة ٣٤٠م، إذ فرّ ملوك حمير إلى الحجاز وقضوا بها خمساً وثلاثين سنة، ثم عاد مالك كرب يوهامين في جيش إلى اليمن ليطرد الحبش، وكان قد دان باليهودية ليقاوم بها المسيحية، دين المستعمرين لبلاده[٥]، ولم يمض إلا زمن قصير حتى كان تبّع الآخر - تبان بن أسعد أبو كرب - وهو (حسان تبّع) قد تعلّم اليهودية وعاد إلى اليمن فنشرها[٦]. وتزعم روايات الأخباريين أن حبرين من أحبار اليهود من بني قريظة عالمين راسخين في

---

(١) نفس المصدر السابق ١/ ٤٣.
(٢) سفر أشعيا ٤٣/ ٣، سفر حزقيال ٢٣/ ٤٢.
(٣) سفر الملوك ١٠/ ١١، ٢٢.
(٤) سورة النمل، وسفر الملوك الأول ١٠/ ١-١١.
(٥) نقلاً عن د. جواد علي. تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٣٨.
(٦) الكامل لابن الأثير ١/ ١٤٦، والعبر لابن خلدون ٣/ ٥٣، وسيرة ابن هشام ١/ ١٤-٢٤، والتنبيه والإشراف ١٧٢، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٢٩٨.

العلم هما اللذان هديا التُّبَّع إلى اليهودية، وأبعداه عن عبادة الأوثان[1].

وعلى كل حال فإن دخول اليهودية إلى اليمن مَرَدُّهُ أيضاً إلى اتصال اليمن منذ عهد قديم بطرق القوافل التجارية والبحرية والبرية ببلاد الشام. وفي قصة سليمان وملكة سبأ إشارة إلى تلك الصلات: وإلى هجرة جماعات من اليهود إلى هذا القطر عن طريق الحجاز بعوامل متعددة منها: التجارة والهجرة إلى الخارج، ومنها: هروبهم من اضطهاد الرومان، وعوامل أخرى جعلتهم يتجهون من الحجاز إلى اليمن، فأقاموا هناك. وأما يهود اليمن المحدثون فإن أحبارهم ورجال العلم والفهم فيهم يرجعون وجودهم في اليمن إلى أيام السبي، أي إلى أيام (بختنصر) وهم يزعمون أنهم بقوا في اليمن منذ ذلك الحين ولم يعودوا إلى فلسطين، وقد غادروا اليمن بعد التقسيم[2]. ودان باليهودية كثير من أهل الشام والجنوب كبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكنده[3]، وكان بنجران يهود دفعوا الجزية للنبي ﷺ[4] وفي أماكن متفرقة من اليمن أقام يهود على دينهم ودفعوا الجزية لعمال رسول الله ﷺ[5]. وليس أدلَّ على صولة اليهودية في اليمن من أن الملك اليهودي ذا نواس كان متعصباً لها جاداً في نشرها، يعامل المسيحيين بما تعامل به الدولة الرومانية اليهود[6]. ثم

---

(١) الأغاني ١/١٠٩.

(٢) جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٣٨.

(٣) المعارف لابن قتيبة ٢٠٥.

(٤) البلاذري. فتوح البلدان ٨٥.

(٥) فتوح البلدان ٧٥، ٧٩.

(٦) سيرة ابن هشام ١/٣٥، تاريخ الطبري ٢/١٠٥-١٠٦، وتاريخ ابن خلدون ٢/٥٩، معجم البلدان ٧/٢٦٧، والكامل لابن الأثير ١/١٢٨.

إن اليهودية وصلت إلى الحيرة فقد كان للنعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة زوجات كثيرات من العرب والفرس واليهود، وكانت (المتجرّدة) اليهودية آثر نسائه عنده لجمالها وحسن تَبَعُّلِها، وهي التي ذكرها النابغة في شعره[1].

تنكيل اليهود بالمسيحيين في اليمن:

تختلف الروايات حول خبر ذي نواس اليهودي فتذكر بعض الروايات أن ذا نواس قد أغضب النصارى وعدا عليهم، وذلك لأنه كان متعصباً لدينه، ويريد أن ينشره، فسار بجنوده إلى نجران، ودعا أهلها النصارى أن يتهوّدوا أو يقتلوا، فاختاروا القتل، فحدَّ لهم الأخدود وأحرقهم فيه[2] وقد حكى القرآن الكريم قصة أصحاب الأخدود هذه في سورة البروج والتي جاء فيها: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج] وبعضهم يرى أنه فعل بهم ذلك تأديباً لهم لأنهم قتلوا ابنين لرجل يهودي في نجران اسمه (دوس) واستنصر به «دوس» هذا[3]. ومهما يكن السبب فإن ذا نواس نَكَّلَ بنصارى نجران فذهب أحدهم إلى ملك الحبشة، وأعلمه بما حلّ بهم، ولعله أراد أن يستفزّه ويستدر عطفه فعرض عليه الإنجيل المحرّق، فأمدّه بسفن كثيرة، وفي رواية أخرى أن المستنجد من أهل نجران اتجه إلى قيصر أول الأمر، فأحاله إلى ملك الحبشة مع وَصاةٍ به، وأمر بأن ينصره، ويطلب ثأره ممن بغى عليه

---

(١) حرب بني شيبان مع كسرى أنو شروان ٦٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٥، وتاريخ الطبري ٢/١٠٥.

(٣) الطبري ٢/١٠٦، وتاريخ ابن خلدون ٢/٥٩-٦٠.

وعلى أهل دينه[1]. ولا يجمع المؤرخون ولا الباحثون على أن ذا نواس هو صاحب الأخدود، فالنيسابوري يذكر ثلاث روايات آخرها: أنه ذو نواس[2]، والطبري يذكر في «تفسيره» روايات كثيرة منها: أن أصحاب الأخدود كانوا أهل الكتاب من بقايا المجوس، وأنهم خالفوا ملكهم في أمر فأحرقهم في النار، ومنه أنه ملك - لم يذكر اسمه - أضرم النار في الأخدود لإحراق قومه المؤمنين بالله. ومما ذكره الطبري أنَّ أصحاب الأخدود هم الكفار الذين فتنوا المؤمنين، ذلك أن طائفة من المؤمنين بالله اعتزلوا الناس في الفترة، فأراد أحبار من عبّاد الأوثان أن يدخلوا في دينهم فأبوا فخدّ لهم الأخدود[3]. ولم يذكر الطبري في تفسيره ذا نواس، ولا أهل نجران.

وهذه الآراء تقوي الشك في نسبة الأخدود إلى ذي نواس اليهودي، لأن القرآن الكريم يورد القصة، ثم يعقّب عليها بهذه الآية: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج] فكيف ينقم ذو نواس اليهودي من نصارى نجران، أنهم يؤمنون بالله وهو نفسه مؤمن بالله تعالى؟ وقد اعترض ياقوت مثل هذا الاعتراض، فعجب من أن ينسب الأخدود إلى ذي نواس لأن ذلك يُفضي إلى أن يكونَ القاتلُ والمقتول من أهل التوحيد، والله قد ذمّ المُحَرِّقَ والقاتلَ لأصحابِ الأخدود، ويقول ياقوت: «وأما خبر الترمذي أن الملك كان كافراً وأصحاب الأخدود مؤمنين فصح إذن»[4]، ويقول الدكتور جواد علي: «إن الأستاذ لوت Louth يرجح أن السورة لا تشير إلى هذه القصة، وأن ما ورد في تفسير الطبري مسنداً

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٠٦.

(٢) تفسير النيسابوري على هامش الطبري ٣٠/ ٦١-٦٢، تفسير الطبري ٣/ ٨٤-٨٦.

(٣) سورة البروج آية ٨.

(٤) معجم البلدان ٧/ ٢٦٢.

إلى صهيب عن النبي ﷺ (ملخص ذلك: أن ملكاً كافراً انتقم من رعاياه المؤمنين بإحراقهم في الأخدود) إنما يعبر عن قصة استشهاد جرجيس Gourjes، وقد ذكر هذه القصة الطبري مفصلة في تاريخه[1]، كما ذكرها مفصلة كذلك ابن الأثير[2].

ويقول الدكتور أحمد الحوفي: «وأمام هذا الشك فليس أمامنا إلا أحد أمرين: إما أن نحكم بأن ذا نواس لم يكن يهودياً بل كان وثنياً، وبذلك يكون قد انتقم من المؤمنين بالله وهو غير مؤمن، وإما أن يكون حافر الأخدود غير ذي نواس، وتكون حملة الحبشة الأخيرة على اليمن قد نشأت عن انتقام ذي نواس للرجل الذي استنصر به على أهل نجران الذين قتلوا ولديه، ونشأت أيضاً لأن ذا نواس تولى بالرغم من إرادة الرومان والأحباش الذين كانوا قد ولوا أميراً نصرانياً على حِمْيَر، ولكن اليهود انتهزوا موته وولوا ذا نواس اليهودي فأحس المسيحيون الذين ينقلون التجارة بالخطر المحدق بهم فانقطعت القوافل عن اليمن ثم زادت العلاقة سوءً مما أدى إلى غزو الأحباش لليمن[3]».

وعلى كل حال فموضوع أصحاب الأخدود وقصتهم واردة في الحديث الشريف في «صحيح مسلم» عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاماً فهماً أو قال فطناً فأُعَلِّمهُ علمي هذا، فإني أخافُ أن أموتَ فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه، فنظروا له غلاماً على ما وصف، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه،

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/١٢٨.
(٣) د. أحمد الحوفي - الحياة العربية من الشعر الجاهلي ٩٩.

فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام كاهن. . .

فآمن الناس برب الغلام، فخدَّ الملكُ أخدوداً، ثم ألقى فيه الحطب والنار وجمع الناس وألقاهم في الأخدود.

أثر اليهود في العرب:

عاش اليهود في جزيرة العرب معيشةَ أهلِها، فلبسوا لباسهم وتصاهروا معهم، فتزوج اليهود عربيات، وتزوج العرب يهوديات، ولعل كون بعض يهود من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود عند ظهور الإسلام هو الاختلاف في الدين، وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في أي بلد آخر من البلاد التي كانوا فيها في ذلك العهد[1]، ومن الأسماء التي قد تكون من أصل عبراني «زعورا» وهو اسم عبراني متأثر بلهجة بني إرم، و(يساف) وقد يكون من «يوسف» و(نفتل) وقد يكون من (نفتالي) وأسماء أخرى لم تتمكن من المحافظة على أصلها العبراني فتأثرت بخواص اللسان العربي. وليس بين أسماء البطون اليهودية الأحد عشر التي كانت في الحجاز في أيام ظهور الإسلام اسم تظهر عليه الملامح العبرانية غير (زعورا)[2].

ويقول إسرائيل ولفنسون: «من المتعذر أن نضع حدوداً فاصلة بين اليهود والعرب تميّز الأخلاق والنظم والعادات، ذلك بأن بني إسرائيل نتاج الصحراء، ولم تنقطع صلتهم بالصحراء في عصور حضارتهم

---

(١) نقلاً عن د. أحمد الحوفي. الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص١٣٦ وما بعدها.

(٢) د. جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٣٢.

والمميزات الصحراوية بارزة في لغتهم وخيالهم، لهذا كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمّونهم بالعبريين لعلاقتهم بالبادية ولتمييزهم عن أهل الحضارة»[١] وأولئك اليهود الذين سكنوا بلاد العرب كانوا مطبوعين بالطابع البدوي من قبل، ثم عاشوا في البادية ثانية، وخالطوا العرب كما سبق، فتأثروا بأخلاقهم وببعض عاداتهم، وجروا على كثير من النظم، ويقول ولفنسون أيضاً: «ولا أعلم في تاريخ اليهود القديم إقليماً تأثر فيه اليهود بأخلاق أبنائه وعاداتهم ونظمهم إلى هذا الحد سوى إقليم الجزيرة العربية، حتى لقد أنْستهم البيئةُ ما ورثوا من روحانية وأخضعتهم للعقلية البدوية[٢] أما لودفيج فيقول: «ولم يختلفوا عن عرب الصحراء إلا في مظاهر سطحية، لهذا أنكر يهود دمشق وحلب في القرن الثالث الميلادي أن في الجزيرة العربية يهوداً، لأنهم لم يتمسكوا بالدين، ولم يخضعوا لقانون التلمود»[٣] وكذلك كان حالهم من الوجهة اللغوية فقد اصْطَفَوْا اللغة العربية لغةً أدبية لهم، وكان فيهم شعراء نظموا الشعر في الموضوعات التي مارسها العرب ولا يختلف شعرهم عن الشعر العربي وزناً وقافية وتصويراً وخيالاً ومعنى كالسموأل وأوس بن دني وكعب بن الأشرف والربيع بن أبي الحقيق وسعية بن عريض وشريح بن عمران، وأبي قيس بن رفاعة وأبي الذيال ودرهم بن زيد[٤]. وقد أجاز الربيع أبياتاً للنابغة فأعجب ببديهته وقال له: أنت يا ربيع أشعر الناس[٥].

---

(١) تاريخ اللغات السامية ولفنسون ٧٨/ ٨٠.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٢٢.

(٣) اليهود وتاريخ الحضارة لودفيج ص٣٠.

(٤) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود شاكر ص٢٧٩ وما بعدها.

(٥) الأغاني ٩٢/٢١.

وقد عجزت اليهودية أن تكتسح الجاهلية ولعل مردَّ ذلك إلى مشقة أحكامها «حتى لقد قال أحد فلاسفتهم (يهود أفيلون ٣٠ ق.م- ٥٠م)»[١]: «إن إسرائيل بين الأمم كاليتيم المضيّع بين الغرباء، وذنبهم عند الناس أنهم يأخذون أنفسهم بالفرائض الصارمة، والصرامة ثقيلة على الطباع. ومن هذه الصرامة عند طائفة الأسينيين أو الآسينيين: تحريم الرق، واعتبار التجارة عملاً خبيثاً، وأخبث منه حمل السلاح للقتال، وازدراء المادة لأنها مصدر الشرور[٢]. وقد يكون السبب أيضاً أن اليهود لم يتحمسوا لنشر دينهم[٣]، ويقول توماس أرنولد: «وليس دينهم تبشيرياً يجد أتباعه فرضاً عليهم أن ينشروه ويهوّدوا الكفار وإنما هو مثل البرهمية والزرادشتية دين غير تبشيري، أما التبشيري فالبوذية والمسيحية والإسلام[٤].

وكذلك لا تبيح اليهودية الانتفاع بغنائم الأعداء، بل توجب إحراقها، والعربيُّ يقاتلُ ليثأرَ ويغنم وينتفع بالمال والأسرى. على أن اليهودية تطورت فصارت تعتبر الناموس التلمودي وعقائده أساساً لا محيدَ عنه لمن يرغب في التهوّد، والذين دانوا بالتوراة وحدها لم يقبل تهوُّدهم، وربما كان هذا سبباً في انصراف اليونان والسريان إلى النصرانية على رأي ولفنسون[٥]. ويزيد التهوّد عسراً: أن اليهود كانوا في عصر ميلاد المسيح فريقين: أحدهما يتبع الحكيم (شاي) وهم متحرجون، يردون الراغبين في

---

(١) عبقرية المسيح للعقاد ص٦٧.

(٢) عبقرية المسيح للعقاد ص٢٧.

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب. ولفنسون ٧٢.

(٤) الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم، وعابدين والنحراوي وقد أعجب أرنولد بهذا التقسيم.

(٥) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٧٢.

اليهودية من غير اليهود، والآخر لا يتحرج كما يتحرج هؤلاء[1]. وبعد فقد كان الصراع عنيفاً بين النصرانية واليهودية في الحجاز وفي اليمن وكان أن جاء الإسلام فانتصر عليهما جميعاً.

لكن هذا لم يمنع من أن يتهود بعض عرب الحجاز[2]، فكان حول مكة قَبائل عربية متهودة، هي بطون كنانة، وبني الحارث بن كعب، وبني كندة[3]، وتهوّد قوم من غسان بن جذام[4] وهاد بنو حشنة بن عكارمة من بلي بتيماء[5]، وهاد بعض الأوس والخزرج لما جاوروا اليهود[6] والذين لم يتهوّدوا كانوا يتصلون باليهود ويتأثرون بهم، فقيس بن الخطيم يتغزل في امرأة يهودية[7] والحارث بن عباد يشبه بعيد اليهود وطبولهم[8]، وكانت نساء بعض الخزرج ينذرن إن ولدن ولداً أن يُهوِّدنَهُ إذا عاش لأن اليهود أهل علم وكتاب[9].

وقد انتشرت بين العرب بعض تعاليم التوراة، وما يتصل بها من شروح وأساطير سمعها العرب في الجاهلية وسمعها المسلمون في الإسلام[10]، ومما يدل على ذيوعها أن القرآن الكريم كثيراً ما يجادلهم ويدحض

---

(١) عبقرية المسيح ص٢٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٩، وتاريخ العرب لفيليب حتي ١/ ١٤٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢١٨، وعيون الأخبار ٣/ ٤٠٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٩٨.

(٥) البكري معجم ما استعجم ١/ ٢٩.

(٦) الروض الأنف ٢/ ٣٤، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٢٩٨.

(٧) ديوان قيس بن الخطيم، مخطوط ص٤٩.

(٨) كتاب بكر وتغلب ص٨٠.

(٩) الروض الآنف ٢/ ٢٤.

(١٠) فتح الباري ١٣/ ٤٣١.

آراءهم. ولا شك أن اليهود كانوا في نظر العرب أكثر منهم ثقافة واستنارة لأنهم أهل كتاب، لذلك كان يقتدي بهم الأوس والخزرج في كثير من الأعمال[1].

وقد علّم اليهود بعض العرب الكتابة العربية - وجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج أشخاص عدة يكتبون، ثم أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود فتعلمها[2]، وكان الكتّاب بالمدينة كثيرين لأنهم يجاورون ويخالطون اليهود[3]. على أن العرب خالفوا اليهود في بعض المعتقدات، فاليهود ربانيين وقرائين - يتفقون على تحريم لحم الجمل والعرب كَلِفون به، لذلك لم يرد في شعر يهود شيء عن وصف الناقة مثلاً فما دام لحمها مُحَرَّماً عليهم فبالتالي يكون ذِكْرُها في الشعر محرماً.

واليهود يحرمون أكل الشحم ما خلا شحم الظهر، والعرب يأكلون الشحم كله، واليهود يحرمون أكل الحوايا، والعرب يأكلونها[4]. وقد نصّ القرآن الكريم على ذلك ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام].

ويقول الدكتور إسرائيل ولفنسون: «والذي يعلم تاريخ اليهود يشهد بأنهم لم يميلوا إلى إرغام الأمم على اعتناق دينهم، وأن نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظورٌ عليهم، ثم إن اليهودية هي خلاصة القانون التلمودي بعقائده وتقاليده، وقد أدخلت عليه تغييرات تلائم

---

(١) محاسن النساء لابن هشام، مخطوط ص٤٨.

(٢) فتوح البلدان ٤٧٩، وتاريخ الخميس ١/ ٥٢٣.

(٣) الموشح للمرزباني ٣٨.

(٤) صبح الأعشى ١٣/ ٣٦٢.

الأحوال الجديدة التي طرأت على اليهود، ونجم عن ذلك أن الذين أرادوا أن يقبلوا جوهريات صحف التوراة دون أن يخضعوا للناموس التلمودي وعقائده لم يؤذن له باعتناق اليهودية وكان هذا من أهم الأسباب في اعتناق السريان واليونان للنصرانية، كذلك تأثر كثير من العرب بتعاليم اليهودية وخضعوا لبعض الأصول الجوهرية من التوراة دون أن ينقادوا للبعض الآخر فلم ترض منهم اليهودية ذلك، وهناك رأي آخر هو: أن التوراة والتلمود - في رأي الدكتور ولفنسون - كَلّفا الإنسان تكاليفَ صعبة لم يألفها، فلم يستطع العربي الذي لم يكن يعرف للنظم المعقدة قيمة أن يدركها بسهولة، وعسر على نفسه أن يقبل التقيد بأغلال لا تحصى[1] ومع ذلك فقد حدّ اليهود في نشر دينهم في جنوبي الجزيرة فتهوّد كثير من اليمن منهم ذو نواس، ونشروا في الجزيرة تعاليم التوراة وما يتصل بها من شروح وأساطير كالذي أدخلها بعض من أسلم منهم مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه، وكثيراً ما جادلهم القرآن الكريم وسفّه آراءهم، مما يدل على انتشارها، كما أدخلوا في اللغة العربية كثيراً من الكلمات والمصطلحات الدينية مثل (جهنم) فقد قيل «كهنّام» بالعبرانية وتعريبها جهنم[2] وكذلك إبليس والشيطان والحج والكاهن وعاشوراء.

كما أن هناك عادات وأسماء وأعمال للعرب أخذت من يهود، فمثلاً: الختان أثر من آثار يهود في العرب، وشعائر الحج عند الوثنيين أكثرها من إسرائيل فالطواف حول البيت يرجع أصله إلى بني إسرائيل، ذلك أن قدماءهم كانوا يطوفون حول خيمة الإله (يهوه) إله بني إسرائيل، ومنهم تعلمه الجاهليون واتبعوه في طوافهم بالبيت. والإجازة بعرفة يهودية

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٧٢.

(٢) لسان العرب مادة (جهنم).

كذلك، لأن الذي كان يجيز الحجاج بعرفة، فيأمر الحج بالرمي بعد أن يلاحظ الشمس وقت الغروب يعرف بـ(صوفة) وصوفة تسمية عبرانية لها علاقة بهذه الوظيفة، وظيفة مراقبة غروب الشمس وتثبيت وقته، فالإجازة إذن عبرانية الأصل، و(منى) صنم من أصنام إسرائيل، ووادي منى اسم هذا الصنم الإسرائيلي.

ولفظة (المدينة) التي تطلق على يثرب أطلقها اليهود على هذا الموضع قبل الإسلام وقد أخذوها من الآرامية لتمييز هذا المكان عن وادي القرى. وأشياء أخرى عديدة من هذا القبيل، والعرب شعب سامي كاليهود في اصطلاح العلماء، وتشترك البطون السامية في كثير من أصول التفكير والعقيدة، ومعنى هذا أن ما نجده عند يهود قد يكون عند العرب وعند غيرهم ممن يدخلهم المستشرقون في هذه الزمرة. هذا ولا بد بالطبع من أن يتأثر الجاهليون المجاورون لليهود بعض التأثر بهم بأن يأخذوا منهم بعض الأشياء، ويتعلموا منهم بعض الأشياء التي تنقصهم والتي هم في حاجة ماسة إليها فذلك أمر لا بد منه، كما ولا بد أن يكون اليهود قد اقتبسوا أشياء من جيرانهم العرب وعملوا على محاكاتهم في حياتهم الاجتماعية لا سيما وبينهم يهود من أصول عربية.

الحياة العقلية:

ولا شك في أن اليهود وهم أهل كتاب كان لهم نشاطهم الفكري والأدبي كما كان لهم نشاطهم المادي والاقتصادي. وأشعارهم كانت مماثلة لأشعار البدو القح كل المماثلة وكان من شعرائهم: السموأل بن عادياء، وسعية بن العريض، والربيع بن أبي الحقيق،وكعب بن الأشرف، وقيس بن رفاعة، وجبل بن جوال، وسماك اليهودي، ودرهم بن زيد، وأبو الزناد، وشريح بن عمران، وسارة القرظية، وغيرهم.

ويتولى الأحبار الأمور الدينية وتنفيذ الأحكام والنظر فيما يحدث بين الناس من خصومات، ويقيمون لهم الصلوات، وبقية شعائر دينهم، ويعلمونهم في بيوت المدراس[1]، وفي المعارك والخصومات التي تقع بين يهود كانوا يؤدون الدية - وهي على ما يظهر من روايات أهل الأخبار - مختلفة وغير متكافئة، فكان بنو النضير يؤدون الدية كاملة لشرفهم في يهود، أما بنو قريظة فكانوا يؤدون نصف الدية - وفي خلاف في أداء الدية التجأوا إلى الرسول للحكم بينهم فذكروا له هذا الاختلاف فحكم بالدية متساوية وفي هذا الحكم نزلت الآية: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة] وقد أدى التنافس بين سادات يهود إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية وقد أشار إليها القرآن الكريم وأبهم على ذلك.

وقد كانت لليهود مواضع يتدارس فيها رجالُ دينهم أحكام شريعتهم وأيامهم الماضية وأخبار الرسل والأنبياء وما جاء في التوراة والمشنا وغير ذلك عرفت بين الجاهليين بـ(المدراس) و(بيت المدراس) (المدراش) وأطلق الجاهليون على الموضع الذي يتعبد اليهود فيه (الكنيس) أو كنيسة اليهود تمييزاً لهذه الكنيسة التي هي لفظة خاصة بموضع عبادة النصارى[2]. وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الكنيسة معرّبة من (اكنشت) وهي لليهود كالبيعة للنصارى. وذهب بعض آخر إلى أنها متعبد الكفار

---

(١) جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٣٣.

(٢) اللسان: مادة كنس، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢/ ١٢٠، وصحيح مسلم ٥/ ١٢٢، والبخاري (كتاب الجزية والموادعة من أهل الذمة والحرب) الحديث ٦).

مطلقاً[1] ولم يكن المدراس (المدراش) موضع عبادة وصلوات فحسب بل كان إلى ذلك دار ندوة ليهود يجتمعون فيه في أوقات فراغهم لاستئناس بعضهم ببعض وللبحث في شؤونهم وللبتّ في القضايا الجسيمة الخطيرة على اختلاف درجاتها فهو إذن مجمع الأحبار، ومجمع الرؤساء والسادات وأصحاب الشرف فيهم، وإليه كان يقصد الجاهليون حين يريدون أمراً من الأمور أو الاستفهام عن شيء يريدون الوقوف عليه، وإليه ذهب الرسول ﷺ وكبار المسلمين لمحادثة يهود ومجادلتهم فيما كان يحدث بينهم من خلاف أو أمر يريدون البتَّ فيه، وعرف علماء اليهود ورجال دينهم بـ(الأحبار) جمع الحبر، وبـ(الربانيين) وقد وردت الكلمات في القرآن الكريم[2] وللإسلاميين آراء في أصل الحبر وهم يذكرون أن من معانيها: العالم والرجل الصالح[3]. واللفظة من الألفاظ المعربة عن العبرانية أصلها حبر (Habar) وجمعها حبريم Habarim ومعناها الرفيق وكانت ذات مدلول خاص ومعنى معين، وقد أطلقت في العهد التلمودي على العضوية في جمعية معينة، فأطلقت في العصر الأول والثاني للميلاد على من كان من (الفروشيم) وهم شيعة يهودية أقسمت على نفسها بمراعاة النصوص الدينية (اللاوية) على نحوِ ما نزلتْ وعلى نحو ما فعله اللاويون.

وللفظة (حبر) أهمية كبيرة عند اليهود فإنها تشير إلى العلم والمعرفة وإن كانت لا تصل إلى درجة (رابي) و(ربِّي). ولا تزال مستعملة عندهم فيمن درس الشريعة اليهودية والعلوم الشرعية وتقدم فيها وأتقن الأحكام

---

(١) المعرب ٨١، والنصرانية قسم ج١ ص٢٠١.

(٢) سورة المائدة ٤٤، وسورة التوبة ٣١/ ٣٤.

(٣) نقلاً عن جواد علي. المفصل ج٦ ص٥٣٤.

وقضى بين الناس غير أنها دون درجة (رابي) فهي في العبرانية بمعنى عالم ولكن دون المعنى المفهوم في العربية عند علماء اللغة المسلمين، فهذا المعنى هو في مقابل لفظة ربي أي (ربّان) لا (حبر) وقد وردت لفظة (حبر) في شعر للشمّاخ:

كما خَطَّ عِبْرانِيّةً بِيَمينِهِ بِتَيْمَاءَ حَبْرٌ ثم عَرّضَ أَسْطرا

أما الربانيون: فهم العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي على رأي بعض العلماء الإسلاميين، وقال بعض آخر: الربّان: العالم الراسخ في العلم والدين أو العالم العامل المعلم، أو العالي الدرجة في العلم، وفرّق بعضهم بين الربانيين وبين الأحبار بأنْ جعل الأحبار أهل المعرفة بأنباء الأمم وبما كان ويكون، وذهبوا إلى أنها من الألفاظ المعربة العبرانية أو السريانية[١]، وهي من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في أثناء الكلام عن علماء يهود[٢]. ويتبيّن من القرآن الكريم أنه قد كان للأحبار والربانيين نفوذ عظيم على اليهود، فكانوا يطيعون أوامرهم ويفعلون ما يأمرونهم به، وأن غالبيتهم لم تكن تفقه شيئاً ولا تعرف من أحكام دينها إلا ما يقول لهم أولئك الأحبار[٣] وبعض أولئك الأحبار هم من المقيمين في جزيرة العرب في المواطن التي أقامت فيها يهود، وبعض منهم كان يأتي إلى يهود العرب من فلسطين ولا سيما من (طبريا) التي اكتسبت شهرة عظيمة بعد خراب القدس (أورشليم) حيث استقر فيها (السنهدريم) أو (السنهدرين) وقد نظم أحبار التلمود السنهدرين فجعلوه

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٥، والمعرب للجواليقي ص١٦١.
(٢) سورة المائدة الآية ٤٤، ٦٣، وآل عمران ٧٩، وتفسير الطبري ٦/ ٢٥١.
(٣) الآية ٣٩ من سورة المائدة.

على درجتين[1] «السنهدرين الأعظم وهو المركز الأعلى المركزي لجميع اليهود ويتألف من سبعين رجلاً على رأسهم واحد ينوب عن موسى هو الملك إن وجد أو الحاخام الأكبر. وكانوا إذا اجتمعوا جلسوا في نصف دائرة - والسنهدرين الأصغر وهو مجلس محلي لكل تجمع يهودي يتألف من ثلاثة وعشرين عضواً.

وقد ورد في التلمود أن مدينة أورشليم كانت تمتاز بمجلسين من السنهدرين الأصغر ينعقد عند كل باب من أبوابها إلى جانب السنهدرين الأعظم الموجود بها أيضاً - وكان السنهدرين الأصغر محكمة تقف في القضاء عند درجة معينة لا تتعداها إذ تذهب القضايا الكبرى إلى السنهدرين الأعظم، وفي التلمود جزء خاص بهذا التنظيم عنوانه «السنهدرين»[2]، نشعر من قراءته بأنه كان حكومةً سرية لليهود، واجبةَ الطاعةِ، نافذة الأحكام، ومن هذه الأحكام: الإعدام وكان ينفذ بالسيف وبالشنق بالحبال وبالصلب ولا يستثنى من ذلك كبار المسؤولين كالملوك والفسقة والكهنة المنحرفين، والأنبياء الكذبة، ويقول الدكتور حسن ظاظا «ونحن نعلم أن سنهدرين أورشليم هو الذي أصدر حكم الصلب على سيدنا عيسى عليه السلام»[3]. والمعروف أن عيسى عليه السلام لم يصلب ولم يقتل كما أكد لنا القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء].

ويستفاد من أقوال التلمود أن أحكام الإعدام في الجنايات العادية

---

(١) حسن ظاظا مقال في مجلة عالم الفكر العدد الرابع من المجلد العاشر سنة ٨٠ ص٣٣ كويت.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) حسن ظاظا - عالم الفكر ص٣٣ المرجع السابق.

كانت تصدر على أبناء العوام والسوقة من السنهدرين الأصغر وكان ذلك كافياً، وقارىء التلمود والمدراش - وهي من الأدب اليهودي بعد الشتات الروماني يجد أن القهل أو القهيلة تمثّل جمهور اليهود المتجمعين في منطقة واحدة، وكان لهم مجلس إدارة يسمى بالعبرية «عدة» أي مؤتمر الجماعة، ويوصف أحياناً بأنه المجلس المُلّي المقدس، وبالعبرية «عدة قدوشه) وظهرت بجانب هذا لفظة «صبور» وكان معناها مختلفاً عن القهل فهي جماعة من المشتركين في طقوس دينية جماعية على التخصيص، ونقرأ في نصوص الشريعة الإسرائيلية مثلاً أنه لا يمكن اعتبار صلاة الجماعة في المعبد جائزة إلا بحضور عشرة على الأقل، وأغلب فقهاء اليهود ينصون على أن يكونوا عشرة رجال، ولا تدخل النساء في هذا العدد، ويطلقون على الحاضرين لصلاة الجماعة لفظة «صبور» وهي لفظة لم ترد في الكتاب المقدس، بل من المستحدثات الكهنوتية بعد عصور الأنبياء[١]. ويقول د. حسن ظاظا: «كانت الجالية اليهودية بعد الشتات تتكتل وتعيش في عزلة من البشر الذين يحيطون بها»[٢] وكانت دائماً تكوّن لها تنظيماً اجتماعياً لا تعلم عنه الدولة شيئاً تسميه بتحريف آرامي تلمودي: «قهلا قديشا» أي «الجالية المقدسة» وهدفها من ذلك هو أن تحمي نفسها من الاندماج والذوبان في «الجويم». و«الجوييم» هي الأمم الأخرى غير اليهود.

وعلى كل حال فإن يهود الجزيرة العربية كما سبق أن أوضحنا لم يكونوا بمعزل عن جيرانهم من القبائل العربية؛ بل كانوا مختلطين بهم يتعاملون معهم في التجارة ويقرضونهم المال بالربا... إلى غير ذلك..

---

(١) حسن ظاظا، مجلة عالم الفكر ص٣٧.

(٢) نفس المصدر السابق.

ب- اليهود في الجزيرة العربية في صدر الإسلام

يظهر لنا من القرآن الكريم أنه لم يكن لليهود نفوذ كبير، ولا جاليات كبيرة في مكة، فلو كان لهم نفوذ فيها أو رأي مسموع لسمعنا به كما سمعنا بخبرهم في يثرب، ولكان لهم حيّ خاص بهم، ومكانة بين رجال قريش كالذي كان عليه يهود يثرب في اتصالهم بالأوس والخزرج، ولأُشيرَ إليهم في السور المكية على نحو ما أشير إليهم في السور المدنية، ثم لَمَا اضطر رجال قريش للذهاب إلى يثرب مراراً لاستشارتهم في أمر سلوكهم مع المسلمين، ولما جاءت سادات يهود يثرب إلى مكة لتحريض أهلها على مقاومة الرسول، ولعقدِ حلفٍ معهم عليه. وقد أمل المسلمون أن يساعد اليهود الإسلام على الوثنية، وأن يقفوا منه موقف ودّ أو حياد ذلك بأنهم أصحاب كتب منزلة ودين توحيد والإسلام قريب منهم، وقد اعترف بالأديان السابقة له ونَزَّه الأنبياء والمرسلين، وهو دين توحيد كذلك. ثم إن الرسول ﷺ تودد إليهم حين دخوله يثرب وأمّنهم على أحوالهم وأنفسهم، وزارهم وطمأنهم، ثم تعاهد معهم في صحائف كتب لهم فيها العهد بالوفاء لما اشترط لهم ما داموا موفين بالوعد والعهد، وقد طلب إلى جميع المسلمين الوفاء بما جاء فيها ومنعوا من التجاوز والتطاول عما مَنْ في يثرب من يهود[1]، ومن أمثلة هذه المعاهدات:

---

(١) ابن هشام ٣/٧٤، ١٩٧، والروض الأنف ٢/١١٦ (كتاب رسول الله ﷺ فيما بينه وبين اليهود).

معاهدة مع يهود المدينة[1]:

لما قتل كعب بن الأشرف جاء يهود إلى النبي ﷺ يشكون ذلك فقال: «إنه لو فرّ كما فرّ غيره ممن هو على مِثْلِ رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف، ودعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه فكتبوا بينه وبينهم كتاباً في دار (رملة بنت الحارث) ولم يرو نص الكتاب...

وكتب إلى يهود خيبر[2]:

من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى وأخيه المصدّق لما جاء به إلا أن الله قال لكم: يا معشر أهل التوراة: وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح] وإني أنشدكم بالله وأنشدكم بما أنزل عليكم بالذي أطعم مَنْ كان قبلكم من أسباطكم المَنَّ والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبيّن الرشد من الغي».

---

(1) المقريزي، إمتاع الأسماع ج١ ص١١٠.

(2) المقريزي، إمتاع الأسماع (كوبرولو استانبول ص١٠٣٨).

وإلى يهود خيبر أيضاً[1]:

كتب إلى يهود خيبر حين كلّمته الأنصار: «إنه قد قُتلَ بين أبياتكم فدوه، أو ائذنوا بحرب من الله. فكتبوا، يحلفون بالله: ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً، فَودَاهُ رسولُ الله من عنده».

وهذا أمان ليهود بني عاديا من تيماء[2]:

«بسم الله الرحمن الرحيم» هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عاديا: إن لهم الذمّة، وعليهم الجزية، ولا فداء ولا جلاء، الليل مدّ والنهار شدّ. وكتب خالد بن سعيد.

طعمة ليهود بني عريض[3]:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عريض طعمة من رسول الله عشرة أوسق قمح، وعشرة أوسق شعير في كل حصاد، وخمسين وسقاً تمراً، يوفّون كل عام لحينه، لا يظلمون شيئاً. وكتب خالد بن سعيد.

معاهد الرسول ﷺ مع أهل مقنا[4]:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لحنينا، ولأهل خيبر والمقنا ولذراريهم ما دامت السموات على الأرض.

---

(١) موطأ مالك باب (القسامة) والطرق الحكمية لابن القيم ص١٨٨.

(٢) لسان العرب مادة (عدا).

(٣) المقريزي، إمتاع الأسماع ج١ ص٤٥٥ (أهدى عليه السلام بنو عريض اليهودي هريساً فأكلها وأطعمهم أربعين وسقاً فلم تزل جارية عليهم).

(٤) إمتاع الأسماع ج١٠ ص٤٣٩.

سلام أنتم إني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإنه أنزل عليّ الوحي أنكم راجعون إلى قراكم وسكنى دياركم، فارجعوا آمنين بأمان الله وذمّة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم ورقيقكم وكل ما ملكت أيمانكم، وليس عليكم أداء جزية ولا تُجزَّ لكم ناصية، ولا يطأ أرضكم جيش، ولا تحشرون ولا تعشرون ولا تظلمون، ولا يجعل أحد عليكم رسماً ولا تمنعون من لباس المشقّقات والملونات ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح، ومن قاتلكم فقاتلوه، ومن قتل في حيِّكم فلا يقاربه أحد منكم، ولا له ديّة، ومن قتل منكم أحد المسلمين تعمّداً فحكمه حكم المسلمين، ولا يفترى عليكم بالفحشاء ولا تنزلون منزلة أهل الذمّة وإن استُعنتم تُعانون وإن استرفدتم ترفدون، ولا تطالبون ببيضاء ولا صفراء ولا سمراء، ولا كراع ولا حلقة، ولا شدّ المشتير، ولا لباس المشهّرات، ولا يقطع لكم شسع نعل، ولا تُمنعون دخول المساجد، ولا تُحجَبون عن ولاة المسلمين، ولا يولى عليكم وال إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله، ويوسع لجنائزكم إلا إلى أن تصير إلى موضع الحق اليقين، وتُكرموا لكرامتكم ولكرامة صفية ابنة عمكم، وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن تكرم كريمكم، ويعفوا عن مسيئكم، ومن سافر منكم فهو في أمان الله وأمان رسوله ولا إكراه في الدين، ومن منكم اتبع ملّة رسول الله ووصيته كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته، تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً ذلك بفضل مني عليكم وعلى أهل بيت رسول الله، وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب. فمن اطلع لحنينا وأهل خيبر والمقنا بخير فهو خير له ومن اطلع لهم بشرٍّ فهو شر له، ومن قرأ كتابي هذا أو قرىء عليه، وغيّر أو خالف شيئاً مما فيه فعليه لعنةُ الله ولعنة اللاعنين من الملائكة والناس أجمعين وهو بريء من ذمتي وشفاعتي يوم القيامة وأنا خصمه ومن

خَصَمني فقد خصمَ الله، ومن خصم الله فهو في النار وبئس المصير. شهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً وملائكته حملة عرشه ومن حضر من المسلمين. وكتب علي بن أبي طالب بخطه ورسول الله يملي عليه حرفاً حرفاً يوم الجمعة لثلاث ليالٍ خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة شهد، عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي مولى رسول الله وأبو ذر الغفاري...

وجعل لليهود نصيباً في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شَرَطَ عليهم النفقة في الحروب. ولم تكن علاقات اليهود مع المسلمين سيئة في الأيام الأولى من مجيء الرسول إلى يثرب. رأت جمهرة يهود أن الإسلام دين اعتراف بالأنبياء وأنه دين توحيد، وأنه في جملة أحكامه من أحكام ديانتهم وقواعدهم، وأنه يناهض الأوثان، وقد أشار بفضل بني إسرائيل وبتفوقهم على غيرهم بظهور الأنبياء من بينهم، ثم إنَّ قبلته إلى القدس، وقد تسامح معهم فأباح للمسلمين طعامَ أهل الكتاب[1] وهو دينٌ اعترف بأبوة إبراهيم للعرب، وجعل سنّته سنة له، وقد تسامح معهم، وحفظ ذممهم، فلم يروا في انتشاره بين أهل يثرب ما يضيرهم شيئاً أو يلحق بهم أذى، ولذلك أظهرت يهود استعدادها لعقد حلف سياسي معه ووقوفها موقف ودٍّ منه، أو موقف حياد على الأقل على ألا يطلب منها تغيير دينها وتبديله والدخول في الإسلام.

ولمّا دخل أهل يثرب أفواجاً في الإسلام، وتوجه المسلمون لليهود يدعونهم إلى الدخول فيه، وإلى مشاركتهم لهم في عقيدتهم باعتبار أنهم أهل دين يقول بالوحي، ويؤمن بالتوراة، وبرسالة الرسل، فهم لذلك أولى بقبول الدعوة من الوثنيين، أدركت جمهرتهم أن الإسلام إذا ما

---

(١) المائدة، الآية ٤٨.

استمر على هذا المنوال في المدينة من التوسع والانتشار، ومن توجيه دعوته إلى اليهود أيضاً فسيقضي على عقيدتهم التي ورثوها، وهي عقيدة لا تعترف بقيام نبيٍّ من غير بني إسرائيل، ولا بكتب غير التوراة، والكتب التي دونها علماؤهم، ثم هم يرون أن النبوة قد خُتمت، ولن يكون المسيح إلا منهم، فكيف يعتقدون بنبي عربي وهو من الأميين؟ وقد رفض اليهود الدخول في الإسلام، وأبوا تغيير دينهم، ودافعوا عن عقيدتهم وتمسكوا بها، ورفضوا التسليم بما جاء في رسالة الرسول ﷺ من أنَّ الرسولَ نبي أُرسل للعالمين كافة، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن الكريم كتاب مصدق من الله، وأن أحكامه مؤيدة لما جاء في التوراة ناسخة لبعضها، وقد جادلوا في ذلك وانبرى أحبارهم للدفاع عن عقيدتهم، ولمجادلة من يأتي إليهم من المسلمين لإقناعهم بالدخول في الإسلام[1].

وفي القرآن الكريم صور من جدلهم هذا ومن محاجتهم الرسول في دعوته كما نجد مثل ذلك في الحديث النبوي وفي كتب السير، ويتبين من نتائج دراسة هذا الجدل والخصام الذي وقع بين اليهود والمسلمين - وهو خصام مهم خطير، أن الخصومة كانت في مرحلتها الأولى رفضاً لدعوة الرسول إياهم للدخول في الإسلام وتمسكاً شديداً بعقيدتهم وبدينهم وبما ورد عنهم من أن النبوة قد بدأت وانتهت في بني إسرائيل. . . ثم تطورت واشتدت عنفاً وقوة لما تبيّن لهم أن الإسلام يرفض نظريتهم هذه، وأنه قد حرّم أموراً ستؤثر في مستقبلهم ثم تحريم الربا وغيره، وقد ألَّفَ بين قلوب أهل يثرب، وأوجد منهم كتلة واحدة،

---

(١) د. جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٤٤ وما بعدها.

وأنه سيحدّ من سلطانهم لا محالة، وأن ملكهم سيزول، فوسعوا مقاومتهم له واتصلوا بمن وجدوا فيه حقداً وبغضاً للرسول وبمن تأثر سلطانه بدخول الإسلام في يثرب من أهلها، ثم لما وجدوا أن كل ذلك غير كاف تراسلوا مع أعداء الرسول في خارج يثرب من قريش لتوحيد خططهم معهم، لحملهم على مهاجمة المسلمين في مدينتهم ومعقلهم قبل أن يستفحل أمرهم، ويقوى مركزهم، فيعجزون جميعاً هم وأهل مكة على التغلب عليهم والقضاء على الإسلام.

وهكذا بدأت خصومة اليهود للإسلام خصومة فكرية هم يرفضون الاعتراف بنبوة الرسول، وبأن دعوته موجهة إليهم، ويرفضون نبوة في غير بني إسرائيل، والرسول يدعوهم إلى الإيمان بالله رب العالمين رب العرب وبني إسرائيل والعجم... وعلى الإيمان بنبوته وبنبوة الأنبياء السابقين، ثم تطورت هذه الخصومة إلى معارك وحروب، والحروب عادة تبدأ نزاعاً في الآراء والأفكار، ثم تتحول إلى صراع ونزاع وقتال.

ومن أشهر سادات يهود الذين وقفوا موقفاً معادياً من الرسول ﷺ وعارضوه معارضة شديدة[1]: «حيي بن أخطب، وأخواه أبو ياسر بن أخطب، وجدي بن أخطب، وسَلاَم بن مِشْكَم، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحُقَيق، وأبو رافع الأعور وهو الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق وعمرو بن جحاش وكعب بن الأشرف، وهو من طيء أحد بني نبهان، وأمه من بني النضير - والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف - وكروم بن قيس - حليف كعب بن الأشرف - فهؤلاء من بني النضير. ومن بني ثعلبة بن الفطيون: عبد الله بن صوريا الأعور، ولم يكن

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٥٦.

بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه وابن صلوبا، ومخيرق وكان أحبرهم، أسلم. ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت وسعد بن حنيف، ومحمد بن سيحان، وعزيز بن أبي عزيز، وعبدالله بن صيف، وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص، وأشيع، ونعمان بن أضا، وبحري بن عمرو، وشأس بن عدي، وشأس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو، وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى، أبو أنس، ومحمود بن دحية، ومالك بن صيف، وكعب بن راشد، وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد، وأزار بن أبي أزار أو آزر بن آزر. ورافع بن حارثة، ورافع بن حريملة، ورافع بن خارجه، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبدالله بن سلام بن الحارث - وكان حبرهم وأعلمهم - وكان اسمه الحصين. فلما أسلم سمّاه رسول الله ﷺ (عبدالله) فهؤلاء من بني قينقاع. ومن بني قريظة: الزبير بن باطا بن وهب، وهزال بن شمويل، وكعب بن أسد، وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقض عام الأحزاب، وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو ابن سكينة والنحام بن زيد، وقردم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع رعد بن زيد، والحارث بن عوف، وأرقم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رميلة، وجهل بن أبي قشير، ووهب بن يهوذا فهؤلاء من بني قريظة:

ومن يهود بني رزيق: لَبِيد بن أعصم.

ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صوريا.

ومن يهود بني عمرو بن عوف: قردم بن عمرو.

ومن يهود بني النجار: سلسلة بن برهام.

فهؤلاء أحبار اليهود، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحاب المسألة والنصب لأمر الإسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبدالله بن سلام ومخيريق.

وقد كان كعب بن الأشرف من أبرز سادات اليهود في أيام الرسول فقد كانوا يتحاكمون ويأخذون برأيه وكان المقدم عندهم وعند الأوس والخزرج حتى أن أحد شعرائهم وهو سماك اليهودي بكى عندما قتل كعب بن الأشرف واعتبر قتله كأنما قتل بنو النضير جميعاً فيقول[1]:

أَرِقْتُ وضامَني هَمٌّ كبيرُ ... بلَيْلٍ غَيْرُه ليلٌ قصيرُ
أرى الأحبارَ تُنْكِرُهُ جَميعاً ... وكلُّهُمُ له عِلمٌ خَبيرُ

إلى أن يقول:

فقد وأبيكمُ وأبي جميعاً ... أُصِبْتُ إذا أُصِيبَ بنو النَّضِيرِ

ونجد في القرآن الكريم أمثلة وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ لإحراجه، وذلك حين سألوه أن يأتي لهم بمعجزة، إذ قالوا له:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [آل عمران] فنزل الرد عليهم: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [آل عمران]، نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا، وفنحاص بن عزورا...

ومن هذه الأمثلة كذلك: جماعة أتوا النبي ﷺ فقالوا له: أتزعم أن الله أرسلك إلينا، وأنه أنزل علينا كتاباً عهد إلينا فيه ألا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإذا جئتنا به

---

(١) سيرة ابن هشام قسم ٢ ص٢٠٠ تحقيق السقا وآخرون.

صدقناك، فأنزل الله هذه الآية[١] وسألوه أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة كما أتى موسى بالتوراة[٢]. وسألوه أسئلة عن أشياء مذكورة في التوراة، وسألوه عن أشياء أخرى عديدة محرجة، وأوحوا إلى غيرهم من المشركين بأسئلة مماثلة ليلقوها على الرسول ﷺ لامتحانه وإحراجه - وقد نزل الوحي بالرد عليهم، وبتأنيبهم على أقوالهم هذه، وبتذكيرهم بما قام به أجدادهم وأسلافهم في مقام أنبيائهم من عدم التصديق برسالتهم، ومن الطعن بهم ومن إصرارهم على عبادة الأوثان والكفر بالتوحيد[٣] ووقع الجدل بين المسلمين وبين سادات يهود مما أثار نزاعاً بين الطرفين:

«فقد دخل أبو بكر، بيت المدراس، فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له (فنحاص) كان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له (أشيع) فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم - فوالله إنك لتعلمُ أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل. فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وأن إلينا لفقيرٌ، وما نتضرعُ إليه كما يتضرعُ إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنّا غنياً ما استقرضَ منا كما يزعم صاحبُكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنيّاً عنّا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربتُ عنقك»[٤]. ووقع مثل ذلك في مناسبات أخرى. جعل اليهود يحقدون على المسلمين. وعمد اليهود إلى

---

(١) تفسير الطبري ٤/٢٩٥، وتفسير الطبري ٤/١٣١.

(٢) سورة النساء الآية ١٥٣، وتفسير القرطبي ٦/٦، وابن هشام ٢/١٩٨.

(٣) الفقرة الآية ١٠١، وابن هشام ٢/١٦٧، ٢٠١.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي ج٦ ص٥٥٦.

استغلال الأحقاد والبغضاء الدفينة التي كانت كامنة في نفوس أهل يثرب من الأوس والخزرج من أيام الجاهلية فأثاروها، كما استفادوا مما كان بينهم وبين رجال من المسلمين من الحلف والجوار في الجاهلية للاحتماء بهم من أذى في إثارة الفتنة. وبدأت المواجهة الفعلية والصدام الجاد عندما جمع الرسول ﷺ يهود في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة، فقال[1]: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً - وكان يعني معركة بدر الكبرى فقالوا له: يا محمد لا يغرنّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغمارا[2]، لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفتَ أنّا نحنُ الناس، وأنت لم تلق مثلنا. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران]. وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد. قال ابن هشام[3]: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب[4] لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود، فغضب

---

(١) ابن هشام، السيرة ج٢ ص٢٠١.

(٢) الأغمار: جمع غمر، وهو الذي لم يجرب الأمور.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٥١.

(٤) الجلب: كل ما يجلب للأسواق ليباع فيها.

المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبدالله بن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد: أحسِنْ في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، قال: فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله: وكان يقال لها ذات الفضول - فقال له رسول الله ﷺ أرسلني: وغضب رسولُ الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً[1] ثم قال: ويحك أرسلني، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ، أربعمئة حاسر[2]، وثلاثمئة دارع[3] قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة؛ إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: هم لك. «واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إياهم بشير بن عبد المنذر، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة»[4].

أما عبادة بن الصامت وهو الذي كان حليفاً لهم فقد مشى إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولّى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء وولايتهم.

---

(١) الظلل: جمع ظلة: وهي السحابة في الأصل وتعني هنا تغيير الوجه إلى السواد إذا اشتد غضبه.

(٢) الحاسر: الذي لا درع له.

(٣) الدارع: الذي عليه الدرع.

(٤) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٤٩، تحقيق السقا وآخرون.

قال ابن هشام[1]: «ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت هذه القصة من سورة المائدة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴿٥٣﴾ ﴾ وتنتهي القصة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة] ويقصد بالذين في قلوبهم مرض (عبد الله بن أبيّ).

وذكر لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله، والذين آمنوا وتبرئه من قينقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة] وبعد حصارهم خمس عشرة ليلة وهزيمتهم أجلاهم رسول الله ﷺ إلى أذرعات[2] بالشام.

وأما بنو النضير:

فقد قتل سيد من ساداتهم قبل إجلائهم ألا وهو كعب بن الأشرف النضري الشاعر الفحل الذي قال عندما بلغه خبر هزيمة المشركين يوم بدر قال[3]: «أحقّ هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء، فهؤلاء أشراف العرب، وملوك الناس، والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم لَبطنُ الأرضِ خيرٌ من ظهرها، فلما تيقّن عدوٌّ الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على عبد المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السّهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمته،

---

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٢) أذرعات: بلد في الشام وتسمى الآن «درعا».

(٣) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٥١ وما بعدها، تحقيق السقا وآخرون.

وجعل يُحَرِّضُ على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القَلِيب من قريش الذين أصيبوا ببدر فقال[1]:

طَحَنَتْ رَحى بَدْرٍ لِمَهْلِك أَهلِهِ ولمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَعُ
قُتِلَتْ سُراةُ النّاسِ حولَ حِياضِهِم لا تَبْعدوا إن الملوكَ تَصَرَّعُ
كَمْ قَدْ أُصيبَ به من أَبيضَ ماجِدٍ ذِي بَهْجَةٍ يأوِي إليهِ الضُيَّعُ

وقد أجابه حسان بن ثابت وغيره فقال حسان[2]:

أَبَكَى لكعبٍ ثم عُلَّ بِعَبْرةٍ منه وعاشَ مُجَدَّعاً لا يَسْمَعُ

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ: من لي بابن الأشرف؟ فقال له محمد بن مَسْلَمَةَ أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله، قال: فافعل إنْ قدرتَ على ذلك... إلى آخر القصة حيث قُتِلَ عدو الله. وكان الرسول قد عقد - كما قلنا سابقاً - حلف جوار مع يهود بني النضير وكان بين بني النَّضِير وبين بني عامر عَقْدٌ وحلف[3]: فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في ديّة قتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الصخري، قالوا: نعم يا أبا القاسم نُعينكَ على ما أحببتَ مما استعنتَ بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسولُ الله ﷺ إلى جنبِ جدارٍ من بيوتهم قاعد - فَمَنْ رجلٌ يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص١٩٠ وما بعدها.

كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضوان الله عليهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة: فلما استلبث النبيَّ ﷺ أصحابُه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم، وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصرهم ست ليال، فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أنْ يا محمد قد كنتَ تَنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه، فما بالُ قطع النخيل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عدوّ الله (عبدالله بن أبيّ بن سلول) و(وديعة) و(مالك بن أبي قوقل) و(سويد) و(وداعس) قد بعثوا إلى بني النضير، أن اثبتوا وتمنّعوا فإنا لن نُسْلِمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكفَّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[1]، ففعل فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف[2] بابه، فيضعه على ظهر بعيره، فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم مَنْ سار إلى الشام. فكان أشرافهم من سافر منهم إلى خيبر: سلّام بن أبي الحقيق، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق وحُيَيْ بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها. وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فيقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين

---

(١) السلاح كله، أو خاص بالدروع.

(٢) النجاف: العتبة التي بأعلى الباب.

دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف، وأبا دجانه (سماك بن خرشه) ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله ﷺ. ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير (أبو كعب بن عمرو بن جحاش)، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها. ونزل في بني قريظة من القرآن سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله فيها من نقمته، وما سلّط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ [الحشر].

وقد كان لإجلائهم أثر على المشركين وعلى يهود حيث بكوا وتألموا، فهذا سمّاك اليهودي يبكيهم ويقول في قصيدة مطلعها[1]:

أَرِقْـتُ وضـامنـي هـمٌّ كبيـرُ ... بليـلٍ غَيْـرُهُ ليـلٌ قصيـرُ[2]

أرى الأحْبـارَ تُنْكِـرُهُ جَميعـاً ... وَكُلُّهـمُ لـه عِلْـمٌ خبيـرُ

وكـانـوا الـدَّارسيـنَ لِكُـلِّ عِلْـمٍ ... بـهِ التَّـوراةُ تَنْطِـقُ والـزَّبـورُ

وقال سِمَاك أيضاً يهدد ويتوعد[3]:

إنْ تَفْخَـروا فهـو فَخْـرٌ لكـمْ ... بِمَقْتَـلِ كَعْـب أبـي الأشـرفِ

غَـدَاةَ غَـدوْتُـمْ علـى حَتْفِـهِ ... وَلـم يَـأتِ غُـذْراً ولـم يُخْلِـفِ

فَعَـلَّ اللَّيـالـي وَصَـرْفَ الـدُّهـورِ ... تُـديـلُ مـن العـادِلِ المُنْصِـفِ

---

(١) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٢٠٠.

(٢) أرقت: قلقت وامتنع النوم عني، ضامني: نزل بي.

(٣) التحقيق قصيدة رقم ١.

بِقَتْـــلِ النَّضِيـــرِ وإجـــلائِهـــا وَعَقْـــرِ النَّخيـــل ولـــم تُقْطَـــفِ
فـــإن لـــم أَمُـــتْ نَـــأتِكُـــمْ بـــالقَنَـــا وكُـــلٍّ حُســـامٍ معـــاً مُـــرْهَـــفِ

ولعظمة هذا الحدث وأهميته، فقد أثار شعراء من غير يهود تخاصموا وتناقضوا، فبعضهم يمتدح بني النضير، وهم من أحلافهم من القبائل العربية، ومنهم من ردّ على أولئك الحلفاء. وممن امتدح بني النَّضِير من غير يهود: عباس بن مِرْداس (أخو بني سُلَيْم) حيث قال[1]:

لو أنَّ أهلَ الدار لم يَتَصَدَّعوا رأيت خلالَ الدار مَلْهىً ومَلْعَبا
فلو تَحْسَبَنِّي كنتُ مَوْلَى ابنِ مِشْكَمِ سَلَامٍ ولا مـولـى حُيَـيٍّ بـن أخْطَبـا

فأجابه خَوَّاتُ بن جُبَيْر (أخو بني عمرو بن عوف) فقال[2]:

تُبَكِّـي علـى قتلـى يهـودَ وقـد نـرى من الشَّجْوِ لو تبكي أَحَبَّ وأقربا[3]

إلى أن يقول:

فهـلاّ إلـى قـوم ملـوك مـدحْتَهـم تبنّـوا مـن العـزِّ المُـؤَثَّـلِ منصبـا[4]
أولئـك أحـرى مـن يهـودَ بِمِـدْحَـةٍ تـراهـم وفيهـم عـزَة المجـدِ تَـرْتُبـا[5]

بعد أن تم إجلاء بني قينقاع ثم بني النضير شعر يهود بقرب نهايتهم، وتمام القضاء على نفوذهم وسلطانهم ومكانتهم في يثرب، بدأوا في تحريض القبائل العربية على الرسول ﷺ وعلى دعوتِهِ، ويروي ابن

---

(١) نفس المصدر السابق ص٢٧٧.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) الشجو: الحزن.
(٤) المؤثل: القديم.
(٥) ترتب: (بضم التاء الثانية وفتحها): ثابت.

هشام[1]: «أنه كان من حديث الخندق، أن نفراً من اليهود منهم: سلام بن أبي الحُقَيق اليهودي النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكِنانة بن أبي الحُقَيق النضري وهَوْذة بن قيس الوائلي، وأبو عمّار الوائليّ في نفر من بني النَّضِير ونفر من بني وائل وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى أتوا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنّا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود: إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفدِينُنا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝٥١ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ [النساء] فلما قالوا ذلك لقريش، سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك، واستعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود، حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه، وخرج المشركون من قريش وغَطَفان وبني فِزَارة وبني مُرّة وأشجع وغيرهم لقتال رسول الله ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة وعمل بنفسه في حفره، وتعاون معه المسلمون، أما المنافقون، فكانوا يتسللون من العمل، ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة في عشرة آلاف من أحابيشهم.

---

(١) ابن هشام، السيرة، قسم ٢ ص٢٢٤.

نقض يهود بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ:

يروي ابن هشام[1]: «أن عدو الله حيي بن أخطب حين أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك وعاهده فلما سمع كعب بحيّي بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حييّ: ويحك يا كعب! افتح لي، قال: ويحك يا حييّ: إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدتُ محمداً، فلست بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أُكَلِّمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن حشيشتك[2] أنْ آكلَ معك منها، فأحفظ[3] الرجل، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعزٍّ الدهر، وببحر طام[4] جئتك بقريش على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقص إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومَنْ معه، فقال كعب: جئتني والله بذلّ الدهر، وبجهام[5] قد هراق ماءه فهو يُرْعِدُ ويبرق ليس فيه شيء، وَيْحَكَ يا حُيَيّ دعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء فلم يزل حييّ بكعب يفتله عن الذروة والغارب[6] حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً، أن أدخل

---

(١) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٢٢٠.

(٢) الحشيشة: طعام يصنع من الحشيش وهو البُرُّ يطحن غليظاً.

(٣) أحفظه: أغضبه.

(٤) طام: مرتفع ويريد كثرة الرجال.

(٥) الجهام: السحاب القليل الذي لا ماء فيه.

(٦) الغارب: المراوضة والمخاتلة.

معك في حصنك، حتى يصيبني ما أصابك.

فنقض كعب بن أسد عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ بذلك، واشتد حصار الأحزاب للمدينة، أراد الرسول أن يخفف عن أهل المدينة ذلك العسر، وأشار عليهم أن يحالف غطفان على ثلث ثمار المدينة، فرفض المسلمون لما علموا أن ذلك ليس من أمر الله، وإنما هي إرادةُ الرسول للتخفيف عنهم، وقام نعيم بن مسعود من غطفان - والذي أسلم سرّاً - قام بدور عظيم في الفتنة بين يهود بني قريظة - وبين قريش، ونجح في ذلك نجاحاً عظيماً، فاختلف يهود بني قريظة مع قريش كما هو معروف، وهبت الريح وانقلبت قدور القوم وتفرقوا، ولما علمت غطفان بانسحاب قريش، تركوا أماكنهم راجعين، وتمت الهزيمة بالأحزاب وكفى الله المؤمنين القتال.

أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بني قريظة:

يقول ابن هشام[1]: «أتى جبريل رسول الله ﷺ معتمراً بعمامة من استبرق[2] على بغلة عليها رحالة[3] عليها قطيفة من ديباج، فقال: أَوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكةُ السلاحَ بَعْدُ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم؛ إنَّ الله عز وجل يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم، مزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً، فأذن في الناس: مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة... ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال له بئر أنا، وتلاحق به

---

(١) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٢٣٣.

(٢) الاستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

(٣) الرحالة: السرج.

الناسُ من بعد العشاء الآخرة، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف اللهُ في قلوبهم الرعب، وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهد عليه فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارضٌ عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيّن لكم أنه لنبيٌّ مرسل، وأنه لَلَّذي تَجِدُونَهُ في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارقُ حكمَ التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإنْ نظهر فَلَعمري لنجدنَّ النساء والأبناء قالوا: نقتل هؤلاء المساكين!! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرّه فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً. ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة[1] بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس لنستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله ﷺ فلما رأوه قام إليه الرجال

---

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري المدني واختلف في اسمه، فقيل: رفاعة وقيل: مبشر وقيل: بشير، وهو أحد النقباء عاش إلى خلافة علي (راجع الاستيعاب والروض الأنف).

وجهش[1] إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فَرَقَّ لهم وقالوا له: يا أبا لبابة: أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح... فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت بموالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبدالله بن أبي بن سلول فوهبهم له. فلما كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ: أترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم؟ قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ فَذَاكَ إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمةٍ لامرأة من أسلم، يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى فلما حكّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه، ثم أقبلوا معه على رسول الله ﷺ وقد حملوه على حمار قد وَطّؤوا له وسادة من أدم، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولّاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجالَ بني قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمعَ منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم... فقالوا: يا أبا عمرو: إن رسول الله ﷺ قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتلَ الرجال وتقسّم الأموال وتُسبى

(١) جهش: بكى.

الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمتَ فيهم بحكمِ الله من فوقِ سبعة أرقعة[1].

مقتل بني قريظة:

ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث[2] امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة - التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً وفيهم عدو الله[3] حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ست مئة أو سبع مئة والمكثّر لهم يقول: كانوا بين الثمانمئة والتسعمئة وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم أرسالاً إلى رسول الله: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع وأنه من ذهب منكم لا يرجع؟ وهو والله القتل. فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ وأتى بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة قفاحية[4] له. قد شقها عليه من كل ناحية قدر أغلة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك، ولكنه مَنْ يَخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس: إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها اللهُ على بني إسرائيل، ثم

---

(١) الأرقعة: السموات والواحدة: رقيع.

(٢) قال السهيلي: اسمها كيسة بن الحارث بني كرينة بن حبيب بن عبد شمس كانت تحت مسيلمة الكذاب، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز.

(٣) أرسالاً: طائفة بعد طائفة.

(٤) تضرب إلى الحمرة أي على لون الورد حين هم أن يتفتح.

جلس فضربت عنقه، فقال جبل بن جوال الثعلبي[1]:

لَعَمرُكَ ما لَامَ ابنُ أَخْطَبَ نَفسَهُ ولكنَّه من يَخْذِلِ الله يُخْذَلِ
لَجاهَدَ حتى أَبْلَغَ النَّفسَ عُذرَها وَقلْقَلَ يَبْغي العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ[2]

ثم قسّم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأنزل الله في أمر الخندق وأمر بني قريظة القصة في سورة الأحزاب من بداية قوله تعالى[3]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (يعني بني قريظة) والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها.

بقي معقل مهم من معاقل يهود ألا وهو خيبر حيث تَجمَّعَ فيه إلى جانب أهل خيبر كثيرٌ من بني النضير وبني قينقاع الذين أجلوا عن أماكنهم كما سبق أن ذكرنا بإيجاز، ولا يفوتنا أن نذكر ما سجله جبل بن جوال اليهودي الثعلبي في بكاء النضير وبني قريظة. فقال[4]:

ألا يا سَعْدُ سعدَ بني معاذٍ لِما لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ والنَّضيرُ
لَعمرُكَ إن سَعدَ بني مُعاذٍ غَداةَ تَحمَّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ

(١) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٢٤١، وجبل بن جوال هذا يهودي من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغية بن ريث بن غطفان وكان يهودياً فأسلم وكانت له صحبة (الروض الأنف والاستيعاب).

(٢) قلقل: تحرك.

(٣) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) أبو حباب: هو عبدالله بن أبي بن سلول حليف بني قينقاع.

فـأمـا الخَـزْرَجِـيُّ أبـو حُبَـابٍ ... فقـال لِقَيْنُقَـاعِ لا تَسِيـروا[1]
وبَـدَّلَـتِ المَـوَالـي مِـنْ حُضَيـرٍ ... أُسَيْـداً فـالـدَّوائِـرُ قـد تَـدورُ[2]
وَأَقْفَـرَت البُـوَيْـرةُ مـن سَـلام ... وَسَعْيَـةَ وابـنِ أَخْطَـبَ فهـي بُـورُ
وقـدْ كـانـوا بِبَلْـدَتِهـم ثِقـالاً ... كمـا ثَقُلَـتْ بِمَيْطـانَ الصُّخُـورُ[3]
فـإن يَهْلِـكْ أبـو حَكَـمٍ سَـلاَمٌ ... فـلا رَثُّ السِّـلاحِ ولا دَثُـورُ[4]
وكـلُّ الكـاهِنيـنَ وكـانَ فيهـم ... مع اللِّيـنِ الخَضَـارِمَـةُ الصقـورُ[5]
وَجَـدْنـا المَجْـدَ قـد ثَبَتـوا عليـه ... بِمَجْـدٍ لا تُغَيِّبُـه البُـدورُ[6]
أقيمـوا يـا سَـرَاةِ الأوسِ فيهـا ... كـأنَّكـمُ مـن المَخْـزاةِ عُـورُ[7]
تَـرَكْتـم قِـدْرَكُـمْ لا شَـيءَ فيـهِ ... وَقِـدْرُ القَـوْمِ حَـامِيَـةٌ تَفُـورُ

أما سلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع فقد كان فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ وكان بخيبر، وقد ذكرنا أن الأوس قبل معركة أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر. فأذن لهم بسيف عبدالله بن أُنيس مع رهط من أصحابه، وكانت الأوس والخزرج تتنافسان عند رسول الله ﷺ في عمل الخير ونصرة الإسلام.

---

(١) الموالي: الحلفاء، وحضير وأسيد: قبيلتان.
(٢) سورة الأحزاب الآيات من آية ٩-٢٦.
(٣) ميطان: جبل بالمدينة.
(٤) الرث: الخلق، الدثور: الدارس المتغير.
(٥) الكاهنان: حيّان. والحضارمة: الأجواد الكرماء والواحد: حضرم.
(٦) البدور: الشهور والدهور.
(٧) عور: جمع أعور.

اللقاء بين المسلمين وأهل خيبر:

بعد صلح الحديبية ورجوع الرسول ﷺ بَشَّرَهُ الله بالفتح القريب وهو فتح خيبر. قال ابن هشام[1]: واستعمل على المدينة نميلة بن عبدالله الليثي، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بيضاء، ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال لأصحابه: قفوا: ثم قال: اللهم رَبَّ السموات وما أَظْللنَ، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها، أقدموا باسم الله. وكان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار، فنزلوا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ حتى أصبح لم يسمع أذاناً، فركبوا، واستقبلوا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم، ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش، قالوا: محمد والخميس معه[2] فأدبروا هرّاباً، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنذَرين. وقد حاولت غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر، خرجوا ليظاهروا[3] يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة[4]، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ، وبين خيبر. وبدأ رسول الله ﷺ فأخذ الأموال مالاً مالاً وفتح الحصون حصناً حصناً، فكان أول حصونهم افتتح حصن

---

(١) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٣٢٨ وما بعدها.

(٢) الخميس: الجيش.

(٣) ليظاهروا: ليعاونوا.

(٤) منقلة: مرحلة.

ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحاً فقتلته، ثم القموص حصن بني أبي الحقيق، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا، منهن: صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وبنتي عم لها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين. ونهى الرسول ﷺ عن أمور منها: إتيان الحبالى من السبايا، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع الغنائم حتى تقسم.

وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً حصن الوطيح، وحصن السّلالم، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة[1]، وخرج مرحب اليهودي من حصنهم وقد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول[2]:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّي مَرْحَبُ شاكي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أَطْعَنُ أَحْيَاناً وحِيناً أَضْرِبُ إذا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ
إن حِمَايَ لَلْحِمَى لا يُقرَّبُ

فبرز له محمد بن مسلمة فبارزه حتى قتله، ثم خرج أخوه ياسر كذلك وقد جمع سلاحه، يرتجز وهو يقول[3]:

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّي يَاسِرُ شَاكي السِّلاحِ بَطَلٌ مُغاوِرُ
إذا اللُّيوثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرُ ما حَجَمَتْ عن صَوْلَتي المَخاطِرُ
إنَّ حِمَايَ فيه موتٌ حاضِرُ

فخرج إليه الزبير بن العوام، فبارزه فقتله، ثم أرسل رسول الله علياً

---

(١) ابن هشام، السيرة، قسم ٢ ص٣٣٢.
(٢) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٣٣٣، والمغازي ص٩٠.
(٣) إمتاع الأسماع، ج١ ص٣١٥، ٣١٦.

فأكمل فتوح الحصون، ثم أتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه، فجحد أن يعرف مكانه، فأتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ من يهود فقال لرسول الله ﷺ: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك: قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال: عَذِّبْهُ حتى تستأصل ما عنده، ثم قتله محمد بن مسلمة.

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حِصْنَيْهم، الوطيح والسّلالم - كما ذكرنا - حتى أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيّرهم[1] وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها ووزعها على المسلمين.

أما فَدَك:

حين سمع أهل فدك ما صنع أهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيّرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلّوا له الأموال ففعل، فلما نزل أهل خيبر عن أموالهم، سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمرُ لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على إنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، ومع هذه المصالحة، بقيت يهود على غدرها وعدائها لرسول الله ﷺ وللمسلمين..

---

(١) يسيرهم: يُجْليهم.

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلاّم بن مشكم، شاة مصليّة، وقد سألت أي عضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ؛ فأما بشر، فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإنْ كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها رسولُ الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل، وبقيت خيبر في أرضها تزرع وتقسم أموالها بينهم وبين المسلمين مناصفة، واستمر ذلك حتى وفاة رسول الله ﷺ فلما جاء أبو بكر الصديق أقرّ خيبر على ذلك حتى توفاه الله، فلما جاء عمر بن الخطاب، أقرهم على ذلك صدراً من إمارته، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان، ففحص عمر ذلك، حتى بلغه الثّبت. فارسل إلى يهود، فقال: إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم، قد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به، أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهّز للجلاء، فأجلى عمر مَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ.

وانتهى أمر يهود في جزيرة العرب في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الفصل الثاني

شعر يهود والانتحال

أ- شعر يهود والانتحال

الوضع والنحل والانتحال كلها ظواهر أدبية عامة، لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم، ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره من الأجيال، فقد عرفها العرب كما عرفتها الأمم الأخرى التي كان لها نتاج أدبي، وعرفها العصر الجاهلي، كما عرفها العصر الأموي والعصر العباسي، بل كما لا يزال يعرفها عصرنا الحاضر الذي نحيا فيه.

على الرغم من وسائل الحضارة الحديثة التي كانت قمينة أن تبرىء نتاجنا من هذه الظواهر لو كان ثمة سبيل إلى الخلاص منها[1]. ولم يقتصر الانتحال والوضع على الشعر وحده، بل تعداه إلى النسب والأخبار منذ الجاهلية نفسها، وبدأ الكذب على الحديث النبوي الشريف في حياة الرسول ﷺ. وليس أدلّ على ذلك من قوله ﷺ: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار»[2]. وقد تنبه الصحابة في الصدر الأول إلى شيوع الكذب والوضع في الحديث، حتى أن سعد بن أبي وقاص حينما سئل عن شيء في الحديث استعجم وقال «إني أخاف أن أحدثكم واحداً

---

(١) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص٣٢١، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/١-٧٥.

فتزيدوا عليه المئة»[1].

أما الشعر الجاهلي، فقد كان عرضة منذ الجاهلية نفسها والسنوات الأولى للإسلام للوضع والنحل والانتحال، ومن أمثلة ذلك ما يروى أن النابغة الجعدي دخل على الحسن بن علي، فودعه، فقال له الحسن[2]: أنشدنا من بعض شعرك، فأنشد:

الحمد لله لا شريك له   من لم يقلها فنفسه ظلما

فقال له: يا أبا ليلى: ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن الصلت، قال: يا ابن رسول الله والله إني لأول الناس قالها: وإن السروق من سرق أمية شعره.

وسألت عائشة أم المؤمنين من صاحب هذه الأبيات[3]:

جزى اللهُ خيراً من إمامٍ وبَارَكَتْ   يَدُ اللهِ في ذاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ
فَمَنْ يَسْعَ أو يَرْكَبْ جناحَيْ نَعَامَةٍ   لِيُدْرِكَ ما حَاوَلْتَ بالأَمْسِ يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أُموراً ثم غادَرْتَ بعدَها   بَوَائِقَ في أكْمَامِها لم تُفَتَّقِ
وما كُنْتُ أخْشَى أن تَكُونَ وَفَاتُهُ   بَكَفَّيْ سَبَنْتَى أزرقِ العينِ مُطْرِقِ

فقالوا: مزرّد بن ضرار، قالت عائشة: فلقيت مزرّداً بعد ذلك فشهد بالله ما شهدَ تلك السنة الموسمَ.

ونختتم الأمثلة على وجود الانتحال كظاهرة عامة في الشعر الجاهلي

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/١: ١٠٢.

(٢) طبقات ابن سلام ١٠٦-١٠٧، والأغاني ص٥ ص١٠، ط دار الكتب.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/١: ٢٤١، وانظر طبقات ابن سلام ص١١١ حيث نسبها إلى «جزء أخي مزرد».

وغيره بما وصف به الفرزدق علقمة الفحل من أن شعره لا يستطيع أحد أن ينحله، فكأنه يقصد أن على شعره طابعه وميسمه، فإذا ما ادعاه غيره عرف الناسُ أنه ليس لمن ادعاه، وإنما هو لصاحبه علقمة وذلك قول الفرزدق[1]:

والفَحْلُ علقمةُ الذي كانت له   حُلَلُ المُلوكِ كَلامُه لا يُنْحَل

وكما تنبه الصحابة إلى الوضع والكذب في الحديث الشريف، تنبه الرواة والعلماء للوضع والنحل في الشعر الجاهلي فلم نجد راوية عالماً من القرن الثاني والقرن الثالث لا تذكر لنا الأخبار المروية عنه أنه نصّ نصّاً صريحاً على أن بيتاً أو أبياتاً بعينها موضوعة منحولة. فقد روى صاحب الأغاني[2] أن البيتين التاليين قالهما السموأل بن عادياء اليهودي وهما:

إرْفَعْ ضَعيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ   يوماً فَتُدْرِكَهُ العَواقِبُ قد نمى
يَجْزِيكَ أوْ يُثْني عليك وإن مَنْ   أثْنى عليكَ بما فَعَلْتَ فقد جَزى

ثم روى أنهما ينسبان إلى غير السموأل. كما نقل عن بكار أن هذا الشعر لورقة بن نوفل من قصيدة أولها:

رَحَلَتْ قُتَيْلَةُ عَيْرَها قَبْلَ الضُّحى   وأخاك إن شَطَحَتْ تحاربك القُوَى

أما صاحب الوحشيات[3] فقد نسب قصيدة كاملة منها هذان البيتان لسعية بن الغريض وهو أخو السموأل. وهذا ابن هشام[4]: يقول عن

(١) النقائض ١/ ٢٠٠.
(٢) الأغاني ج٣ ص٢١.
(٣) الوحشيات، تحقيق شاكر ص١١١.
(٤) سيرة ابن هشام، قسم ٢ ص٥٤، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، ط الحلبي =

أبيات لكعب بن الأشرف النضري اليهودي: «وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر أبيات ميمونة امرأة من بَلِيٍّ، وينكر نقيضتها (يعني الأبيات التالية) لكعب بن الأشرف، ومن هذه الأبيات التي ينكرها أهل العلم بالشعر لكعب بن الأشرف:

ألا فازْجُرا مِنكُم سَفِيهاً لِتَسْلَموا عن القَوْلِ يأتي منه غَيْرَ مقارِبِ[1]
أَتَشْتُمُنِي أَنْ كنتُ أبكِي بِعَبْرَةٍ مآثِرَ قومٍ ودُّهم غيرُ كاذبِ
فإنِّي لَبَاكٍ ما بَقِيتُ وذاكِرٌ مَآثِرَ قومٍ مجدُهم بالجَبَاجِبِ[2]

وهذه الأبيات نسبها صاحب طبقات فحول الشعراء[3] لشُرَيح بن عِمران اليهودي:

آخِ الكِرامَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلى إخائِهِمُ سبيلا
واشْرَبْ بِكَأْسِهِمُ وإنْ شَرِبوا بِها السُّمَّ الثَّمِيلا
أَأُسَيْدُ إن مالٌ مَلَكْتَ فَسِرْ بهِ سَيْراً جَميلا
إن الكَرِيمَ إذا تُؤَا خِيهِ وَجَدْتَ لَهُ فُضُولا

أما صاحب الأغاني[4] فينسبها لذي الإصبع العَدْواني[5].

= بمصر.

(١) يريد بالسفيه: ميمونة بنت الحارث قائلة الشعر في كعب بن الأشرف والذي أجابها بهذه الأبيات وهي امرأة من المسلمين من (بلي) من بني مزيد. وذكر الاسم لأنه حمل ذلك على معنى الشخص، والشخص يذكر ويؤنث.

(٢) الحباحب: منازل بمكة.

(٣) طبقات فحول الشعراء للجمحي، تحقيق محمود شاكر، ج١ ص٢٨٩.

(٤) الأغاني، ج٣ ص٩٩-١٠٠.

(٥) اسمه حرثان بن الحارث، ينتمي إلى قبيلة عدوان: وسمي ذا الإصبع لأن حيّة نهمت إبهام قدمه فقطعها لأنه كان له في رجله إصبع زائدة.

والأخبار المرويّة عن الأصمعي في ذلك كثيرة، منها ما هو عام مطلق، ومنها ما هو مخصص ينصّ فيها على بيت أو أبيات بعينها. فمن الضرب الأول، ما أوردوه من أن الأصمعي قال[1]: «أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة صحيحة إلا مصحّفة أو مصنوعة. وأنه كذلك قال[2]: «ويقال: إن كثيراً من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه».

ومن الضرب الثاني أنه قال[3]: «أعياني شعر الأغلب: ما أروي له إلا اثنتين ونصفاً. فلما سئل كيف قلت نصفاً؟ أجاب: أعرف له اثنتين، وكنت أروي نصفاً من التي على القاف، فطوّلوها وكان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه.

وهذه قصيدة لسَعْيَة بن الغَرِيض اليهودي رواها الأصمعي مطلعها[4]:

ألا إنّـــي بُليـــتُ وَقَـــدْ بقِيـــتُ وأنّـــى أَنْ أعـــودَ كمـــا بقَيـــتُ

بينما نسبها صاحب الوحشيات[5] للأسفع بن الغدير، بينما نسبها المرزباني في معجم الشعراء[6] لسعية.

وهذه أبيات تنسب لعدة شعراء منهم السموأل بن عادياء اليهودي وهي:

إني لَعَمْرُكَ ما أَخْشى إذا ذُكِرَتْ مِنِّي الخَلائِقُ في مُسْتَكْرَهِ الزَمَنِ

---

(١) المزهر للسيوطي، ج٢ ص٤١٣-٤١٤.
(٢) الموشح للمرزباني ص٣٤.
(٣) الموشح ص٢١٣.
(٤) الأصمعيات - الأصمعية رقم ٢٢.
(٥) معجم الشعراء ص١٤٣.
(٦) معجم الشعراء ص١٤٣.

أَلّا أكـونَ إذا مـا أَزْمَـةٌ أَزَمَـتْ مُـرَبَّبـاً ذا قَـريـضٍ أملـس البَـدَنِ
ولـم أُبـالِ إذا لـم أَجْـنِ فَـاحِشَـةً طُـولَ الشُّحُـوبِ ولا أرتـاحُ للسِّمَـنِ

فقد قال صاحب الوحشيات[1] إنها لعبد الرحمن القيني، وتروى للسموأل بن عادياء، وتروى لأبي الوليد، وتروى لعبدالله بن عجلان النهدي.

وهناك إشارات كثيرة للرواة العلماء في القرنين الثاني والثالث الهجريين توضح أنه كان هناك وضع وانتحال، وأنهم لم يغفلوا عن ذلك، وضربوا لنا أمثلة كثيرة لا يعنينا منها إلا بعض ما ذكرناه عن شعر يهود، وهو شعر جاهلي...

وهناك اثنان من العلماء هما:

عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية (المتوفى سنة ٢١٨هـ) ومحمد بن سلام (المتوفى سنة ٢٣١هـ) صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء حيث صار هذان الكتابان وما فيهما من إشارات إلى الوضع والانتحال ركيزة من ركائز الذين يشكّون في الشعر الجاهلي من المحدثين.

أما ابن هشام فعمله في السيرة قائم على ما صنفه محمد بن إسحق (المتوفى سنة ١٥٢هـ) فقد تعقّب ما أورده ابن إسحق، فاختصر بعضه، ونقد بعضه، ثم ذكر روايات أخرى فات ابن إسحق ذكرها، ويعنينا نحن من ذلك ما وصف به عمله هذا من قوله:

«وتارك بعض ما يذكره ابن إسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول

---

(١) الوحشيات ص١٦٥.

الله ﷺ فيه ذِكْرٌ، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لِشيءٍ من هذا الكتاب، ولا تفسير له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها، لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشفع الحديث فيه، وبعض يسوء بعض الناس ذكره[1]. . .».

وهذه الأشعار التي ذكرها ابن إسحق في سيرته ومنها أشعار ليهود، والتي لم ير ابن هشام أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها قد وقف عندها ابن سلام وقفات طوالاً فقد قال[2]: «وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثاء منه: محمد بن إسحق بن يسار مولى آل مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير، فقبل الناسُ عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر أُوتى به فأحمله، ولم يكن له ذلك عذراً فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة وليس بشعر، وإنما هو كلام مؤلف معقود بقواف. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف السنين؟ والله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام] أي: لا بقية لهم، وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [النجم] وقال في عاد: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة]، وقال: ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ [الفرقان]، وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم].

وقال ابن سلّام كذلك: «ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤.

(٢) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٧-٩.

الجاهلية، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل. ولسنا نعدّ ما يروي ابن إسحق له ولا لغيره شعراً، ولأَنْ لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهم»[1] ويقول في موطن ثالث: «لو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحق، ومثل ما رواه الصحفيون، ما كانت إليه حاجة ولا فيه دليل على علم»[2].

ولنبدأ بالحديث عن ابن هشام وما أخذه على ابن إسحق ونقده فيه، وقد وجدنا أن تَتَبُّعَ ابن هشام لابن إسحق ونقده له يتخلص في أمور أربعة:

الأول: أنه يورد أبيات الشعر التي أوردها ابن إسحق وينسبها إلى من نسبها إليه ابن إسحق، ثم يضيف أنها قد تنسب كلها أو بعضها إلى غيره، وقد تكرر منه ذلك كما أحصاه الدكتور ناصر الدين الأسد[3]: في ثمانية وعشرين موضعاً ذكر أرقام صفحاتها في السيرة ولم يوجد من بينها شعر ليهود.

الثاني: والضرب الثاني من تعقب ابن هشام لابن إسحق فهو إيراده الحادثة التاريخية كما وردت في سيرة ابن إسحق حتى إذا وصل إلى الشعر الذي قيل في هذه الحادثة أسقطه، ولم يثبته لأنه لم يصح عنده، ولعل ذلك قد تكرر منه في مواطن كثيرة، لأنه ذكر في المقدمة أنه ترك أشعاراً ذكرها ابن إسحق ولم ير أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها.

يقول الدكتور ناصر الدين الأسد: «غير أني حين تتبعت هذا الضرب

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص٢٠٦.

(٢) طبقات فحول الشعراء ص١١.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ص٣٣٧.

من تعقباته لم أجده نَصَّ عليه إلا في موضعين اثنين»[1] وليس في هذين الموضعين شيء عن يهود ولا عن شعرهم.

والثالث: من تعقباته يذكر فيه أبياتاً من الشعر الذي أورده ابن إسحق ويكتفي بها، ولا يورد باقيها، ثم يقول: إن ذلك ما صحّ له منها: «وقد تكرر منه ذلك في ثمانية مواضع»[2]. ومن هذه المواضع مقطوعة لكعب بن الأشرف النضري اليهودي والتي سبق أن ذكرناها ومطلعها:

ألا فازْجُرَا مِنكُم سَفيهاً لِتَسْلَموا   عن القولِ يَأْتِي مِنْهُ غيرَ مُقارِبِ

وهي مقطوعة مكونة من ستة أبيات يقول ابن هشام عنها: «وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له»[3] وعباراته التي يذكرها تأتي على أربعة أوجه هي:

أ- وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له.
ب- وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.
جـ- ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر.
د- أنه لم يعرف سائرها.

هذه هي أهم آراء ابن هشام في الشك في الشعر. ولم نجد ليهود إلا نصاً واحداً أنكره ابن هشام، وهذا أحد الأدلة على ندرة الانتحال في شعر يهود.

أما العالم الآخر وهو محمد بن سلام الجمحي فيمكننا التعرف على

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ص٣٣٩.
(٢) المصدر السابق ص٣٤١.
(٣) سيرة ابن هشام قسم ٢ ص٥٤، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، وقد أوردناها ضمن الشعر الذي لم تصح نسبته في الملحق.

آرائه وتعقبه للشعر وشكّه فيه من خلال كتابه «طبقات فحول الشعراء»..

ويمكن أن نقسّم حديثه عن وضع الشعر الجاهلي ونحله قسمين أولهما: قواعد عامة وأحكام مرسلة، يطلق القول فيها إطلاقاً، لا يخصّص ولا يمثّل، وأكثر حديثه عن هذا القسم جاء في مقدمة كتابه.

وثانيهما: نصّ على شعراء بعينهم وَذِكْرٌ لنصّ قالوه؛ يذهب ابن سلاّم إلى أنه موضوع منحول فمن القسم الأول قوله: «وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي، وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه - فليس لأحد أن يخرج منه»[١].

ومن هذا القسم أيضاً ما أشرنا إليه قبل قليل، من حديثه عن محمد بن إسحق وصنيعه في السيرة فقد قال عنه إنه كان[٢] «ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثاء منه... فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: «لا علم لي بالشعر أوتى به فأحمله، ووصف حماداً الراوية بأنه: «كان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غيرَ شعره، ويزيد في الأشعار»[٣] وقال أيضاً: «فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص٤.

(٢) المصدر السابق ص٧، ٨.

(٣) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٤٨.

ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذِكْرِ وقائعهم، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت وليس يُشكل على أهل العلم زيادة الرواة، ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولّدون، وإنما عضّل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال»[1].

أما القسم الثاني فهو جزءان أولهما: ذكر فيه ابن سلّام الشعراء، وأرسل القول في شعرهم إرسالاً، من غير تخصيص بشعر بذاته، وثانيهما: وقف فيه عند بيت أو أبيات من شعر الشاعر، ونص على أن هذه الأبيات بعينها منحولة موضوعة.

وفي كلا القسمين لم يذكر ابن سلّام شيئاً عن شعر يهود بالرغم من أنه أفرد طبقة خاصة في طبقاته لشعراء يهود في الجاهلية[2] ذكر فيها شعراً لثمانية منهم.

مما تقدم نرى أن الأقدمين وآراءهم المتفرقة في الكتب عامة، وكتابي سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سلّام خاصة لم تذكر شيئاً عن انتحال الشعر ليهود في العصر الجاهلي باستثناء مقطوعةٍ مكونة من ستة أبيات لكعب بن الأشرف النضري رواها ابن هشام، وقال عنها إنها منحولة وأن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له. وكذلك بعض الأبيات لبعض الشعراء نسبت لشعراء يهود ولغيرهم من غير يهود من معاصريهم.

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٣٦، ٤٧.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٧٩ وما بعدها.

ولنترك الأقدمين وآراءهم حول قضية انتحال الشعر الجاهلي إلى آراء المستشرقين في هذه القضية وشعر يهود في ضوئها:

آراء المستشرقين في قضية الانتحال في الشعر الجاهلي:

وأول من بدأ النظر في هذه القضية «نولدكه» سنة ١٨٦٤ وتلاه آلوارد حين نشر دواوين الشعراء الستة: امرىء القيس، والنابغة، وزهير، وطرفة، وعلقمة، وعنترة، فتشكك في صحة الشعر الجاهلي عامة، منتهياً إلى أن عدداً قليلاً من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته، مع ملاحظة أن شكاً لا يزال يلازم هذه القصائد الصحيحة في ترتيب أبياتها وألفاظ كل منها. وتابع كثير من المستشرقين آلوارد في موقفه الحذر من قبل كل ما يروى للجاهليين أمثال موير، وباسيه وبروكلمان»[١] وكان مرجليوث أكثر من أثاروا هذه القضية في كتاباته، إذ كتب فيها مقالاً مفصلاً نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد يوليو سنة ١٩٢٥ بعنوان: «أصول الشعر العربي»[٢] رجع فيه إلى أن هذا الشعر الذي نقرأ على أنه شعر جاهلي إنما نظم في العصور الإسلامية، ثم نحله هؤلاء الوضّاعون المزيّفون لشعراء جاهليين. وقد بنى رأيه هذا كما لخّصه الدكتور ناصر الدين الأسد[٣] على ضربين من الأدلة: أدلة خارجية، وأدلة داخلية.

وأول الأدلة الخارجية: موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء حيث نفى عن الرسول ﷺ قول الشعر، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى

---

(١) بلاشير. تاريخ الأدب العربي ج١ ص١٧٦ وما بعدها (مناقشة المستشرقين لقضية الانتحال).

(٢) نقلاً عن الدكتور ناصر الدين الأسد. مصادر الشعر الجاهلي ص٣٥٣.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ص٣٥٣.

لَهُۥٓ ﴿٦٩﴾﴾ [يس] وأن الشعراء ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء] يتبعهم الغاوون وأنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ويستنتج من ذلك أن الشعر كان آنئذ غامضاً مبهماً كما يستنتج إلا أن يصل بعض بين الشعراء والتنبؤ بالغيب، ويستنتج أخيراً: «وربما كان ما تبيح لنا الشواهد القرآنية قوله هو أنه كان قبل الإسلام بعضُ الكهان من بين العرب كانوا يُعرَفُون باسم «الشعراء» كانت لغتهم غامضة مبهمة كما هو الشأن دائماً في الوحي»[1].

ثم يأتي بدليل آخر من أدلته الخارجية، وهو آراء العلماء المسلمين القدماء، فيثير مشكلة ابتداء الشعر العربي ونشأته، ويقرر أنها أمر في الغاية من الغموض، إذ أن القدامى قد ذهبوا فيها مذاهب متباينة، فقد عزا بعضهم شعراً عربياً إلى آدم[2]، بينما أورد آخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد إسماعيل[3] ثم يقول: إنه يبدو أن الرأي السائد أن الشعر العربي بصورته التي ثبت عليها بعد - بدأ قبيل ظهور الإسلام بأجيال قليلة على أبعد تقدير. ومع أن الذين يذهبون هذا المذهب يجعلون مُهلْهلاً أو امرأ القيس أول الشعراء فقد أوردوا شعراً لشعراء سبقوهما بزمن طويل[4].

وثالث هذه الأدلة الخارجية يسوقها عن (حفظ هذا الشعر الجاهلي) فيقول: «لو فرضنا أن هذا الشعر حقيقي، فكيف حُفِظَ؟ لا بد أنه حفظ إما بالرواية الشفهية وإما بالكتابة، ويبدو أن الرأي الأول (أي الرواية

---

(١) نقلاً عن د. ناصر الدين الأسد. مصادر الشعر الجاهلي ص٣٥٥.

(٢) المسعودي. مروج الذهب ١/ ٦٥.

(٣) الأغاني ١٣/ ١٠٤.

(٤) الأغاني ١١/ ١٥٤ (خزيمة بن نهد).

الشفهية) هو الرأي الذي يذهب إليه المؤلفون العرب، مع أنه ليس بالرأي الذي يُجْمِعُون عليه كما سنرى. ثم شَكَّ في أن الشعر الجاهلي قد حفظ بالرواية الشفهية، ويبني شكه على ثلاثة أسباب: هي صعوبة حفظ القصائد الطوال، ومنها أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والثالث أن هذه القصائد تشتمل على انتصارات تلك القبائل بعضها على بعض، والإسلام يدعو إلى نسيان تلك الأحقاد ويدعو إلى توحيد العرب ونجح نجاحاً كبيراً في تحقيق تلك الوحدة... وعندما يطمئن إلى أنه قد فَنَّدَ ما ذهب إليه أكثر القدامى من أن الشعر الجاهلي قد حفظ لنا بالرواية الشفهية يقول: «فلم يبق إلا الاحتمال الثاني وهو: أن هذه القصائد حفظت بالكتابة»[1] ثم يعرف روايات قليلة تشير إلى أن بعض الشعر الجاهلي كان يكتب ويستنتج من ذلك أنه ربما لا يوجد ما يتعارض مع ما تصرح به هذه القصائد إذا تخيلنا أنها كانت تذيع وتنتشر عن طريق الكتابة. ولكنه لا يلبث أن يخضع لما سيطر عليه من نزعة الشك فيحاول أن ينفي كتابة الشعر الجاهلي ليؤكد أنه نظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم مستشهداً ببعض آياتٍ من القرآن الكريم منها قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القلم]، وقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [القلم]، ثم يذكر وجهاً آخر لينفي كتابةَ هذا الشعر الجاهلي وهو: مجرى التطور الأدبي حيث يقول: إن الأساليب الأدبية العربية سواء النثر المسجوع أو الشعر فيها مشابه من أسلوب القرآن وهذا هو دليله الرابع، ودليله الخامس هو: الرواة المتهمون أمثال حمّاد، وجنّاد، وخلف الأحمر وأبو عمرو بن العلاء، والأصمعي، وأبو عمرو الشيباني وابن إسحق صاحب السيرة، والمبرد، فيجمع بعض ما انتشر في الكتب العربية من إشارات تشيع الشكَّ في بعض ما أجمعوا أو أرادوا من الشعر الجاهلي، ثم

(١) نقلاً عن مصادر الشعر الجاهلي ص٣٥٧ وما بعدها.

أضاف إلى ذلك آراء هؤلاء الرواة العلماء بعضهم في بعض فقال: إن هؤلاء العلماء لم يكن يوثّق بعضهم بعضاً، فابن الأعرابي كان يتهم الأصمعي وأبا عبيدة، وربما بادلوه اتهاماً باتهام، ولا شك أن كلاً منهم كان يتهم الآخر.

أما أدلته الداخلية:

وكأنه يطمئن إلى أدلته الخارجية السابقة - فأول أدلته الداخلية هو ما في هذا الشعر الجاهلي من إشارات إلى قصص ديني ورد في القرآن وما فيه من كلمات دينية إسلامية مثل الحياة الدنيا ويوم القيامة والحساب وغير ذلك..

ونقول: إن ذلك لا ينطبق على شعر يهود في العصر الجاهلي، فهم أهل ديانة يعرفون هذه المعاني من حساب وعقاب وقيامة وغير ذلك، وقد ظهر ذلك في شعرهم، منه قولُ السموأل بن عادياء عن البعث بعد الموت وأنه سيحاسب كغيره من الخلق[1]:

وأَتَـانِـي اليَقِيـنُ أَنِّـي إذا مِـ ـتُّ وإنْ رُمَّ أَعْظُمِـي مَبْعُـوثُ

وقوله:

أبِفَضْـلٍ مـن المَلِيـكِ ونُعْمـىٰ أَم بِـذَنْـبٍ قَـدَّمْتُـهُ فَجُـزِيـتُ[2]

وهذا شاعر آخر هو جبل بن جوّال الثعلبي اليهودي يؤمن بالموت وأنه لا خلود مع المنايا فيقول:

---

(١) التحقيق - قصيدة رقم ٤ البيت رقم ٩.

(٢) التحقيق قصيدة رقم ٤ البيت رقم ١١.

ولكــنْ لا خُلــودَ مــع المنــايــا تَخَطَّــفُ ثــم تَضْمنُهــا القبــورُ[1]

والأمثلة في شعر يهود كثيرة تدل على علمهم بالموت والحياة والقيامة والحساب والعقاب والبعث، وغير ذلك... والدليل الثاني من أدلة مرجليوث الداخلية على شكه في الشعر الجاهلي هي اللغة:

فيقول: إنها لغة ذات وحدة ظاهرة، وهي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها في العرب، ويقول: لو أن هذا الشعر صحيح لمثّل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية، كما مثّل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب.

وقد سبق أن أوضح كثير من الباحثين أمثال الدكتور شوقي ضيف في كتابه «العصر الجاهلي» أن «لغة القرآن الكريم الفصحى كانت سائدة في الجاهلية، وأن الشعراء منذ فاتحة هذا العصر كانوا ينظمون بها، وأنها كانت لهجة قريش، وسادت بأسباب دينية واقتصادية وسياسية، فكان الشعراء ينظمون بها متخلِّين عن لهجاتهم المحلية على نحو ما يصنع شعراء العرب في عصرنا على اختلاف لهجات بلدانهم وأقاليمهم»[2].

وكذلك فعل شعراء يهود فقد وجدوا معاصريهم ينظمون على هذه اللغة الموحدة وهم يقولون شعراً يفتخرون به على العرب فلا بد أن ينظموا بنفس لغتهم[3]...

وأما دليله الثالث: فقائم على موضوعات القصائد نفسها، وحديثه عن ذلك فيه غموض كثير، وكأنه يريد أن يستنتج: أن اتفاق القصائد الجاهلية

---

(١) القصيدة رقم ١ البيت رقم ١٢.

(٢) العصر الجاهلي. ص١٣١ وما بعدها.

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج١ ص١١.

في التطرق لموضوعات واحدة بعينها تتكرر في كل قصيدة أمر يدل على أنها نظمت بعد نزول القرآن لا قبله.

وهذا أمر لا يندرج تحته شعر يهود حيث أن موضوعات قصائدهم تختلف عن موضوعات قصائد معاصريهم حيث أنهم نظموا في أمور دينية تدل على معرفتهم وعلمهم وثقافتهم السابقة على معاصريهم.

وآخر أدلة مرجليوث على مزاعمه في وضع الشعر الجاهلي هو: أن النقوش المكتشفة للممالك الجاهلية المتحضرة وخاصة اليمنية لا تدل على وجود أي نشاط شعري فيها فكيف أُتيح لبدوٍ غير متحضرين أن ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه مَنْ تحضروا من أهل هذه الممالك؟ ونقول: إن شعراء يهود كانوا أهل حضر فقد كانوا يسكنون يثرب وضواحيها وخيبر وتيماء وفدك، وكانت لهم مزارع وحصون وهم أصحاب صناعة وزراعة وتجارة فهم متحضرون وكانوا ينظمون الشعر باللغة الفصحى محاكين بذلك معاصريهم كما سبق أن ذكرنا، كما كانت موضوعات شعرهم متنوعة وتشتمل على موضوعات دينية إلى جانب الموضوعات الجاهلية فهم أهل ديانة وحضارة...

ثم تحدث كثير من المستشرقين بعد مرجليوث عن صحة الشعر الجاهلي، وكان أكثرهم يردُّ ويُفَنِّد أدلة مرجليوث وافتراضاته، ومن هؤلاء المستشرقين «تشارلس جيمس ليال» حيث احتج على مرجليوث في مقدمته للمفضليات[1]: «بأن مَنْ وضعوا هذا الشعر، على فرض التسليم بذلك - كانوا يحاكون نماذج سابقة، وتقاليد أدبية موروثة قَلَّدوها وحاكوها، ونفس هذه المحاكاة تدل على وجود أصل كانوا يحاكونه، إذ لا يمكن

(١) مقدمة المفضليات ص٣١ وما بعدها.

أن يحاكوا شيئاً لم يبق منه ما يتيح لهم هذه المحاكاة، وإذن فلا بد أن يكون هناك شعر جاهلي عرفه الإسلاميون وحاكوه، وحقاً دخله انتحال من رواة أمثال حماد وخلف - ولكن وراء انتحالهم شعر صحيح ينبغي أن نهتدي في معرفته بالرواية الوثيقة وصفاته الشخصية والأسلوبية المميزة»، ثم يمضي «ليال» في حديثه فيقول: «إن ما ينبغي أن نستنتجه من هذه القصص عن حماد وخلف ليس رد هذا الشعر القديم ووصمه بأنه موضوع منحول من غير بحث وتمحيص، بل وضع هذا الشعر موضع البحث الدقيق مهتدين بما تقدمه الرواية في ذلك الزمن من أدلة، وناظرين إلى موضوع القصيدة وأسلوبها والصفات الشخصية المميزة لنرى بعد ذلك هل فيها ما يوحي على أي وجه بأن فيها زيادات دخيلة، أو تغييراً في ترتيب الأبيات، أو أنها موضوعة منحولة[1].

وقد تحدث «ليال» أيضاً عن صحة الشعر الجاهلي في مقدمته لديوان عبيد بن الأبرص فقال: «أما موضوع صحة هذا الشعر، فأمر من الطبيعي أن يختلف فيه الناس، إذ من المؤكد أن شعر الأعراب في الجاهلية العربية لم ينتقل بالكتابة بل بالرواية، وكانت القبيلة تعد القصائد التي تسجّل انتصاراتها أغلى ما تملك، فكانت ترويها جيلاً بعد جيل، وبالإضافة إلى هذه المعرفة العامة المنتشرة في القبيلة، كان هناك الراوي، وعمله أن يحتفظ بمذخور الشعر الذي تعيه ذاكرته، وكان يعتنى بالذاكرة - في العصور التي لم تستخدم فيها الكتابة إلا في المدن والأغراض خاصة - عناية كبيرة بحيث كانت أكثر قدرة على الاستيعاب منها في العصر الحديث، فليس من الغريب أن تتناقل القصائد بهذه الطريقة قرنين

---

(١) نفس المصدر السابق.

أو ثلاثة[1]. . .

وسببٌ ثانٍ ساقه ليال لاعتقاده أن الشعر القديم صحيح في جملته وليس منحولاً هو: أن الشعر في القرن الأول الهجري يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي، ويفترض سبقه عليه، فقد استمر شعراء القرن الأول المشهورون - الفرزدق وجرير والأخطل وذو الرمة يتبعون تقاليد الشعراء الجاهليين من غير أن تكون بينهم فجوة، فضلاً عن أنهم ذكروهم في شعرهم، فقد استعملوا ذخيرتهم الشعرية مراراً متكررة متناولين الموضوعات نفسها بالأسلوب نفسه محسّنين ومحوّرين ومقتبسين.

وسبب ثالث: هو أن الشعر القديم مليء بألفاظ كانت غريبة على العلماء الذين كانوا أول مَنْ عرضَ هذا الشعر على محك النقد، فقد كانت تُنمى إلى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم، وكانت غير مستعملة في الزمن الذي كتبت فيه القصائد وجمعت الدواوين. . .

وتعتمد المعاجم كل الاعتماد على الشعر القديم وعلى القرآن الكريم والحديث وتفترض صحة الشعر كما تسلم بصحة القرآن والحديث.

وممن تحدث عن موضوع الشك في الشعر الجاهلي، المستشرق «بلاشير» في الجزء الأول من كتابه «تاريخ الأدب العربي» وهو يحاول الاعتدال أحياناً ويهجم أحياناً أخرى هجوماً عنيفاً، ومن ألوان هجومه قوله: «نحن نجد في النصوص المذكورة أن الشعراء أيّاً كان عصرهم أو قبائلهم يستعملون لغة موحّدة منزّهة بصورة عامة عن كل أثر لهجي، خاضعة لقواعد تركيبية هي بصورة مجملة قواعد نحاة البصرة - ولا شك أن القصائد الجاهلية جرّدت بتأثير الرواة الكبار عن كثير من الظواهر

---

(١) مقدمة ديوان عبيد بن الأبرص، طبعة دار المعارف ص١٧-١٩.

اللهجية، كما أن التثبيت الكتابي بدوره أتم توحيد اللغة وحتى الأسلوب[1]، ويقول في موضع آخر: «كل شيء يدعونا إلى الاعتقاد بأن كبار الرواة ومعهم علماء العراق قد أجروا في الشعر القديم إصلاحات ذات صبغة جمالية»[2] ثم يقول: «والمدهش هو تعدد الروايات واتساعها داخل كل بيت، ولا ريب أنها ناشئة عن ضعف الذاكرة في أثناء الرواية الشفوية، وأن عدداً قليلاً منها ناشيء عن عدم اكتمال طريقة الكتابة أو عن استبدالات في المترادفات، وما من شيء يجيز لنا التأكيد بأن هذه الفروق الجزئية ليست قديمة ولا تصعد إلى ظهور الأثر نفسه»[3]. وينتهي من ذلك إلى أن دراسة النصوص الشعرية (يقصد الصحيحة) تقودنا إلى وضع مبدأ يقضي بعدم امتلاكنا أي أثر شفوي في شكله الأصلي.. ونحن نعلم لكي تتم المأساة أن المقلدات قد امتزجت بالأصول القديمة التي يختلف تحريفها قلّة أو كثرة دون أن نتمكن في كثير من الأحيان من كشف هذه الانتحالات»[4].

ويرد على بلاشير في ادعائه هذا الدكتور شوقي ضيف في كتابه «العصر الجاهلي» فيقول داحضاً آراء بلاشير: «وواضح أن بلاشير يزعم أن الأصول الصحيحة للشعر الجاهلي اختلطت بالنماذج والقصائد الموضوعة اختلاطاً يتعذر معه أن يتميّز، وهو زعمٌ مبالغ فيه لأن هذه الأصول كما قدّمنا (في كتابه العصر الجاهلي) عن رواةٍ ثقات، وأجمع أهلُ العلم والرواية الصحيحة على توثيقها بحيث لا يرقى إليها الشك، وهو يزعم أن الرواة ونحاة البصرة عدّلوا في هذه الأصول بما يتمشى مع

---

(١) بلاشير. تاريخ الأدب العربي ص١٨٨.
(٢) نفس المصدر ص١٨٩.
(٣) نفس المصدر ص١٨٩.
(٤) نفس المصدر ص١٩٣.

القواعد النحوية البصرية من جهة، والقواعد الجمالية والأسلوبية من ناحية ثانية، ويتخذ دليله على ذلك خلو القصائد الجاهلية من ظواهر اللهجات القبلية، وقدّمنا أن هذه الظواهر تكاد تكون منعدمة في الجاهلية نفسها، لأن الشعراء في القبائل المختلفة اصطلحوا على أن ينظموا شعرهم بلهجة قريش، واتخذوها لغةً لشعرهم، من أجل ذلك لم يسقط من لهجتهم في أشعارهم إلا أشياء قليلة جداً سجلها هؤلاء النحاة البصريون، وإلا ففيم هذه الشواذ النحوية التي تمتلىء بها كتبهم. ولم يكن رواة البصرة ونحاتها وحدهم الذين يروون هذا الشعر، بل كان يرويه معهم رواة الكوفة ونحاتها، وكانوا مولعين بإثبات الشواذ واعتبارها أصولاً يقاس عليها. أما أن هؤلاء الرواة جميعاً أدخلوا في الشعر الجاهلي إصلاحات ذات صبغة جمالية تقوم على متانة اللفظ وجزالته فهي دعوى تلتزم ضرباً من الدور، إذ كانوا يرجعون هذه الإصلاحات إلى المقاييس الجمالية المبثوثة في هذا الشعر الجاهلي والتي تقوم على الرصانة والجزالة...

والحق أن ثقاتهم نقلوا إلينا هذا الشعر بكل صفاته الجمالية وما دَاخَلَهُ من عيوبٍ تركيبية أو شواذ نحوية أو لغوية(١).

النحل والوضع في الشعر الجاهلي عند العرب المحدثين:

أول من شق طريق البحث في هذا الموضوع من العرب المحدثين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه «تاريخ آداب العرب» الذي صدر في سنة ١٩١١، وقد لمّ في هذا الكتاب شتات الموضوع من أطرافه كلها واستقصاه استقصاء، غير أنه في كل ذلك كان يحكي ما أورده المؤلفون القدماء، فله فَضْلُ السبق وفضل الاستقصاء في الجمع، وقد تحدث عن

(١) شوقي ضيف – العصر الجاهلي ص١٦٩ وما بعدها.

وضع الشعر فبيَّن البواعث على وضع الشعر في الإسلام. ونلخص هذه البواعث التي ذكرها في كتابه[1] على النحو التالي:

١- تكثّر شعر القبائل لتعتاض عما فقدته بعد أن راجعت الرواية وخاصة القبائل التي قلت وقائعها وأشعارها.

٢- شعر الشواهد «وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب، ومسائل النحو، وشعر الشواهد في اصطلاح الرواة على ضربين: شواهد القرآن وشواهد النحو، والكوفيون أكثر الناس وضعاً للأشعار التي يستشهدون بها لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ، واعتبارهم منها أصولاً»[2].

٣- الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين يُولِّدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم[3].

٤- الشواهد على الأخبار: فلما كثر القَصَّاصون وأهلُ الأخبار اضطروا من أجل ذلك أن يضعوا الشعر لما يُلَفِّقُونه من الأساطير حتى يلائموا بين رقعتي الكلام، ولِيُحَبِّبُوا تلك الأساطير من أقرب الطرق إلى أفئدة العوام[4].

٥- الاتساع في الرواية، وهو سبب من أسباب الوضع، ويقصد به فحول الرواة أن يتسعوا في رواياتهم[5].

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي. ص٣٦٥ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ص٣٦٩.
(٣) تاريخ آداب العرب ص٣٧٣.
(٤) المصدر السابق ص٣٧٥.
(٥) المصدر السابق ص٣٧٩.

وإذا عرضنا شعر يهود على هذه البواعث وجدنا أنها لا تنطبق عليه، وذلك أن قبائل يهود لم تهتم بالشعر كوسيلة لشهرتها وفخرها، فهم أهلُ ديانة وهم شعب الله المختار كما تروي أشعار العهد القديم وكما جاء في شعرهم[1]، وليسوا في حاجة إلى تزيّد الشعر، ومن الذي سينحل لهم شعراً من الرواة المسلمين تعويضاً لهم عما فقدوه!!

وأما الشواهد فإن النحويين سواء البصريين أو الكوفيين ليسوا في حاجة إلى شعر يهود للاستشهاد به، وكيف يستشهدون بشعر لشعراء هم أعداء لهم وللدعوة الإسلامية، ولا يبحثون عن أشعار أعداء الإسلام. وكذلك بالنسبة لشواهد الأخبار، والاتساع في الرواية فإن الرواة سواء كانوا مولدين أو عرباً لا يضعون ولا ينحلون إلا للعرب أو لغيرهم من المولدين ولكن ليس ليهود.

ويأتي بعد الرافعي في موضوع نحل الشعر الجاهلي ووضعه الدكتور طه حسين، الذي خلق من هذا الموضوع شيئاً جديداً لم يعرفه القدماء، ولم يقتحم السبيل إليه العرب المُحْدَثون من قبله، ثم أنكره بعد كثير من المحدثين إنكاراً خصباً في الكتب التي ألفوها في الرد عليه.

وقد استقى الدكتور طه حسين أكثر مادته من الأخبار التي يستشهد ويتمثل بها العرب القدماء وسلك بها سبيل مرجليوث في الاستنباط والاستنتاج والتوسع في دلالات الروايات والأخبار، وتعميم الحكم الفردي الخاص واتخاذه قاعدة عامة، ثم صاغ تلك المادة وهذه الطريقة بإطار من أسلوبه الفني وبيانه الأخّاذ، حتى انتهى إلى ما انتهى إليه من أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء،

---

(١) قال جبل بن جوال الثعلبي اليهودي:

ألسنا ورثنا الكتاب الحكيم ... على عهد موسى فلم نصرف

وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثّل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثّل حياة الجاهليين[1].

وحديث طه حسين ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يعنينا منها قسمان هما: الدوافع التي دفعته إلى الشك في هذا الشعر، والأسباب التي يرى أنها أدت إلى نحل الشعر الجاهلي ووضعه.

أ- دوافع شكه: نظر الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي فرأى فيه أشياء رابته فشك فيه، وانتهى أن كثرته المطلقة ليست جاهلية، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام ومن هذه الأمور التي رابته:

١- «أنه لا يمثّل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين»[2] فمن الناحية الدينية، ومع خطأ هذا الرأي - كما ردّ عليه كثير من الباحثين - فإننا نقول: أن ذلك لا ينطبق على شعر يهود في العصر الجاهلي والذي ورد فيه الكثير عن الحياة الدينية، وعلمهم بأمور بداية حياة الإنسان منذ أنْ كان نُطفةً حتى موته، ثم بعثه وحسابه وعقابه.. إلى غير ذلك.

فهذا السموأل بن عادياء يتحدث عن بدء خلق الإنسان إلى بعثه، فيقول في قصيدة طويلة منها[3]:

نُطْفَـةٌ مـا مُنِيـتُ يـومَ مُنِيـتُ أُمِـرَتْ أَمْـرَهـا وفِيهـا بُـرِيـتُ
كَنَّهـا اللهُ فـي مَكَـانٍ خَفِـيٍّ وَخَفِـيٌّ مكـانُهـا لـو خَفِيـتُ

(١) د. طه حسين في الأدب الجاهلي ص٧١-٧٢.

(٢) في الأدب الجاهلي ص٨٨.

(٣) التحقيق: قصيدة رقم ٤ الأبيات ١، ٢، ٨، ٩.

ثم يقول:

أَلِـيَ الفَضْـلُ أم عَلَـيَّ إذا حُـو ... سِبْتُ إنّي على الحِسَابِ مُقيتُ
وَأتـانِـي اليَقِيـن أنّـي إذا مِـ ... ـتُّ وإن رمَّ أعظمِـي مَبعُـوثُ

ويختتم قصيدته بإقراره أن الرزق من عند الله:

بَـلْ لِكُـلٍّ رِزْقُـهُ مـا قَضـى اللـ ... ـهُ وإن حَـزَّ أَنْفَـهُ المُستميـتُ

وقد وردت مثل تلك المعاني وما يتعلق بالحياة الدينية كثيراً في شعر يهود[1] وإذن فشعر يهود يمثّل إلى حَدٍّ ما جوانب من الحياة الدينية...

وأما من الناحية العقلية والحضارية فيقول طه حسين: «أفتظن قوماً يجادلون في هذه الأشياء جدالاً يصفه القرآن بالقوة ويشهد لأصحابه بالمهارة، أفتظن أن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين؟ كلا لم يكونوا جُهَّالاً ولا أغبياء، ولا غِلاظاً، ولا أصحاب حياة خشنة جافية وإنما كانوا أصحاب علم وذكاء، وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة»[2].

وقد ردّ على الدكتور طه حسين الكثير بخصوص دليله هذا منهم السيد محمد الخضر حسين[3] والأستاذ الغمراوي[4].

ونقول: إن الشعراء اليهود كانت لهم معان راقية، وحكم صافية، تمثلت في أشعارهم، ومنهم مثقفون بالنسبة لمعاصريهم الجاهليين، وقد

---

(١) انظر التحقيق.
(٢) في الأدب الجاهلي ص٨١.
(٣) الشهاب الراصد ص٥١.
(٤) ص١٤٨.

كانوا يُعلِّمون العرب الأميين - كما هو معروف، وكانوا أصحاب مدنية، فهم يسكنون الحصون، ويزرعون النخيل، ويقومون بصناعات متعددة كالذهب والنسيج وغيرها، ولم يكونوا أصحاب غلظة وخشونة كسكان الصحراء.

وأما من: الناحية السياسية: فيرى الدكتور طه حسين: «أن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم، بل كانوا على اتصال قوي، قسمهم أحزاباً، وفرَّقهم شيعاً، أليس القرآن يحدثنا عن الروم، وما كان بينهم وبين الفرس من حرب انقسمت فيها العرب إلى حزبين... وهو يصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم في السورة المعروفة: لإيلاف قريش إيلافهم، رحلة الشتاء والصيف...»[١].

ولكن بالنسبة ليهود، فقد كانوا أصحاب السيادة في يثرب حينما استعان مالك بن العجلان الخزرجي[٢]، بأبي جبيلة الغساني في الشام على يهود يثرب حيث قتل عدداً كبيراً من أشراف يهود، رَثتهم شاعرتهم سارة القرظية كما سبق أن عرفنا، ومن شعرها في ذلك[٣]:

بِنَفْسِـي رِمَّـةٌ لـم تُغْـنِ شَيْئـاً	بـِذِي حُـرُضٍ تُعَفِّيهـا الـرِّيَـاحُ
رُزِئْنـا والـرَّزِيَّـةُ ذاتُ ثِقْـلٍ	يُمِـرُّ لأجلِهـا المـاءُ القَـرَاحُ
كُهُـولٌ مـن قُـرَيْظَـةَ أتْلَفَتْهُـمْ	سُيُـوفُ الخَـزْرَجيـةِ والـرِّمَـاحُ
ولَـوْ أَذِنُـوا بِحَـرْبِهِـمُ لحَـالَـتْ	هُنـالِـكَ دُونَهـمْ حَـرْبٌ رَدَاحُ

كما أن يهود كانوا على اتصال بإخوانهم في الشام والعراق، وقد كان

---

(١) في الأدب الجاهلي ص٨٢-٨٣.

(٢) زعيم الخزرج في عصر ملوك اليهود «الفطيون» على يثرب.

(٣) التحقيق مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤.

أحبار من الشام يأتون إلى يثرب في فترات متقطعة...

وأما من الناحية الاقتصادية: فيقول الدكتور طه حسين: «فأنت تستطيع أن تقرأ امرأ القيس كله، وغير امرىء القيس، وأنت تستطيع أن تقرأ هذا الأدب الجاهلي جُلَّهُ دون أن تظفر بشيء ذي غناء يمثل حياة العرب الاقتصادية فيما بينهم وبين أنفسهم»[1].

ولكن شعر يهود في العصر الجاهلي فيه ما يُظْهِر - ولو بشيء قليل - هذه النواحي الاقتصادية من صناعة وتجارة وزراعة وغيرها، ولنضرب لذلك على سبيل المثال لا الحصر قولَ الربيع ابن أبي الحقيق يصف النخيل[2]:

لها سَعَفٌ جَعْدٌ ولِيفٌ كأنّهُ حَواشِي بُرُودٍ حاكَهُنَّ الصَّوَانِعُ

فها هي الحياكة والصناعة.

وقول كعب بن الأشرف[3] الذي يدل على عملهم بزراعة النخيل:

ونَخِيلٍ في قِلاَعٍ جَمَّةٍ تُخْرِجُ التَّمْرَ كأمثالِ الأُكُفّْ

وهذا الربيع بن أبي الحقيق يذكر الوزن وخفته أو ثقله وهي ألفاظ تجارية يقول[4]:

فسوف تعلم إمَّا كنتَ تجهلُهُ من خَفّ يومئذٍ في الوزن أو ثَقِلا

إذن فالدكتور طه حسين كأنه لم يقرأ هذه الأبيات وأمثالها في الشعر

(١) في الأدب الجاهلي ص٨٣.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٥ البيت رقم ٢.
(٣) التحقيق قصيدة رقم ٢ البيت رقم ١٠.
(٤) انظر التحقيق.

الجاهلي، وهي تؤكد أن شعر يهود، - وهو من الجاهلي - حمل كثيراً من المعاني الاقتصادية من صناعة وزراعة وتجارة، وقد اكتفينا ببعض النماذج السابقة من شعرهم، لأن المجال لا يتسع لأكثر من ذلك[١] بصدد مناقشة قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، وإن كانت هناك أشعار أخرى كثيرة ليهود تتحدث أيضاً عن الكرم وتذم البخل[٢]... وغير ذلك، وأما الدافع الثاني الذي ساقه الدكتور طه حسين فهو:

٢- اختلاف اللغة: حيث يقول: إن هذا الشعر بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه»[٣].

وقد سبق أن رد على ذلك الدكتور شوقي ضيف من أن لغة قريش كانت هي السائدة قبل الإسلام وكان الشعر ينظم بهذه اللغة الفصحى[٤].. وينطبق ذلك على شعر العرب وشعر يهود!!!

٣- اختلاف اللهجات: ويرى أن لهجات القبائل لم تظهر في الشعر الجاهلي، وشعر يهود كما قلنا نُظِمَ باللغة الفصحى لغة قريش السائدة على جميع اللهجات.

٤- الاستشهاد بالشعر الجاهلي على ألفاظ القرآن والحديث: قال الدكتور طه حسين فيما قال: «إنا نلاحظ أن العلماء قد اتخذوا هذا الشعر مادة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث ونحوهما، ومذاهبهم الكلامية. ومن الغريب أنهم لا يكادون يجدون في ذلك مشقة ولا

---

(١) انظر التحقيق.

(٢) انظر التحقيق.

(٣) في الأدب الجاهلي ص٨٨.

(٤) العصر الجاهلي ص١٣١ وما بعدها.

عسرا»[1]، ولسنا بصدد الرد على الدكتور طه حسين في ذلك، فقد ردّ عليه الكثير.

وإنما نقول: إن شعر يهود لم يستشهد به إلا نادراً ولذلك فهو من هذا الجانب بعيد عن النحل والوضع..

٥- والأمر الأخير الذي دفعه إلى الشك هو: أنه - أي الشعر الجاهلي - لم يصل إلا عن طريق الرواية الشفهية. وقد رأينا كيف نقل الشعر عن طريق هذه الرواية حتى القرن الأول، وشعر يهود نقل بنفس الطريقة، وهو قليل لا مجال للشك فيه.

أما عن أسباب النحل عند الدكتور طه حسين فهو يرجح أن هذه الأسباب مردها إلى خمسة أمور هي: السياسة، الدين، القصص والشعوبية والرواة:

أ- السياسة:

ويحصر حديثه عن السياسة في مدلول العصبية القبلية التي كانت بين قريش والأنصار[2]، وكذلك في تفاخر القبائل والاستكثار من الشعر، فيشك في كل شعر جاهلي تظهر فيه العصبية والتفاخر بين القبائل حيث يقول: «ونحن لا نقف عن استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها وإنما نستخلص منها قاعدة علمية، وهي أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذي يسمى جاهلياً أن يشك في صحته كلما رأى شيئاً من شأنه تقوية العصبية وتأييد فريق من العرب على فريق...»[3].

---

(١) في الأدب الجاهلي ص١٢٠.
(٢) في الأدب الجاهلي ص١٣٢ وما بعدها.
(٣) في الأدب الجاهلي ص١٤٥-١٤٦.

أما يهود فمن الذي يتعصب لهم وهم أعداء العرب والمسلمين جميعاً، صحيح أنه كان لهم حلفاء من الأوس والخزرج، ولكن هؤلاء دخلوا في الإسلام وذاقوا حلاوته وكيف يوادّون من أهل الكتاب وقد نهاهم الله عن ذلك، وحتى الذي دخل في الإسلام من اليهود لم يعد يتعصب لبني جنسه لأن جنسية المسلم عقيدته، وإذن فليست العصبية تنطبق على شعر يهود في العصر الجاهلي لأنه لا يوجد من يجرؤ على أن يتعصب ليهود، ويستكثر من شعرهم ويؤيدهم على غيرهم من القبائل العربية.

ب- الدين:

ويهمنا في هذا الجانب ما تحدث به طه حسين عن اليهودية والمسيحية حيث يقول: «ليس من المعقول أن ينتشر هذان الدينان في البلاد العربية دون أن يكون لهما أثر ظاهر في الشعر العربي قبل الإسلام. وقد رأينا أن العصبية العربية حملت العرب على أن ينحلوا الشعر ويضيفوه إلى عشائرهم في الجاهلية بعد أن ضاع شعر هذه العشائر، فالأمر كذلك في اليهود والنصارى، تعصبوا لأسلافهم من الجاهليين، وأبوا إلا أن يكون لهم شعر كشعر غيرهم الوثنيين، وأبوا إلا أن يكون لهم مجد وسؤدد كما كان لغيرهم مجد وسؤدد، فنحلوا كما نحل غيرهم، ونظموا شعراً أضافوه إلى السموأل بن عادياء وإلى عدي بن زيد وغيرهما من شعراء اليهود والنصارى...»[1].

ونقول: إن يهود قد أُجلوا عن المدينة، وعن كل أماكنهم أيام الرسول ﷺ، ثم أتمّ إجلاءهم عمر بن الخطاب، فلم يبق منهم أحد في عصر التدوين. وثانياً: من أسلم منهم وذاق حلاوة الإسلام لم يعد ليتذكر أو

(١) في الأدب الجاهلي ص١٦٢-١٦٣.

يفكر في يهود وشعرهم...

جـ- القصص:

يقول: «وأنت تعلم أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزيّنه الشعر من حين إلى حين... ولا أكاد أشك أن هؤلاء القُصَّاص لم يكونوا يستقلون بقصصهم، ولا بما يحتاجون إليه من الشعر في هذا القصص، وإنما كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار، ويلفقونها، وآخرين ينظمون لهم القصائد وينسقونها. ولدينا نص يبيح لنا أن نفترض هذا الفرض، فقد حدّثنا ابن سلام أن ابن إسحق كان يعتذر عما يروي من غثاء الشعر فيقول: لا علم لي بالشعر إنما أوتى به فأحمله. فقد كان هناك قوم إذن يأتون بالشعر، وكان هو يحمله، فمن هؤلاء القوم؟ أليس من الحق - يقول طه حسين - أن نتصور أن هؤلاء القصاص لم يكونوا يتحدثون إلى الناس فحسب، وإنما كان كل واحد منهم يشرف على طائفة غير قليلة من الرواة والملفقين ومن النُّظّام والمنسقين...»[(١)].

ونقول: وَلِمَ يلفق الرواة والقصاص شعراً ليهود؟ أو حتى في سيرة ابن إسحق، فقد أوضحنا أن ابن هشام تعقب السيرة كلها، ولم يجد ليهود إلا نصّاً واحداً أنكره وقال عنه: «وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له، وهي مقطوعة لكعب بن الأشرف اليهودي، سبق أن ذكرناها في مطلع هذا الفصل.

د- الشعوبية:

ويتحدث فيها عن الخصومة بين العرب والموالي في الإسلام فيقول:

---

(١) في الأدب الجاهلي ص١٦٨-١٦٩.

«أما نحن فنعتقد أن هؤلاء الشعوبيين قد نحلوا أخباراً وأشعاراً وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين، ولم يقف نحلهم عن الأخبار والأشعار، بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظريهم إلى النحل والإسراف فيه...»[1].

ويقول: كانت الشعوبية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغض منهم. وكان خصوم الشعوبية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب ورفع لأقدارهم»[2].

وواضح أن الخصومة كانت بين العرب والعجم، وإذن فليس هناك عربي ولا حتى عجمي ينحل ليهود، وأما الشعوبية عندهم فهي تصورهم وتقريرهم أنهم شعب الله المختار ويسمون على جميع شعوب العالم وهم الشعب المثقف وغيرهم شعوب جهلة أميون، وهم ورثة كتاب ومعاصروهم العرب رعاة أغنام، ورد هذا المعنى على لسان أحد شعرائهم وهو جبل بن جوال الثعلبي حيث يقول[3]:

أَلَسْنَا وَرِثْنَا الكِتَابَ الحَكِيمَ	على عَهْدِ موسى فَلَمْ نُصْرَفِ
وأَنْتُم رِعَاءٌ لشَاءٍ عِجَافٍ	بِسَهْلِ تِهَامَةَ والأَخْيَفِ
تَرَوْنَ الرِّعَايَةَ مَجْداً لَكُمْ	كَذَا كُلُّ دَهْرٍ بِكُمْ مُجْحِفِ

هـ- الرواة:

والرواة في رأي الدكتور طه حسين: «بين اثنين: إما أن يكونوا من العرب فهم متأثرون بما كان يتأثر به العرب، وإما أن يكونوا من

(١) نفس المصدر ص١٨٦.

(٢) نفس المصدر ص١٨٦.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٣ الأبيات ١، ٢، ٣.

الموالي، فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالي من تلك الأسباب العامة - وهم على تأثرهم بهذه الأسباب العامة متأثرون بأشياء أخرى هي التي أريد أن أقف عندها وقفات قصيرة. ولعل أهم هذه المؤثرات التي عبثت بالأدب العربي وجعلت حَظّه من الهزل عظيماً: مجون الرواة وإسرافهم في اللهو والعبث، وانصرافهم عن أصول الدين، وقواعد الأخلاق إلى ما يأباه الدين، وتنكره الأخلاق»[1] وضرب أمثلة من هؤلاء الرواة، وما يروى عن مجونهم وفسقهم ووضعهم...

وإذن لم يكن هناك رواة من اليهود فهم إما عرب أو موالي، وهؤلاء وهؤلاء كل منهم يتأثر ويميل إلى العرب أو للموالي، ولا يتأثرون أو يميلون ليهود، إذن فهذا السبب أيضاً كغيره من الأسباب التي ساقها طه حسين لا ينطبق على يهود وشعرهم.

من كل ما تقدم نرى أن قضية الانتحال، وما كتب عنها سواء من العلماء العرب الأقدمين أو المستشرقين المحدثين أم العرب المحدثين، وما تعرضوا له من عوامل وأسباب ودوافع لنحل الشعر الجاهلي، عندما عرضنا هذه العوامل والأسباب والدوافع على شعر يهود، وجدنا أن غالبيتها بل معظمها لا تنطبق على شعرهم في العصر الجاهلي، ونكاد نزعم أن النحل في شعر يهود في العصر الجاهلي يكاد يكون نادراً جداً، يتمثل في النماذج التي عرضناها في بداية هذا الفصل...

ب- مصادر شعر يهود وتوثيقها

أولاً: الدواوين المفردة: ديوان السموأل بن عادياء «مخطوط»:

اطلعت على هذا الديوان المخطوط في مكتبة المتحف العراقي ببغداد

---

(١) في الأدب الجاهلي ص١٨٨.

والذي يحمل رقم (١٤٠١- 15-B) وهو مكتوب بخط واضح مقروء، وكانت أبيات الشعر أظهر وأجلى من كلمات الشرح، وقد قام بنشر هذا المخطوط كل من:

أ- الأب لويس شيخو صاحب مجلة المشرق اللبنانية، نشره في عدد ١٩٠٩ تحت عنوان ديوان السموأل.

توثيقه: قارنت بين ما نشره الأب لويس شيخو وبين الديوان المخطوط فوجدت ما نشره لويس شيخو صورة طبق الأصل لما جاء في الديوان المخطوط ولم يزد عليه شيء، اللهم إلا في بعض الألفاظ التي ربما أشكلت عليه.

ب- الشيخ محمد حسن آل ياسين: قام بتحقيق هذا الديوان في بغداد سنة ١٩٥٥ ولم يقتصر على نشر الديوان كما فعل شيخو فقام بتحقيقه والتعليق على شروحه، وقام عيسى سابا بنشر كتيب صغير سماه «شعر السموأل» سنة ١٩٥١ طبعة دار صادر لبنان وقام بجمع هذا الشعر من ثنايا كتب الأدب المتفرقة ولم يشتمل على شعر السموأل كاملاً ولكنه قصائد ومقطوعات جمعها من الكتب المختلفة كالأغاني والحماسات والأصمعيات وغيرها. . .

ثانياً: دواوين القبائل:

وأسماء هذه الدواوين كثيرة، وهي تزخر بها كتب القرن الرابع الهجري وخاصة كتابي المؤتلف والمختلف لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧٠هـ، والفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحق النديم المتوفى سنة ١٨٥هـ.

أما الآمدي، فقد ذكر ستين ديواناً من دواوين القبائل، والتي منها:

أشعار الأزد كتاب بني أسد - كتاب أسلم - كتاب أشجع - كتاب بني أعصر - كتاب باهلة - كتاب بجيلة - كتاب جلّى - أشعار بني تغلب.. كتاب بني قريظة..

وكتاب بني قريظة: هذا هو الذي يعنينا، ولكن للأسف الشديد لم يذكر عن هذه الدواوين شيئاً إلا ديواناً واحداً هو الموجود الذي بقي لنا هو: ديوان هذيل.

إذن فكتاب بني قريظة لم نسمع عنه إلا ما ذكره صاحب معجم الشعراء[1] في معرض عرضه لأبيات لشاعر يهودي هو سعية بن الغريض يقول: «ولسعية في كتاب بني قريظة أشعار جياد، ولكن أين هذا الكتاب، وأين غيره من دواوين القبائل؟ الله وحده يعلم.

ثالثاً: طبقات فحول الشعراء:

لمحمد بن سلام الجمحي سنة ١٣٩- ٢٣١هـ تحقيق محمود محمد شاكر، وابن سلام المعروف بغزارة علمه ودقة نقده، وسلامة ذوقه، وصرامته في اتهاماته لكثير من الرواة، أمثال حماد الراوية، وانتقاده الشديد لابن إسحق صاحب السيرة، وتوضيحه لأسباب وعوامل انتحال الشعر؛ كما يتضح ذلك من كتابه، طبقات فحول الشعراء ط المدني وقد خصّص ابن سلام في كتابه لشعراء يهود طبقة من طبقاته، وذكر لنا شعراً لثمانية منهم، هم على الترتيب، السموأل بن عادياء، والربيع بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، وشريح بن عمران، وسعية بن الغريض، وأبو قيس بن رفاعة، ودرهم بن زيد، وأبو الذيال. ولكنه لم يذكر قصائد كاملة لهؤلاء الشعراء، وإنما اقتصر على ذكر مقطوعة لكل واحد

---

(١) معجم الشعراء ص١٤٣.

منهم...

يقول مثلاً: «يقول السموأل في كلمة له طويلة[1] ثم يأتي له بستة أبيات فقط، ثم يذكر شاعراً آخر هو الربيع بن أبي الحقيق فيقول «ومنهم الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير وهو الذي يقول[2]: ويأتي له بستة أبيات أيضاً.

وكعب بن الأشرف وهو من طيء وأمه من بني النضير وكان في أخواله سيداً وهو يقول في كلمة[3]: ويذكر له خمسة أبيات، وشريح بن عمران الذي يقول في كلمة[4] ويأتي له بخمسة أبيات، وسعية بن الغريض، القائل في كلمة له[5] ويذكر له تسعة أبيات، وأبو القيس بن رفاعة وهو يقول في قصيدته[6] ويأتي له بتسعة أبيات أيضاً، وأبو الذيال يقول في كلمة أولها[7] ويذكر له قصيدة في ثمانية عشر بيتاً، وأخيراً درهم بن زيد يقول[8] ويذكر له ستة أبيات...

رابعاً: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني:

وفيه شعر كثير نسبياً ليهود، إلا أن هناك بعض الاختلافات في روايات الأغاني، عن روايات المصادر الأخرى، والذي كان ينوه هو بها أحياناً..

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/٢٨٨.

(٢) نفس المصدر السابق ص١/ ٢٨٠.

(٣) ص٢٨٣.

(٤) ص٢٨٤.

(٥) ص٢٨٥ وما بعدها.

(٦) ص٢٨٨ وما بعدها.

(٧) ص٢٩٠ وما بعدها.

(٨) ص٢٩٠ وما بعدها.

خامساً: سيرة ابن هشام:

تحقيق مصطفى السقا وعبد السلام هارون... وقد أورد فيها شعراً ليهود، وأنكر شعراً آخر لهم، إذ تعقب ابن هشام عمل ابن إسحق بالإنكار في أشعار عدة، وكان يقول، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له، ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يذكرها له...

سادساً: كتب المختارات:

وأول هذه المختارات هي المفضليات وهي التي اختارها المفضل بن محمد الضبي - رأس علماء أهل الكوفة في عصره.

وتحتوي المفضليات على مائة وست وعشرين قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وجدت في إحدى النسخ - لسبعة وستين شاعراً منهم ستة شعراء إسلاميين، وأربعة عشر مخضرمون والباقون وهم سبعة وأربعون شاعراً جاهليون لم يدركوا الإسلام ومنهم شاعر واحد يهودي وله المفضلية رقم ٣٧ وهي مكونة من ثمانية أبيات وهو السموأل بن عادياء. ولم يشرح المفضل هذه المفضليات وإنما شرحها: أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري المتوفى سنة ٣٠٤هـ وقد أخذها إملاء مجلساً مجلساً عن أبي عكرمة عامر بن عمران الضبي المتوفى سنة ٢٥٠هـ.

وأخذها أبو عكرمة عن ابن الأعرابي (المتوفى سنة ٢٣٢هـ) ولم يكتف ابن الأنباري بذلك وإنما كان يرجع إلى علماء آخرين مثل: أبي عمرو بندار الكرخي، وأبو بكر العبدي.. وقرأ على أبو بكر أحمد بن الجراح الخزاز، وبذلك تمت له هذه المجموعة وروايتها في إسناد متصل من ابن الجراح إلى المفضل الضبي. وفي هذه المفضليات كما قلنا قصيدة لرجل من يهود رقم ٣٧ وتمتاز هذه القصيدة بتصريح ابن الأعرابي بأن المفضل

أنشده إياها، فهي من أصل الكتاب وليست مما زيد فيه.

وثاني هذه المختارات هي: الأصمعيات: وهي اثنتان وتسعون قصيدة ومقطعة[١] لواحد وسبعين شاعراً: منهم: ستة شعراء إسلاميون، وأربعة عشر مخضرمون، وأربعة وأربعون جاهليون، منهم اثنان من يهودهما: السموأل بن عادياء، وسعية بن الغريض، وسبعة مجهولون ليست لهم في المظان تراجم تكشف عن عصرهم.

وثالث هذه المختارات: حماسة أبي تمام، وجمهرة أشعار العرب.

أما الحماسة فقد بنى اختيار ما فيها من الشعر على أبواب المعاني، فباب لشعر الحماسة، وهو أول الأبواب وأكبرها، وبه سميت المجموعة كلها، وباب للمراثي، وباب للسير والنعاس وباب للملح، وباب لمذمّة النساء. وقد وردت لامية السموأل بن عادياء في باب الحماسة والتي مطلعها:

إذا المرءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

وقد شرحت هذه اللامية في هذا الباب، وقام بشرحها (أي الحماسة) المرزوقي.. وأما جمهرة أشعار العرب، فقد قسم ما فيها من الشعر سبعة أقسام هي: السموط، والمجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي، والمشوبات، والملحات. وهي لأبي زيد القرشي...

ثم كتاب الوحشيات على الحماسة الصغرى تحقيق شاكر..

---

(١) ذلك عددها في الطبعة المصرية بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون، وأحمد محمد شاكر، وأما الطبعة الأوروبية وليم بن آلورد فليس فيها إلا سبع وسبعون قصيدة ومقطعة.

وأغلب ما ورد في جمهرة أشعار العرب والوحشيات مقتطفات ومقطوعات قصيرة من شعر يهود...

سابعاً: معجم الشعراء، والموشح للمرزباني، والمؤتلف والمختلف للآمدي:

وقد ورد في هذه الكتب أسماء كثيرة لشعراء يهود، وخاصة كتاب معجم الشعراء للمرزباني، والمرزباني معروف صدقه وأمانته وحسن أخذه عن الرواة، ولكنه لا يشفي الغليل في ذكر أشعار يهود، فأحياناً يقول مثلاً: عمرو بن صخر بن أبي جرثوم اليهودي أو أبو حمضة جاهلي يقول[1] ثم يذكر له ثلاثة أبيات، ثم يقول عن شاعر آخر: «كعب بن أسد بن سعيد القرظي اليهودي من بني قريظة له مع قيس بن الخطيم في يوم بعاث مناقضات[2] ثم يذكر له خمسة أبيات. ويقول في موضع آخر: القعقاع بن شبت اليهودي، أحد بني قينقاع جاهلي يقول[3] ويذكر له بيتين... وهكذا.

ثامناً: كتب الحديث والتفسير:

مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، والإصابة في معرفة الصحابة، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وتفسير الطبري والروض الأنف وغيرها وقد ورد في هذه الكتب بعض أشعار ليهود قالوا شعراً في صدر الإسلام مثل كعب بن الأشرف النضري، وجبل بن جوال الثعلبي، وسمّاك اليهودي وغيرهم إما لبكاء قتلى بدر من المشركين وذماً للمسلمين وإما

---

(١) نفس المصدر ص٢٥٣.

(٢) معجم الشعراء ص٣٤٣.

(٣) نفس المصدر السابق ص٣٢٩.

لإجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف، وإما لمقتل بني قريظة وكل ذلك كما قلنا في صدر الإسلام...

تاسعاً: المعاجم اللغوية:

وأهمها لسان العرب لابن منظور، وجمهرة اللغة لابن دريد، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وتهذيب اللغة للأزهري... وغيرها...

وقد وردت في هذه المعاجم وخاصة لسان العرب أشعار ليهود منهم السموأل بن عادياء، وكعب بن الأشرف، والربيع بن أبي الحقيق، وخزز بن لوذان، وقيس بن رفاعة، ودرهم بن زيد، كما وردت في المعاجم الأخرى مقتفطات قصيرة لشعراء يهود جاءت كشواهد لغوية.

عاشراً: كتب التاريخ:

وأهم هذه الكتب: تاريخ الطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ثم كتاب حديث وهو: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، والذي أفرد فيه فصلاً في المجلد السادس لشعراء يهود، حيث ذكر فيه شعراً للسموأل بن عادياء، وسعية بن الغريض، وكعب بن الأشرف، وأوس بن دني القرظي وغيرهم.

حادي عشر: كتب الأدب والنحو:

مثل كتاب البيان والتبيين للجاحظ وكذلك كتاب الحيوان للجاحظ، ومعاهد التنصيص وأمالي القالي، وأمالي المرتضي، وأمالي ابن الشجري، وأمالي الزجاجي، وسمط اللآلي، والمزهر للسيوطي، ومن كتب النحو: كتاب سيبويه، والمغني، وشذور الذهب، وخزانة الأدب، والمخصص لابن سيده وغيرها...

وقد وردت في هذه الكتب أشعار ليهود، وردت كشواهد أدبية أو نحوية. . .

جـ- موقف العلماء والرواة والمؤرخين من شعر يهود

يقول الدكتور جواد علي: «روي أن جعفر بن محمد الطيلسي جمع أشعار اليهود في ديوان، ويظهر أنه أخذ ذلك من كتاب للسكري، ويقال: إن الموفق بالله أخا الخليفة المعتمد العباسي، طلب من الوزير إسماعيل بن بلبل أن يقدم إليه ديواناً في شعر يهود فطلب الوزير من العالم اللغوي الأديب «المبرد» أن يقدم إليه ديواناً في شعر يهود، فأخبره المبرد، أنه لا يعرف شعراً لليهود، فأجابه أن لديه ديواناً من شعرهم فقدمه إليه»[1].

وقد كانت بين المبرد وثعلب خصومة شديدة، ومنافسة عنيفة، فلعل هذا الخبر هو من مرويات الجماعة المتعصبة لأحد الطرفين في الطعن في أحدهما، والحط من شأنه فقد تحزّب طلاب العلم، وانقسموا جماعتين، كل جماعة كانت تنتصر لصاحبها، إذ لا يعقل ألا بكون للمبرد علم بشعر لليهود، وقد ذكر من سبقه مثل أبي تمام في حماسته، والجمحي في طبقات فحول الشعراء، كما ورد في الأصمعيات شعر لهم، كما أن في كتابه الكامل نتفاً من شعرهم. أو لعل إنكاره لشعرهم بمعنى أن أكثر ما نسب إليهم من شعر هو في نظره مزيف مصنوع، ولهذا لم يعن بجمع ما ورد عنهم.

والمبرد من الحذاق في الشعر العارفين به، نجد في كتابه الكامل آراء

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٧٠ ط. دار العلم للملايين بيروت.

قيمة في الشعر والنثر، ويذكر الأبيات وأصحابها، ثم يشير إلى الروايات التي روت عنها، والتي تنسبها إلى أشخاص آخرين[١].

وقد كان من كبار الأدباء، ومن الحاذقين في نظم الشعر، حتى ليقال: إنه كان ينظم الأبيات ويضعها على ألسنة الأعراب والشعراء الماضين، ليوردها شواهد لمسائل لغوية معضلة، وحين يسأل عن أمور مشكلة محرجة، يرى أن مما يغض من شأنه ومن مقدرته ألا يجيب عنها: «زعموا أنه ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه، قال له عيسى: أيها الشيخ ما الشاه المجثمة التي نهى النبي ﷺ عن أكل لحمها؟ فقال: هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة. فقال: هل من شاهد: قال: نعم، قول الراجز:

لـم يَبْـقَ مـن آل الحُمَيْدِ نَسَمَـهْ   إلاّ عُنَيْـــزٌ لَجْبَـــةٌ مُجَثَّمَـــهْ

فإذا الحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري، فلما دخل قال له: أيها الشيخ: ما الشاة المجثّمة التي نهينا عن أكل لحمها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبها، وذبحت من خلف قفاها، فقال: كيف تقول، وهذا شيخ أهل العراق - يعني أبا العباس المبرد يقول: هي مثل اللجبة، وهي القليلة اللبن!! وأنشده البيتين، فقال أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه.

فقال صدق الشيخ أبو حنيفة، فإنني أنفت أن أرد عليك من العراق، وذكري ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه[٢].

(١) الكامل للمبرد ج١ ص٦٦.

(٢) إرشاد الأريب ١٢٦/١، أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري.

وقد أوردنا هذا الخبر. وإن كنا لا نستبعد أن يكون من وضع خصوم المبرد، وضعوا أشياء أخرى للطعن فيه - لنوضح مدى علم هذا الرجل، وحذقه، وسرعة بديهته - ومع ذلك يتحرج من ذكر شعر ليهود، كغيره من العلماء والرواة الذين كان منهم من يرى أن رواية نصف بيت لكافر لا تجوز، فقد تحرجوا من رواية أشعار الوثنيين وهم من بني جلدتهم فكيف يروون أشعار كفار ليسوا من بني جنسهم وقومهم...

وهنا مؤرخ عربي حديث يرى في الشعر المنسوب إلى السموأل بن عادياء جزءاً منحولاً مصنوعاً، ووضع عليه، وجزءاً منسوباً إلى غيره، وقد أشار إليه العلماء حيث يقول: «ونحن إذا قمنا بغربلته وتنقيته نجد أقلّه له، وأكثره لغيره، قد يكون من صنعة شاعر آخر، وقد يكون من وضعة الشعر ومفتعليه»[1]. ويتعرض الدكتور جواد علي إلى القصيدة المنحولة المنسوبة للسموأل، والتي أوردها الأب لويس شيخو في مجلة المشرق، والتي نشرها المستشرق الألماني هرشفلد[2]، ثم رواها الأستاذ مرغليوث بالحرف العربي في المجلة الآسيوية الإنجليزية[3] يقول جواد علي معلقاً على هذه القصيدة التي مطلعها:

ألا أيُّها الضَيْفُ الذي عابَ سادَتي ألا اسْمَعْ جوابي لستُ عَنْكَ بغافلِ

وختمت بالبيت:

وفي آخِرِ الأيامِ جاء مسيحُنا فأهْدى بني الدُّنْيا سلامَ التكامُلِ

---

(١) د. جواد علي. تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٣٩ المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦.

(٢) مجلة المشرق ٩/ ٤٨٢.

(٣) نيسان ١٩٠٦ ص٣٦٣.

يقول: هي قصيدة منحولة تختلف في أسلوب نظمها، وفي العرض العام عن طرق النظم المألوفة في الشعر قبل الإسلام، وإلى الشعر المنسوب إلى السموأل، وقد وردت فيها كلمة «رحمانهم» وأشير فيها إلى قصة إبراهيم الخليل والذبيح ابنه، وإلى تسميته بإسرائيل، ثم إلى الأسباط، وقصة بني إسرائيل مع فرعون مصر، وقد أغرق الله فرعون في البحر، وإلى القدس والطور، وأمثال ذلك[1]...

وهذه القصيدة هي ردّ لأقوال رجل يظهر أنه عاب بني إسرائيل، وتهجم عليهم، فأثار هذا التطاول صاحب هذه الأبيات، فنظمها في الرد عليه، وفي الفخر بقومه مستشهداً على ذلك بالقصص الوارد في التوراة عن بني إسرائيل، وعن الأنبياء، إبراهيم وإسحق ويوسف، وختمها بالبيت الأخير عن مجيء المسيح، والذي بشرت التوراة بمجيئه...

والخلاصة: أن علماء الأدب واللغة والنحو القدماء أمثال محمد بن سلام الجمحي والمفضل الضبي، والأصمعي، وأبي الفرج الأصفهاني، وغيرهم، ذكروا أشعار يهود في كتبهم، وهي - على قلّتها - تؤكد وجود هذه الأشعار.

أما الرواة فقد تحرجوا في رواية هذه الأشعار.

وأما المؤرخون المحدثون والعلماء والباحثون المحدثون كذلك فيقفون بين الشك واليقين، فيعترفون بالأشعار التي رواها العلماء الأقدمون الذين سبق ذكرهم ويشكون فيما ورد فيه الشك، واختلف في نسبته ليهود.

وعلى كل حال فالأشعار التي بين أيدينا والتي لا تزيد على ستمائة بيت، من الشعر ليهود ليست مجالاً للشك، فهي قليلة قلة تحيّر الباحث،

---

(١) مجلة المشرق ٩/ ٣٣٣.

ومع ذلك فقد جاء فيها ما يثبت ويوضّح أخلاق هؤلاء القوم وعبادتهم، وأعمالهم في الجزيرة العربية فهم أهل ديانة وعلم، يفتخرون بذلك على جميع الأمم، وهم أصحاب عمل مهني، كان يحتقره العرب مثل الزراعة، والصناعة والسباكة والدباغة والحياكة وغيرها، إلى جانب التجارة والربا، وسوف نسوق نماذج من أشعارهم في الدراسة الموضوعية تبين ذلك. . .

الفصل الثالث

موضوعات شعر يهود في الجاهلية

الفخر - الهجاء - النقائض - الغزل - الحكمة - المدح - الوصف - الرثاء - أغراض أخرى

عرفنا أن اليهود توزعوا في أقطار عديدة بعد أن أصيبوا بالتشريد على أيدي الرومان سنة ٧٠ ميلادية، حيث هاجروا إلى مصر ويثرب وأوروبا وإفريقيا وغيرها من أقطار الأرض، وكانت تميز شخصيتهم ظاهرة العزلة في تلك البلاد التي هاجروا إليها. ويرى الدكتور حسن ظاظا أن هذه الشخصية تقوم على مقومات ثلاثة هي[١]:

أ- التعصب العنصري حول أسطورة خاصة بالأعراق والأنساب.

ب- التعصب الديني حول شريعة اعتبرها اليهود خاصة بهم لأنهم شعب الله المختار.

جـ- حتمية الصراع، وفناء أمم العالم أمام إسرائيل.

وهذه المقومات الثلاثة تدور حول فكرة واحدة هي فكرة الامتياز والاستعلاء **فهم شعب الله المختار**، أو الشعب الأزلي، والشعب الأبدي، وهم شعب مقدس لا يقف أمر قداسته عند طاعة الله وعبادته، بل يتعدى

(١) مجلة عالم الفكر. مقال بعنوان الشخصية الإسرائيلية. العدد الرابع من المجلد العاشر ص٢٨. الكويت.

ذلك إلى إهدار دم الأمم الأخرى، واستباحة أموالها وأعراضها وأوطانها، ولنقرأ من أسفارهم:

«لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم، لا تعط ابنتك لابنه، ولا تأخذ بنته لابنك، لأنه يرد ابنك عني، فيعبد آلهة أخرى، فيتحمى غضب الرب عليكم، ويهلككم سريعاً، ولكن هكذا تفعلون بهم، تهدمون مذابحهم، وتحطمون أنصابهم، وتقطعون سواريهم، وتحرقون أصنامهم بالنار، لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك اصطفى الرب إلهك، لتكون له شعب أخص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض، وليس من كونكم أكثر عدداً، من سائر الشعوب التحم الرب بكم، بل هو اختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب من محبة الرب لكم، وحفظه القسم الذي أقسمه لآبائكم»[1].

من هذا المنطلق يمكننا أن نعرض موضوعات شعر يهود في العصر الجاهلي، فيأتي باب الفخر على رأس هذه الموضوعات، وبالتالي فإن الهجاء يلي الفخر لأن الفخر بالنفس تبعه الهجاء للأعداء. وتتبع بعد ذلك الأغراض التالية، فمن مكانة المرأة عند يهود كما وردت في أسفارهم يأتي الغزل، ثم تأتي بقية الأغراض الأخرى من حكمة ووصف ومدح وغير ذلك، وسنحاول أن نربط هذه الموضوعات من شعرهم بنماذج من أسفارهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

أولاً: الفخر والحماسة

جاء في التلمود: «أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة وأن اليهودي جزء من الله، **فإذا ضرب أمّي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة**

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح الرابع، الآيات من ٢-٨.

الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود، ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم غير اليهود والشعب المختار هم اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهم حيوانات.

ويروى أنه لما قدّم بختنصر ابنته إلى زعيم اليهود ليتزوجها، قال له هذا الزعيم: إني يهودي ولست من الحيوانات، ويعد اليهودُ غيرَ اليهودِ أعداءً لهم ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم، ويلزم التلمود بني إسرائيل أن يغشوا سواهم، فقد جاء فيه، يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين، ودنساً مع الدنسين، ويمنع التلمود أن يحبوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم...»[1].

من هذه العبارات نرى أن الفخر على جميع الشعوب كان عقيدة ليهود وقد كثر في شعرهم في العصر الجاهلي، إلا أن هذا الشعر قد سيطرت عليه المسحة الجاهلية، فلم تظهر آثار معتقداتهم فيه إلا نادراً حيث سلكوا مسلك معاصريهم الجاهليين في معظم الحالات. والفخر هو التمدح بالخصال، ومن مظاهره: الشهامة والمروءة، وتشمل: الإسراع إلى إجابة الداعي، والمستغيث والمكروب، وحماية الذليل، وتأمين الخائف، وإعزاز الجار ومن خير ما قيل في هذا الجانب قول السموأل بن عادياء:

تُعَيِّـرُنـا أنّـا قَلِيـلٌ عَـدِيـدُنـا ... فَقُلْـتُ لهـا إنَّ الكِـرَامَ قَلِيـلُ
ومَـا ضَـرَّنـا أنّـا قَلِيـلٌ وجَـارُنـا ... عَـزِيـزٌ وجَـارُ الأكْثَـرِيـنَ ذَلِيـلُ
ومـا قَـلَّ مَـنْ كـانـت بَقـايـاهُ مِثْلَنـا ... شَبَـابٌ تَسَـامَـى للعُـلا وكُهُـولُ
لنـا جَبَـلٌ يَحْتَلُّـهُ مَـن نُجِيـرُهُ ... مَنِيـعٌ يَـرُدُّ الطَّـرْفَ وهـو كَلِيـلُ

---

(١) روهلنج. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص٤٨-٤٩.

رسا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرى وسما إلى ذُرَى النَّجـمْ فَـرْعٌ لا يُنـالُ طَـوِيـلُ[1]

فهم كرام، عزيز جارهم، وإن قلّ عددهم فالكثرة ليست بعدد الأفراد، ثم إن الكرام قليل كما قال السموأل، وماذا تضرهم قلّتهم ما داموا أعزاء في ديارهم عزيز من يجاورهم، موطنهم منيع الجانب، حصين لا يطمع فيه مغتصب، رسا أصله في الأرض، وارتفع شامخاً إلى عنان السماء يقصر عنه باع من يحاول التغلب عليه.

لقد حقّ لكل مفتخر بنفسه وإعزاز جاره أن يتمثل بقول السموأل هذا. ومن مظاهر الفخر أيضاً: عدم الرضا بالذل أو الإقامة في دار الهوان كقول الربيع ابن أبي الحُقَيْق[2]:

ومـا بَعْـضُ الإقـامَـةِ فـي دِيـارٍ يُهـانُ بِهـا الفَتَـى إلا عَنَـاءُ

ومنها لين الجانب في السلم مع الأقارب، والعنف في الحرب مع الأعداء كقول كعب بن الأشرف يفتخر بخالٍ له[3]:

رُبَّ خَـالٍ لِـيَ لـو أَبْصَـرْتَـهُ سَبِـطَ المِشْيَـةِ أَبّـاءٌ أَنِـفْ[4]
لَيِّـنَ الجَـانِـبِ فـي أقْـرَبِـهِ وعلـى الأعْـداءِ سُـمٌّ كـالـذُّعُـفْ[5]

ومنها المحافظة على تراث الآباء والأجداد، والأمجاد، وإعلاء كلمة القبيلة، ورفع شأنها بالكرم والسخاء، فهذا كعب بن الأشرف يفتخر

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١٠ الأبيات ٣، ٤، ٥، ٦، ٧.
(٢) القصيدة رقم ١ البيت رقم ٤.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيتان ١، ٢.
(٤) سبط المشية: حسن المشية، أباء الأنف عفيف نزيه النفس.
(٥) الذعف: الذعاف سم ساعته.

بقومه فيقول[1]:

وكـــرامٌ لـــم يَشِنْهُـــمْ حَسَـــبٌ ... أهـــلُ عِـــزٍّ وَحِفـــاظٍ وَشَـــرَفْ
يَبْـــذلـــونَ المـــالَ فيمـــا نَـــابَهُـــم ... لِحُقـــوقٍ تَعْتـــريهـــمْ وَعُـــرُفْ
وليـــوثٍ حيـــن يَشْتَـــدُّ الـــوَغَـــى ... غيـــرَ أنْكَـــاسٍ ولا مِيـــلٍ كُشُـــفْ
فَهُـــمُ أهْـــلُ سَمَـــاحٍ وَقِـــرىً ... وحِفَـــاظٍ لـــم يُعَـــابـــوا بِصَلَـــفْ[2]

ومن مظاهر الفخر أيضاً: الشجاعة، وهي تشمل الفخر بما في البطل من جرأة وإقدام، فهو لا يخاف في أشد المواقف، ولا يحتمي بغير السلاح، ويشهد الغارات والحروب، المملوءة بالأبطال والخيل الجياد والأسلحة المرهفة، يتقدم نحو الأعداء بشجاعة وحماسة، يقول سعية بن الغريض متمثلاً هذه المعاني[3]:

إذا انْتَحَيْـــتُ لِأَقْـــوَامٍ تَـــرَكْتُهُـــمُ ... مِثْلَ الجَرادِ تَنَزَّى من أذى الرَّمضِ[4]
أَرْمِيهـــمُ بـــالأذى حتّـــى تَخـــالَهُـــمُ ... مَرْضَى سُلاَلٍ وما بالقَوْمِ مِنْ مَرَضِ
أرمى المَذَاكي لمَا أرْعى على جَذَعٍ ... ولا ثَنِيٌّ كما يُرْمى مدى الغَرَضِ[5]

ومن صور الشجاعة: الإقدام على القتال في حب الموت لذات الموت، فليس القتال في ذلك عاراً عندهم، فهم يموتون في ميدان القتال، وعلى حدّ السيوف، وبذلك تقصر أعمارهم، بينما تطول أعمار

---

(١) القصيدة رقم ٢ الأبيات ٣، ٤، ٥، ٦.
(٢) صلف: كبرياء وغرور.
(٣) التحقيق قصيدة رقم ٤ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٤) تنزى، النزاء: الوثب.
(٥) المذاكي: المواضع التي توضع عليها آلة الذبح، الجذع: الصغير السن وهو ما كان له ستتان في البقر، والثني: بعده.

غيرهم الجبناء، ويتمثل السموأل هذه المعاني فيقول مفتخراً[1]:

وإنّا لَقَوْمٌ ما نَرَى القَتْلَ سُبَّةً ... إذا ما رَأتْهُ عامِرٌ وَسلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنَا لنا ... وَتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطُولُ
وما ماتَ منَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أنْفِهِ ... ولا طُلَّ منّا حَيْثُ كان قَتِيلُ[2]
تَسِيلُ على حَدِّ الظُّبَاةِ نُفُوسُنا ... وَلَيْسَتْ على غَيْرِ الظُّبَاةِ تَسِيلُ[3]

ويبرهن السموأل على دعوى شجاعته فيستطرد في أبياته فيقول[4]:

وأيامُنا مَشْهورَةٌ في عَدُوِّنا ... لها غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وحُجُولُ[5]
وأسيافُنا في كلِّ يومِ كَرِيهةٍ ... بها من قِراعِ الدَّارِعينَ فُلُولُ[6]
معوّدةٌ ألا تُسَلَّ نِصَالُهَا ... فَتُغْمَدَ حتّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ

ومن مظاهر الفخر والحماسة كف الإساءة، فهذا قيس بن رفاعة يكف نفسه عن الحاقدين عليه مع قدرته على تأديبهم والإساءة إليهم، كيف لا وسيفه صارم لا عيب فيه إلا أنه من أصل يمنعه من الإساءة للآخرين، على حد ادعائه - فيقول[7]:

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١٠ الأبيات ٨، ٩، ١٠، ١١.
(٢) قتيل: بطل دمه وضاع هدراً.
(٣) الظباة: جمع ظبة وهي حد السيف.
(٤) قصيدة رقم ١٠ الأبيات ١٥، ١٦، ١٧.
(٥) الغرر: جمع غره، وهي بياض في جبهة الفرس، والحجول: جمع حجل وهو البياض في قوائم الفرس.
(٦) يوم الكريهة: يوم القتال، والقراع: القتال والضرب، والدارعون: لابسو الدروع، والفلول: جمع فل: وهو الثلم في حد السيف.
(٧) التحقيق. قصيدة ٢ البيتان ١، ٣.

وذي ضِغْـنٍ كَفَفْـتُ النَّفْـسَ عَنْـهُ وكُنْـتُ علـى مَسـاءَتِـه مُقيـتُ[1]
وسيفـي صـارمٌ لا عيـبَ فيـهِ ويَمْنَعُنـي مـن الـرَّهَـق النَّبيـتُ[2]

ومن مظاهره التفاخر بكرم المحتد والتسلسل من آباء فحول وأمهات أطهار يقول السموأل[3]:

صَفَوْنـا فلَمْ نَكْدُر وَأَخْلَص سِرَّنـا إنـاثٌ أطـابَـتْ حَمْلَنـا وفُحُـولُ
عَلَـوْنـا إلـى خيرِ الظُّهـورِ وَحَطَّنـا لِـوَقْـتٍ إلـى خيرِ البُطُـونِ نُـزُولُ

ومنها الافتخار بالسيادة على القبائل، وأن هذه السيادة كانوا يتوارثونها كابراً عن كابر، ويتبع كل خلف سلفه في انتهاج نهج الكرماء فيقول السموأل في ذلك[4]:

وَنُنْكِرُ إن شِئْنا على النَّاسِ قَوْلَهـم ولا يُنْكِـرُونَ القَـوْلَ حِيـنَ نَقـولُ
إذا سَيِّـدٌ منـا خَـلا قـامَ سَيِّـدٌ قَـؤُولٌ لِمـا قـالَ الكِـرامُ فَعـولُ

ومن مظاهر الفخر أيضاً: القوة، وتحذير الأعداء وإرهابهم، ومن ذلك قول قيس بن رفاعة[5]:

مَـنْ يَصْـلَ نـاري بِـلا ذَنْـبٍ ولا تِـرَةٍ يَصْلَـى[6] بِنـارِ كَـريـمٍ غَيْـرِ غَـدّارِ
أنـا النّـذيـرُ لَكُـمْ منـي مُجـاهَـرَةٌ كـي لا أُلامَ علـى نَهْـيٍ وإنـذارِ

---

(١) مقيت: مقتدر.
(٢) الرهق: الخفة إلى الشر والإسراع إليه، النبيت: الأصل.
(٣) قصيدة رقم ١٠ البيتان ١٢، ١٤.
(٤) التحقيق قصيدة رقم ١٠ البيتان ١٩، ٢٠.
(٥) التحقيق قصيدة رقم ٣ البيتان ١، ٢.
(٦) الصحيح: يصل، جواب الشرط مجزوم وجاءت «يصلى» هكذا لئلا يكسر البيت.

ثم يهدد ويفتخر بقوته، وأنه يدرك ثأره من أعدائه دون أن يستطيعوا هم ذلك فيقول[1]:

وصاحبُ الوِتْرِ ليس الدَّهْرُ يُدْرِكُهُ   عِنـدي وإنّـي لَـدَرّاكٌ بـأوْتـاري[2]

والتهديد والوعيد، وإلهاب المعركة بالطعن والقتل من مظاهر الفخر، فهذا سِمَاك اليهودي يهدد بعد قتل كعب بن الأشرف وإجلاء بني النضير عن يثرب فيقول[3]:

فـإنْ لَـمْ أَمُـتْ نَـأْتِكُـم بـالقَنَـا   وكُـلِّ حُسَـامٍ معـاً مُـرْهَـفِ
مـع القَـومِ صَخْـرٌ وأَشْيـاعُـهُ   إذا غـادَرَ القَـوم لـم يُضْعَـفِ[4]
كليـثٍ بِتَـرْجِ حِمَـى غَيْلِـهِ   أخِـي غـابَـةٍ هـاصِـرٍ أجْـوَفِ[5]

وعلى كل، فالتهديد والوعيد ما هما إلا نوع من الضعف، وخاصة عندما تظهر نبرة اليأس فيه، كما يدل على ذلك قول مرحب اليهودي الخيبري، وهو فارس من فرسان يهود خيبر، خرج عندما حاصر المسلمون حصون خيبر، وقد جمع سلاحه يدعو المسلمين للمبارزة وهو يقول[6]:

قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أنّـي مَـرْحَـبُ   شـاكـي السِّـلاحِ بَطَـلٌ مُجَـرَّبُ
أطْعَـنُ أحيـانـاً وَحِينـاً أَضْـرِبُ   إذا اللُّيـوثُ أقْبَلَـتْ تَحَـرَّبُ

---

(١) القصيدة رقم ٣ البيت رقم ٧.
(٢) الوتر: الثأر.
(٣) التحقيق: قصيدة رقم ٣ الأبيات ٥، ٧، ٨.
(٤) صخر: هو أبو سفيان بن حرب زعيم قريش.
(٥) ترج: جبل بالحجاز تنسب إليه الأسود والغيل: جمع غيلة وهي أجمة الأسد، والهاصر: الذي يكسر فريسته، والأجوف: العظيم الجوف.
(٦) التحقيق: مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

إنَّ حِمَــــايَ لَلْحِمَــــى لا يُقْــرَبُ   يُحْجِـمُ عــن صَــوْلَتِـيَ المُجـرَّبُ

فلما قتله علي بن أبي طالب، رضي الله عنه - خرج أخوه ياسر وهو يقول[1]:

قــدْ عَلِمَــتْ خَيْبَــرُ أنــي يــاسِــرُ   شــاكِــي السِّــلاح بَطَــلٌ مُغــاورُ
إذا اللُّيُــــوثُ أقْبَلَــــتْ تُبَــــادِرُ   ما أحْجَمَتْ عن صَوْلتي المخَاطِرُ
إنَّ حِمَــــايَ فيــــهِ مَــــوْتٌ حَــــاضِــــرُ

فقد برزت نبرة اليأس، ومع ذلك فالتهديد، ومحاولة التشجع والتفاخر واضحة. وهذا كعب بن أسد بن سعيد القرظي يهدد الأوس[2] فيقول[3]:

لا تَعْـدَمُ الأوسُ منـا فـي مـواطِنِهـا   ناباً لِمَنْ نابَها في الحَرْبِ مَيْمُونا
لا نَسْتَخِـفُّ إذا كـان الصَّبَـاحُ ولا   نُعْطـي السَّـوَابِـغَ إلا أهْلَهـا فِينـا

وهكذا كان الفخر والحماسة في شعر يهود دِفاعاً عن كيانهم الديني والقومي والاقتصادي حيث أنهم كما سبق أن ذكرنا كانوا يعيشون في حصون خاصة بهم، منعزلين عن غيرهم وهم الشعب المختار، يخشون الاندماج فيمن حولهم حتى لا يذوبوا في غيرهم ويجب أن يبقى هذا الشعب متميزاً عن البشر جميعاً - على حد زعمهم -.

ذلك هو الفخر عند شعراء اليهود، فيه اعتزاز بجنسهم وعنصرهم، واحتقار لمن سواهم من الناس، بل إن الناس جميعاً - كما تصور كتبهم الدينية - قد خلقوا لخدمتهم - وتلك هي أبرز السمات في شعرهم.

---

(١) التحقيق: مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) أصلها من الأزد، هاجرت من اليمن إلى يثرب هي وقبيلة الخزرج بعد انهيار سد مأرب.
(٣) التحقيق مقطوعة رقم ٢.

ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن وجودهم في المجتمع العربي بين قبائل همها غزو بعضها البعض، قد جعلهم ينحازون لهؤلاء أو لهؤلاء، كما جعلهم يتفاخرون بما تفاخر به معاصروهم، من الكرم، والنجدة، وحماية الجار، وشرف المحتد والافتخار والشجاعة وبكرم الأصل، وغير ذلك مما وردت الأمثلة عليه، بحيث لا يُحتاج إلى تكرارها، ويكفي أن نتذكر مرة أخرى لامية السموأل المشهورة ليتضح صدق ما نذهب إليه.

ثانياً: الهجاء

يقصد بالهجاء تلك الصفات التي ذم بها الشاعر أعداءه من غير أقاربه، ويقصد بالأقارب عند اليهود اليهود جميعاً، أما غير اليهود فيعدهم اليهود أعداءً لهم يباح قتلهم، وسلب أموالهم بل إن التلمود كما ذكرنا «يمنع اليهود أن يحبوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم»[1].

ومن هذا المنطلق فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وبقية الأمم والشعوب حيوانات كما ورد في أسفار العهد القديم. لذلك فهم يهجون جميع الأمم والشعوب من غير اليهود.

أما إذا لم يستحسن اليهودي شيئاً من خصومه الذين هم من يهود فيمكن أن نسمي ذلك التوبيخ أو اللوم أو العتاب.

ومن أساليب الهجاء ذكر صفاتٍ للمهجو تتسم بالخزي والعار، وتجريده من البطولة، والإيقاع به، واتهامه بالضعف والجبن، والفرار من القتال، ورميه بالقبيح من الأفعال وغير ذلك.

ومن أمثلة الهجاء في شعر يهود في العصر الجاهلي، ما قاله

---

(١) انظر فهلنج. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص٤٨، ٤٩.

الربيع بن أبي الحُقَيْق حين رمى قوماً من غير يهود بأقبح الصفات، وشبههم بأرذل الخصال حيث يقول[1]:

قَلِيـلٌ غَنَـاؤهُـمُ فـي الهِيَـاجِ ... إذا مـا تَنـادَوْا لأمْـرٍ شَـدِيـدْ
وَأنْتُـم كِـلابٌ لَـدَى دورِكُـم ... تَهِـرُّ هُـرورَ العَقُـورِ الـرَّصُـودْ[2]
وأنْتُـم ظَـرَابِـيٌّ إذ تَجْلِسُـونَ ... ومـا إنْ لنـا فِيكُـمُ مـن نَـديـدْ[3]
وَأنْتُـم تُيُـوسٌ، وقـد تُعـرَفُـونَ ... بِـرِيـحِ التُّيُـوسِ وَقُبْـحِ الخُـدُودْ

فقد وصفهم بالجبن، ثم اعتبرهم حيوانات، وهذا من اعتقاد اليهود أن جميع الأمم بالنسبة إليهم حيوانات، حيث أكّد ذلك بذكره الألفاظ الدالة على ذلك فهذه: الكلاب، والظرابي، والتيوس، وغيرها.

ويقول أيضاً في هجاء قوم آخرين[4]:

رَأَيْتُ بني العَنْقاءِ زالوا وَمُلْكَهُم ... وآبوا بأنفٍ في العشيرةِ مُرْغَمِ[5]
فـإن يُقْتَلـوا نَنْـدَمْ لـذاك وإنْ بَقَـوْا ... فـلا بُـدَّ يَـوْمـاً مـن عُقـوقٍ ومَـأْثَـمِ

أما سعية بن الغريض فيهجو بأسلوب قاسٍ يصل إلى الموتى تحت الثرى، وبأن هؤلاء الموتى شرار من تحت الثرى حيث يقول[6]:

أَحْيـاؤُهُـمْ خِزْيٌ علـى أمْـواتِهِـم ... والمَيِّتُونَ شِرارُ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى

---

(١) التحقيق قصيدة رقم ٣ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤.

(٢) هرير وهرور الكلب: صوته، والرصود: الرصد يعني الترقب كالحية التي ترصد لتلسع.

(٣) ظرابي: حيوان نتن الريح: نديد: مثيل.

(٤) التحقيق. مقطوعة رقم ١٢ البيتان ١، ٢.

(٥) بني العنقاء: أي أصحاب الحول والطول.

(٦) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ٦.

أما سمّاك فَيَحْقر غيره من غير اليهود وهم عرب الجاهلية، ويرميهم بالجهل، ورعي الشياه العجاف في سهل تهامة[1] وغيرها فيقول[2]:

وَأَنْتُـم رِعـاءٌ لِشـاءٍ عِجـاف	بِسَهْـلِ تِهـامَـةَ والأَخْيَـفِ
تَـرَوْنَ الـرِّعَـايَـةَ مَجْـداً لكـمْ	كَـذا كُـلُّ دَهْـرٍ بِكـمُ مُجْحِـفِ

والحقيقة أنهم لا يعدُّون عرب الجاهلية فحسب أميين، بل يعدُّون كل من سواهم من غير اليهود أميين، حيث ورد في التلمود «أن الإسرائيلي[3] معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهودي جزء من الله، فإذا ضرب أمّيٌّ إسرائيلياً فكأنما ضرب العزّة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان ودرجة الحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود. . .»[4] فهم يعدُّون جميع الناس بالنسبة ليهود أميين.

ويصل الذم إلى الجيران الذين تُوصي جميع الشرائع والقيم باحترامهم، والذين يفتخر أحد شعراء يهود وهو السموأل - بحمايته لهم، ولكن اليهود كما ذكرنا يحتقرون جميع البشر، ولذلك يتطاول أحدهم وهو عمرو بن أبي صخر أبي جرثوم اليهودي على جيرانه فيذمهم، ويرميهم بالكسل وحب الرُّقاد والناس يعملون فيقول[5]:

أَشَـطَّ بِجيـرانِـكَ المَنْـزِلُ	أم انْـتِ لِبَيْنِهـمُ مُثْقَـلُ
مَـرَاقِيـدُ حيـنَ يُحَـبُّ الـرُّقَـادُ	إنْ أَخْصَـبَ النـاسُ أو أَمْحَلـوا

---

(١) سهل تهامة: في الحجاز كان العرب يرعون الشياه فيه.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيتان ٢، ٣.

(٣) الإسرائيلي معناها المنتسب إلى إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، أما اليوم فإن الكلمة أخذت معنى أوسع وهو المنتسب إلى ما يسمى بدولة إسرائيل.

(٤) فهلنج - الكنز المرصود في قواعد التلمود ص٤٨.

(٥) التحقيق: قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٣.

وقد زاد حقد اليهود على المسلمين وعلى دعوة رسول الله ﷺ مع أنهم كانوا يستفتحون على المشركين من العرب قبل الإسلام، ويقولون لهم، سيبعث رسول نؤمن به، فلما جاءهم كفروا به، لا تكذيباً بما عندهم ولكن حسداً من عند أنفسهم فهذا أبو عفك اليهودي يسيل كلامه في هجاء رسول الله ﷺ ودعوته حقداً وحسداً يقول[1]:

لقـدْ عِشْـتُ حِينـاً ومـا إنْ أرَى	مِـنَ النَّـاسِ داراً ولا مَجْمَعـا
أجَـمَّ عُقـولاً وآوَى إلـى	مَبِيـتِ سُـرَاهـا إذا مـا دعـا[2]
فَسَلَّبَهُـم أمْـرَهُـم رَاكِـبٌ	حَـرَامـاً حَـلاَلاً بشتَّـى معـا
فلـو كـان بـالمُلْـكِ صَـدَّقْتُـمُ	وبـالنَّصْـرِ تـابَعْتَـمُ تُبَّعـا

وأما مالك بن عمرو، فإنه يتهدد الذين يُنْذرون دَمَه، ويهجوهم بأن يعتبر ذلك التهديد عجزاً منهم وجبناً فيقول[3]:

أُنبِئْتُ حيّاً وَعَـوْفـاً يُنْـذِرُونَ دَمِـي	وذاكَ مِـن قلَّـةِ الأحْـلامِ والخُـرُقِ[4]
مهـلاً وَعيـديَ مهـلاً لا أبـا لَكُـمُ	إن الـوَعيدَ سِلاحُ العـاجِزِ الحَمِـقِ
كـي لا يَنـالَكُـمُ كَيْـدِي وَمَقْـدِرَتـي	فَقَـدْ تُحَـاذَرُ منـي زَلَّـةُ الغَلِـقِ[5]

ومع غرور اليهود، وتميزهم عن كل شعوب الدنيا، واحتقارهم لجميع الأمم، واختيارهم للألفاظ الدالة على الحيوانات، يهجون بها غيرهم إلا أنهم تأثروا بمن حولهم في بعض الأحيان حيث ذكروا صفاتٍ للمهجو غير الحيوانات مثل اللؤم وعيب الجسم، وسوء الخلق والجبن وغير

---

(١) التحقيق: مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤.

(٢) أجم الأمر والفراق: دنا وحضر.

(٣) التحقيق مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

(٤) الخرق: الكذب.

(٥) الغلق: سيىء الخلق، الكثير الغضب وضيق الصدر.

ذلك، وهذا مثال آخر غير النماذج السابقة الدالة على ما نقول، يقول نجاد الخيبري في هجاء رجل ويصفه بصفاتٍ سيئةٍ يقول[1]:

عِضٌّ لَئِيمُ المُنْتَمى والعُنْصرِ[2]
ليس بِجِلْحَابٍ ولا هَقَوَّرِ[3]
لكنه البُهْتُرُ وابنُ البُهْتُرِ[4]

ويقول أيضاً[5]:

لمّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ العَمَلَّطا
يَأْكُلُ لَحْماً بائِناً قد ثَعِطا
أَكْثَرَ مِنْهُ الأكلَ حتى جَرِطا

فهو كما نرى يهجو بصفات الحيوانات، ويهجو بغيرها...

وأما إذا ألجأتهم الظروف إلى هجاء بعضهم البعض، فكانوا - كما ذكرنا - يتلاومون بنوع من التوبيخ والعقاب. ومن أمثلة ذلك ما قاله الربيع بن أبي الحقيق في لوم إخوانه من بني النضير وبني قريظة الذين أعملوا السيف في رقاب إخوانهم بني قينقاع لانضمام هؤلاء عليهم إلى الخزرج، فقال يلومهم ويوبِّخهم:

سَئِمْتُ وأصبحت رَهْنَ الفِرا ... شِ من جُرْمِ قَومي ومِنْ مَغْرَمِ
وَمِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النُّهى ... وَعَيْبِ الرَّشَادِ وَلَمْ يُفْهَمِ

---

(١) التحقيق. مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

(٢) العض: الرجل الداهية.

(٣) الجلباب وكذا الهقور: الطويل.

(٤) البهتر: جمع بهاتر وهو القصير من الإبل.

(٥) التحقيق: مقطوعة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.

فَلَـوْ أنَّ قـومـي أطـاعـوا الحَليـمَ ... لَـم يَتَعــدَّوْا وَلَــم يُظْلَـمِ
ولكـنَّ قَـوْمِـي أطـاعُـوا الغُـوا ... ةَ حتـى تَعَكَّـسَ أهْـلُ الـدَّمِ
فَـأوْدى السَّفِيـهُ بـرأيِ الحَلِـ ... ـيمِ وانْتَشَـرَ الأمْـرُ لـم يُبْـرَمِ

هذا هو الهجاء عند شعراء يهود وهو ينطلق - كما رأينا - من المبدأ الذي انطلق منه الفخر عندهم. إذ المقصود به احتقار كل من سواهم من الناس، وإلباسهم صفات لا تليق إلا بالحيوانات وذلك مما يلائم اعتقاداتهم في الناس من غير عنصرهم. فهم جهلة أميون، رعاء شياه أقل من مستوى يهود، لا يدينون بدين كما يدين يهود وغير ذلك، ولكن البيئة التي عاشوا فيها قد فرضت عليهم التهاجي بما كان يتهاجى به معاصروهم من التعيير بالجبن:

وَنَحْـنُ أنـاسٌ لا نَـرى القَتْـلَ سُبَّـةً ... إذا مـا رَأَتْـهُ عـامِـرٌ وَسَلُـولُ

والتعيير بعدم إعزاز الجار:

ومـا ضَـرّنـا أنّـا قَلِيـلٌ وجـارُنـا ... عَـزِيـزٌ وجـارُ الأَكْثَـرِيـنَ ذَلِيـلُ

والتعيير بالعجز كالتهديد والوعيد وخلافه: «إن الوعيد سلاح العاجز الحَمق. وغير ذلك مما كان تتهاجى به القبائل العربية من معاصريهم».

ثالثاً: النقائض

النقائض فن جاهلي قديم اقتضى ظهوره في أشعارهم وجود التنافر والحروب بين القبائل بعضها البعض.

وقد نشأ تالياً للفخر والهجاء لأنه منهما يستمد أركانه، إذ يفتخر أحدهم بنفسه وبقبيلته، ويهجو خصومه، فينبري له منهم من يرد عليه ويناقضه.

وقد ظهر هذا الفن في شعر يهود في العصر الجاهلي، ثم اتضح ظهوره في صدر الإسلام عندما بدأت المعارضة الشديدة، والصراع العنيف بين الإسلام وكل من عاداه، وكان اليهود على رأس هؤلاء الأعداء. ومن الذين قالوا شعراً يعارض المسلمين ويعد من فن النقائض كل من كعب بن الأشرف النضيري، وجبل بن جوال الثعلبي، وسماك اليهودي، وأوس بن دني القرظي، وغيرهم.

فلما أصيب أصحاب بدر من المشركين، فزع كعب بن الأشرف لقتل أشراف العرب - كما قال - وملوك الناس، فزع لهم لا حُبّاً فيهم، بل لخوفه على مكانة قومه من يهود يثرب، فكان أن أتى مكة، ونزل على عبد المطلب بن وداعة السهمي وجعل يُحرّض على الرسول ﷺ، وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر ويقول[1]:

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ ... وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَعُ[2]
قُتِلَتْ سَرَاةُ القَوْمِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ ... لا تبعدوا إنّ المُلُوكَ تُصَرَّعُ[3]
كَمْ قَدْ أُصيبَ بِهِ من ابيضَ مَاجِدٍ ... ذِي بَهْجَةٍ يأوي إلَيْهِ الضُيَّعُ
طَلْقُ اليَدَيْنِ إذا الكواكِبُ أخْلَفَتْ ... حَمَّالُ أثقالٍ يَسودُ وَيَرْبُعُ[4]

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري على نفس البحر والقافية والروي[5]:

أَبَكَى لكعبٍ ثُمَّ عُلّ بعَبْرَةٍ ... فيهِ وعاش مُجَدَّعا لا يسمعُ
ولقد رأيتُ ببطنِ مكَّةَ منهُمُ ... قَتْلَى تسحُّ لها العيونُ وتدمعُ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤.

(٢) رحى الحرب: مجتمع القتال، وتستهل: تسيل بالدمع.

(٣) سراة القوم: سادتهم.

(٤) يربع: يأخذ ربع الغنيمة وهي عادة الرؤساء في الجاهلية.

(٥) ديوان حسان تحقيق المرزوقي. الواقدي: المغازي ص١٨٦.

فـابكـي فقـد أبكيـتَ عبـداً واضعـاً شَبَـهَ الكُلَيْـبِ إلـى الكُلَيْبَـةِ يتبـعُ
ولقـد شفـى الـرحمـنُ منـا سَيِّـدا وأهـان قـومـاً قـاتلـوه وصَـرَّعـوا

تتضمن أبيات كعب بن الأشرف بكاء على القتلى، وتحريضاً للأحياء أن ينقذوا المدينة من المهاجرين والأنصار.

والحقيقة أن كعب بن الأشرف - كما ألمحنا - لا يبكي قتلى قريش حزناً عليهم فاليهود - كما ذكرنا - يعدّون الأمم من غيرهم حيوانات لا قيمة لها، فكيف يصف كعب هنا العرب بأنهم أشراف الناس وملوكهم - إنها المصلحة والمنفعة، والخوف على مصالح يهود في المدينة، فقد كانوا يحالفون هؤلاء القوم خشية الضرر.

ولما أراد بنو النضير من اليهود الغدر بالرسول ﷺ سنة أربع هجرية أجلاهم إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، فكان أشرافهم الذين ساروا معهم إلى خيبر سلاّم بن أبي الحُقَيْق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، وحيي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهْلُها، وقد صوّر الشعر هذا الحادث وما لابسه تصويراً حسناً نشير فيه إلى ما يتصل بموضوعنا:

قال رجل من المسلمين قيل هو علي بن أبي طالب في هذا الإجلاء من قصيدة له[١]:

ألستـمْ تخـافـونَ أدنـى العـذابِ ومـا آمـنَ اللهُ كـالأخـوَفِ
وأن تُصْـرَعـوا تحـتَ أسيـافِـهِ كَمَصْـرعِ كعـبِ أبـي الأشْـرَفِ
وأجْلَـى النَّضِيـرَ إلـى غُـرْبَـةِ وكـانـوا بـدارِ ذَوِي زُخْـرُفِ[٢]

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص٢٠٧.
(٢) الزخرف: الزينة وحسن التنعيم.

إلـــى أَذْرِعَـــاتٍ رُدَافَـــى وهُـــمْ   علـــى كـــلِّ ذي دُبُـــرٍ أعْجَـــفِ[1]

فأجابه سِمَاكُ اليهودي مناقضاً فقال[2]:

إن تَفْخَـــروا فَهـــو فَخْـــرٌ لَكُـــمْ   بِمَقْتَـــلِ كَعْـــبِ أبـــي الأشـــرفِ
فَعَـلَ اللَّيـالـي وَصَـرْفَ الـدُّهُـورِ   يُـديـلُ مـن العـادِلِ المُنْصِـفِ[3]
بِقَتْـــلِ النَّضِيـــرِ وأحْـــلافِهـــا   وَعَقْـــرِ النَّخِيـــلِ ولـــمْ تُقْطَـــفِ
فـإن لَـم أمُـتْ نَـأتِكُـمْ بـالقَنَـا   وكُـــلِّ حُســـامٍ معـــاً مُـــرْهَـــفِ

فقد تضمنت الكلمة الأولى اعتزازاً بالمسلمين الآمنين وسخرية باليهود وتهديداً ووعيداً، وإشارة إلى مصرع كعب بن الأشرف الذي أهدر الرسول ﷺ دمه بسبب فحشه وتعريضه بنساء الرسول ﷺ ونساء المسلمين، وقد قتله محمد بن مسلمة، ورهط من المسلمين بأمر من الرسول ﷺ. . . وكذلك إلى إجلاء بني النضير بسبب غدرهم ومحاولتهم قتل رسول الله ﷺ عندما ذهب إليهم يطلب منهم المشاركة في دفع دية قتيلي بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمري للجوار الذين كان رسول الله ﷺ عقد لهما. . . وكان النقض متضمناً غدر المسلمين بكعب - على حد ادعاء سماك - وانتظار هزيمة المسلمين لما نكلوا ببني النضير، وتهديدهم بالثأر.

والمعاني متقابلة متوازية تتركز من الجانبين على التربص والعدوان، وتظهر روح الدين. وتظهر بوضوح قوة المسلمين أمام اليهود، وأنهم

(١) أذرعات: موضع بالشام وتسمى اليوم (درعا) ردافى: أي مرتدفين يردف بعضها بعضاً ومفردها ردفى. وذو دبر أعجف: يعني جملاً، ودبر: جرح. والأعجف الهزيل الضعيف.
(٢) التحقيق: قصيدة رقم ٣ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥.
(٣) العادل المنصف: هو رسول الله ﷺ.

ليسوا كما يدعي أحبارهم وأسفارهم وشعراؤهم الذين يقولون بأن العرب جهلة أميون، وربما كان لذلك الرأي شيء من الوجاهة قبل الإسلام، أما وقد اعتنقوا الدين الجديد فقد ظهرت قوتهم وعظمتهم وعزوا بالإسلام فأعزهم الله.

ويظهر الجدل بوضوح بين اليهود والمسلمين، وقد صور القرآن جوانب كثيرة من هذا الجدل، وكذلك صور الشعر هذا الجدل في نقائضه، فهذا كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف فيقول[1]:

لقـدْ خَـزِيَـتْ بِغَـدْرَتِهـا الحُبُـورُ ... كذاكَ الدَّهْرُ ذو صَرْفٍ يدورُ[2]
وذلــكَ أنّهــم كفــروا بِــرَبٍّ ... عــزيــزٍ أمْــرُهُ أمــرٌ كبيــرُ
وقــد أوتــوا معــاً فَهْمــاً وعِلْمــاً ... وجــاءَهُــمُ مــن اللهِ النَّــذيــرُ
نــذيــرٌ صــادقٌ أدّى كِتــابــاً ... وآيــاتٍ مُبيَّنَــةً تُنِيــرُ

فأجابه سِمَاك اليهودي:

أرِقْــتُ وضَــافَنِــي هَــمٌّ كبيــرُ ... بليــلٍ غَيْــرُهُ ليــلٌ قصيــرُ
أرى الأحْبــارَ تُنْكِــرُه جميعــاً ... وَكُلُّهُــمُ لَــهُ عِلْــمٌ خبيــرُ
وكــانــوا الــدّارِسيــنَ لِكُــلِّ عِلْــمٍ ... بِــهِ التَّــوْراةُ تَنْطِــقُ والــزَّبُــورُ
قَتَلْتُــم سَيِّــدَ الأحْبــارِ كَعْبــاً ... وَقِــدْمــاً كــان يَــأْمَــنُ مَــنْ يُجيــرُ
فَقَــدْ وَأبِيكُــمُ وأبــي جَميعــاً ... أُصِيبَــتْ إذ أصيــبَ بــه النَّضِيــرُ

لقد ظهر الجدل الذي يقوم على فن النقائض واضحاً في هذا الشعر، ولقد اعترف كعب بن مالك بثقافة الأحبار وعلمهم، ولكنهم - لحقدهم وحسدهم للرسول وللمسلمين كذبوا دعوة الإسلام، وهذا جحود منهم بل

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص٢٠٩.

(٢) الحبور: جمع حبر وهم الأحبار علماء اليهود.

هو عناد وكفر وحسد وضغينة فكعب يذكر رسول الله ودعوته وكتابه، وسماك اليهودي يذكر الأحبار وعلمهم والتوراة والزبور، ثم يذكر سيد الأحبار كعب بن الأشرف وماله من مكانة في قومه حيث كان يجير المستغيث...

ويستمر الجدل بين الشاعرين على نفس البحر فيستطرد كعب بن مالك قائلاً:

فلما أُشْرِبوا غَدْراً وكُفْراً ... وحاد بهم عن الحق النُّفُورُ
أرى اللهُ النبيَّ بِرأْيِ صِدْقٍ ... وكان اللهُ يحكمُ لا يجورُ
فغودِرَ منهمُ كعباً صَريعاً ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ[1]
وأَجْلَوْا عامِدِينَ لِقَيْنُقَاعٍ ... وغُودِرَ منهمُ نَخْلٌ ودُورُ[2]

فأجابه سماك اليهودي[3]:

فإنْ نُسْلِمْ لَكُم نَتْرُكْ رِجالاً ... بِكَعْبٍ حَوْلَهُم طَيْرٌ تَدورُ
كأنَّهُمُ عَتَائِرُ يَوْمِ عيدٍ ... تُذَبَّحُ وهي ليس لها نكيرُ
بِبِيضٍ لا تُلِيقُ لَهُنَّ عَظْماً ... صَوافي الحَدِّ أَكْثَرُها ذُكورُ[4]
كما لا قَيْتُمُ من بأسِ صَخْرٍ ... بأُحْدٍ حيثُ ليسَ لكمْ نَصِيرُ[5]

لقد غدر اليهود (يهود بني النضير) وحاولوا قتل الرسول ﷺ وهو تحت الجدار عندما ذهب يطلب دية قتلى بني عامر فأراه الله محاولة

---

(١) كعبا: المقصود كعب بن الأشرف سيدهم وشاعر بني النضير.
(٢) عامدين: قاصدين، قينقاع: قبيلة من اليهود كانت تسكن المدينة.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٨، ٩، ١٠، ١١.
(٤) لا تليق: لا تبقي.
(٥) صخر: هو أبو سفيان بن حرب زعيم قريش.

غدرهم فأجلاهم وأهدر دم سيدهم ابن الأشرف الذي اعتدى على المسلمين بشعره حتى وصل إلى نسائهم في شعره وغزله الكيدي وقد ذلّوا بمصرعه وأجلوا من أماكنهم وقطعت أشجارهم وهدمت مبانيهم...

فجاء سماك يهدد ويتوعد بأنهم سيقتلون ويذبحون المسلمين بمساعدة قريش لهم وسوف يلاقون البأس الشديد كيوم أحد حيث تعرض المسلمون للمهالك بسبب نزول الرماة من على الجبل - كما هو معروف -.

وأما في يوم بني قريظة وحصارهم وتنفيذ حكم الله فيهم بالقتل لأنهم غدروا بالمسلمين في يوم الخندق ونقضوا ما بينهم وما بين المسلمين من عهود وعقود، ومناصرتهم لقريش والأحزاب ضد المسلمين، يقول حسان بن ثابت في ذلك اليوم يوم بني قريظة[1]:

تَفَاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَروا قريشاً ... وليس لَهُم بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ[2]

هُمُ أُوتُوا الكِتابَ فَضَيّعُوهُ ... وهم عُمْيٌ من التَّوراةِ بُورُ[3]

كَفَرْتُم بالقُرَانِ وقد أَتَيْتُم ... بِتَصْديقِ الذي قالَ النَّذيرُ

فهانَ على سَرَاةِ بَني لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالبُوَيْرةِ مُسْتَطيرُ[4]

فأجابه جبل بن جوّال الثعلبي وبكى النضير وقريظة: فقال[5]:

ألا يا سَعْدُ سَعْدَ بني معاذٍ ... لِما لَقِيتْ قُريْظَةُ والنَّضِيرُ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت تحقيق المرزوقي.

(٢) تفاقد: فقد بعضهم بعضاً وهو دعاء عليهم.

(٣) بور: ضلال أو هلكي.

(٤) سراة القوم: أخيارهم البويرة: موضع بني قريظة.

(٥) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٥، ٦، ١٠.

وأقْفَــرتِ البُــوَيْــرَةُ مِــنْ سَــلاَمِ ... وَسَعْيَــةَ وابــنِ أخْطَــبَ فَهــي بُــورُ
وقــد كــانــوا بِبَلْــدَتِهــم ثِقــالاً ... كمــا ثَقُلَــتْ بِمَيْطَــانَ الصُّخُــورُ
أقيمــوا يــا سَــرَاةَ الأوْسِ فِيهــا ... كــأنَّكُــمُ مــن المَخْــزاةِ عُــورُ

فقد وبّخ حسان بن ثابت اليهود على غدرهم وكفرهم ومخالفتهم لقريش ضد المسلمين، وكان نتيجة ذلك هلاكهم. أما جبل بن جوال، فهو يبكي صرعى قومه ويذكر أعيانهم، ويشيد بمجدهم، وينعى على الأوس تخاذلهم عن جماعة جيرانهم الأولين من يهود، واستكانتهم للخزرج وقريش حيث حكم زعيم الأوس (سعد بن معاذ) رضي الله عنه - بقتل رجال بني قريظة، لغدرهم بالمسلمين، وقد نفذ الرسول ﷺ هذا التحكيم فقد حكم فيهم سعد حكم الله...

ونسير مع النقائض إلى منتهاها حيث وصل الضعف عند اليهود إلى منتهاه فلم يبق إلا خيبر والتي دارت عليها الدائرة في النهاية عندما خرج الرسول ﷺ ومعه المسلمون لغزو خيبر التي تجمعت فيها بقايا اليهود من قبائلهم التي تم إجلاؤها.

وفي هذه الغزوة خرج مرحب اليهودي من حصنه. وهو من أكبر حصون خيبر، خرج وقد جمع سلاحه وأخذ يرتجز ويقول[1]:

قَــدْ عَلِمَــتْ خَيْبَــرُ أنِّــي مَــرْحَــبُ ... شــاكــي الســلاح بَطَــلٌ مُجَــرَّبُ
أطْعَــنُ أحْيــانــاً وحِينــاً أضْــرِبُ ... إذا اللّيــوثُ أقْبَلَــتْ تَحَــرَّبُ

إن حِمَــاي لَلْحِمَــى لا يُقْــرَبُ

---

(١) التحقيق قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

فأجابه كعب بن مالك فقال[1]:

قَـد عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أنّـي كَعْـبُ مُفَـرِّجُ الغَمَّـى جَـرِيءٌ صُلْـبُ
إنْ شبّـت الحَـرْبُ تَلَتْهـا الحَـرْبُ معـي حُسـامٌ كـالعَقِيـقِ عَضْـبُ
نَطَــؤُكــم حتــى يَــذِلَّ الصَّعْــبُ نُعْطِـي الجَـزاءَ أو يَفِـيءَ النهـب
بكـفٍّ مـاضٍ ليـس فيـه عَتْـبُ

فـاليهـودي يفتخـر ببطـولتـه وتجـربتـه ومهـارتـه فـي الطعـن والضـرب، وكعب بن مالك يردّ عليه بأخذ معانيه...

ومن خواص النقائض هذه أنها لم تشتمل على فحش أو جرح للأعراض، أو انتهاك للحرمات كالذي حدث زمن الأمويين بين جرير والفرزدق والأخطل في نقائضهم المشهورة. أما نقائض الجاهليين واليهود بالذات فلم تتطرق إلى تلك الجوانب، وإن لم تخل من عصبيات حادة، ومنافرات شديدة، وظاهر من ذلك وغيره أن حياة اليهود في أواخر الجاهلية وبداية صدر الإسلام أصيبت باضطراب كما يبدو ذلك في قول الربيع بن أبي الحُقَيْق[2] الذي يسخط على النضير وقريظة وقسوتهم على إخوانهم بني قينقاع بسبب انضمامهم إلى الخزرج عوناً لهم على الأوس يوم بعاث.

وجملة القول أن شعر يهود في هذا الجانب كان في سبيل كيانهم القومي والديني والاقتصادي، وكانوا يقولون الشعر حماسة وفخراً وبكاء على مجدهم الذي أخذ يزول، وكيانهم الذي زلزل، ولم نجد فيما وصل إلينا من شعرهم هجاء صريحاً للرسول ﷺ (فربما ضاع مع غيره) مع

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص٢١٠.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٥ وغيرها.

أنهم كانوا ضداً عليه وأعداء له، ولدعوته الكريمة...

رابعاً: الغزل

كانت الحياة اليهودية مصطبغة بسمات صحراوية، وما برحت عاداتهم البدوية غلابة على أجيالهم المتعاقبة، وفي التوراة إشارات إلى أصلهم الصحراوي[١]. لذلك قامت شريعة إسرائيل على ما تقتضيه الأمة الحربية من خضوع المرأة للرجل، والرغبة في كثرة النسل. فالمرأة تسبى وتباع وتورث، وللآباء أن يؤجروا أبناءهم لموعد، وأن يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق وأن يقتلوهم[٢]، والمرأة الإسرائيلية لم يكن مركزها سيئاً كما نتصوره، فكونها ملك الرجل[٣] ليس نقيصة لأنها قبل الزواج كانت ملكاً لأبيها، وكان له الحق في بيعها فتصبح أمة. ولها في أهلها وأقاربها درع يقيها العاديات.

وعلى كل حال فمكانة المرأة من الشعب كانت قاسية حقاً وذلك لأنها كانت تقوم بأشق الأعمال وأقساها في البيت وخارجه: فهي التي تجلب الماء، وهي التي تطحن الحبوب، وتخبز الخبز وسائر أعمال المنزل، وعلاوة على ذلك كانت تقوم بأعمال الحقل، وترعى الماشية[٤].

وللمرأة الجميلة الفاضلة العفيفة مكانة مرموقة، ولننظر إلى آخر جزء في سفر الأمثال لنقرأ القصيدة التالية في التغني بالمرأة الجميلة:

«من يجد المرأة الفاضلة؟ إنها أثمن من الدر. يثق بها قلب زوجها،

---

(١) سفر التثنية ٣٢/١٠ وأرميا ٢/٢.

(٢) حضارة العرب ٤٩٢.

(٣) سفر التكوين ١٦/٦-٧.

(٤) د. فؤاد حسنين علي. إسرائيل عبر التاريخ ص١٠٤.

فلا يحتاج إلى مغنم. تغمره خيراً لا شراً كل أيام حياتها، تلتمس صوفاً وكتّاناً فيعمل كَفّاها بمهارة، وتكون كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيد، إنها تقوم آخر الليل فتعطي زاداً لبيتها ولجواريها ما يلزمهن، تتأمل الحقل فتأخذه، وبفضل كفيها يغرس الكرم تحزم حقويها بقوة، وتشد ذراعيها. تتذوق لذة تجارتها، فلا يخبو في الليل قناديلها. تلقى يديها على الوضيعة، وأناملها تمسك بالمغزل، تبسط كفيها إلى البائس وتمد يديها إلى المسكين لا تخشى على بيتها من الثلج، لأن أهل بيتها جميعاً يلبسون الحلل، تصنع لنفسها أغطية مطرزة، ولباسها الخز والأرجوان زوجها معروف في الأبواب حيث يجلس بين شيوخ البلد، تصنع قمصاناً وتبيعها، وتعرض أحزمة على الكنعانيين لباسها العز والبهاء، وهي تفرح في اليوم الأخير. فمها مفتوح بالحكمة، وعلى لسانها شريعة التقوى، تلاحظ مسالك بيتها، ولا تأكل خبز التواكل، يقوم أبناؤها فيغبطونها، وزوجها يثني عليها. إن كثيراً من البنات قد أنشأن لأنفسهن فضلاً، أما أنت ففقت عليهن جميعاً. النعيم غرور، والجمال باطل، والمرأة التي تتقي الرب هي التي تُمدح. أعطوها تمر يديها، ولتمدحها في الأبواب أعمالها»[١].

هكذا كانت المرأة تقدّر من خلال عملها وخلقها، فلننظر ماذا يقول شعراء يهود في العصر الجاهلي في التغزل بالمرأة، ونقارن ما قالوه بنماذج من قصائد في أسفارهم القديمة مثل نشيد الإنشاد وغيره...

فهذا أبو الذيال اليهودي يستهل قصيدة له يذكر دار محبوبته، ثم يتغزل فيها بأبيات متفرقة تتخلل قصيدته حيث يقول[٢]:

---

(١) سفر الأمثال ٣١/١٠-٣١.

(٢) قصيدة رقم ١ الأبيات ٢، ٣، ٤، ٥.

دارٌ لِبَهْنَانَةٍ خَدَلَّجَةٍ تَبْسِمُ عن مِثْلِ باردِ البَرَدِ[1]
أَثَّتْ فَطالَتْ حتى إذا اعْتَدَلَتْ ما إن يَرَى النَّاظِرُونَ مِنْ أَوَدِ
فيها فأما نَقَاً فأَسْفَلُها والجيدُ مِنْها لِظَبْيَةِ الجَرَدِ[2]
لا الدَّهْر فانٍ ولا مَوَاعِدُها تأتي، فليتَ القَتُولَ لم تَعِدِ[3]

وهذا الغزل لم يخرج عن مسار الغزل في العصر الجاهلي، وما فيه من تشبيه النقا والجيد والظبية والفتول والمواعيد... إلى غير ذلك من الألفاظ التي تناسب المحبوبة ووصفها بها... ثم يسترسل في غزله حيث يقرب من الغزل الحسّي فيقول[4]:

هيفاءُ يَلْتَذُّها مُعانِقُها بعد عِلالِ الحَديثِ والنَّجَدِ[5]
تمشي إلى نحوِ بيتِ جارَتِها واضِعَةً كَفَّها على الكَبِدِ

إلى أن يقول[6]:

والمِسْكُ والزَّنْجَبيلُ عَلَّ بِها أنيابَها بعد غَفْلَةِ الرَّصَدِ

أما في أسفار العهد القديم فقد وردت قصائد في الغزل نسوق منها بعض المتقطفات:

«في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي فما وجدته. إني أقوم وأطوف في المدينة، في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي،

---

(١) بهنانة: الطيبة النفس، الخفيفة الروح، والخدلجة: الممتلئة الساقين والذراعين.
(٢) النقا: الكثيب من الرمل، وظبية الخرد: ظبية الفلاة.
(٣) القتول: الكثير القتل لعشاقها.
(٤) البيتان ٧، ٨.
(٥) هيفاء: الضامرة البطن الرقيقة الخصر، مجاذبته، النجد: الجهد والتعب.
(٦) البيت رقم ١١.

طلبته فما وجدته. وجدني الحرس الطائف في المدينة، فقلت: أرأيتم من تحبه نفسي. فما جاوزتهم قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي، فأمسكته ولم أرخه، حتى أدخلته بيت أمي، وحجرة من حبلت بي»[1].

وهذا ابن إسرائيل يتغزل في محبوبته ويصفها بأوصاف جميلة لكنها تختلف عن الأوصاف التي جاءت في أسفار العهد القديم فهو يقول في محبوبته[2]:

وَعَدَتْ بِوَصْلٍ والزّمانُ يُسوِّفُ	حَوْراءُ ناظِرُها حُسامٌ مُرْهَفُ
نَشْوانَةٌ صَهْبَاءُ مَنْهَلُ ثَغْرِها	دُرٌّ وريقَتُها سُلافٌ قَرْقَفُ
تَخْتالُ بَيْنَ البَدْرِ مِنْها والنَّقا	غُصْنٌ يميسُ به النَّعيمُ مُهَفْهَفُ
يابَانَةً قد أطْلَعَتْ أغْصانُها	وَرْداً جَنِيّاً باللَّواحِظ يَقْطُف
وغزالةٍ تَحْكي الغَزالَةُ وَجْهَها	وبعينِ ناظِرِها الحُسامُ الأَوْطَفُ[3]
أو ماء وَجْهِكِ وَهْوَ صُبْحٌ مُشْرِقٌ	وسَوَادُ شَعْرِكِ وهو لَيْلٌ مُسْدِفُ[4]

فعينا حبيبته حوراء وأهدابها حادة كالسيوف، وثغرها در، النعيم يحيط بها، وهي بانة في طولها، وخدودها ورد يقطف بالنظر. أما وجهها فالغزالة تشبهه، ووجهها مشرق كالصبح وشعرها أسود كالليل. ما أجمل هذه الأوصاف.

وهذا غزل جاء في سفر نشيد الإنشاد تتغزل فيه الفتاة بمحبوبها ثم يخاطبها محبوبها بعد ذلك:

---

(١) نشيد الإنشاد ٣/١-٤.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨.

(٣) الأوطف: كثير شعر أهداب العين.

(٤) مسدف: مظلم.

«أين حبيبك أيتها الجميلة بين النساء، أين توجه حبيبك فنطلبه معك. حبيبي نزل إلى جنته إلى خمائل الطيب ليرعى في الجنات ويجمع السوسن. أنا لحبيبي وحبيبي لي، الراعي بين السوسن، أنت جميلة يا حبيبتي كترصة حسنة كأورشليم مرهبة كجيش بألوية، حوّلي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني، شعرك كقطيع المعز الرابض في جلعاد. أسنانك كقطيع نعاج صادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيها عقوم كفلقة رمانة خدّيك تحت نقابك هن ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد. واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأنها هي عقيلة والدتها هي. رأينها البنات فطوبنها الملكات والسراري فمدحنها. من هي المشرقة مثل الصباح جميلة كالقمر، ظاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية. نزلت إلى جنة الجوز لأنظر إلى خضر الوادي ولأنظر هل أقفل الكرم هل نوّر الرمان فلم أشعر إلا وقد جعلتني نفسي بين مركبات قوم شريف»[١].

فالشَعَر عند (ابن إسرائيل الشاعر) ليل مسدف أي مظلم وهذا التشبيه من البيئة الصحراوية بينما في شعر نشيد الإنشاد: «شعرك كقطيع الماعز» وهذا تشبيه لما في أرض فلسطين من مراعي للماعز وهي لكثرتها سوداء. والشاعر يصف الوجه بالصبح المشرق بينما في سفر نشيد الإنشاد: فمن هي المشرقة مثل الصباح ظاهرة كالشمس... فلعل الشاعر اقتبس من سفر نشيد الإنشاد في تشبيهاته لمحبوبته...

وهذا شاعر آخر يتغزل في محبوبته التي لا يمكن أن ينساها قلبه وهي عزيزة المنال ووصلها صعب ثم تخيلها وتخيل كلامها الذي قالته فيقول[٢]:

---

(١) نشيد الإنشاد ٦/١-١٦.

(٢) التحقيق. مقطوع رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

أنّـــى تَـــذَكّـــرَ زَيْنَـــبَ القَلْـــبُ وطِــلاَبُ وَصْــلِ عَــزِيــزةٍ صَعْــبُ
مــا رَوْضَــةٌ جــادَ الــرَّبِيــعُ لهــا مَــوْشِيَّــةٌ مــا حَــوْلَهــا جَــدْبُ
بــأَلَــذَّ مِنْهــا إذ تَقُــولُ لَنَــا سَيْــراً قليــلاً يُلْحَــقِ الــرَّكْــبُ

فالروضة في فصل الربيع بكل ما يمكن أن يجود به من الإيناع والإزهار عليها وكانت موشية - أي خرج أول زهرها - وكان ما حولها جدباً محلاً، هذه الروضة على انفرادها بالحسن والجمال ليست بألذ وأحلى من محبوبته حين تنطق بشفتيها الحلوتين بقولها الرخيم العذب:

«سيراً قليلاً يلحق الركب». إن الروضة الجميلة المتفردة بحسنها وجمالها ليست بألذ من محبوبته، فماذا جاء في أسفار العهد القديم يقارب هذا المعنى أو بعضه لنقرأ ما ورد في سفر نشيد الإنشاد: «قد دخلت جنتي يا أختي العروس. قطفت مرّي مع طيبي أكلت شهدي مع عسلي. شربت خمري مع لبني. كلوا أيها الأصحاب. اشربوا واسكروا أيها الأحباء»[1].

يقول أوس بن دني:

أنّـــى تَـــذَكّـــرَ زَيْنَـــبَ القَلْـــبُ وطِــلابُ وَصْــلِ عَــزِيــزةٍ صَعْــبُ

فتأتي العبارة الثانية من الإصحاح الخامس في نفس السفر: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ صوت حبيبي قارعاً، افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي لأن رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل»[2].

نلحظ من النماذج السابقة مدى التشابه بين ما ورد في أسفار العهد

---

(١) نشيد الإنشاد ٥/١.

(٢) نشيد الإنشاد ٥/٢.

القديم عن المرأة والحبيبة وبين ما قاله شعراء يهود في جزيرة العرب، فاليهودي يبقى مديناً لعهده القديم حتى في تغزله ولهوه، يحاكي ما ورد في كتبه التي يؤمن بها، ومن ذلك أوصاف النساء والمحبوبات التي استقاها هؤلاء الشعراء مما ورد في أسفارهم: كلون شعورهن الأسود وإشراق وجوههن إشراق الشمس في رابعة النهار، وطهارة أنفسهم، وإخلاصهن للمحبين، وحديثهن عنهم ومعهم وغير ذلك...

ومع ذلك فقد تأثر شعراء يهود بمن حولهم من الشعراء الجاهليين، فأتوا بالغزل التمهيدي في أوائل بعض قصائدهم - وهي قليلة - ومن ذلك قول سَعْيَة بن الغريض يخاطب محبوبته «لباب» كي تعلله، ثم ينتقل بعد عدة أبيات غزلية إلى غرضه كعادة كثير من الشعراء الجاهليين في عصره فيقول[1]:

لُبَـابُ هـل عِنْـدَكِ مـن نـائِـلِ ... لعـاشِـقٍ ذي حـاجَـةٍ سـائِـلِ
عَلِّلْتِـهِ مِنْـكِ بمـا لَـمْ يَنَـل ... يـا ربَّمـا عَلَّلْـتِ بـالبَـاطِـلِ
لُبَـابُ يـا أخْـتَ بنـي مـالِـكٍ ... لا تَشْتَـرِي العـاجِـلَ بـالآجِـلِ
لُبَـابُ داوِيـنِـي ولا تَفْتِكِـي ... قـد فُضِّـلَ الشَّـافي على القـاتِـلِ

ومثل سعية هذا يسلك شاعر آخر هو قيس بن رفاعة نفس المسلك فيورد أبياتاً غزلية كتمهيد للدخول إلى غرضه الرئيسي وهو الفخر فيقول في هذا التمهيد[2]:

إذا ذُكِـرَتْ أُمـامَـةُ فَـرْطَ حَـوْلٍ ... ولـو بَعِـدَت مَحَلَّتُهـا غُـرِيـتُ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٥ الأبيات ١-٤.
(٢) التحقيق. القصيدة رقم ١ البيتان ١، ٢.

أُكَلِّفُها ولو بَعِدَتْ نَواها كأنّي مِنْ تَذَكُّرِها حَمِيتُ[1]

فهو لم ينس محبوبته مهما بعد مكانها ويشعر بالحمى والرجفة من تذكرها.

أما أمير شعراء يهود وأعني - السموأل بن عادياء - فلم يرد في ديوانه إلا أبيات قليلة في الغزل، وفيها يترفع السموأل عن النساء ووصلهن وهو يعد نفسه أكبر من ذلك يقول[2]:

وصفراءِ المَعاصِمِ قد دَعَتْني إلى وَصْلٍ فَقُلْتُ لها أَبَيْتُ

ثم يخاطب بيت المحبوبة بكلام طيب شريف فيه وفاء وإخلاص[3]:

أَلَا يا بَيْتُ بالعلياءِ بَيْتُ ولولا حُبُّ أهلِكَ ما أَتَيْتُ
أَلَا يا بَيْتُ أَهْلُكَ أَوْعَدُوني كأنّي كُلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

ولنا وقفة هنا عند قوله في البيت الأول: «وصفراء المعاصم» صفراء المعاصم تعني المرأة المتزينة بالذهب، فالصفرة تدل على الذهب الذي يلبس في المعاصم دليل الترف والغنى والتزين ويهود يشتهرون بالصياغة، والسموأل صاحب الحصن المعروف بالأبلق الفرد والذي كانت تزوره فيه الناس فتمتار منه، لا يخاطب إلا المرأة المترفة الغنية، فلكل مقام مقال، كما يقال.

وقد ظهر في شعر يهود نوع من الغزل يسمى الغزل الكيدي. ويقول الدكتور أحمد الحوفي «هذا نوع من الغزل لا هو عذري ولا حسّي ولا

---

(١) حميت: أصبت بالحمى.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٧ البيت رقم ٤.
(٣) نفس القصيدة البيتان ٧، ٨.

هو تمهيدي، فليس عذرياً ولا حسياً لأنه غير منبعث عن عاطفة، وليس تمهيدياً لأن الغرض منه لم يكن إعداد النفس للإنتاج وتهيئة الجو للموضوع، وإنما كان الغرض منه الكيد والإغاظة وتجريح الخصم والنيل من عرضه بشباة اللسان[1] ثم يقول: «وهو أقل من الأنواع السابقة كماً وأضأل كيفاً وفناً وآخرها ظهوراً لأنه لم يعرف إلا في آخر العصر الجاهلي، ولكنه من الوجهة الأخلاقية والاجتماعية دليل على صيانة العرب لأعراضهم وغيرتهم على نسائهم، ودليل على أن العداوة لم تقتصر على انتضاء السيوف والرماح، واللقاء في ميدان الحرب فقد كانت بجانب هذه المعارك المادية معارك أخرى فنية أداتها اللسان والخيال، وميدانها الفن، يمثلها الهجاء وهذا الغزل الكيدي»[2].

وهذا الغزل في الحقيقة غزل سياسي كما يوضح لنا الدكتور النعمان القاضي عندما تحدث عن عبيدالله بن قيس الرقيات في كتابه «الفرق الإسلامية في العصر الأموي»:

«قال عبيدالله بن قيس الرقيات مصطنعاً التغزل بعاتكة زوج عبد الملك وبأم البنين زوج ابنة الوليد وهو بلا شك غزل سياسي للغاية»[3]، ويقول في موضع آخر:

«وهناك لون طريف من ألوان الكيد للخصوم والحملة عليهم وهو نوع من الهجاء يشتبك بضرب آخر من ضروب الشعر هو الغزل... ويقصد بهذا الغزل العبث بخصوم الدعوة عبثاً يشتمل على الإهانة والسخرية. ويحمل على الغضب والحنق، لأن هذا اللون يذكر نساء الخصوم بما لا

---

(١) د. أحمد الحوفي. الغزل في العصر الجاهلي ص٢٢٧.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) د. نعمان القاضي. الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص٦٩٨.

يحسن ذكره في صورة الغزل، أي أنه يتوسل بالغزل الفاضح إلى الهجاء المقذع إلى التشهير بهم...»[1]. ومن أمثلة هذا الغزل الكيدي في شعر يهود قول كعب بن الأشرف بعد غزوة بدر مشبباً بأم الفضل بنت الحارث[2] يغيظ المسلمين[3]:

أرَاحِـلٌ أنْـتَ لَـمْ تَحْلُـلْ بِمَنْقَبَـةٍ ... وَتـارِكٌ أنْـت أُمَّ الفَضْـلِ بـالحَـرَمِ

صَفْـراءَ رَادِعَـةٍ لـو تُعْصَـرُ اعْتُصِـرَتْ ... مِـنْ ذِي القَـوَارِيـرِ والحِنَّـاءِ والكَتَـمِ

يَـرْتَـجُّ مـا بَيْـنَ كَعْبَيْهـا ومَـرْفِقِهـا ... إذا تَـأتَّـتْ قِيَـامـاً ثـمَّ لـم تَقُـمِ

أشْبـاهُ أُمِّ حكيـم إذ تُـواصِلُنـا ... والحَبْـلُ منهـا مَتِيـنٌ غيـرُ مُنْجَـذِمِ

إحْدَى بنـي عـامرٍ جُنَّ الفُـؤادُ بِهـا ... وَلَـوْ تَشـاءُ شَفَـتْ كَعْبـاً مـن السَّقَـمِ

ثم ينتقل إلى مدح المحبوبة ومدح أهلها وهو مدح كاذب احتاط فيه كعب بن الأشرف بعد أن جعلها تتيه بجمالها، فأخذ يمدح أهلها[4]:

فَرْعُ النِّسَاءِ وفَرْعُ القَومِ والِدُها ... أهْـل التَّجِلَّـةِ والإيفـاءِ بـالـذِّمَـمِ

لَـمْ أرَ شَمْسـاً بِليْـلٍ قَبْلَهـا طَلَعَـت ... حتـى تَجلَّـت لنـا فـي لَيْلَـةِ الظُّلَـمِ

أي أنـه كمـا يـرى الـدكتـور النعمـان القـاضـي فـي حـديثـه عـن غـزل عبيدالله بن قيس الرُّقَيَّات:

اتخذ النساء وسيلة إلى حرب الرجال فتملّقهن حتى يحبب إليهن هذا الغزل الهجائي الذي كان يسوء رجالهن والذي حرص فيه إلى حد، على ألا يؤذيهن... وكل ذلك في عاطفية رقيقة، وصياغة سلسلة رشيقة تصل

---

(١) نفس المصدر ص٥٠٣.

(٢) أم الفضل: زوج العباس بن عبد المطلب.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٣ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

(٤) التحقيق. قصيدة ٣ البيتان ٦، ٧.

إلى يسر في غرور الحسناوات من نساء الأشراف والأسر المالكة ويطلبن إلى الشعراء دون حرج أو حياء...»[1].

كذلك فعل اليهودي كعب بن الأشرف حيث أغاظ المسلمين جميعاً في غزله هذا وأمثاله حتى أهدر رسول الله ﷺ دمه، وأمر بقتله على يد محمد بن مسلمة ورهط من المسلمين.

ويرى الدكتور أحمد الحوفي: «أن الغزل الكيدي يتسم بالتصون في التعبير، والتعفف في المعنى فليس فيه إفحاش كهذا الذي جدّ بعد في تهاجي شعراء العصر الأموي والعباسي ولكن العربي لا يطيقه وإن كان عفّاً متصوّناً لأنه تعرض للحرم وتشنيع بالنساء، وقد سبق أن العرب كانوا لا يزوجون شاعراً فتاة أعلن عن حبه لها وتغزل فيه حمية وأنفة»[2].

ونحن نرى أن الغزل الكيدي، وعلى الأقل عند شعراء يهود، فيه فُحْشٌ وبعد عن التصون، حيث يقول الشاعر اليهودي كعب بن الأشرف عن أم الفضل بن الحارث بن عبد المطلب الشريفة المشرفة:

أشْبـاهُ أمِّ حكيـمٍ إذ تـواصلنـا ... والحَبْلُ منها متينٌ غيرُ مُنْجَذِمِ

فهل حقاً كانت تواصله؟؟ إنه الفحش والكذب والدناءة... فأين التصون إذن!! ويرى الدكتور أحمد الحوفي «أن الغزل الكيدي في مظهره أقرب إلى أن يكون من الغزل العذري[3] والغزل العذري صادق العاطفة والشعور نحو المحبوبة فأين هذا الصدق العاطفي عند يهودي يتغزل في نساء خصومه المسلمين!! إنه بعيد عن صدق العاطفة فكله غيظ وحقد

---

(١) د. نعمان القاضي. الفرق الإسلامية في الشعر الأموي. ص٦٩٩.
(٢) الغزل في العصر الجاهلي ص٢٢٩.
(٣) نفس المصدر ص٢٢٧.

وكيد لأعدائه المسلمين الذين جاؤوا لينشروا الحق والعدل والخير للناس وهذا لا يروق اليهود الذين يريدون أن تبقى لهم السيطرة واستغلال الناس بالربا وغيره. إذن فالغزل عند يهود في العصر الجاهلي كان محاكاة لما ورد في أسفارهم القديمة، ولمكانة المرأة عندهم حيث أنهم يقدرون المرأة التي تعمل وتكد وتكدح في المصنع وفي البيت وفي غزل الكتان وفي إعداد لوازم البيت وفيه كذلك العذري. وكان من ناحية ثانية، أي في غزله الكيدي سياسياً لإغاظة أعدائهم المسلمين في صدر الإسلام، وإن كان ذلك قليلاً لقلة ما وصل إلينا من شعرهم أو لعزوف الرواة عن روايته أو لغير ذلك من الأسباب.

على أن أهم ما نلحظه في غزل يهود قلته ونضوب العاطفة فيه، على عكس معاصريهم من شعراء العرب في الجاهلية، ولعل ذلك راجع إلى وضعهم الاجتماعي، فهم أصحاب مهن وعمل غير متفرغين للغزل وأشباهه وكذلك الوضع العقيدي، والعمل لم يترك لهم المجال للتوسع في هذا المجال.

خامساً: الحكمة

نعني بالحكمة في شعر يهود تلك النصائح والعظات التي وردت في أقوالهم، وقد كانت الحكمة في الشعر الجاهلي من أبرز الأغراض التي لم يقصدها الشاعر لذاتها، ولكنها جاءت في قصيدته بيتاً أو بيتين أو أكثر من ذلك على شكل مواعظ وإرشادات وعبر، أراد بها إصلاح ذات البيت مثلاً أو تهذيب النفس وصقلها، أو تنمية مكارم الأخلاق فيها، فجاءت صافية تزهو بمعانيها الخلابة، ومواضعها الجذابة، لأنها نبعت من نفس صافية أطلقتها على سجيتها ولم تأت تكلفاً أو إبداعاً من ناحية، ولأنها تبعث في نفس السامع أشياء ذوات معان جيدة من ناحية أخرى.

فحياة الشاعر الجاهلي مرت بألوان من شظف العيش، كما عاشت ألواناً من أنواع الطبيعة كالصحراء وما عليها وما سايرها، وكالسماء وما فيها، وكالغيوم وما يتبعها من برق ورعد ومطر وثلج، خاصة وأن يهود أهل زراعة - إلى جانب نوائب الدهر، ومصائب الأيام، ونكسات الساعة من حروب وجفاف وعواصف.

ويهود عانوا من التشرد والشتات الكثير على يد البابليين والآشوريين وغيرهم، فبعد أن خربت ممالكهم، ودمر هيكلهم ساحوا في الأرض هنا وهناك هائمين على وجوههم لا يجمعهم إلا تمسكهم بأسفار عهدهم القديم وما فيها من نصائح وحكم وعظات إلى جانب الأمور الأخرى، فلنستمع إلى جزء من سفر المزامير يصور حالة اليهودي البائس: «صلاة المسكين إذا أعيا وسكت شكواه قدام الله. يا رب اسمع صلاتي، وليدخل إليك صراخي. لا تحجب وجهك عني في يوم ضيقي. أمل إليّ أذنك في يوم أدعوك استجب لي سريعاً. لأن أيامي قد فنيت في دخان وعظام مثل وقيد قد يبست. فلفوح كالعشب، ويابس قلبي حتى سهوت عن أكل خبزي. من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمي. أشبهت فوق البرية. صرت مثل بومة الخراب، سهرت وصرت كعصفور منفرد على السطح اليوم كلّه عيّرني أعدائي الحنقون عليّ، إني قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بدموع»[١].

ففي هذا تصوير لحالتهم وتشردهم وشتاتهم، كما فيه التضرع إلى الله والخضوع إليه كما نرى. ولهم نظرة صائبة لمن تجور عليه الليالي فتعمل فيه عملها، وتهد من كيانه، وتحطّ من قدره، وتودي بكرامته وعزّه، فيعود خائراً بعد عزيمة ومضاء، ذليلاً بعد عز وكبرياء.

---

(١) سفر المزامير ١٠٢/١-١٠.

وكان الموت والفناء من بواعث الحكمة عند يهود في العصر الجاهلي، فقد نبعت حكمتهم من طويل خبرة وواسع دربة وتجريب، وتأمل عميق في مخلوقات الله. إذ عندما يخلو الشاعر إلى نفسه ساعة صفاء في ليلة مقمرة، وفوق أرض مخضرة، يبعث هذه النشوة في النفوس، وعندما يكون راهباً في محراب الصحراء متفكراً في هذا الكون العريض تخرج منه الحكمة شعراً ونثراً وينطلق بها لسانه لتسد ثغرات كثيرة من ثغرات حياته يرسم بها طريقاً لضالٍ، وينير بها فضاءً لأفراد القبائل ليرتدعوا عن غيّ كان يسيطر عليهم، ويوقف بذلك حروباً حمي وطيسها وكادت تفني كل شيء.

وكان للنزعة الدينية أثر كبير في شعر الحكمة وخاصة في الزهد والرثاء، كيف لا ويهود أهل كتاب سماوي، فهذا السموأل يوضح في حكمة له أن الطَّيّب من الرزق ينفق وإن كان قليلاً أكثر من الكثير الخبيث فهي دعوة إلى كسب الرزق الحلال فيقول[1]:

يَنْفَـعُ الطَّيِّـبُ القَليـلُ مـن الـرِّزْ　　قِ ولا يَنْفَـعُ القَليـلُ الخَبيـثُ
فاجْعَل الرِّزْقَ في الحَلالِ من الكَسْـ　　ـبِ وَبـرّاً سَـرِيـرَتـي مـا حَيِيـتُ

وهذا خُزَزُ بن لَوْذان يعظ ويحذر بعدم دوام الخير والشر فكل شيء إلى زوال يقول[2]:

وكـــذاكَ لا خَيْـــرٌ ولا　　شَــرٌّ علـى أَحَـدٍ بِـدَائِـمْ

وما دمنا بصدد الحكمة عن الموت والفناء، وأنه لا بد من الموت الذي يفر الإنسان منه إليه حيث أن عمر الإنسان مقدر منذ ولد، يقول

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٤ البيتان ١٢، ١٣.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيت رقم ٨.

السموأل متمثلاً هذه المعاني[1]:

إسْلَمْ سَلِمْتَ ولا سَليمَ على البِلَى	فَنِيَ الشَّبابُ ذَوو القُوَى فَفَنِيتُ
كيفَ السَّلامةَ إن أرَدْتُ سَلامَةً	والموتُ يَطْلُبُنِي وَلَسْتُ أَفُوتُ
مَيْتاً خُلِقْتُ ولم أكُنْ مِنْ قَبْلِها	شيئاً يَمُوتُ فَمِتُّ حينَ حَيِيتُ

وكانت الحكمة كثيراً ما تعالج بعض النواحي الاجتماعية لأنها تصدر عن بصيرة نافذة، وفكرة وقّادة، وعقل راجح، وحِكَمُهم جاءت نابعة من صدق العاطفة وحسن التصرف وسمو التفكير فجرت مجرى التعاليم في حياتهم، وغدت عادات نبيلة وصفات طيبة، قريبة إلى صفات المؤمنين الموحدين بربهم. وهم - أي اليهود - يتميزون عن معاصريهم أهل الأوثان والشرك في عصرهم قبل الإسلام، وقد اشتهر حكماؤهم بأصالة الرأي وحسن الرؤية، والإصابة في القول إلى جانب الاتزان وعلو الهمة والكرم، وعلو المرتبة بين أقوامهم، وجاءت حكمهم ثمرة للعقول النيرة، والأفكار الواعية والنفوس المجرّبة، والقرائح الوقّادة، والأقوال النقادة، فخرجت خلاصة لتأملات هذه العقول المبدعة، والأفكار الواعية، كما أنها عصارة تجارب وأعمال امتزجت على مر السنين وقد استفادوا من تعاليم الدين وفلسفة القدماء.

ولعل ضياع شعر يهود أضاع شعر الحكمة فجاءت قليلة فيما وصل إلينا من شعر قليل أيضاً ومما ورد من شعرهم في الحكمة، والمتأثر بتعاليم الدين، قول الربيع بن أبي الحُقَيْق، يذكر فيه القضاء والقدر والشدة والرخاء والموت الذي لا يقف دونه مانع، فهو آت على كل نفس لا محالة وأن البخيل لا يغنى، والكريم قد ينمو ماله، وأن الغني غني

---

(١) التحقيق. القصيدة رقم ٦ الأبيات من ١-٤.

النفس، يتمثل هذه المعاني وغيرها فيقول[1]:

وَمَنْ يَكُ عامِلاً لم يَلْقَ بُؤْساً ... يُنِخْ يوماً بساحَتِهِ القَضَاءُ
تَعاوَرُهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ حتّى ... تُثَلِّمَهُ كما ثُلِمَ الإنَاءُ
وكُلُّ شَدائِدٍ نَزَلَتْ بِحيٍّ ... سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِها رَخَاءُ

أما الذي يخاف الموت فلن ينفعه خوفه ولن يمنع عنه مصيره[2]:

فَقُلْ للمتقي عَرَضَ المنايا ... تَوَقَّ فَلَيْسَ يَنْفَعُكَ اتقاءُ

وأما الحريص لدرجة البخل فلن ينفعه حرصه وبخله ولن يزيد ماله نتيجة بخله، أما الكريم فقد ينمو ماله فالغنى غنى النفس، والفقر شقاء النفس وعدم تزكيتها يقول الربيع متمثلاً هذه المعاني[3]:

فَما يُعطى الحَريصُ غنىً بِحِرْصٍ ... وقد يَنْمى لدى الجودِ الثَّراءُ
وَلَيْسَ بنافعٍ ذا البُخْلِ مالٌ ... ولا مُزْرٍ بِصاحِبِهِ الحِبَاءُ
غَنِي النَّفْسِ ما استَغْنى بِشَيءٍ ... وَفَقْرُ النَّفْسِ ما عمَرت شقاءُ

وهذا شُريح بن عمران يدعو في حكمةٍ إلى مؤاخاة الكريم واتباعه في أفعاله فيقول[4]:

آخِ الكِرَامَ إن اسْتَطَعْـ ... ـتَ إلى إخَائِهِمُ سبيلا
واشْرَبْ بِكَأْسِهِمُ وإن ... شَرِبوا بهِ السُّمَّ الثَّمِيلا

فمؤاخاة الكريم عظيمة، واتّباعه واجب حتى ولو أدى ذلك إلى الهلاك

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٩، ١٠، ١١.
(٢) نفس القصيدة البيت رقم ١٢.
(٣) نفس القصيدة الأبيات ١٣، ١٤، ١٥.
(٤) التحقيق. مقطوعة رقم ١ البيتان ١، ٢.

بشرب سم الموت.

وقد جاءت الحكمة في مطلع بعض قصائدهم كعادة معاصريهم، فهذا أمير شعراء يهود في الجاهلية - السموأل بن عادياء - يقول في حكمة مشهورة[1]:

إذا المَرءُ لَمْ يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ   فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وإنْ هو لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَهَا   فَلَيْس إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبيلُ

فإذا سلم المرء من اللؤم في عرضه، فكل شيء بعد ذلك جميل، وإذا لم تعرض نفسه إلى الضيم والهوان فلا يحتاج إلى ثناء ومدح.

وكان لهذه الأبيات في قصيدة السموأل أثر كبير في شهرتها لأنها حكم قيمة أكسبتها شهرة وذيوعاً. ويسخر السموأل من الذي يأمن الموت ويرجو الخلود فيقول[2]:

إنْ امرءاً أَمِنَ الحَوادِثَ جاهِلٌ   يَرْجو الخُلودَ كَضارِبٍ بِقُداح

وهذه حكمة أخرى يسوقها السموأل، تدعو إلى عدم السخط واليأس إذا لم يحقق الإنسان غايته بالسعي والكد، وإن لم يحالفه التوفيق فيقول[3]:

وقد يُدْرِكُ المَرءُ غَيْرُ الأريبِ   وقد يُصْرَعُ الحُوَّلُ القُلَّبُ

والرزق مقدر عند الله بين العباد لا فرق بين قوي وضعيف، وهذا أيضاً تأثر بتعاليم الدين، يقول السموأل في ذلك متمثلاً هذه

(١) التحقيق القصيدة رقم ١٠ البيتان ١، ٢.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٩ البيت رقم ٤٠.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ٥.

الحكمة[1]:

لَيسَ يُعْطَى القَوِيُّ فَضلاً من الرِّزْ ... قِ ولا يُحْرَمُ الضَّعِيفُ الشَّخِيتُ

والحكمة لا تأتي جزافاً - كما نلاحظ - ولا يقولها أي قائل، إنما هي نتيجة معاناة طويلةٌ وتجارب عديدة. وشاعر الحكمة اليهودي الجاهلي الربيع بن أبي الحُقَيْق عانى في الحياة وذاق مرارتها، فهو يرفض الهوان، ويدعو إلى حسن الخلق، لأن الأخلاق السيئة مثل الداء الذي ليس له دواء، والمرء دائماً يتمنى النعيم، ولكن الله يقدّر ما يشاء، وقد تمثل هذه المعاني بحكمه التي يسوقها لنا حيث يقول[2].

ومـا بَعْضُ الإقـامـةِ فـي ديـارٍ ... يُهَـانُ بِهـا الفَتـى إلا عَنَـاءُ
وبَعْـضُ خـلائِـقِ الأقـوامِ داءٌ ... كَـداءِ الشُّـحِّ ليـس لَـهُ دَواءُ
يُحِـبُّ المـرْءُ أن يَلْقـى نَعِيمَـاً ... وَيَـأْبَـى اللهُ إلاّ مـا يَشَـاءُ

ويتحدث سعية بن الغريض عن الحياة والموت والعمر، ويدعو إلى مساعدة الضعيف والثناء على من يفعل المعروف فيقول[3]:

إذا رَأَيْـتَ مُعَمَّـراً فَتَعَلَّمَـنْ ... أَنْ سوفَ تُدْرِكُهُ الخُطُوبُ فَيُبْتَلَى
هل في السَّماءِ لِصَاعِدٍ من مُرْتَقَى ... أم هَـلْ لِحَتْـفٍ نـازِلٍ مـن مُتَّقَـى
إرْفَـعْ ضَعيفَـكَ لا يَحُرْ بِـكَ ضَعْفُه ... يـومـاً فَتُـدْرِكَـهُ العـواقِـبُ قـد نما
يَجْـزِيـكَ أو يُثْنِـي عَلَيْـكَ وإنَّ مَـنْ ... أَثْنَـى عَلَيْـكَ بمـا فَعَلْـتَ فقـد جَزَى

وقد ذكر صاحب الأغاني[4] أن البيتين الأخيرين تمثل بهما رسول الله

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٤ البيت رقم ١٩.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٤، ٦، ٨.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٥، ١١، ١٢.
(٤) الأغاني ج٣ ص٣١.

ﷺ حيث قال لعائشة: «أعيدي عليّ قول هذا الكافر. لقد نزل عليّ جبريل وأخبرني أن الله يجازي بالثناء على العمل بما معناه.

ومن تجارب سعية وخبرته بالناس يوضح لنا أن الدنيا مصالح، والناس يجرون وراء مصالحهم، فإذا انتهت تلك المصالح تركوا صاحبهم الذي كان يحقق لهم هذه المصالح وكانوا قبل ذلك حوله، وعندما يصبح فقيراً يبتعد الناس عنه، فإذا غني رجعوا، انظر إليه يقول[1]:

أرى الخُـلَّانَ لمـا قَـلَّ مـالـي   وأجْحَفَـتِ النَّـوائِـبُ وَدَّعـونـي
فلمـا أنْ غَنِيـتُ وعـادَ مـالـي   أراهُـمْ لا أَبَـا لَـكَ رَاجَعُـونـي
فَلمّـا مَـرَّ مـالـي بـاعَـدُونـي   ولمّـا عَـادَ مـالـي عَـاوَدُونـي

وكأني بشعراء يهود قد شغلهم الحديث عن الموت والخلود عن معظم الأشياء وربما يرجع ذلك إلى التشرد والشتات الذي كانوا يعانون منه، والنكبات التي حلّت بهم، جعلتهم يذكرون الموت دائماً، وهذا نتيجة العزلة والخوف، والكراهية لكل الناس، فهذا جبل بن جوال الثعلبي اليهودي يتحدث عن الموت، وأنه لا خلود معه، فهو يتخطّف النفس لتضمها القبور، فيقول:

ولكـنْ لا خُلـودَ مـع المَنـايَـا   تَخَطَّـفُ ثـم تَضْمَنُهـا القُبـورُ

والكل ميت لا محالة، فكلما تقدم وقضى السلف سيلحق الخلف، يقول أبو الذيال اليهودي[2]:

هـل نَحْـنُ إلاّ كمـن تَقَـدّمَنَـا   منّـا ومـن تَـمَّ ظِمْـؤُه يَـرِدِ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٧ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.

نحن كمن ما مضى ولَسْتُ أرى شُحّاً يزيدُ الحَريصَ من عَدَدِ
إنـي لَمُسْتَيْقِنٌ ولم أَمُتِ الْـ يَوْمَ فإني إذَنْ رَهينُ غَدِ

نعم لقد تعرضوا كثيراً للموت والهلاك والمؤامرات في كل مكان حتى في الجزيرة العربية فقد قتل منهم أبو جبيلة الغساني العدد الكثير من سادتهم وأشرافهم بسبب فحشهم وظلمهم الأوس والخزرج. كما سبق أن عرفنا، وكذلك تآمر عليهم مالك بن العجلان زعيم الخزرج وقتل من أعيانهم المئات. وفي صدر الإسلام حاولوا فتنة الناس وإفسادهم وتحريضهم على رسول الله ﷺ وعلى دعوته، فكان مصيرهم القتل وقطع نخيلهم وإجلائهم. فهذا سر جريان الحكمة على ألسنة شعرائهم وحكمائهم، فأكثرها تتحدث عن الموت والفناء، والخلود، وغير ذلك.

يقول الدكتور أحمد شلبي[1]: «كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار، ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم شعباً مضيّعاً مكروهاً كسير الجناح، وعاشوا بين الأمم تلاحقهم العزلة التي تكلمنا عنها من قبل، والتي كانت من أبرز خصائصهم، فأصبحوا ضيوفاً ولكنهم كانوا ضيوفاً ثقلاء، وما بالك بضيف يرى نفسه أرقى عنصراً من المضيف!! وبغريب يفضل نفسه على صاحب الدار!!؟؟

هذا بعض شعر الحكمة عند شعراء يهود، وهو قليلٌ قِلَّةَ ما وصل إلينا من شعرهم وبالتالي فإن ما ضاع أكثر، وربما كان فيه شعر الحكمة أوضح وأكثر، ولم لا وهم يعدُّون أنفسهم أهل العلم والحكمة وباقي الأمم جهلاء أميين.

وربما ابتعد الرواة عن ذكر حكمهم، أو شعرهم الذي يشتمل على

(١) د. أحمد شلبي مقارنة الأديان ص٩٤، ٩٥.

حكم، لأنهم يتحرجون عن رواية شعر يهود العادي، فكيف يروون شعرهم الذي فيه حكم غير المسلمين وعندهم القرآن والسنة وشعر الشعراء المسلمين فكيف يأخذون الحكمة من يهود!!..

على أن الحكمة على قلّتها - تبدو لنا أكثر من الغزل، وذلك لما ذكرناه من حاجة القوم إلى ما في الحكمة من تذكر الموت - وهو من دينهم -، وإلى التصبّر والتجمّل تلاؤماً مع ظروف حياتهم... وغير ذلك...

سادساً: المدح

المدح، فن الثناء والاحترام والإكبار، قام بين فنون الأدب مقام السجل الشعري لجوانب من الحياة التاريخية، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء، وشجاعة القواد وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عن بعض الزوايا؛ وأضاف إلى التاريخ - صادقاً أو كاذباً - ما لم يذكره التاريخ، فساعد على إبراز كثير من الصفات والألوان لم تكن تعرف لولاه، وزاد في شهرة أناس كثيرين أحاطهم بالرعاية، ورفعهم إلى الذروة فجعلهم في مصاف الأعلام، وأغفل زملاء لهم كانوا أحق بالذكر، وأجدر بالشهرة، ولكنها الحظوظ يوزعها الشعراء فينال الثناء بعضاً ويحرم بعضاً.

وكان هم المادحين في أكثر مدائحهم للرؤساء والحكام أن يتحسسوا الصفات الطيبة، والمزايا الرفيعة والأخلاق السامية، أو أن يخترعوها ويلصقوها بالممدوحين ليرفعوا لواء الممدوح بين الناس.

وقد عرف شعراء يهود هذا الفن من كتبهم الدينية، ففي التوراة والتلمود خشوع وخضوع لملك الملوك، ودعوة كذلك إلى النظر في

عظمة الخالق الذي أبدع كل شيء، وفيها صلوات لإله البشر، ومن ذلك ما جاء في مزامير داود: «باكي يا نفس الرب. يا رب إلهي قد عظمت جداً. مجداً وجلالاً لبست - اللابس النور كثوب. الباسط السموات كشقّة. المسقف علاليه بالمياه. الجاعل السحاب مركبته الماشي على أجنحة الريح. الصانع ملائكته رياحاً، وخدامه ناراً ملتهبة. المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد. كسوتها الغمر كثوب. فوق الجبال تقف المياه من انتهارك تهرب. من صوت رعدك تفر. تصعد إلى الجبال. تنزل إلى البقاع إلى الموضع الذي أسسته لها. وضعت لها تخماً لا تتعداه. لا ترجع لتغطي الأرض. المفجّر عيوناً في الأودية بين الجبال تجري. تسقي كل حيوان البر. تكسر الفراء ظمأها. فوقها طيور السماء تسكن. من بين الأغصان تسمع صوتاً. الساعي في الجبال من علاليه. من ثمر أعمالك تشبع الأرض. المنبت عشباً للبهائم. وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض[1].

وهذه صلاة تبدأ على النحو التالي: «يا مولاي، افتح شفتي فيخبر في تسبيحك، مبارك أنت يا رب إلهنا. وإله آبائنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. الإله العظيم الجبار المهيب. الإله العالي. الواهب الإنعامات الطيبة. مالك الكل، وذاكر فضائل الآباء، والآتي بمخلص لنبي أبنائهم لأجل اسمه، بمحبة اذكرنا للحياة أيها الملك الذي يُسَرّ بالحياة. اكتبنا في سفر الحياة لأجلك أيها الإله الحي. الملك المعين. المنجي والواقي. مبارك أنت يا رب يا منج إبراهيم»[2].

كما عرفوه من مجتمعهم الجاهلي، حيث كان الشعراء يتكسبون بالمدح

---

(١) سفر المزامير ١٠٤/١-٤.

(٢) مزامير ٥١/١٧.

أو يعظّمون ممدوحيهم إذا كانوا أبطالاً من قبائلهم وغير ذلك.

على أن شعر يهود في المدح لم يأت على نفس الوتيرة التي جاءت في أسفارهم ولكنه جاء ليبين أن يهود أهل عز وشرف وشجاعة وكرم أصل، وأهل حصون ومنعة ومزارع وغير ذلك، ومن نماذج هذا المدح مقالة كعب بن الأشرف يمدح خاله وأقاربه يقول[1]:

رُبَّ خالٍ لِيَ لو أَبْصَرْتَهُ سَبِطَ المِشْيَةَ أَبّاءٌ أَنِفْ
لَيِّنَ الجانِبِ في أَقْرَبِهِ وعلى الأعداءِ سُمٌّ كالذَّعَفْ

فخاله ذو أنفة وإباء وكبرياء، ليّن مع أقاربه - اليهود - قوي شجاع، على الأعداء كالسّم القاتل، ثم ينتقل إلى مدح أقاربه وبني قومه فيسترسل قائلاً:

وكِرامٌ لم يَشِنْهُمْ حَسَبٌ أهلُ عِزٍّ وحِفَاظٍ وَشَرَفْ
يَبْذلون المالَ فيما نابَهُمْ لِحُقوقٍ تَعْتَرِيهم وَعُرُفْ
ولُيوثٌ حينَ يَشْتَدُّ الوَغَى غيرُ أنكاسٍ ولا مِيلٍ كُشُفْ
فهُمُ أهلُ سَمَاحٍ وَقِرىً وحِفَاظٍ لَمْ يُعابُوا بِصَلَفْ

فهم كرام في بذل المال، أهل عز وشرف، وحسب أصيل، وهم أسود في الحروب، وهم كرماء متسامحون، ليس فيهم صلف أو تكبر - طبعاً على يهود - لأنهم كما ذكرنا سابقاً يحتقرون كل مَنْ هم غير يهود...، ويسترسل في مدحه لقومه الذين سكنوا أعالي يثرب، وبنوا الحصون وزرعوا النخيل يقول[2]:

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيتان ١، ٣.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٢ الأبيات ٣، ٤، ٥، ٦.

سَكَنُوا مِنْ يَثْرِبٍ كُلَّ رُبى ... وسُهُولٍ حَيْثُ حَلّوا في أَنَف
وهُمُ أَهْلُ مَشَارِيبَ بِهَا ... وَنَخيلٍ وحُصُونٍ وغُرَف

ويهود حيثما حلوا يبنون الحصون لحماية أنفسهم، وكأنهم دائماً في خوف ووجل من البشر جميعاً حتى من أنفسهم، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحشر].

أما الربيع بن أبي الحقيق فيقول في مدح عمه الذي يحمل الدرع الطويلة في القتال، صاحب المشية المهيبة يقول[1]:

رُبَّ عَمٍّ لِيَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ ... حَسَنَ المِشْيَةِ في الدِّرْعِ الزَّغَفْ[2]

وأما السموأل بن عادياء فيمدح الفرسان في كتيبته، فهم كالأسود يحملون السيوف والرماح اللامعة التي ترهب الأعداء فيقول[3]:

أَكْنافُها كُلُّ فارسٍ بَطَلٍ ... أغلبَ كاللَّيْثِ عَادِياً حَرِبا[4]
في كَفِّهِ مُرْهَفُ الغِرار إذا ... أهوىٰ بِهِ مِنْ كَرِيهَةٍ رَسَبا
أَعَدَّ للحربِ كُلَّ سابِغَةٍ ... فَضْفَاضَةٍ كالغديرِ واليَلَبا

فالفارس في كتيبته كالأسد، غليظ متهيج، بيده السيف المحدد، وفي كفه الدرع الطويلة الرحبة الواسعة كغدير الماء صافية.

من هذه النماذج القليلة نرى أن المدح في شعر يهود لم يكن غرضاً

---

(١) التحقيق رقم ٧ البيت رقم ١.

(٢) الزغف: الطويلة المحكمة الكثيرة السلاسل.

(٣) التحقيق قصيدة ٢ الأبيات ٥، ٦، ٧.

(٤) عادياً حربا: غليظ متهيج.

بارزاً وليس فيه تزلّف للحكام والملوك، أو لنيل العطايا كما فعل بعض معاصريهم من الجاهليين أمثال النابغة والأعشى وغيرهما، ولكنه كان لوناً من الفخر بفرسانهم وسادتهم فهو مدحٌ الغرضُ منه التعالي على الناس، وتهديدهم بقوة فرسانهم، وأصالة نسبهم، وهذا ليس بعجيب، فإن الملوك والأُمراء في ذلك الزمان كان أكثرهم من الوثنيين وكان بعضهم من النصارى، وكلا النوعين يبغض اليهود، ويبغضهم اليهود، فمن هو الذي سيستقبل شاعراً يهودياً ليسمع منه مدحاً! ومَنْ مِنَ اليهود كان يرضى بمدح أحد من أولئك الذين هم جميعاً أعداء في قاموس اليهود!! ما أظن أحداً كان يفعل ذلك، وكيف يمدح اليهودي غير اليهود، وهم يترفعون عن كل البشر من غير جنسهم. لذلك عزف الشعراء اليهود عن مجاراة شعراء الجاهلية في هذا الميدان. واقتصروا على ما رأينا نماذجه من التفاخر، ومدح بعضهم بعضاً.

سابعاً: الوصف

الوصف في الشعر الجاهلي أقوى فنون الشعر، فكلما عنَّ لأحدهم أن ينظم شعراً كان الموحى به الوصف، سيان في ذلك أن يكون وصفاً للطبيعة المتحركة أو الساكنة، وقد يأتي في افتتاحيات قصائدهم كما هو الحال مع الأطلال، وقد يُقْصَدُ لذاته كما فعلوا في وصف الناقة والحصان وغيرهما، وقد يتناثر في قصائدهم كوصف السيف والصحراء والوحوش والليل وغير ذلك.

أما الوصف في شعر يهود فقليل، وربما يرجع ذلك إلى أن الوصف يحتاج إلى قصائد طويلة، وشعر يهود معظمه مقطوعات، أو لأنهم كانوا أهل مهن، من زراعة وصناعة وتجارة وصياغة وحدادة وغيرها، ولم يكن لديهم الوقت الكافي للوصف والتفصيل فكانوا يقولون مقطوعات يتطلبها

ظرف سريع من غزل أو مدح أو فخر أو هجاء... إلى غير ذلك.

وربما ضاع شعر الوصف عندهم لأنه يحتاج إلى طول بال في الرواية. ويمكن أيضاً أن يكون قد ألصق أشياء تخالف معتقدات الرواة ومذاهبهم.. ومع ذلك فقد وجدنا نماذج من شعر الوصف عند شعراء يهود في العصر الجاهلي. وقبل أن نذكر نماذج من شعرهم لنقرأ شيئاً من أسفارهم التي تصف الطبيعة التي خلقها الله وسخرها للإنسان، فلنقرأ في مزامير داود لنرى تلك الأوصاف للطبيعة الجميلة «تشبع أشجار الرب أرز لبنان الذي تصبه حيث تعشعش هناك العصافير. أما اللقلق فالسرو بيته، الجبال العالية للوعول، والصخور ملجأ للوبار. صنع القمر للمواقيت. الشمس تعرف مغربها. تجعل ظلمة فيصير ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر، الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها. تشرق الشمس فتجتمع وفي مأويها تربض. الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى السماء. ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنعت. ملآنة الأرض من غناك. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف، هناك دبابات بلا عدد. صغار حيوان مع كبار. هناك تجري السفن...»[١].

هذه أوصاف للطبيعة التي خلقها الله في أسفار يهود، فماذا قال شعراؤهم في وصف هذه الطبيعة الساكنة أو المتحركة؟ هذا هو أحدهم، هو الربيع بن أبي الحُقَيْق يصف دوراً خلت من أهلها ثم عبثت بها الرياح والأمطار فغيّرتها وسكنتها الوحوش فيقول[٢]:

دورٌ عَفَتْ بِقُرى الخابور غَيَّرَها ... بَعْدَ الأنيسِ سَوافي الريحِ والمَطَرِ[٣]

---

(١) سفر المزامير ١٠٤/١٥-٢٦.

(٢) التحقيق قصيدة رقم ٤ الأبيات ١، ٢، ٣.

(٣) الخابور: من أعمال الموصل في شرف دجلة وهو نهر كبير يخرج من الجبال =

إن تُمْس دارُك مما كان يَسْكُنها وَحْشاً فذلك صَرْفُ الدّهر والقَدَرُ
وقد تَحُلُّ بها بِيض تَرائِبُها كأنَّها بينَ كُثْبانِ النَّقَا البقَرُ

فهذه الدور قد خلت من سكانها بعد أن غيّرها الريح والمطر لعدم وجود الناس بها، ثم يرسم مشهداً آخر لهذه الدور التي عفت فقد سكنتها الوحوش وتناثرت وعفى عليها الدهر بعد أن كانت الحياة تدب في أنحائها حيث الحسناوات بعيونها وجمال هذه العيون كعيون البقر الوحشية... وغير ذلك... ويقول كذلك في وصف النخيل وسعفها بوادي القرى[1]:

أَذلِكَ أَمْ غَرْسٌ من النّخْلِ مُتْرَعٌ بِوادي القُرى فيه العُيونُ الرَّواجِعُ
لَها سَعَفٌ جَعْدٌ وَلِيفٌ كَأَنَّهُ حَواشي بُرودٍ حاكَهُنَّ الصَوانِعُ

فما أجمل هذا الوصف حيث النخل المترع في وادي القرى، وفيه العيون الرواجع، ثم انظر إلى الوصف في البيت الثاني وقوله: «حواشي برود حاكهن الصوانع». ألا يدل ذلك على أنهم أهل صناعة من حياكة وغيرها فهذا تشبيه يلتصق بهم وبأعمالهم ومهنهم.

وهذا وصف جميل يسوقه الربيع بن أبي الحقيق يقول فيه[2]:

مَنْ مُبْلِغٌ فِتيانَ قَومي رِسالَةً فلا تَهْلِكوا فقراً على عِرْق ناهِقِ
فإن بِهِ صَيْداً غَزِيراً وهَجْمَةً طِوالَ الهوادي بائناتِ المرافِقِ
نجائِبُ عِيدِيٍّ يكونُ بُغاؤُهُ دعاءً وقد جاوزنَ عُرْضَ الشَّقائقِ

= عليه عمل واسع، قرى: نهر في شمال الموصل يصب فيه دجلة ومنبعه من أرض الدوران. البقر: يريد بقر الوحش، وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرةِ في جمالِ العينين.

(١) التحقيق رقم ٦ البيتان ١، ٢.

(٢) التحقيق رقم ١٨، ٢، ٣.

فما أجمل طوال الهوادي، وبائنات المرافق وقد جاوزن عرض الشقائق، والشقائق هنا هي شقائق النعمان. ويهود كما قلنا لهم دراية بصناعة الأسلحة في زمنهم كالرماح والسيوف والدروع، فها هو أحد شعرائهم هو الربيع بن أبي الحُقَيق أيضاً يصف الدروع وجودتها وجودة نبالها التي تدخل في الدرع، ونصالها منسلكة كالمخيط يقول[١]:

تَنفي السّرى وجِيادُ النبل تَتْرُكُهُ　　من بين مُنْقصفٍ كَسْراً ومَفْلولُ[٢]

وما دمنا نتحدث عن وصف السلاح من دروع وسيوف فهذا يوصلنا إلى المعارك ووصفها ووصف الكتيبة والجيش والفارس إلى جانب السيوف والدروع، ويظهر ذلك جلياً في شعر السموأل بن عادياء في وصف الكتيبة والجيش والفارس وغير ذلك يقول[٣]:

إنّ لنا فَخْمَةً[٤] مُلَمْلَمَةً　　تَقْري العَدُوّ السّمامَ واللّهَبا[٥]
رَجْرَاجَةً عَضّلَ الفَضَاءُ بها　　خَيْلاً وَرَجْلاً وَمَنْصِباً عَجَبا
أكْنَافُها كُلُّ فارسٍ بَطَلٍ　　أغْلَبَ كالليْثِ عادِياً حَرِبا
في كَفِّهِ مُرْهَفُ الغِرَارِ إذا　　أهوى به مِنْ كريهةٍ رَسَبا
أَعَدَّ للحَرْب كُلَّ سابِغَةٍ　　فَضْفاضَةٍ كالغَدِير واليَلَبا
والسُّمْرُ مَطْرُورةٌ مُشَقّقَةٌ　　والبِيضُ تَزْهو تَخالُها شُهُبا

فالكتيبة عظيمة، مجتمعة بعضها إلى بعض، كثيرة الحركة، والبطل شجاع تبطل الحيلة فيه متهيج والسيف مرهف محدد، والدروع طويلة،

---

(١) التحقيق رقم ١٠ البيت ١.

(٢) السروة: تدعى الدرعية وذلك إنها تدخل في الدرع ونصالها منسلكة كالمخيط.

(٣) التحقيق رقم ٢ الأبيات من ٣، ٨.

(٤) فخمة: كتيبة.

(٥) سورة الدخان آية ٤٩.

والرماح عظيمة والسيوف مقومة تبرق كالشهب، وما أجمل وأبلغ عجز البيت الأول: «تقري العدو السام واللهبا». إنها تدل على الكرم ولكنه كرم من نوع آخر، كرم مع العدو حيث يقري بالسمام والموت. إن هذا المعنى فيه سخرية فهو قريب من قوله تعالى مخاطباً الكافر: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الدخان].

ولنترك السلاح ووصفه وما يجلبه من حروب، ولننظر إلى وصف دار المحبوبة عند سعية بن الغريض الذي يصف دار محبوبته بأنها أصبحت كالأرض جافة قاحلة وكانت قبل ذلك عامرة بفيض النعم يقول[1]:

يا دارَ سُعْدى بِمُفضى تِلْعَةِ النَّعَمِ	حُيِّيتِ داراً على الإقواءِ والقِدَمِ
عُجْنـا فمـا كَلَّمَتْنَـا الـدَّارُ إذ سُئِلـت	وما بها من جَوَابٍ خِلْتَ من صَمَمِ
مـا يُجْـزِعَنَّـك إلا الـوَحْـشُ سـاكنـةً	وهامِدٌ[2] من رمادِ القِدْرِ والحِمَمِ

فموقع دار محبوبته سعدى في مكان مرتفع قديمة، وصمتها كصمت الموتى فلم تكلم الشاعر ولم ترد عليه، ثم ينتقل وهو واقف بها ليرسم لنا بريشة بارعة مشهداً آخر هو مشهد الوحوش التي تسكنها بعد أن خلت من سكانها الأصليين. ولكن رماد القدر والحمم التي تناثرت هنا وهناك لا زالت تذكرك بمن كانوا فيها حين كانت الحياة تدب في أنحائها وغير ذلك.

ثامناً: الرثاء

عرف الرثاء عند الجاهليين، إذ كان الرجال والنساء جميعاً يندبون الموتى، وقد عرف عند اليهود كذلك بل وذكر في كتبهم المقدسة ومن

---

(١) التحقيق قصيدة رقم ٥ الأبيات ١، ٢، ٣.

(٢) ربما تكون «هامد» بدل «هاق» حتى يستقيم المعنى.

يقرأ في أسفار العهد القديم يرى ألواناً مختلفة من الرثاء فتارة يجد بكاء وندباً، وتارة يجد استغفاراً ودعاءً، وكثيراً ما يشترك النساء والرجال في النواح، فقد كانوا يبكون «يوشيا»[(1)] وجعلوها سنة فيهم، وبكوا أبطالهم الذين قتلوا في الحروب والمعارك كثيراً واتخذوهم رمزاً لأمجاد ضائعة، وتغنوا طويلاً بتاريخهم القديم، ووطنهم المثخن بجراح الأعداء كما كانوا يزعمون. ومراثي «أرميا»[(2)] لأورشليم بعد أن خرّبها البابليون ذائعة مشهورة وهي تتحول إلى مناحة كبيرة يبكي «أرميا» حالة يهوذا وأورشليم، وما نزل ببني إسرائيل من انحرافات، والمصير السيىء الذي آلت إليه دولتهم. ومما جاء في هذا السفر: «ابتلع السيد ولم يشفق كل مساكن يعقوب، نفض بسخطه حصون بنت يهوذا، تجسّ المملكة ورؤساءها، وأشعل في يعقوب ناراً ملتهبة تأكل من حولها، مدّ قوسه كعدو، ونصب عينه كمبغض، وقتل كل مشتهيات العين في خباء بنت صهيون، سكب كنار غيظه - صار السيد كعدو وابتلع إسرائيل»[(3)].
وللرثاء صور ثلاثة هي: الندب والتأبين والعزاء:

والندب: هو النواح والبكاء على الميت بالعبارات الشجية والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة، إذ يولول النائحون والباكون ويصيحون ويعولون مسرفين في النحيب والنشيج وسكب الدموع. والندب له صور متعددة منها: ندب الأهل، وندب الأقارب، وندب الشعراء أنفسهم حين تحين ساعة الموت، ويفارقون الحياة إلى حفرة مظلمة ويحملون على النعوش كما يقول أحد شعراء

---

(1) يوشيا: هو يوشيا بن آمنون بن منساء من ملوك يهوذا في أورشليم (١٦٤١ ٦١ق.م) (الفكر الديني الإسرائيلي حسن ظاظا ص٢٥).
(2) أرميا: نبي من أنبياء بني إسرائيل عاش في القرن السابع قبل الميلاد.
(3) سفر المراثي ٢/ ٢٠-٥.

يهود هو السموأل بن عادياء[1]:

يا ليت شعري حين أندب هالكاً ... ماذا تـؤبنني بـه أنـواحـي

فهـو ينـدب نفسـه ويتحسـر قبـل أن يمـوت، وبمـاذا سـوف تـؤبنـه بـه النائحات.

أما التأبين: فهو الثناء على الشخص الميت، إذ كان من عادة الجاهليين أن يقفوا على قبر الميت فيتذكروا مناقبه، ويعددوا فضائله، ويشهروا محامده، وشاع ذلك عندهم، وأصبح من سننهم وعاداتهم، ولو لم يقفوا على القبور، كأنهم يريدون أن يحتفظوا بذكرى الميت على مر السنين، ونجده دائراً على ألسنة الرجال والنساء، وهم يبكونه فقط من أجل رابطة الدم التي تربطهم به، بل هم يبكون فيه نموذج المروءة كما يتمثلها أهل البادية. يبكون فيه الكرم والشجاعة والوفاء وحماية الجار، وإغاثة الملهوف، والعلم، والأنفة، والحزم، وركوب الصعاب، والسماحة والفصاحة، والسيادة والشرف وكل ما يزين الرجل في رأيهم من صفات وخلال وكأنما كان غرضهم من تأبينهم أن يصوّروا تصويراً تاماً مدى الخسارة والمصيبة في الفقيد فهذا كعب بن الأشرف النضري يبكي قتلى بدر ويذكر مناقب القتلى، فهم سادة القوم وأخيارهم، ومنهم الكرماء الذين يغيثون الملهوف والضائع ومنهم الذي حمل أثقال القوم ويأخذ ربع الغنيمة - وهذه عادة الرؤساء في الجاهلية - يقول[2] -:

طَحَنَتْ رحى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ ... وَلِمِثْـلِ بَـدْرٍ تَسْتَهِـلُّ وَتَـدْمَـعُ
قُتِلَتْ سَرَاةُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِم ... لا تَبْعَـدوا إن المُلُـوكَ تُصَـرّعُ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٩ البيت رقم ١.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤.

كم قد أُصيب به من أبيضَ ماجِدٍ ذي بَهْجَـةٍ يَـأْوِي إليـهِ الضُّيَّـعُ
طَلْقُ اليَدَيْنِ إذا الكواكِبُ أَخْلَفَتْ حَمَّـالُ أثْقـالٍ يَسُـودُ ويَـرْبَـعُ[1]

فالميت يأوي إليه الضائعون، كثير المعروف ويظهر ذلك في الشدة عندما يكون القحط وقلة المطر يحمل عن الناس أعباءهم ويسود فيهم..

وأما العزاء: فمعناه التصبّر على كارثة الموت، وأن يرضى من فقد عزيزاً بما فاجأه به القدر، فتلك سنة الكون، نولد، ونمضي في الحياة سعداء أو أشقياء ثم نموت، ومن نماذج شعر يهود في ذلك، ما قاله سماك اليهودي، فقد أصابه هم كبير، وقلق مؤلم لمقتل سيد الأحبار واعتبره قتلاً لبني النضير جميعاً فيقول[2]:

أرِقْـتُ وضَـافَنِـي هَـمٌّ كبيـرُ بِلَيْـلٍ غَيْـرُهُ لَيْـلٌ قصيـرُ
أرى الأحبـارَ تُنْكِـرُهُ جميعـاً وَكُلُّهُـمُ لَـهُ عِلْـمٌ خبيـرُ
قَتَلْتُـمْ سَيِّـدَ الأحْبـارِ كَعْبـاً وَقِـدْمـاً كـان يَـأمَـنُ مَـنْ يُجيـرُ
فَغـادَرَهُ كـأنَّ دمـاً نَجيعـاً يَسيـلُ علـى مـدارِعِـه عَبيـرُ
فقـد وأبِيكُـمُ وأبـي جَميعـاً أُصِيبَـتْ إذ أُصيـبَ بـه النَّضِيـرُ

لقد امتنع النوم عنه، ونزل به هم كبير، وأصبح ليله طويلاً لمقتل سيد الأحبار الذي كان يجير، ويؤمن من يستجير به، وقد سالت الدماء، وقتل سيدهم، وكأن الذي قتل بنو النضير جميعاً..

وعلى هذا النمط رثى شاعر آخر من شعراء يهود زعماء بني قريظة، فقال جبل بن جوال الثعلبي اليهودي بعد مصيبة بني قريظة التي حلّت بهم

---

(١) يربع: يأخذ ربع الغنيمة، وهذه عادة الرؤساء في الجاهلية، طلق اليدين: كثير المعروف.

(٢) التحقيق قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٤، ٦، ٧.

بسبب خيانتهم للمسلمين في غزوة الأحزاب، قال يبكي زعماءهم[1]:

وَأَقْفَـرَتِ البُـوَيْـرَةُ مـن سَـلاَم وَسَعْيـةَ وابـنِ أَخْطَـبَ فَهـي بُـورُ
وقـد كـانـوا بِبَلْـدَتِهـم ثِقـالاً كَمـا ثَقِلَـتْ بِمَيْطَـانَ الصُخـورُ[2]
فـإن يَهْلِـك أبـو حَكَـمٍ سَـلاَمٌ فـلا رَثُّ السَّـلاحِ ولا دَثـورُ
وكـلُّ الكـاهِنيـنَ وكـانَ فيهـم مـع اللّيـن الخَضَـارِمـةُ الصُقـورُ
وجـدنـا المَجْـدَ قـد ثَبَتُـوا عليـه بِمَجْـدٍ لا تُغَيِّبُـهُ البُـدُورُ

ثم يختتم أبياته ببيت عزاء يقول فيه:

ولكـنْ لا خلـودَ مَـعَ المَنـايـا تَخَطَّـفُ ثـم تَضْمَنُهـا القُبـورُ[3]

لقد خلت الديار من أشراف بني قريظة وعلى رأسهم سلام بن مشكم، وسعية، وابن أخطب وغيرهم، وكانوا ثقالاً ثقل الصخور على جبل ميطان بالحجاز، وهم أهل العز والمجد والشرف، ولكنه يعزى فيهم ويقول بأن لا خلود في الدنيا، ولا بد من الموت والقبر، فقد مزج الندب والتأبين والعزاء في أبياته فكانت شاملة لصور الرثاء.

وهناك ندب مع عزاء ولكن ليس لميت بل لمصاب بمصيبة كما حدث لأيوب عليه السلام والمحن العظيمة التي ابتلاه بها الله سبحانه وتعالى، ولما حدث له ما حدث، ورد ذلك في سفر أيوب: «وضرب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته، فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد. وقالت له امرأته أنت متمسك بعد بكمالك بارك الله ومت فقال لها: لا تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. الخير نقبل من عند الله

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٥، ٦، ٧، ٨، ٩.
(٢) ميطان جبل بالحجاز.
(٣) البيت رقم ١٢.

والشر لا نقبل؟ في كل هذا لم يخطىء أيوب بشفتيه، فلما سمع أصحاب أيوب الثلاثة بكل الشر الذي أتى عليه - جاؤوا كل واحد من مكانه اليفاز التيحاني، وبلدد الشوحي، وصوفر النعماني، وتواعدوا أن يأتوا ليرثوا له ويعزّوه، ورفعوا أعينهم من بعيد، ولم يعرفوه، فرفعوا أصواتهم وبكوا، ومزّق كل واحد جبّته وذرّوا تراباً فوق رؤوسهم نحو السماء، وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال ولم يكلّمه أحد بكلمة لأنهم رأوا أن كآبة كانت عظيمة جداً»[1].

ولما قتل أبو جبيلة الغساني أشراف يهود بوادي ذي حُرُض بسبب فحشهم قالت سارة القرظية ترثيهم[2]:

بِنَفسي رِمَّةٌ لم تُغْنِ شيئاً	بذِي حُرُضٍ تُعَفِّيها الرِّياحُ
كُهُولٌ من قُرَيْظَةَ أتْلَفَتْهُمْ	سيُوفُ الخَزْرجيّةِ والرِّمَاحُ
رُزِئْنَا والرَّزِيَّةُ ذاتُ ثِقْلٍ	يُمِرُّ لأجلِها الماءُ القَرَاحُ

فهي تفدي هؤلاء الأشراف بنفسها عندما قتلوا بوادي ذي حرض بالقرب من يثرب في الحائر الذي بناه لهم مالك بن العجلان زعيم الخزرج آنذاك، وتآمر مع أبي جبيلة الغساني ليتخلص منهم ومن فحشهم، وقد حدث ما حدث وقتل من أشرافهم المئات، وتشعر الشاعرة بعظم الحادثة وكبر المصيبة.

ونلاحظ أن شعر الرثاء عند اليهود قليل، وربما يرجع ذلك إلى أنهم أهل كتاب وديانة ويؤمنون بالموت والحساب والعقاب، وأنه لا خلود على الدنيا، فالكل ميت والكل مبعوث للحساب، لذا، فهم لا يكثرون

---

(١) سفر أيوب ٢/٧-١٣.

(٢) مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

البكاء والندب والنواح كغيرهم من معاصريهم الوثنيين والمشركين.

تاسعاً: أغراض أخرى

أ- **التهديد والوعيد**: والتهديد والوعيد غير الهجاء، إذ ليس فيه ذم، وذكر صفات سيئة، وإنما تحسّ فيه نبرة القوة، ولكنه في أغلب الأحيان يكون سلاح العاجز، لأن الذي يفعل لا يهدد ويتوعد، إنما يضرب دون سابق إنذار، فهذا سماك اليهودي يتوعد المسلمين بعد حادث قتل النضير وإجلائها فيقول[1]:

فإنْ لَمْ أَمُتْ نَأْتِكُمْ بالقَنا ... وَكلِّ حُسامٍ معاً مُرهَفِ
بِكَفّ كَمِيٍّ بهِ يُحْتَمَى ... متى يَلْقَ قِرْنَاً لَهُ يُتْلِفِ
مَعَ القَوْمِ صَخْرٌ وأشياعُهُ ... إذا غادَرَ القَومِ لا يَضْعفِ
كليثٍ بِتَرْجِ حِمَى غِيلِهِ ... أخي غَابَةٍ هاصِرٍ أجْوَفِ

فهو هنا يتوعد المسلمين، بأنه سيأتي مع قومه، ومعهم صخر (أبو حرب بن سفيان) الليث الهصور، لقتال المسلمين وتحطيمهم وكسرهم ككسر الأسد فريسته في الغابة.

وهذا درهم بن زيد يهدد ويتوعد الذين رفضوا ديّة العبد[2] فهو يهددهم بعد أن رفضوا أخذ الدية فيقول[3]:

إن بُجَيْراً عَبْدٌ فَخُذْ ثَمَناً ... فالحَقُّ يُوفَى به وَيُعْتَرَفُ
ثم اعلَمَنْ إنْ أرَدْتَ ضَيْمَ بني ... زَيْدٍ فإني وَمَنْ لَهُ الحَلِفُ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٣ الأبيات ٥، ٦، ٧، ٨.

(٢) العبد: هو بجير كان لمالك بن العجلان - زعيم الخزرج - وقد قتله سمور بن زيد أخو درهم بن زيد، ورفض مالك أخذ دية العبد، وطالب بقتل القاتل.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٣ الأبيات ٣، ٤، ٥، ٦.

لَأُصْبَحَنْ دارَكُمْ بِذِي لَجَبٍ   جَوْنٍ لَهُ من أَمَامِه عَزَفُ
البِيضُ حِصْنٌ لهم إذا فَزِعوا   وسَابِغاتٌ كأنّها النُّطَفُ

فقد شاورهم، ودعاهم إلى أخذ الدية، وهي حق لهم يعترف به، فإذا رفضوا ذلك وأرادوا إذلاله وإذلال أخيه وعائلته جميعها، فإنه سيأتيهم بالجيش الكثير العدد في قوته وسلاحه من سيوف لامعة، وبيض واقية..

ب- العتاب:

وهو ذم الصفات التي توجد عند بعض خصوم الشاعر من عشيرته، وهو نوع من التوبيخ ومن أمثلة ذلك ما قاله الربيع بن أبي الحُقَيق عندما عاتب بني النضير وبني قريظة الذين أعملوا السيف في رقاب إخوانهم بني قينقاع عندما انضموا إلى الخزرج قال[1]:

سَئِمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الفِرا   شِ من جُرْمِ قَومي ومِنْ مَغْرَمِ
وَمِنْ سَفَهِ الرأي بَعْدَ النُّهَى   وَغَيْبِ الرَّشَادِ وَلَمْ يُفْهَمِ
فلو أن قَومي أطاعوا الغُوَا   ةَ حتى تَعَكَّس أَهْلَ الدّمِ
فأَوْدى السَّفِيهُ بِرأي الحَلِيـ   ـمِ وانتشَرَ الأمْرُ لم يُبْرَمِ

فقد وبّخ القبيلتين من بني جلدته حيث أشار إلى أن رأي السفهاء تغلّب على رأي أصحاب الحكمة، وانتشرت الفوضى، وحل الضرب والتقتيل.

جـ- إيثار الفرس على غيرها:

والحقيقة أن إيثار الفرس والخيل عموماً على غيرها، لم يكن عند يهود وحدهم «فقد كان البدوي يؤثر خيله بالماء وصبيانه يبكون، فإن بقي

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١١ الأبيات من ١-٥.

فيه شيء دفعه إلى الصبية»[1] وهذا خُزَزُ بن لَوْذان يقول[2]:

كَـذَبَ العَتيـقُ ومـاءُ شَـنٍّ بَـاردٌ ... إن كُنْتِ سائِلتي غَبُوقاً فاذْهبي
لا تَـذْكُـري فَـرَسِـي ومـا أطْعَمْتُـهُ ... فيكـونَ لـونُـكِ مِثْـلَ لـونِ الأجـربِ
إنِّـي لأخشـى أن تقـولَ حَلِيلَتـي ... هــذا غُبَــارٌ سَــاطِــعٌ فَتَلَبَّــبِ

فخزز ليس بدعاً من ذلك.

د- العلم بالخلق والبعث والحساب وتاريخ الأديان:

كيف لا وهم أصحاب ديانة سبقت النصرانية والإسلام إذا قيسوا بمعاصريهم عرب الجاهلية، فهم أهل كتاب، والعرب عبّاد أصنام وأوثان، وهم أهل علم ومعرفة في بدء الخلق، فلنقرأ مما ما جاء في سفر التكوين حيث جاء في بداية هذا السفر: «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه القمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه، وقال الله ليكن نور فكان، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة ودعا الله النور نهاراً، والظلمة دعاها ليلاً، وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً وقال الله ليكن جَلَد في وسط المياه، ولكن فاصلاً بين مياه ومياه، فعمل الله الجَلَد والمياه التي فوق الجَلد، وكان كذلك. ودعا الله الجَلَد سماء، وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة، وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحاراً، ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر كجنسه بزره فيه على الأرض

(١) فيليب حتي. تاريخ العرب الموجز ص١٧.
(٢) التحقيق. قصيدة قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

وكان كذلك...»[1] ويستمر الخلق، إلى خلق آدم ومنه حواء ثم قصتهما في الجنة، وخروجهما منها... إلى غير ذلك... ولننظر إلى ما قاله بعض شعراء يهود في العصر الجاهلي عن الخلق والبعث والحساب يقول السموأل بن عادياء متحدثاً عن بدء خلق الإنسان مذ كان نطفة في بطن أمه في مكان خفي ثم يوضح هذه المعرفة فيقول[2]:

نُطْفَةٌ ما مُنِيتُ يَوْمَ مُنِيتُ ... أُمِرَتْ أَمْرَها وَفيها بُرِيتُ
كَنَّها اللهُ في مكان خَفِيٍّ ... وَخَفِيٌّ مَكَانُها لَوْ خَفِيتُ
مَيْتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ثُمَّ حَيِيتُ ... وَحَيَاتِي رَهْنٌ بِأَنْ سَأَمُوتُ

فالإنسان في بدء خلقه كان نطفة في بطن أمه، ثم سواه الله ونفخ فيه من روحه، ثم يولد ويكبر ويموت وهكذا. ثم يتحدث عن معرفته وعلمه بقصص الأنبياء، وقبل أن نستعرض ما قاله في ذلك ننظر في أسفار العهد القديم لنرى ما قالته عن قصص الأنبياء السابقين، فقد ذكر سفر التكوين قصة بدء الخلق، وآدم، ونوح، وإبراهيم، وأبناءه، ويعقوب ويوسف، والأسباط وينتهي بقصة يوسف في مصر، وأما سفر الخروج، فيبدأ باضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل ثم خروجهم مع موسى وهارون من مصر وينتهي بنبوة يوشع بن نون»، ويأتي سفر اللاوين ليتحدث عن أحبار اليهود، وما وضعوه من قوانين وشرائع وطقوس وغير ذلك، ولنذكر بعض ما جاء في هذه الأسفار التي تتحدث عن الأنبياء: جاء في سفر التكوين: «وسكب يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان هذه مواليد يعقوب: يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة، كان يرعى مع إخوته الغنم، وهو غلام عند بني بلهة وبني زلفة امرأتي أبيه، وأتى يوسف

---

(١) سفر التكوين ٣٧/١-٦.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٤ الأبيات ١، ٢، ٣.

بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته، فصنع له قميصاً ملوناً فلما رأى أخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع أخوته أبغضوه، ولم يستطيعوا أن يكلّموه بسلامٍ، وحلم يوسف حلماً وأخبر أخوته، فازدادوا أيضاً بغضاً له. فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت...»[1].

وجاء في سفر الخروج: «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمية، كان ميربان، فساق الغنم إلى البرية، وجاء إلى جبل الله حوريت وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى موسى. فقال: هأنذا. فقال: لا تقترب إلى هنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال: أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله...»[2].

فماذا قال شعراء يهود عن قصص الأنبياء ومعرفتهم بهذه القصص، يقول السموأل بن عادياء[3]:

وَأَتَتْني الأنْبَاءُ عن مُلْكِ داو ... دَ فَقَرَّتْ عَيْني بِهِ وَرَضِيتُ

وسليمانُ والحَوَارِيُّ يَحْيَى ... ومتى يوسُف كأنّي وَليتُ

وَبَقَايا الأسْبَاطِ أسباطِ يَعقو ... بَ دراس التَّوْرَاةِ والتَّابُوتُ

وانفلاقُ الأمواجِ طَوْرَيْن عن مو ... سى وبَعْدُ المُمَلَّكُ الطَّالُوتُ

---

(١) سفر التكوين ٣٧/ ١-٦.

(٢) سفر الخروج ١-٦.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٤ الأبيات ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

ومصابُ الإفريسِ حين عصى اللهَ وإذ صابَ حَيْنَهُ الجالوتُ

فقد ذكر سليمان، وداود، ويوسف، والأسباط، ويعقوب، وموسى وانفلاق البحر له وقصة طالوت وجالوت وغير ذلك...

وأما سماك اليهودي فهو يذكر أن اليهود أهل كتاب ورثوه عن موسى عليه السلام فيقول(١):

أَلَسْنا وَرِثْنا الكتابَ الحَكيمَ على عَهْدِ موسى فَلَم نُصْرَفِ

وأما أوس بن دني القرظي فيقول في حوار بينه وبين زوجته التي أسلمت ودعته إلى الإسلام يقول أوس بن دني يذكر ما دار بينه وبين زوجته(٢):

دَعَتْني إلى الإسلام يَوْمَ لَقيتُها فَقُلْتُ لها لا بَلْ تَعالي تَهَوّدي
فَنَحْنُ على تَوْراةِ موسى ودِينِهِ وَنِعْمَ لَعَمْري الدِّينُ دِينُ محمَّدِ
كِلانا يَرى أن الشَّريعةَ دِينُهُ وَمَنْ يُهْدَ أبوابَ المَراشِدِ يَرْشُدِ

أرأيت كيف كان القوم يعلمون كثيراً من أخبار الأمم السابقة من كتبهم، ومن أحبارهم، ثم أرأيت كيف أنهم - كما نلحظ - من شعر أوس بن دني، كانوا يعرفون حقيقة الإسلام وإن كان مدح أوس له تلوح منه رائحة الخديعة لإغراء زوجته بالعودة إلى اليهودية بحجة أن الديانتين تتشابهان ولا فرق بينهما، فهو اعتراف مبطن بالخداع...

هذه هي أهم الأغراض والموضوعات التي وجدناها من خلال دراسة شعر يهود في العصر الجاهلي، وهي بلا شك قليلة، لأن ما وصل إلينا

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيت رقم ١.
(٢) التحقيق. مقطوعة رقم ١ الأبيات رقم ١، ٢، ٣.

من شعرهم قليل كذلك.

ومع ذلك، فقد ظهرت فيها مسحة الدين والعلم والحكمة والمعرفة، كما ظهرت فيها روح التعالي، والتفاخر على غير اليهود، واحتقار غير اليهود، وعدم حبهم إلا عند خشية ضررهم كما تأمر بذلك أسفارهم، وكما لاحظنا في أشعارهم.

الفصل الرابع

الخصائص الفنية لشعر يهود

أ- المقدمات

يقصد بالمقدمات تلك الأبيات التي تعود كثير من الشعراء في كثير من القصائد أن يفتتحوا بها قصائدهم. وقد غلب على افتتاحيات قصائد الجاهليين الوقوف على الأطلال وتذكر الأماكن التي كان لهم فيها ذكريات، فكانوا يبكون ويستبكون، ويقفون ويستوقفون وينطقون ويستنطقون كما فعل امرؤ القيس في مطلع معلقته المشهورة حين قال:

قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وقد سار على منواله جل الشعراء الجاهليين إن لم يكن كُلُّهم، وكان الواحد منهم يتنقل من الوقوف بالأطلال إلى أشياء كثيرة منها غزلية أحياناً، ومنها وصف الناقة أو الظبية أو الحصان أو غيرها. مما كان له أثره في البيئة الجاهلية، كل ذلك وغيره كان في مقدمات قصائد الشعر الجاهلي القصار منها والطوال. قال ابن قتيبة: «إن مقصد القصيد إنما بدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع. واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كانت نازلة العمد في الحلول والظعن على خلال ما كان عليه نازلة المدر لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط

الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، ريّط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام»[1]. فيفسر هذا الرأي الذي نقله ابن قتيبة للوقوف على الأطلال، ومخاطبة الداثر من الديار: بحياة العرب التي قامت على الرحلة من مكان إلى مكان تتبعاً لمساقط الغيث ومنابت الكلأ، وفي مثل تداعي الخواطر، فإن الشاعر إذا ألم بالربع، فلا بد أن يتذكر أهله الظاعنين عنه، فيحدث عنهم، ويفصح عن مشاعره نحوهم ابتغاء إغراء السامعين بالاستماع إليه والإقبال عليه. ويكاد يردد ابن رشيق الرأي الذي رواه ابن قتيبة ثم يضيف إليه ما يوضح لنا أن العربي عندما وقف على الديار وخاطب الأطلال كان مسايراً طبيعة الحياة الجاهلية حيث الخيام والتنقل ليست كأبنية الحاضرة والتي منها أبنية يهود في يثرب حيث الحصون والمزارع والنخيل والاستقرار. يقول ابن رشيق: «وكانوا قديماً أصحاب خيام يتنقلون من موضع إلى آخر، فلذلك أول ما تبدأ به أشعارهم بذكر الديار، فتلك ديارهم، وليست كأبنية الحاضرة، فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازاً لأن الحاضرة لا تسفعها الرياح، ولا يمحوها المطر، إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيل»[2] فابن رشيق كغيره من الأدباء يرجع ظاهرة الوقوف على الأطلال إلى تأثير البيئة التي عاشها البدوي، وأضاف ابن رشيق إضافة ذكية، وهي أن الوقوف على الطلل طبع عند أهل البدو تقليد عند أهل الحضر.

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص٧٥.

(٢) العمدة ج١ ص٢٢٦.

ويهود - كما قلنا - في الجزيرة العربية كانوا أهل حضر، حيث بنوا الحصون والأطام، وزرعوا النخيل، واشتهروا بالصناعة والحياكة والصياغة والتجارة وغير ذلك.

فإن كان في أشعار شعرائهم مقدمات فهي تقليد لمعاصريهم.

كما أن أشعارهم التي وصلت إلينا في غالبيتها مقطوعات قصيرة تناسب أعمالهم، إذ لم نعثر على قصائد طويلة إلا قليلاً، وخاصة في شعر السموأل بن عادياء الذي عثرنا له على ديوان صغير، وبعض القصائد للربيع بن أبي الحُقَيْق، وكعب بن الأشرف وسعية بن الغريض وقصيدة سمّاك، وأخرى لأبي الذيال، وثالثة لأبي قيس بن رفاعة وغيرهم... إلا أن مقدمات هذه القصائد أو معظمها تختلف عن مقدمات معاصريهم، وَلِمَ لا ويهود أهل ديانة وعلم وثقافة وحكمة، فهذا السموأل بن عادياء يستهل قصيدته اللامية المشهورة بمقدمة ولكنها ليست بكاء على الأطلال، وذكرا لديار محبوبته، لكنها حكمة فيقول[1]:

إذا المَرْءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُـلُّ رِداءٍ يَـرْتَـدِيـهِ جَمِيـلُ
وإن هُوَ لَمْ يَحْمِلْ على النَّفسِ ضَيْمَها ... فَلَيْـسَ إلـى حُسْـنِ الثَّنَـاءِ سَبيـلُ

وعجيب أمر السموأل، أليس من شعراء الجاهلية؟ ألم يسمع شعر من سبقوه!!

لقد سمع، ولكن لعله أراد أن يبتدع فناً جديداً، فيبدأ قصيدته بشيء لم يعهده عندهم، وهذه قصيدة أخرى للسموأل يبدأ كذلك بمقدمة ليست على ما درج عليه معاصروه حيث ضمّنها تحسراً على الشباب الذي ولّى

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١٠ البيتان ١، ٢.

وذهب فيقول[1]:

لَمْ تَقْضِ من حاجَةِ الصِّبا أَرَباً　　　وَقَـدْ شَـآكَ الشَّبـابُ إذ ذَهَبـا
وعــاوَدَ القَلْـبَ بَعْـدَ صِحَّتِـهِ　　　سُقْـمٌ فـلاقـى مِـنَ الهَـوى تَعَبـا

والعجيب أن الباحثين قد اعتبروا أبا نواس أول من ذم الوقوف بالأطلال[2] حين قال[3]:

قُلْ لِمَنْ يَبْكي على رَسْمٍ دَرَسْ　　　واقِفاً ما ضَرَّ لو كانَ جَلَسْ
اتْـرُكِ الـرَّبْـعَ وليلـى جَـانِبـاً　　　واصْطَبِحْ كَـرْخِيَّةً مِثْـلَ القَبَسْ[4]

علماً بأن السموأل كان قد فعل ذلك قبل أبي نواس بزمن طويل، ولكن بغير إعلان كما فعل أبو نواس، ومع ذلك فقد ساق السموأل في مقدمة إحدى قصائده على نمط مقدمات معاصريه فذكر الديار والأحبة فقال[5]:

عَفـا مِـنْ آلِ فـاطِمَـةَ الخُبَيْـتُ　　　إلـى الإحـرام ليـس بِهِـنَّ بَيْـتُ
أَعَــاذِلَتَــيَّ قَــوْلُكُمــا عَصَيْـتُ　　　لِنَفْسِـي إن رَشَـدْتُ وَإن غَـوَيْـتُ

وهذا شاعر آخر من شعراء يهود هو سعية بن الغريض يبدأ إحدى قصائده بالحكمة فيقول[6]:

إذا رَأَيْــتَ مُعَمَّــراً فَتَعَلَّمَــنْ　　　أن سَوْفَ تُدْرِكُهُ الخُطوبُ فَيُبْتَلى

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيتان ١، ٢.
(٢) د. شوقي ضيف. العصر العباسي والتطور والتجديد.
(٣) ديوان أبي نواس ص٢٧.
(٤) كرخية: نسبة إلى الخمر التي تصنع في الكرخ وهي حي من أحياء بغداد.
(٥) التحقيق. قصيدة رقم ٨ البيتان ١، ٤.
(٦) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١.

ولكنه مع ذلك تأثر بمعاصريه كذلك وسلك نفس مسلكهم في مقدمات بعض قصائده فيقول مبتدئاً بمقدمة غزلية[١]:

لُبـابُ هَـلْ عِنْـدَكِ مـن نـائـلِ   لعـاشِـقٍ ذي حَـاجَـةٍ سـائِـلِ
عَلَّلْتِـهِ مِنْـكِ بِمـا لَـمْ يَنَـلْ   يـا ربَّمـا عَلَّلْـتِ بـالبـاطِـلِ
لُبَـابُ يـا أخْـتَ بنـي مَـالِـكٍ   لا تَشْتَـرِي[٢] العـاجِـلَ بـالآجـلِ

فقد بدأها بالغزل، ثم انتقل بعد ذلك إلى غرضه الرئيسي وهو الفخر[٣]..

ويرى الدكتور حامد عبد القادر: «أن المثير الحقيقي لعاطفة الحب هي الحبيبة، وأطلالها هي المثير المصاحب، فإذا بعدت الحبيبة عن الشاعر فديارها قد حلّت محلّها في إثارة عاطفة حبها.. ومرت على ذلك الأيام حتى صارت الحبيبة وديارها وحدة متماسكة الأجزاء، فإذا كان جزء قد رحل، فإن الجزء الأخير قد حلّ محله. وهذا سعية بن الغريض يخاطب دار محبوبته، ولكنها لا تتكلم كأن روحها قد رحلت عنها وبقي الجسم يقول[٤]:

يـا دارَ سُعْـدَى بِمُفضَـى تِلْعَـةِ النَّعَـمِ   حُيِّيـتِ داراً علـى الإقـواءِ والقِـدَمِ
عُجْنـا فمـا كَلّمَتْنـا الـدَّارُ إذْ سُئِلَـتْ   وما بِها من جَوَابٍ خِلْتَ مِنْ صَمَمِ

وهذا قيس بن رفاعة أيضاً يبدأ قصيدته بمقدمة غزلية نابضة بالحياة يعبر فيها عن انفعالاته تعبيراً بسيطاً مباشراً لا تكلف فيه ولا تصنع،

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٥ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) لم تحذف الياء للضرورة الشعرية.
(٣) الغزل في العصر الجاهلي ص٢٧١.
(٤) التحقيق. قصيدة رقم ٦ البيتان ١، ٢.

تنساب فيه الكلمات والعبارات صافية زخرافة فهو يقول في مقدمته هذه[1]:

إذا ذُكِرَتْ أُمامةُ فَرْطَ حَوْلٍ وَلَوْ بَعِدَت مَحِلَّتُها غَرِيتُ
أُكلِّفُها ولو بَعُدَتْ نَوَاها كأني مِنْ تَذَكُّرِها حميتُ[2]

وليس في ذلك عجب كما يقول الدكتور حسين عطوان: «بأنهم يصدرون عن ذواتهم وواقع حياتهم، لا يتصنعون المواقف والعواطف، ولا يقهرون الكلام ولا يغتصبون الألفاظ، وبعبارة أخرى؛ فإنهم عنوا بالتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم من حيث هي مشاعر وانفعالات أرادوا أن يفرغوا شحناتها فيما تفيض به طبائعهم لعل أن يكون في ذلك عزاء وسلوى وتنفيس مما جعل قصائدهم بسيطة واضحة»[3].

وأما أبو الذيال اليهودي فقد جاء بمقدمة غزلية طويلة بدأها بالحديث عن دار محبوبته، ثم أخذ يصف محبوبته، ويصف محاسنها ومفاتن جسمها، وهو وصف التفت فيه شعراء الجاهلية على رأي الدكتور حسين عطوان: «إلى المحاسن الجسدية أكثر من التفاتهم للمحاسن المعنوية»[4] يقول أبو الذيال في مقدمته[5]:

هَلْ تَعْرِفُ الدارُ خَفَّ ساكِنُها بالحِجْرِ فالمُستَوى إلى الثَّمَدِ
دارٌ لِبَهْنَانَةٍ خَدَلَّجَةٍ تَبْسِمُ عن مِثْلِ بارِدِ البَرَدِ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٢.
(٢) حميت: أصابتني الحمى.
(٣) مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي ص١٧٩ طبعة دار المعارف بمصر.
(٤) مقدمة القصيدة العربية ص١٢٨.
(٥) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ١١.

إلى أن يقول:

والمِسْـكُ والـزَّنْجَبيـلُ عَـلَّ بهـا أَنْيَـابَهـا بَعْـدَ غَفْلَـةِ الـرَّصَـدِ

وقد استعملوا تشبيهات كثيرة لأوصاف أعضاء خليلاتهم الذي أودعوها صدور قصائدهم، فقد شبهوا المرأة بالبدر وبالبقرة والبيضة والدرّة والدمية والرمح والسحاب، وخدها بالمرآة، ورائحتها بالمسك، وريقها بالخمر والعسل وغير ذلك. ولنأخذ مقدمة أخرى غزلية لشاعر يهودي آخر هو ابن إسرائيل ولننظر في أوصافه وتشبيهاته لمحبوبته فيقول في مقدمته[1]:

وَعَـدَتْ بِـوَصْـلٍ والـزمـانُ يُسَـوِّفُ حمـراءُ نـاظِـرُهـا حُسـامٌ مُـرْهَـفُ

إلى أن يقول:

أو مـاءُ وَجْهَـكِ وَهْـوَ صُبْـحٌ مَشْـرِقٌ وَسَـوادُ شَعْـرِكِ وَهْـوَ لَيْـلٌ مُسْـدِف

أما كعب بن الأشرف فإن مقدمته الغزلية غير صادقة لأنه يكيد لأهل من يتغزل بها فيقول[2]:

أراحِـلٌ أنْـتَ لَـمْ تَحْلُـلْ بِمَنْقَبَـةٍ وتـارِكٌ أنْـتَ أمَّ الفَضْـلِ بـالحَـرَمِ[3]

صَفْـراءُ رادِعَـةٌ لَـوْ تُعْصَـرُ اعْتُصِـرَتْ مِـن ذي القَـواريـرِ والحِنّـاءِ والكَتَـمِ

وبعضهم يصرف نفسه عن المحبوبة لأنه يترفع عن ذلك إلى ما هو أهم في نظره كالفخر بنفسه أو مدح قبيلته كدرهم بن زيد الذي هجر محبوبته، ومع ذلك فقد ذكر ديارها، يقول في مقدمة قصيدته[4]:

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٨.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيتان ١، ٢.

(٣) أم الفضل هي زوج العباس عم الرسول ﷺ.

(٤) التحقيق قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٢.

هَجَرْتُ الرَّبَابَ وجارَاتِها وهَمُّكَ بالشَّوْقِ قَدْ يطرَحُ
يَمانيَّةٌ نازِحٌ دارُها تُقيمُ بِغُمْدَانَ[1] لا تَبْرَحُ

ومع أنه هجر محبوبته إلا أنه يشك في هذا الهجران للشوق، فأخذ يذكر دار محبوبته، وأنها بعيدة تقيم في قصر غمدان وهو من قصور سيف بن ذي يزن باليمن حيث النعيم والسعادة والمنعة.

وفي الشعر الجاهلي - ومنه شعر يهود - قصائد كثيرة لم يفتتحها الشعراء - على غير المعهود - «بالنغمات التقليدية» أو «الألحان المميزة» كما يسمّيها الدكتور يوسف خليف: «التي تعودوا عزفها، وألفنا سماعها، بل يشرعون في موضوعاتهم وأغراضهم الأساسية دون تمهيد بين يديها»[2].

ويقول ابن رشيق عن تلك القصائد التي لا تبدأ بمقدمات: «من الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة، وذلك عندهم هو الوثب، والبتر، والقطع، والكسع، والاقتضاب، كل ذلك يقال، والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء»[3].

ويمكن أن نرجع هذه الظاهرة كما يرى الدكتور حسين عطوان إلى الموقف والوقت، وخاصة عند الشعراء الذين استوت قصائدهم أعمالاً فنّية رائعة.

ونعني بالموقف: أن هذه القصائد كانت من بنات الساعة، ونعني

---

(١) غمدان: قصر من قصور سيف بن ذي يزن باليمن.
(٢) مجلة المجلة العدد ١٠٠ ص٤٤.
(٣) العمدة لابن رشيق ص٢٣١.

بالوقت: أن الشاعر كثيراً ما كان يسرع للتعبير عن نشوة النصر والظفر، وكثيراً ما كان يضطر وهو ضابط العلاقات العامة في قبيلته كما يحلو لآربري أن يسميه إلى إعلان قرارات قبيلته في بعض الأحداث الطارئة والأمور المفاجئة»[1].

ومن أمثلة قصائد شعراء يهود التي تبدأ بدون مقدمات قول الربيع بن أبي الحُقَيق في مطلع إحدى قصائده[2]:

أَلا مَـنْ مُبْلِـغُ الأَكْفَـاءِ عَنِّـي ... فَـلا ظُلْـمٌ لَـدَيَّ ولا افْتِـرَاءُ

حيث بدأ بالفخر مباشرة دون مقدمة طَلَلِيةٍ أو غزلية أو غيرها.

وكذلك فعل درهم بن زيد حين دخل في موضوعه مباشرة دون مقدمات حيث بدأ قصيدته الفائية بالدعوة إلى الصلح وأخذ الدية، وعدم قتل أخيه سمير الذي قتل العبد بجير[3] حين رفضت القبيلة الخزرجية أخذ الدية، وطالبت بقتل القاتل، قال[4]:

يـا قَـوْمِ لا تَقْتُلـوا سُمَيْـراً ... م فإن القَتْلَ فيه البَوارُ والأَسَفُ

وكذلك قصائد الرثاء لا تبدأ في العادة بمقدمات، لأن الموقف موقف حزن وأسى لا يتناسب والحديث عن المحبوبة والديار والأطلال، يقول ابن رشيقَ:

«ليس من عادة الشعراء أن يقدّموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك

---

(١) مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي ص١٠٩.
(٢) التحقيق قصيدة رقم ١ البيت رقم ١.
(٣) بجير: هو عبد عند مالك بن العجلان زعيم الخزرج آنذاك.
(٤) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيت رقم ١.

في المدح والهجاء»[1]، ويقول: «أنه الواجب في الجاهلية والإسلام وإلى وقتنا هذا ومن بعده، لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة، وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته»[2].

وقد كان مثل ذلك شعراء يهود فقد كانوا في قصائدهم التي تتناول الرثاء لا يميلون إلى أي من المقدمات فهذا سمّاك اليهودي يرثي قتلى بني النضير، فيدخل في الموضوع مباشرة دون مقدمات، فقد طال ليله، وضامه همٌّ كبير فيقول في مستهل قصيدته[3]:

أَرِقْـــتُ وضَـــافَنِـــي هَـــمٌّ كبيـــرُ   بِلَيْـــلٍ غَيْـــرُهُ لَيْـــلٌ قَصيـــرُ

وهذا شاعر بني النضير، كعب بن الأشرف يبكي قتلى بدر دون أن يلجأ إلى تقديم فيقول[4]:

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ   وَلِمِثْـلِ بَـدْرٍ تَسْتَهِـلُّ وَتَـدْمَـعُ

وللشاعر أن يدخل في غرضه من القصيدة دون مقدمات، فأمره بيده، يصنع ما يشاء، فليس لزاماً عليه أن يقدِّم لغرضه الأصلي بوقفة على الطلل، أو بنسيب إلى غير ذلك، فهذا السموأل يبدأ قصيدته التائية بالحديث عن بداية الحياة والموت، وأن الإنسان يبدأ نطفة في بطن أمه.. حيث يستهل قصيدته هذه بقوله[5]:

---

(١) العمدة لابن رشيق ص١٥١.

(٢) نفس المصدر ص١٥٢.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١.

(٤) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١.

(٥) التحقيق. قصيدة رقم ٤ البيت رقم ١.

نُطْفَــةٌ مَــا مُنِيــتُ يَــوْمَ مُنِيــتُ أُمِــرَتْ أَمْــرَهَــا وفيهــا بُــرِيــتُ

ويقول الدكتور النعمان القاضي في معرض حديثه عن مقدمات شعر الفتوح الإسلامية: «وكما تخفف شعر الفتح من المقدمة الغزلية والطللية، تخفف بالضرورة من النظام التقليدي للقصيد الذي ساد في الشعر العربي، وأوصى نقّاده باتباعه والتمسك به قروناً، هذا النظام الذي يوجب تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، فتبدأ بذكر الأطلال، ثم ينتقل الشاعر فيه إلى النسيب، فوصف رحلته، وما يعترضه فيها، ويصف ناقته التي تقلّه، ويشبهها بما يشاء من الحيوان حتى يصل إلى غرضه من المدح أو غيره..»[١].

وكذلك كان الحال بالنسبة لشعر يهود في العصر الجاهلي، فقد تخفف من هذه المقدمات والأغراض المتعددة لأنه ليس في حاجة إلى ذلك، لأنه في وضع لا يمكِّنه من هذه المقدمات والأغراض فهم سكان حاضرة أولاً، وأصحاب ديانة وعلم ثانياً، وذوي تعالٍ وكبرياء وفخر على معاصريهم الجاهليين ثالثاً، فكيف يقلدونهم في مقدماتهم وأوصافهم للصحراء والناقة والظبية، وما أشبه ذلك، وإن كان بعضهم كما ذكرنا تأثر بمعاصريه... ولكن الصفة الغالبة لقصائدهم القليلة هي الدخول في الغرض سواء أكان فخراً أو مدحاً أم هجاء أم غير ذلك مباشرة ودون التزام بمقدمات غزلية أو طللية...

أما بكاء الشباب فقد ورد في مقدمات بعض قصائد شعراء يهود، يقول الدكتور حسين عطوان: «رأينا المعمرين يدرسون أصول هذه المقدمة، ويلمون بأكثر عناصرها... ويبدو أن الشعراء أعجبوا بالمعاني التي رددها

---

(١) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام. الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥م.

المعمرون، أو أنها انسجمت مع واقع حياة نفر منهم بلغوا من العمر عِتياً، ومروا بالتجربة نفسها، فأخذوا يرددونها في صدور قصائدهم، ثم ينفذون منها إلى موضوعاتهم وأغراضهم الأساسية»[1]. وهذا السموأل بن عادياء يبدأ قصيدة له بالحديث عن الشباب الذي ذهب عنه، وفاته، والسقم الذي أصابه فيقول[2]:

لم تَقْضِ من حاجةِ الصِّبا أَرَباً ... وقــد شَــآكَ الشّبــابُ إذ ذَهَبــا

وعــاوَدَ القَلْــبَ بَعْــدَ صِحَّتِــهِ ... سُقْــمٌ فــلاقــى مِــنَ الهــوى تَعَبــا

وكأنه أراد بعدَ ذلك أن يعزي نفسه عن هذا الشباب الذي ولى، والسقم الذي أصابه فأخذ يتحدث عن أغراضه الأساسية وهي الفخر ومدح الفرسان والأبطال وغير ذلك، وهذا معمّر من شعراء يهود قد يئس من الشباب والحياة، وأخذ يرثي نفسه قبل موته، ذلك المعمّر هو: سعية بن الغريض فيقول[3]:

يا لَيْتَ شِعْري حين أُنْدَبُ هالِكاً ... مــاذا تُــؤَبِّنُنــي بــهِ أَنْــواحــي

ثم أخذ بعد هذا البكاء على الشباب وتأبين النائحات له، يفتخر بنفسه وبالحروب التي خاضها، والكتائب التي قادها إلى غير ذلك، ثم يعود مرة أخرى إلى الموت فيعزي نفسه بأن الهلاك مصير كل حي فلا خلود لأحد:

لا تَبْعُــدَنَّ فَكُــلُّ حــيٍّ هــالِــكٌ ... لا بُــدَّ مــن تَلَــفٍ فَبِــنْ بِفَــلاحِ

إنَّ امْـرَءاً أَمِــنَ الحــوادِثَ جــاهِــلٌ ... ورَجَــا الخُلــودَ كضــاربٍ بِقِــدَاحِ

---

(١) مقدمة القصيدة العربية ص١٤٩.
(٢) التحقيق قصيدة رقم ٢ البيتان ١، ٢.
(٣) التحقيق قصيدة رقم ٣ البيت رقم ١ والبيتان ٧، ٨.

أما باقي شعر يهود فأغلبه مقطوعات كان الشاعر يدخل إلى غرضه مباشرة سواء كان فخراً أو هجاء أو مدحاً أو غير ذلك. ونحن لا نطالبهم بذلك فليس المقدمات ملزمة لهم ما داموا في حياة قلقة مضطربة إلى جانب ظروفهم الاجتماعية حيث العزلة الغالبة والعمل المهني الذي يشغل وقتهم والمقدمات تحتاج إلى طول وقت وراحة بال...

ب- الصور والأخيلة

الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، وإنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها، صورة تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهم[(١)].

والشعر صناعة معقدة تخضع لقوانين صارمة دقيقة بحيث لا يملك الشاعر أن ينحرف عنها، أو يحيد عن التزامها، ولعل هذا التعقيد هو الذي جعل العرب منذ القدم يقرنون قوة الشاعرية بالشيطان، ويتصورونها نوعاً من الإلهام، وفي اتهاماتهم للنبي ﷺ بأنه شاعر، ما يصور مدى فهمهم لطبيعة الوحي وطبيعة الشعر.

وقد تحدث بعضهم عن آثار هذه القوة في نفسه، وكيف أنها تغيب وترجع، فإذا ما غابت أصبح قلع الضرس أهون من قول بيتٍ واحدٍ من الشعر، وقرنوها أحياناً بأزمنةٍ وأوقاتٍ صالحة للتلقي والإبداع، وتحدث

(١) د. شوقي ضيف. في النقد الأدبي ص١٦٧ الطبعة الثالثة ط. دار المعارف بمصر.

بعضهم: «عن الرئي والتابع الذي ينفث على لسانه شعراً»[1]. وفي قول الفرزدق: «أنا أشعر تميم، وربما أتت عليّ ساعة، ونزع ضرسي أهون عليّ من قول بيت»[2]. مما يدل على أن الإبداع عند الشاعر يتم في أوقات معينة. «والشعر من غير المجاز يصبح كتلة ميتة تفتقد الحيوية والتأثير، فالمجاز تكييف لغوي هام للشعور الحقيقي يتعدى المسافة بين الشعر ما انتهى إليه»[3]. ولا بد للإنسان شاء أم لم يشأ أن يتكلم به من أجل أنه لم يستطع أن يكبح جماح خياله، بل إنه بذل غاية الجهد ليظفر بالتعبير الملائم لحاجاته الروحية المتزايدة. وعلى ذلك ينبغي أن يفهم التعبير ويؤخذ على أنه سبيل النقل اللفظي من شيء إلىشيء. فهذا هو المعنى المتأخر للمجاز الذي يعد ثمرة للخيال، في حين أن المجاز القديم كان في الأغلب الأعم ضرورة من الضرورات[4] ويقول الدكتور عبد الحميد حسن: «الشعور المجازي راجع إلى أصلين: عمل العقل الباطن وما يصوره الخيال»[5].

والخيال عند الأدباء يقوم على شيئين: دعوة المحسّات والمدركات ثم بناؤها من جديد، ومن هنا كان الخيال يفترق عن التفكير، وإن كان كل منهما يستعير مواده من الواقع وذلك أولاً لأن التفكير يقوده غرض محدد هو محاولة معرفة الحقيقة، فهو استكشافي محض لا يفترض شيئاً، ولا يخلق علاقات جديدة بين الأشياء، ولا يغيّر في أشكالها وعناصرها، أما الخيال فلا يقف عند ذلك بل يعمد إلى التغيير في هذه العناصر غير

---

(١) إحسان عباس: فن الشعر ص١٤٣.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ٨١.

(٣) مصطفى ناصف. دراسة الشعر العربي ص٣١٨.

(٤) لطفي عبد البديع: التركيب اللغوي ٢٦. مكتبة النهضة ط ١٩٧٠.

(٥) الأصول الفنية للأدب ص١١٩-١٢٠.

مقتنع بعلاقاتها، بل يضيف إليها علاقات جديدة انتزعها من واقعها نزعاً في كثير من الأحيان.

وثانياً: أن التفكير الموضوعي لا يبدّل في الحقائق الواقعة إنما يحاول فهمها وبيانها، أما الخيال فذاتي يبدّل في هذه الحقائق ويغيّر حسب تصور الأديب، إذ يشكلها أشكالاً جديدة يبعث فيها من روحه ما يعيدها خلقاً نابضاً بالحياة»[1] ويبدو أن الميل إلى التصوير فطري في الإنسان فهو بطبيعته شغوف بأن ينقل إلى غيره ما عساه يكون قد سبق إليه من مشاهد، أو تعرض له من تجارب وقد وجدت هذه النزعة متنفساً عند الأمم القارئة والكاتبة فظهر التصوير ممتزجاً بالكتابة عند أول الأمر ثم استقل بعد ذلك، وفي كلا الحالين استغلت تلك الأمم أيديها لتصوير تجاربها ومشاهداتها. وعندما اختار أهل العصر الجاهلي الشعر ليسجل تجاربهم وينقلها للآخرين، كان الشعر أساساً تعبيراً شفوياً ليس فيه كتابة ولا رسم فلما أرادوا أن يرسموا فيه صوراً دقيقة لكل ما يقع تحت سمعهم وبصرهم من تجارب ومناظر لجأوا إلى التصوير، ومن هنا كثر التصوير في الشعر الجاهلي - ومنه شعر يهود - كثرة دعت إليها ظروف العصر والحالة الاجتماعية، وحرصهم على أن تبقى تجاربهم حيّة عند انتقالها من مكان إلى مكان، أو من جيل إلى جيل، ويقول الدكتور سعد شلبي: «لقد استعملوا جميع ألوان البيان كما نعرفها الآن، وأتى استعمالهم لها طبيعياً لا تكلف فيه. فما كان من هم الشاعر أن يأتي بتشبيه أو استعارة أو كناية، وإنما كان همّه الأول والأخير أن ينقل ما يعتمل بنفسه وخاطره نقلاً دقيقاً إلى غيره، بحيث يتأكد أن غيره أصبح على دراية بتجاربه، وكأنه يرى ويسمع كما رأى الشاعر وسمع

---

(١) د. شوقي ضيف. في النقد الأدبي ص١٦٧.

وأحس»[1]. وكأن القبائل بصفة عامة سواء العربية أم اليهودية مثل بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع وخيبر وغيرها - عندما عجزت عن هذا التسجيل أنابت القادرين من شعرائها ونابغيها أن يقوموا بهذه المهمة الضرورية لها ما دامت تحرص على أن تفاخر غيرها وتطاوله بما لها من مجد وسؤدد. «وكانت هذه الأدوات البيانية أداة طيعة في يد الشاعر»[2]. فمن التشبيهات قول السموأل بن عادياء في وصف الفارس[3]:

أَكْنافُها كُلُّ فارسٍ بَطَلٍ   أَغْلَبَ كاللَّيْثِ عادِياً حَرِبا[4]

فالفارس غليظ متهيج تهيج الليث. ومنها هذه التشبيهات أيضاً قول الربيع بن أبي الحُقَيْق[5]:

وبَعْضُ خلائِقِ الأقوامِ داءٌ   كَداءِ الشُّحِ ليس له دَواءُ

فهو يشبه أخلاق بعض الناس بداء الشح الذي تصعب مداواته، وقوله أيضاً[6]:

وأنْتُم ظَرابِيُّ إذ تَجْلِسونَ   وما إنْ لنا فيكمُ من نَدِيْد[7]

فهو يشبه القوم بهذه الحيوانات النتنة التي لا مثيل لها في ذلك.

---

(١) د. سعد شلبي. الأصول الفنية للشعر الجاهلي ص٨٥ ط دار المعارف بمصر.

(٢) الأصول الفنية للشعر الجاهلي ص٨٥.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيت رقم ٥.

(٤) أكنافها: جوانبها، والضمير يعود على الكتيبة في بيت قبله، أغلب: غليظ، حرب: متهيج.

(٥) التحقيق، قصيدة رقم ١ البيت رقم ٦.

(٦) التحقيق، قصيدة رقم ٣ البيت رقم ٣.

(٧) ظرابي: حيوان نتن ذو رائحة نتنة، نديد: مثيل.

واستعمال التشبيهات على هذا النحو لون من ألوان البساطة والقصد في الإيجاز حتى لا يستطيع الشاعر ذكر تفاصيل المنظر أو الصفة التي يريد توضيحها والتعبير عنها، فيلجأ إلى ذكر شيء شديد الشبه به، فمعروف لدى الشاعر والسامع فيكتفى بهذا التشبيه وبمجرد ذكره عن التعرض لدقائق الموصوف، وفي هذا الضوء ينبغي أن نقرأ هذا الشعر الجاهلي ومنه شعر يهود، وأن ننظر إلى شعرائه وهم يعرضون لنا عديداً من التشبيهات، فهم كالفراش يتنقلون بين الرياض، ويقدمون لنا الصور التي انطبعت في أذهانهم عند رؤية هذه المناظر أو تلك، وفي هذا الضوء قدموا لنا تصويراتهم.

فهذا الربيع بن أبي الحُقَيْق يشبه المرأة بالبقرة الوحشية في جمال عينيها فيقول[1]:

وَقَـدْ تَحِـلُّ بهـا بِيـضٌ تَـرائِبُهـا كَـأَنَّهـا بَيْـنَ كُثْبـانِ النَّقـا البَقَـرُ

وقد جاءت تشبيهاتهم من البيئة التي يعيشون فيها حيث يقول درهم بن زيد يصف الدروع[2]:

البَيْـضُ حِصْـنٌ لَهُـم إذا فَـزَعـوا وسَـابِغَـاتٌ كَـأَنَّهـا النُّطَـفُ[3]

فهو يصف الدروع ويشبهها باللؤلؤة الصافية، وقطرة الماء الصافية كذلك. ومن الاستعارات قول السموأل بن عادياء[4]:

والسُّمْـرُ مَطْـرورَةٌ مُثَقَّفَـةٌ والبِيـضُ تَـزهـو تَخـالُهـا شُهُبـا

---

(١) التحقيق، قصيدة رقم ٤ البيت رقم ٣.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيت رقم ٦.
(٣) التحقيق قصيدة رقم ٢ البيت رقم ٨.
(٤) التحقيق قصيدة رقم ٢ البيت رقم ٨.

فها هي السيوف تزهو مفتخرة ببياضها وشدة لمعانها حتى لتحسبها الشهب ومن الاستعارة كذلك قول السموأل أيضاً[1]:

إن لنـــا فَخْمَـــةً مُلَمْلَمَـــةً   تَقْـرِي العَـدوَّ السِّمَـامَ وَاللّهبَـا

وهي استعارة مكنية، فالفخمة أي الكتيبة تقري العدو، ولكنه قرى من نوع آخر إنه السمام واللهب، أي الموت والهلاك.

ومن الكنايات قول درهم بن زيد[2]:

لأصْبَحَـنْ دارَكُـمْ بـذِي لَجَـبٍ   جَـوْنٍ لـه مِـنْ أَمَـامِـهِ عَـزَفُ

فها هو ذا سيغير عليهم صباحاً على عادة المغيرين - وبجيش أسود اللون لكثرة عدده. وبهذه التشبيهات والاستعارات والكنايات واختيار العبارات والأساليب المصورة يصبح المنظر بارزاً ناطقاً فتؤازر هذه الظاهرة ما يذكرونه من ألوان المجاز والتصوير فتبرز الصورة، وتؤدي غرضها من الوضوح والتأثير في آن واحد.

يقول الأستاذ زكي مبارك: «... والصورة الشعرية هي أثر الشاعر المفلق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارىء شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود. والذي يصف الوجدانيات وصفاً يخيّل للقارىء أنه يناجي نفسه، ويحاور ضميره لا لأنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد، والصورة الشعرية لا تكتمل إلا حين يحيط الوصف بجميع أنحاء الموصوف[3].

---

(١) نفس القصيدة البيت رقم ٣، والفخمة: الكتيبة.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيت رقم ٥.

(٣) زكي مبارك. الموازنة بين الشعراء ص٦٠.

والذي يجمّل الشعر هو إضافة شيء من الخيال إلى الحقيقة، وقد يكون هذا الخيال حقيقة ثانية لا فرق بينها وبين الأولى إلا أن إحداها في المشبه والأخرى في المشبه به، ولأن الشاعر لا يصف شيئاً إلا متأثراً به بحسنه أو بقبحه فهو حين يذكر الدميم يذكر بجانبه نفرته من الدمامة، وحين يصف الشيء الجميل يصف بجانبه غرامه بالجمال.

وإذا كان البدوي يأتي بصورة من بيئته الصحراوية وما فيها من جبال ووديان وكثبان رملية فإن يهود أهل الصناعة والمهن الأخرى يأتون كذلك بتشبيهاتهم وصورهم من مجال عملهم فهذا الربيع بن أبي الحُقَيْق يصف النخل في وادي القرى، ويصوّره كأنه قد حيك وصنع صناعة فيقول[١]:

لـه سَعَـفٌ جَعْـدٌ ولِيـفٌ كـأنَّـهُ   حواشِيَ بُرودٍ حاكَهُنَّ الصَّوانِعُ

فالصورة التي رسمها لسعف النخيل وليفه استمدها من مصانع الحياكة التي عرفها بحكم حياته في الحاضرة، واشتهر بها قومه.

أما المرأة فقد شبهوها بالبقرة الوحشية في سعة عينيها وشدة سواد سوادهما وبياض بياضهما كما شبهوها بالغزالة في خفتها ورشاقتها وجمال لفتتها، وشبهوا وجهها بالشمس والبدر ووضاءة وجهها باللؤلؤة كما شبهوا الحسناء بالدمية، وقوامها بالرمح، ووجهها بالدينار، وريقها بالخمر، وقد حاكى شعراء يهود معاصريهم الجاهليين، ولنَنْظر في بعض هذه الصور للمرأة عند شعراء يهود، فهذا أبو الذيال يصوّر محبوبته ويشبه ريقها بماء الغمام فيقول[٢]:

كَـأَنَّ مـاءَ الغَمَـامِ خـالَطَـهُ   راحٌ صَفَـا بَعْـدَ هَـادِرِ الـزَّبَـدِ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٥ البيت رقم ٢.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١.

وأما ابن إسرائيل فقد صور محبوبته إلى جانب ريقها وثغرها صور طولها وأجفانها ووجهها وشعرها بصور من البيئة فقال[1]:

نَشْـوانَـةٌ صَهْبـاءَ مَنْهَـلُ ثَغْـرِهـا ... دُرٌّ وريقَتُهـا سُـلافٌ مُـرْقَـفُ

تَخْتـالُ بَيْـن البَـدْرِ مِنهَـا والنَّقـا ... غُصْـنٌ يميسُ بِـهِ النَّعِيـمُ مُهَفْهَـفُ

يـا بَـانَـةً قـد أطْلَعَـتْ أغْصـانُهـا ... وَرْداً جَنِيّـاً بـاللَّـوَاحِـظِ يُقْطَـفُ

وماذا عن وجهها وناظرها وخفتها وشعرها:

وَغَـزالَـةٍ تَحْكـي الغَـزالَـةُ وَجْهَهـا ... وَبِعَيْـنِ نـاظِـرِهـا الحُسامُ الأوْطَـفُ

أو مـاءُ وَجْهِـكِ وَهْـوَ صُبْـحٌ مُشْـرِقٌ ... وسَـوَادُ شَعْـرِكِ وَهْـوَ لَيْـلٌ مُسْـدِفُ

وهذه التشبيهات والأوصاف والصور الجميلة مستمدة من البيئة التي عاشها الشاعر يقول ابن طباطبا في عيار الشعر: «والعرب قد أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها، وهم أهل وبر، صحوتهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها، وفي كل واحدة منها في فصول الزمان على اختلافها من شتاء وربيع وصيف وخريف، ومن ماء وهواء، ونار وجبل، ونبات وحيوان وجماد، ناطق وصامت، ومتحرك وساكن، وكل متولد من وقت نشوئه وحال نموه إلى حال انتهائه، فتضمّنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها، فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهب إليه في معانيها التي أرادتها[2].

وقد شاع التصوير في شعر يهود، فاستخدمه الشاعر منهم للإقناع

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٢، ٣، ٥.

(٢) عيار الشعر لابن طباطبا ص١٠-١١.

بوجهة نظره، ولكن بطريقة غير حاسمة، وهو لم يخرج في تصوره وخياله إلى أبعد من حدود بيئته ولم يتخيل إلا ما كان يراه من حوله وماثلاً أمامه، فلم يستطع أن يتخيل صورة معقدة مركبة من عدة صور، بل كانت صوره وأخيلته حسية واضحة لا غموض فيها، ولا لبس ولا التواء بحيث تضل في محرابها وشعبها الفكرية.

ولا نجد تفسيراً لذلك إلا طبيعة الحياة القلقة التي كان يحياها اليهود، وظاهرة الكراهية والحقد على جميع الناس غير يهود، وظروف القتال الحرجة التي كانوا يضطرون للدخول فيها أو التي يشعلونها هم أحياناً ليبيعوا على المتحاربين الأسلحة التي يصنعونها كانت تفرضها مقتضيات العمل المهني عندهم، هذه الظروف هي التي حملت مشاعرهم إلى الفزع إلى العالم المادي لينتزع منه الصور والأخيلة التي تعينه على نقل انفعالاته، وترجمة أحاسيسه، واصطناع حججه، ثم إن اقتصار شعره على ظروف المفاخرة والتكبر على الأمم الأخرى غير يهود قد حصرت معانيه في هذه الدائرة الضيقة المحدودة، فلم يملك أن يخرج عليها، ولم يستطع أن يتعد حدودها.

وإذا كان النقاد قد اعتبروا مثل هذا الخيال المحدود عيباً فإنه كان خيراً على شعر يهود فهذه المعاني الضيقة، وهذا الخيال المحدود حملا شاعر يهود على التفنن في عرض الصورة الواحدة، وأتاحا له التدقيق فيها، ومحاولة كشفها وجلائها بأكثر من لون من ألوان الطبيعة التي تحيط به، كما حملاه على أن يضفي عليها شيئاً من شخصيته.

وحتى نقف على طريقة شاعر يهود في عرض صوره نتناول صورة منها كصورة السيوف مثلاً، فهي عند السموأل تلمع كأنها الشهب حيث

يقول[1]:

والسُّمْــــرُ مَطْـــرورَةٌ مُثَقَّفَــــةٌ　　والبِيــضُ تَـزْهـو تَخـالُهـا شُهُبـا

بينما هي - أي السيوف - عند درهم بن زيد كأنها وميض البرق يظهر ويختفي يقول[2]:

كَـأَنَّهـا فـي الأكُـفِّ إذْ لَمَعَـتْ　　وَمِيـضُ بَـرْقٍ يَبْـدو وَيَنْكَسِـفُ

والسيف عند قيس بن رفاعة سيف حاد قاطع خال من العيب حيث يقول[3]:

وسَيْفـي صـارِمٌ لا عَيْـبَ فيـهِ　　وَيَمْنَعُنـي مـن الـرَّهَـقِ النَّبِيـتُ[4]

من هذا العرض لصورة السيف نلاحظ أن كل شاعر من هؤلاء الشعراء قد حرص على إضافة شيء إلى الصورة أو التركيز على جانب منها، معتقداً أن هذا الجانب أشد تأثيراً في النفس، كما نلاحظ أيضاً أن هؤلاء الشعراء قد نزعوا في جميع هذه الصور منزعاً حسياً جعلهم لا يتغلغلون في خفايا النفس الإنسانية، ولا حتى في أعماق الأشياء الحسية شأنهم في ذلك شأن المجتمع العربي الذي عاشوا فيه في ذلك الزمان وهم بالتالي قد انتزعوا صورهم وتشبيهاتهم من مناظر الطبيعة التي تحيط بهم، لم يجهدوا أنفسهم في البحث عن صور وتشبيهات مركبة، كما نلاحظ أنهم توخّوا الإيجاز في عرض الصورة، هذا الإيجاز الذي يتلاءم مع ظروفهم العملية وحياتهم الاجتماعية، ولكنهم مع ذلك لم يعرضوها جامدة، بل

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيت رقم ٨.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيت رقم ٢.

(٤) النبيت: المنبت أو الأصل.

بثّوا فيها قسطاً وافراً من الحركة، وأودعوها شيئاً كثيراً من الحيوية، ولكي نرى أن هذا النوع من التصوير كان عاماً في شعر يهود نزيد صورة أخرى، وهي صورة الموت وفلسفته، فهي عند السموأل بن عادياء توجد منذ أن يحيا الإنسان، فهو ميت منذ خروجه للحياة، وحياته رهن بموته فيقول[1]:

مَيْتَ دَهْرٍ قد كُنْتُ ثَمّ حَيِيتُ   وحَيَاتِي رَهْنٌ بِأَنْ سَأَمُوتُ

ويقول في قصيدة أخرى[2]:

مَيْتاً خُلِقْتُ ولم أكُنْ مِنْ قَبْلِها   شَيْئاً يَموتُ فَمِتُّ حينَ حييتُ

أما سعية بن الغريض، فيصور اللاهين عن الموت في مجتمعه بالمقامرين المضمونة خسارتهم يقول[3]:

إنَّ امرءاً أَمِنَ الحَوادِثَ جاهلٌ   وَرَجا الخُلودَ كضَاربٍ بقِدَاحِ

أما أبو الذيال فيشبه ورّاد الموت بورّاد الماء، إذ لا بد لمن يظمأ من أن يرد فيقول[4]:

هَلْ نَحْنُ إلا كَمَنْ تَقَدّمَنا   منّا وَمَنْ تَمَّ ظِمْؤُهُ يَرِدِ

وأما جبل بن جوّال الثعلبي فيشبه الموت باللص الذي يخطف الأرواح، ويودعها القبور فيقول[5]:

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٤ البيت رقم ٣.
(٢) القصيدة رقم ٦ البيت رقم ٤.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيت رقم ٨.
(٤) التحقيق. قصيدة رقم ١ بيت رقم ١٨٦.
(٥) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١٢.

ولكــن لا خُلــودَ مــع المنــايــا تَخَطَّــفُ ثــم تَضْمَنُهــا القُبــورُ

من هذا وذاك يتبين أن الصورة لشيء واحد عند مختلف شعرائهم تتعدد ألوانها وأشكالها وجوانبها، بحيث يعبر كل شاعر عنها تعبيراً مختلفاً، ولكنه متفق في كونه مستمدّاً من البيئة التي يعيشونها سواء البيئة العصرية نفسها أو الدينية.

وقد بلغ التصوير قمته بما أطلق عليه الدكتور سعد شلبي[١] «التصوير القصصي». وفيه ينسى الشاعر أو يتناسى المشبه، ويشغل نفسه بالمشبه به، فيعرض له من جوانب متعددة، ويرسم له صورة ممتدة، وترى بذور هذه الظاهرة في التشبيهات التي وردت في صورة نفي ثم إثبات، وقد ظهر مثل هذه الظاهرة في شعر يهود فهذا أوس بن دني القرظي يقول في وصف محبوبته[٢]:

مــا رَوْضَــةٌ جــادَ الــرَّبِيــعُ لهــا مَــوْشِيَّــةٌ مــا حَــوْلَهــا جَــدْبُ
بِــألَــذَّ مِنْهــا إذ تَقُــولُ لنــا سَيْــراً قليــلاً يَلْحَــقِ الــرَّكْــبُ

يصور ذلك بحيث يبدأ في وصف المشبه به، وهي الروضة التي جاد الربيع بكل ما يمكن أن يجود به من الإيناع والإزهار، وكانت في ذلك موشيّة أي خرج أول زهرها، وكان ما حولها جدباً قحلاً مقفراً، يقول: فما الروضة على انفرادها بحسنها وجمالها بألذ وأحلى من محبوبته وشفتاها الحلوتان تنطقان بقولها الرخيم العذب «سيراً قليلاً يلحق الركب».

ما أعظمها من صورة، وما أحلاه من خيال، فهو ينسى المشبه أو

(١) الأصول الفنية للشعر الجاهلي ص٩٩.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ٢، ٣.

يتناساه ويشغل نفسه بالمشبه به، فيعرض له من جوانب متعددة، ويرسم له صورة ممتدة، ويظهر ذلك في التشبيهات التي وردت في صورة نفي ثم إثبات (ما روضة... بألذ منها).

ولعل أوس بن دني قد حاكى معاصره الأعشى أو أخذ عنه مثل هذه الصورة، فهذا الأعشى يظهر لنا هذه الصورة الجميلة في قوله[1]:

ما رَوْضةٌ مِنْ رياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضاحِكُ الشَمْسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُـؤَزَّرٌ بعميـم النَّبْـتِ مكتهـلُ
يـومـاً بـأَطْيَـبَ منهـا نَشْـرَ رَائِحَـةٍ ولا بِـأَحْسَـنَ منهـا إذ دنـا الأُصُـلُ

فقد بدأ الشاعر بذكر الروضة، ثم أتبع ذلك وصفها في بقية البيت، والبيت التالي واصفاً جمالها، وقد شخّصها فجعل نباتها وأزهارها تضاحك الشمس، ثم عاد وقال: إن هذه الروضة مع جمالها وحسنها وطيب شذاها لا ترق إلى صاحبته فهي أبهى منظراً وأعبق شذى..

وهكذا فعل أوس بن دني القرظي، فلعله أخذ ذلك من الأعشى أو فعل ذلك توارد خواطر كما يقولون، خاصة ونحن نعرف أن مثل ذلك شائع في الشعر الجاهلي. ولعلنا نلاحظ أنه كلما بعدت المسافة بين طرفي التشبيه كان ذلك أدعى لإخصاب هذه البذرة وإنباتها في التصوير القصصي.

ومما يزيد الصورة جمالاً ما تحويه من ألوان البديع، كالجناس والطباق الذي يزيدها حسناً وجمالاً كما لاحظنا في قول ابن إسرائيل

---

(١) ديوان الأعشى ص١٤٦، الحزن: ما علا من الأرض، كوكب: أراد ما طال من النبات، شرق: ريان بالماء، وأراد بالمضاحكة تفتح الأزهار، مؤزر: لابس الإزار، عميم النبت: ما اجتمع فيه وتكاثر، مكتهل: تام.

لمحبوبته[1]:

أو ماءُ وجْهِكِ وَهْوَ صُبْحٌ مُشْرِقٌ وسَوادُ شَعْرِكِ وَهْوَ لَيْلٌ مُسْدِفُ[2]

فالصبح المشرق يقابله الليل المظلم، والوجه الأبيض يقابله الشعر الأسود، وهذا طباق جميل ما في ذلك شك. وقال الآخر[3]:

فــالــوَجْــهُ مِثْــلُ البَــدْرِ مُبْيَــضٌّ والشَّعْــرُ مِثْــلُ اللَّيْــلِ مُسْــوَدُّ
ضِــدَّانِ لمَّــا استَجْمَعَــا حَسُنــا والضِّــدُّ يُظْهِــرُ حُسْنَــهُ الضِّــدُّ

وفضل هذه الصورة وغيرها من الصور الجميلة هو في أنها تمكن المعنى في نفس القارىء أو السامع وتحلل المعنى وتعلله من أقرب الوسائل إلى تمكينه في النفوس، وفي تحليل المعاني وتعليلها تتفاوت أقدار الشعراء. والشعر كما يقول سدني - فيما نقله عنه الدكتور «مصطفى ناصف»: يقوم على صناعة التشبيه،وإعطاء الأمثلة المحسوسة أكثر مما يقوم على التفكير المجرد والقياس، وعلى هذا تكون وظيفة الشاعر هي: إعطاء ضرب من الصدق قريب من صدق الفلاسفة[4] وينفرد الدكتور ناصف بنظرة خاصة في طريقة تأمل الشاعر الجاهلي، وما يسمى التشبيهات المتلاحقة عنده، فهو يرى أن هذه التشبيهات، وجب أن تفسر تفسيراً أعمق من هذا المصطلح البلاغي الغامض «فالتشبيهات المتلاحقة كما يقول وتلاحقها رمزاً دينياً، والرمز الديني في الشعر إن صح هذا الوصف - يستقيم مع فكرة الملاحم التي تأخذ طابع القدامة والغرابة[5].

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ بيت ٥.

(٢) مسدف: شديد الظلمة والسواد.

(٣) هذان البيتان من القصيدة الدعدية وهي مجهولة القائل.

(٤) الدكتور مصطفى ناصف - دراسة الأدب العربي ص٣٢٨.

(٥) د. مصطفى ناصف. دراسة الأدب العربي ص٢٤٨.

ولئن صدقت هذه النظرة على الشعر الجاهلي، وعلى نماذج معينة منه، فإنها لا تصدق على شعر يهود، فشاعر يهود كان في غنى عن الرمز، ونظلمه ظلماً شديداً إن نحن جعلنا منه فيلسوفاً لأنه كان في وضع لا يؤهله لهذا الأمر، كما كان باستطاعته التعبير عن عواطفه في صدق ووضوح في معظم الأحيان، اللهم إلا ما كان منه كيداً للمسلمين وإغاظة لهم، فكان يلجأ هنا أحياناً إلى استخدام الرمز، بالإضافة إلى أن شعر يهود كان في غالبيته مقطوعات لا تحتاج إلى الرمز، إذ هي انفعال لاهب، وتعبير مركز مضغوط.

«والتشبيه لا يحتاج بعداً في الخيال، ولا عمقاً في التصوير، وهو لون مفرد، بل هو صبغ من أصباغ لون مفرد وهو لون التصوير»[١].

ولكن هذا لا يعني أن صور التشبيهات متشابهة، فهي مختلفة ومتفاوتة في التعقيد والبساطة كما تختلف في العمق والسطحية من صورة إلى أخرى. وفي حالة ورود تشبيهات غريبة ومعقدة فإن ذلك لا يتعدى حدود الطبيعة والبيئة، .إذ يكون الأمر حينئذ يحتاج إلى جلاء غموض بعض المفردات، والدلالة الحسيّة والمعنوية لها، فتتّضح الصورة ساعتئذ وتصبح سهلة، فعندما نقرأ قول سمّاك اليهودي في تشبيهه الفارس وأصحابه[٢]:

كَلَيْــثٍ بِتَــرْجٍ حِمَــى غِيلِــهِ　　　أخــي غــابــةٍ هــاصِــرٍ أجــوفِ

نرى فيه صورة غريبة وغامضة، ولكن هذه الصورة ستغدو واضحة جليّة إذا ما عرفنا مدلولات الكلمات الصعبة التي وردت فيها، فترج: جبل بالحجاز تنسب إليه الأسود، والغيل: أجمة الأسد، والهاصر: الذي

(١) د. شوقي ضيف. الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص١٤٥ ط.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيت رقم ٨.

يكسر فريسته إذا أخذها والأجوف: العظيم الجوف...

وبعد أن زال غموض الكلمات نستطيع أن نقول أن الشاعر اليهودي في هذه الصورة يشبه الفارس بالأسد الذي يكسر فريسته كسراً إذا أخذها ويبتلعها في جوفه الواسع... ولم تكن تشبيهات شاعر يهود مجرد تسجيل بارد لوجوه الشبه المادية التي يحس بها وإنما كان يستعين بها لنقل عاطفته، وترجمة مشاعره للسامع في تمام قوتها وحرارتها، ويستخدمها للإقناع بطريقة مؤثرة، فعندما يشبه سماك اليهودي الفارس بالأسد في الغابة يكسر فريسته ويبتلعها يهدف إلى إقناع الناس بقوة هذا الفارس وخطره على غرمائه والتشبيهات التي وردت في شعر يهود في أكثر أوضاعها أخيلة منتزعة من مظاهر بصرية أو سمعية أو شكلية من الألوان والأحجام والأصوات وغير ذلك مما يتصل بالحواس، واستعمال التشبيهات على هذا النحو مظهر من مظاهر البساطة والسذاجة والرغبة الملحّة في الإيجاز حيث لا يستطيع الشاعر ذكر تفاصيل المنظر الذي يريد تصويره، إذ ليس لديه الوقت، فيكتفي بذكر شيء شديد الشبه به، ومعروف لكل من القارىء والسامع. مستعيناً بذكره عن التعرض لدقائق الموصوف. ولعل السبب في هذا الاتجاه أن أدب القصة وأدب الأسطورة لم ينل نصيبه من عناية شعراء يهود الذين قصروا اهتمامهم على فنون الشعر المعروفة في العصر الجاهلي.

وإذا ما وقفنا على التشبيهات التي عرفها شعراء يهود وجدنا أن أحدهم يسوق التشبيه لتحقيق واحد من الأغراض التالية أو أكثر من غرض في آن واحد وهي:

الإيضاح والبيان: وقد ساق الشاعر مثل هذا التشبيه ليزيل اللبس والغموض عن المعنى وليجلو المشبه للأنظار ويقرّبه للأذهان كما فعل

أبو الذيال عندما شبه ريق محبوبته بماء الغمام النقي الذي خالطه الراح الصافي حيث يقول[1]:

كَـأَنَّ مـاءَ الغَمـامِ خَـالَطَـهُ راحٌ صَفـا بعـدَ هـادِرِ الـزَّبَـدِ

وثاني هذه الأغراض **المبالغة**: وهي أمر بالغ الأهمية في الحرب، إذ يلجأ إليها الشاعر لإظهار شجاعة قومه وتجسيم قوتهم كسبيل لإرهاب العدو، والنيل من معنوياته من مثل قول درهم بن زيد حين يشبه قومه في كثرة عددهم بالسواد ودروعهم كأنها اللؤلؤة في صفائها فيقول[2]:

لأَصْبَحَـنْ دارَكُـمْ بِـذِي لَجَـبٍ جَـوْنٍ[3] لـه مِـنْ أَمَـامِـهِ عَـزَفُ
البَيْـضُ حِصْـنٌ لهـم إذا فَـزِعُـوا وسَـابِغَـاتٌ كـأَنَّهـا النُّطَـفُ

وقد يلجأ إليها في غير هذا الغرض، والتشبيه مجال رحب لذلك، إذ يستطيع الشاعر أن يحقق غرض المبالغة في كثير من الشعر، فهذا سمّاك اليهودي يشبه القتلى بالذبائح يوم العيد حيث يقول[4]:

كَـأَنَّهُـمُ عَتـائِـرُ يَـوْمِ عِيـدِ تُـذَبَّـحُ وهـي لَيْـسَ لهـا نَـكِيـرُ

وثالث هذه الأغراض: **تقرير حال المشبه في النفس**: فالتشبيه يمكّن الشاعر من تثبيت شكل المشبه في الذهن وتحقيق معناه بالتشبيه، وهو بالتالي يرسم صورة واضحة المعالم في ذهن السامع، وبذلك يحقق الشاعر هدفه وهو محاولة التأثير على السامع وإقناعه بالحقيقة التي يقررها، فقد شبه الشاعر اليهودي الفارس بالأسد لما عرف عنه من

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١٠.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيتان رقم ٥، ٦.
(٣) الجون: السواد، والنطف: اللؤلؤة الصافية.
(٤) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت ٩ والعتاتر: الذبائح.

شجاعة وقوة كقول السموأل[1]:

أَكْنَافُها كُلُّ فارسٍ بَطَلٍ   أَغْلَبَ كاللَّيْثِ عادِياً حَرِبا

ويشبه تحرك مشاة الجيش الكثير بالسيل الذي يتحرك من بلد إلى بلد ليصل إلى غايته كقول السموأل يشبه الجيش بالسيل الجاري ليصل إلى غايته فيقول[2]:

وجيشٍ في دُجَى الظَلْماءِ مَجْرٍ   يَؤُمُّ بلادَ مَلْكٍ قد هَدَيتُ

ومنهم من يشبه السيوف بوميض البرق الذي يبدو وينكسف كقول درهم بن زيد[3]:

كَأَنَّها في الأكُفِّ إذ لَمَعَتْ   وَمِيضُ بَرْقٍ يَبْدو وَيَنْكَسِف

أما رابع الأغراض للتشبيه عند شعراء يهود فهو **الإيجاز والاختصار**: وهو أبرز ما كان يهدف إليه شاعر يهود، لأنه يريد إيصال الصورة إلى السامع بأوجز عبارة، ومن أقصر طريق، فلا أهمية عنده للإطالة، فغايته هي الدعاية لقومه والتصدي لخصومهم، مثل قول كعب بن الأشرف حين شبه قومه بالأسود حين تشتد المعركة حيث يقول[4]:

وَليوثٌ حين يَشْتَدُّ الوَغى   غَيْرُ أنكاسٍ ولا مِيلٍ كُشُفْ

وقد يلجأ الشاعر أحياناً إلى الإطالة والإتساع في الصورة إذا كان ذلك يخدم الغاية التي ينشدها، والهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، فقد أطال

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيت ٥ والأغلب: الغليظ، والحرب: المتهيج.

(٢) القصيدة رقم ٨ البيت رقم ٧.

(٣) التحقيق. قصيدة ٢ بيت ٩.

(٤) التحقيق. قصيدة رقم ٢ بيت رقم ٥.

الربيع بن الحُقَيْق في رسم صورة قوم يهجوهم فقال[1]:

وَأَنْتُـم كِـلابٌ لَـدى دُورِكُـم تَهِـرُّ هـرورَ العَقـورِ الـرَّصـوِدْ
وَأَنْتُـم ظَـرَابـيُّ إذْ تَجْلِسـونَ ومـا إنْ لنـا فيكـمُ مـنْ نَـديـدْ
وَأَنْتُـم تُيـوسٌ وقـد تُعـرَفُـونَ بِـريـحِ التُّيـوسِ وقُبْـحِ الخُـدودْ

فقـد أطـال فـي صـورتـه بتشبيهـه لهـؤلاء القـوم بـالكـلاب والظـرابي والتيوس.. كل ذلك ليصل إلى غرضه، وهو اعتبارهم حيوانات كما يظهر ذلك من معتقدات يهود... وكما وضحنا في أسفارهم عندما تحدثنا عن موضوعات شعرهم.

والاستعارة شكل آخر من أشكال الصورة: «وليست الاستعارة إلا وسيلة للتعبير عن موقف المتكلم من الموضوع الذي يتحدث فيه، أو من الجمهور الذي يتحدث إليه، وهي الوسيلة العظمى التي يجمع الذهن بواسطتها في الشعر أشياء مختلفة لم توجد بينها علاقةٌ من قبل، وذلك لأجل التأثير في المواقف والدوافع، وينجم هذا التأثير عن جمع هذه الأشياء وعن العلاقات التي ينشئها الذهن بينها، فهي وسيلة شبه خفية، يدخل بواسطتها في نسيج التجربة عدد كبير من العناصر المتنوعة»[2].

والاستعارة واردة في شعر يهود، ولكن استعمالها لدى الشعراء يومئذ لم يكن بالكم الذي استعملوا فيه التشبيه، ولعل السبب يكمن في طبيعة الاستعارة نفسها، فهي تحتاج إلى أناة وجهد، وتتطلب من الشاعر الدقة في التفكير، والجهد في الصياغة لأنه مطالب أن يجمع في ذهنه أشياء

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٣ الأبيات ٢، ٣، ٤.

(٢) أ.أ ريتشاردز: مبادىء النقد الأدبي. ترجمة مصطفى بدوي ص٣١٠. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٦١.

مختلفة من عالمه، وأن يبرز العلاقة التي بينها، ثم إن الاستعارة من المحسنات التي لجأ إليها بكثرة المتكلمون شعراء وكتاباً في العصور المتأخرة عصور الرخاء والاستقرار والصنعة وما إلى ذلك...

وحين تستخدم الكلمة استخداماً مجازياً فإنها تكتسب قوة لم تكن فيها قبل هذا الاستخدام وفي الاستعارة نضطر إلى التعبير عن إدراكات غير حسيّة باصطلاحات وحدود حسيّة وبمعنى آخر تصوير العواطف والانفعالات بأشياء من العالم المادي، فحينما أراد السموأل أن يستعير شيئاً ليتحدث عن السيوف به لم يجد أحسن من ربطها بالإنسان المعجب بنفسه، فهي تزهو حتى لتخالها شهباً يقول[1]:

والسُّمْرُ مَطْرورَةٌ مُثَقّفةٌ والبيضُ تَزهو تَخالُها شُهُبا

والموت أمر بعيد التصور إلا عندما ينقله لنا الشاعر في صورة إنسان يسرق الأرواح سرقة، ويخطفها خطفاً، وهذا ما فعله جبل بن جوال حينما قال[2]:

وَلَكِنْ لا خُلُودَ مع المَنايَا تَخَطَّفُ ثُمّ تَضْمَنُها القُبورُ

هكذا استخدم شاعر يهود الاستعارة، واستعملها في المواقف التي تخدم أغراضه، فدارت أكثر صورها على الحرب ومقتضياتها، ولكن ورودها في شعر يهود أقل من ورود التشبيه وسبب ذلك أنها تحتاج من الشاعر إلى كدّ ذهني لا يحتاج إليه التشبيه، وهذا الكدّ يؤخر الشاعر عن متابعة الأحداث التي تتطلب السرعة والارتجال، وكذلك عمل الشاعر المهني الذي لا يجد من الوقت الكافي لذلك. وكما استخدم شاعر يهود

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢. البيت رقم ٨.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١٢.

التشبيه والاستعارة، استخدم الكناية أيضاً، وأكثر علماء البيان يعدّون الكناية من أنواع المجاز خلافاً لأبي الخطيب الرازي، فإنه أنكر كونها مجازاً، وزعم أن الكناية عبارة عن: «أن تذكر لفظة، وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود»[1] ويقول الدكتور عبد الحميد حسن: «والكناية تعبير لا يراد منه الدلالة الحرفية للألفاظ في وصفها اللغوي، وإنما هي دلالات يفهم المقصود منها بطريق غير مباشر، إما بطريقة التلازم أو بطريق المفهوم أو بطريق السياق، ولكنها شأنها شأن الرمزية من حيث الوضوح والغموض، ومرجع ذلك إلى أن ما تنطوي عليه الرموز اللغوية من المعاني، مدى ما هناك من صلة بين الرمز ومدلوله، وهي على كل حال لون من ألوان التعبير يجمل في موضوعه، ويبعث على التفكير وإعمال الذهن»[2].

وهذا يفسّر لنا قلتها في شعر يهود، فهي أقل وروداً من التشبيه. بل ومن الاستعارة أيضاً، وسبب ذلك - في رأينا - أن الشاعر اليهودي كان في وضع نفسي مضطرب فلا تمهله ظروف العمل المهني، وظروف القتال - أحياناً - للتفكير وإعمال الذهن.

ومن أمثلة الكناية في شعر يهود قول درهم بن زيد[3]:

لَأُصْبَحَنْ دارَكم بِذِي لَجَبٍ   جَوْنٍ لَهُ مِنْ أَمَامِهِ عَزَفُ

فالجون أي السواد كناية عن كثرة عدد الجيش، وقوله كذلك[4]:

---

(١) عبد الحميد حسن. الصورة الفنية للأدب ص١٩٩.

(٢) نفس المصدر السابق ص٢٢٣.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٣ بيت رقم ٥.

(٤) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيت رقم ٧.

والبِيــضُ قــد ثُلِّمَــتْ مَضَــارِبُهــا بهــا نُفــوسُ الكُمــاة تُخْتَطَــفُ

فصدر البيت كناية عن كثرة استعمال السيوف، والثاني كناية عن مضائها ومن الكناية أيضاً قول الربيع بن أبي الحُقَيْق[1]:

أنــا ابــنُ عَمِّــكَ مــا نــابَتْــكَ نــائِبَــةٌ ولســتُ مِنْــكَ إذا مــا كَعْبُــكَ اعتَــدَلا

كناية عن الاعتدال عن الحق إلى غيره.

وضم شعر يهود بعض أنواع البديع، إذ حرص الشاعر أحياناً على تزيين شعره بألوانه وإنما وردت قليلة فهي لم تكن غاية تنشد لذاتها عند شاعر يهود، بل كانت تجري على لسانه طبيعية بلا تكلف ولا صنعة، وقد كانت هذه الألوان البديعة بسيطة بساطة عصرها، فهي تحمل روحه، وتصور ذوقه كما سبق وأن رأينا عند ابن إسرائيل حينما يتحدث عن محبوبته حيث قال[2]:

أو مــاءُ وَجْهِــكِ وَهْــوَ صُبْــحٌ مُشْــرِقٌ وَسَــوادُ شَعْــرِكِ وَهْــوَ لَيْــلٌ مُسْــدِفُ

والصورة الفنية عموماً ضرورة شعرية كالألوان للرسام، فكل الأحداث والأفكار والرؤى والأحلام تتحول إلى جملة من الصور الفنية الدالة أو الرامزة أو المشبهة بها، وعلى هذا كان طبيعياً أن تنطلق أفواه شعراء يهود لتصور الأحداث التي عاشوها، والأفكار التي قاموا يدافعون عنها، فقد كانت وسيلتهم في عصرهم لتوضيح مواقفهم، وسبيلهم للإقناع والتأثير. والفنان في رأي النويهي: «لا يحاول تصوير الواقع كما هو، بل كما يراه ويعتقده، وهو لا يصف جزئيات الطبيعة في تمام حرفيتها، بل ممزوجة

---

(١) التحقيق مقطوعة رقم ٢ البيت رقم ٤.

(٢) التحقيق. قصيدة ١ بيت رقم ٨.

بعاطفته، ومن خلال مزاجه الخاص، ولكن ليس معنى هذا أن تنطلق حريته في التصوير إلى حد الانفصام التام عن الحقيقة المادية، وإلا صار ضرباً من تصورات المس»[1].

والصدق عند النهويهي هو: «إخلاص الأديب لعاطفته وتجربته الانفعالية فهو مطابقة الكلام لعقيدة المتكلم»[2]. وهو في هذا الرأي يلتقي مع العقاد الذي يرى: بـ«أن الصدق يتمثل في تعبير الشاعر عن عاطفته بغذاء من حرارتها لا بوقود من خارجها»[3]. وأيضاً رأيه: «أن صدور ذلك الشعور منه عن مزاج أصيل لا تكلف فيه ولا اختلاف»[4]. هكذا كان شعراء يهود في شعرهم القليل الذي وصل إلينا، يجمعون بين عقيدتهم وعواطفهم، مع امتزاجها بالبيئة المحيطة بهم، والأحداث التي تمر عليهم، فجاءت صورهم صادقة معبرة مستمدة من بيئتهم وواقعهم ومجتمعهم إلى حد كبير.

جـ- الأوزان والقوافي

منذ وجد الشعر وجدت معه الأوزان، فالشاعر لا ينطق بكلامه في لغة عادية، وإنما ينطقه موزوناً، وكأنه يلبي فينا غريزتنا وفطرتنا الأولى قبل أن تنشأ اللغات، إذ كنا نتصايح بأصواتنا، وكأنما كل صيحة كانت كلمة، أو قل: كانت قصيدة نعبّر بها عن مشاعرنا وإحساساتنا تلك الإحساسات والمشاعر التي كانت تشبه محيطاً متجمداً. وأخذ الإنسان يذيب جوانب

---

(١) وظيفة الأدب للنويهي ص٦٠.

(٢) نفس المصدر ص٤٦-٥٠.

(٣) العقاد. مطالعات في الكتب ص٢٨٨.

(٤) العقاد شاعر الغزل ص٨٦. دار المعارف. سلسلة اقرأ العدد الثاني ص١٤٥٥.

من هذا المحيط عن طريق الألفاظ والغناء بها»[1] وكأنما الشاعر في كل أمة هو هبة الطبيعة التي ترسل إلى سمعه بأنغامها فتنساب في داخله، وتسبح كالعطر من حوله، فإذا هو يحاكيها في كلامه، وإذا كلامه أناشيد، إنه ليس الكلام الذي ننطق به، إنه كلام يرقص... وأخذ الشعر ينمو، ولكن لم يفارقه النغم والنشيد فهو لبّه وصميمه»[2].

وأول صورة راقية لأنغام شعرنا العربي (ومنه شعر يهود) وألحانه هي صورة العصر الجاهلي، «إذ أخذت صيغتها النهائية - في رأي الدكتور شوقي ضيف - في تلك الأوزان والبحور التي اكتشفها الخليل بن أحمد في أوائل العصر العباسي، فوضع لأول مرة علم العروض، وأتبعه بعلم القوافي»[3] ولئن كانت «أكثر الأوزان شيوعاً عند الجاهليين هي البحور الطويلة النفس كالكامل والوافر والطويل والبسيط والمنسرح والمتقارب والرمل والسريع»[4]، فإن هذه الأوزان نفسها قد شاعت عند شعراء يهود أيضاً، فإننا نلاحظ أن هؤلاء الشعراء عاشوا في العصر الجاهلي، فليس غريباً أن يستعملوا نفس البحور التي استعملها معاصروهم حيث آثروا استخدام البحور الكثيرة المقاطع، فأكثروا من النظم في الطويل والبسيط والكامل. «وكذلك مجال المنافرة والمناظرة يتطلب طول النفس في الإنشاد»[5].

---

(١) د. شوقي ضيف. في النقد الأدبي ص٩٩ ط دار المعارف الطبعة الثالثة.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر ص١٠٠.

(٤) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي ص٥٣.

(٥) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ص١٩١ مكتبة الأنجلو المصرية ط٢ سنة ١٩٥٢.

وبرزت هذه الظاهرة أكثر ما برزت في المناقضات الشعرية التي قامت بين شعراء أطراف النقائض من يهود وغيرهم في صدر الإسلام»[1].

وحين قمنا بتحليل الأوزان لسبعين نصّاً من بين قصيدة ومقطوعة لشعراء يهود في الجاهلية، وجدنا أنها تخضع لأوزان ثمانية تقريباً هي الكامل والوافر والطويل والبسيط والمتقارب والرجز والمنسرح والرمل، وكان الكامل أكثر هذه الأوزان دوراناً عند شعراء يهود وقد استخدموه ما يقرب من ثلاث عشرة مرة، ويليه الطويل الذي استخدم حوالي إحدى عشرة مرة، ومثله البسيط والوافر، ويليها المتقارب والرجز والمنسرح والرمل، ولم يأت الخفيف إلا مرة واحدة.

ومن هنا نلاحظ أن شعراء يهود قد أهملوا البحور الأخرى أو كادوا في ما وصلنا من شعرهم. هذا من ناحية البحور والأوزان، أما من ناحية القوافي، فيبدو أن ظروف يهود وعملهم، وما يصاحب عملهم من سرعة وعفوية وارتجال، هي التي حملت شعراءهم على الوقوع في بعض العيوب في القافية، فهم مشغولون بالأعمال المهنية، والأحداث، ومضطرون لملاحقتها، وعلى هذا لا يجد الشاعر وقتاً للتأمل في أشعاره، وإعادة النظر في أقواله، فيطلقها كما يجيش في صدره، وليس شرطاً أن تكون العيوب كلها قد وقع فيها الشعراء أنفسهم، فمن الجائز أن يكون سببها الرحلة الطويلة التي قطعها الشعر الجاهلي حتى وصل إلى عصر التدوين.

وما كان لشعر يهود أن يخلو من عيوب الوزن والقافية الشائعة، فهو كالشعر الجاهلي تنتشر فيه هذه العيوب، ولكن هذه العيوب لا توهن من

---

(١) انظر موضوع النقائض في الدراسة الموضوعية.

قيمة شعر يهود في جملته فهي توجد في شعر الفحول من الشعراء، وإن شعراً نقل إلينا بوسائل مختلفة، وقطع رحلة طويلة قبل أن ينتهي إلينا لا يستغرب أن تظهر فيه مثل هذه العيوب. والقافية هي تكرار عدة أصوات في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، لأنها بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها. والقافية كما يرى الدكتور شوقي ضيف: «هي أهم البقايا التي احتفظ بها من ظاهرة الغناء والموسيقى»[1].

وللقافية عدة عيوب لعل من أبرزها في شعر يهود هو الإيطاء: وهو تكرار الكلمة بعينها في أبيات القصيدة، هذا التكرار الذي يوحي بافتقار الشاعر إلى الثروة اللفظية ويدل على عجزه على الإتيان بلفظة تناسب قافية القصيدة، فيحمله هذا العجز على تكرار اللفظة ذاتها التي استخدمها في بيت سابق ومنه قول السموأل[2]:

مِنْ بَعْدِ عادِيِّ الدُّهورِ وَمأْربِ ... ومَقَاوِلٍ بِيضِ الـوُجـوهِ صِبـاحِ

ثم يقول في بيت آخر من نفس القصيدة:

وَكَتِيبَـــةٍ أذنَيْتُهـــا لِكَتِيبَـــةٍ ... وَمُضَـاغِـنٍ صَبَّحْـتُ شَـرَّ صَبـاحِ

ومنه قول السموأل في لاميته[3]:

ومـا مـات مِنّـا سَيِّدٌ فـي فِـراشِـهِ ... ولا طُـلَّ مِنْـهُ حَيْـثُ كـان قَتيـلُ

---

(١) د. شوقي ضيف. العصر الجاهلي ص٩٤ ط دار المعارف ط السابقة.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١٩ البيت ٥ ورقم ٩.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ١١ والبيت رقم ١٧.

ويكرر الكلمة في بيت آخر هو:

مُعَــوَّدةٌ أَلّا تُسَــلَّ نِصَــالُهــا فَتُغْمَـــدَ حتـــى يُسْتبــاحَ قَبِيــلُ

ومنه قول سعية بن الغريض[1]:

لُبَــابُ هــل عِنْـدَكِ مِـنْ نـائِـلِ لِعــاشِــقٍ ذي حــاجَــةٍ ســائِـلِ

ثم يكرر اللفظة الأخيرة في البيت التالي من نفس القصيدة:

إن تَسْـأَلـي بـي فَـاسـأَلـي خَـابِـراً والعِلْـمُ قـد يُلْفَـى لَـدى السَّـائِـلِ

ونجد في نفس القصيدة أيضاً قول سعية:

عَلَّلْتِــهِ مِنْــكِ بِمــا لَــمْ يَنَــلْ يــا رُبَّمــا عَلَّلْــتِ بــالبَــاطِــلِ

ويكرر كلمة «الباطل» في بيت آخر حيث يقول في نفس القصيدة:

لا نَجْعَــلُ البــاطِــلَ حَقّــاً ولا نَلَــظُّ دونَ الحَــقِّ بــالبَــاطِــلِ

وثمة عيب آخر من عيوب القافية ذلك هو: السناد: وهو اختلاف الحروف في قوافي القصيدة، وأمثلة هذا العيب كثيرة في شعر يهود منها: ما نراه عند درهم بن زيد[2]:

يــا مــالِ[3] لا تَبْغِيَــنْ ظُــلاَمَتَنــا يــا مــالِ إنّــا معــاشِــرٌ أُنُــفُ
يــا مــالِ والحــقَّ إن قَنَعْــتَ بِــهِ فيــهِ وَفينــا لِأَمْــرِنــا نَصَــفُ
إن بُجَيــراً عَبْــدٌ فَخُــذْ ثَمَنــاً فــالحــقُّ يُــوفــى بِــهِ وَيُعْتَــرَفُ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٥ البيتان ١، ٥ والبيتان ٢، ٩.
(٢) التحقيق. القصيدة رقم ٣ الأبيات ١، ٢، ٣، ٥.
(٣) المقصود (مالك).

حيث جاء الحرف الذي قبل الروي في البيت الأول نوناً، وفي البيت الثاني صاداً، وفي البيت الثالث راء، وفي البيت الربع لاماً، وفي البيت الخامس زاياً، وقد عرف هذا عند العرب بالسناد.

وفي مقطوعة ثانية لدرهم كذلك جاء قوله[1]:

مَنَعْنا على رَغْمِ ابن عَجْلانَ ضَيْمَنا ... بِمُرْهَفَةٍ كالمِلْحِ مرْهَفَةِ الصَّقْلِ[2]
ضَرَبْناهُمُ حتى اسْتَباحَتْ سُيوفُنا ... حِماهُم فَوَلَّوْا هارِبينَ مِنَ القَتْلِ
وَرَدَّ سراة الأَوْسِ ما قال مالِكٌ ... بِضَرْبٍ كأفْواهِ المُعَبَّدةِ الهُذْلِ

فقد جاء الحرف الذي قبل الروي في البيت الأول قافاً، وفي الثاني تاءً، وفي الثالث دالاً وقد ظهر السناد كذلك عند سِمَاك اليهودي في قوله[3]:

أَلَسْنا وَرِثْنا الكِتَابَ الحَكيمَ ... على عَهْدِ موسى فَلَمْ نُصْرَفِ
وَأَنْتُم رِعاءٌ لِشاءٍ عِجافٍ ... بِسَهْلِ تِهامَةَ والأَخْيَفِ
تَرَوْنَ الرِّعايَةَ مَجْداً لَكُم ... كَذا كُلُّ دَهْرٍ بِكم مُجْحِفِ

فقد كان الحرف الذي قبل الروي في البيت الأول راء وفي الثاني نوناً،وفي الثالث حاءً، ويظهر هذا العيب وأعني به السناد في معظم شعر يهود الذي وصل إلينا،ولعل سبب ذلك في نظرنا - ظروف يهود وأعمالهم، وعدم إعمال ذهنهم في اختيار الألفاظ والحروف، فليس لديهم الوقت الكافي لذلك، وقد يكون هناك سبب آخر هو: عدم اختلاط شعراء يهود كثيراً بالفحول من العرب المعاصرين ليأخذوا عنهم، ويعرفوا أخطاءهم.

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٤ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) ابن عجلان: هو مالك بن العجلان. زعيم الخزرج آنذاك.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.

ومن عيوب القافية كذلك التضمين: وقد ظهر ذلك العيب في شعر يهود فمن ذلك قول درهم بن زيد[1]:

وأُدْلِـجُ بـالقَـوْمِ شَطْـرَ المُلُـو ... كِ حتَّـى إذا خَفَـقَ المِجْـدَحُ[2]
أَمَـرْتُ صِحَـابـي لكـي يَنْـزِلـوا ... فنـامـوا قَليـلاً وقـد أَصْبَحـوا
أجَـدُّوا سِـرَاعـاً فَـأفضـى بِهِـم ... سَـرَابٌ بِـدَوِّيَّـةٍ أفْيَـحُ[3]

وفيه تعلقت قافية البيت الأول على البيت الثاني وكذلك الثاني على الثالث، فلا تكاد تستقل بنفسها. وقد ظهر هذا العيب عنه كثير من شعراء يهود فمنهم كذلك كعب بن الأشرف النضري في قوله[4]:

وَيقـولُ أقْـوامٌ أُسِـرُّ بِسُخْطِهِـم ... إن ابـن الاشـرفِ ظَـلَّ كَعْبـاً يَجْـزَعُ
صَـدَقـوا فَلَيْت الأَرْضَ ساعةَ قُتِّلُوا ... ظَلَّـتْ تَسُـوخ بِـأهْلِهـا وَتَصَـدَّعُ

وإلى جانب هذا التضمين يوجد عيب آخر في هذين البيتين وهو السناد ومنها قول أبي الذيال[5]:

أثَّـت فَطـالَـتْ حتـى إذا اعْتَـدَلَـت ... مـا إنْ يَـرَى النَّـاظِـرون مِـنْ أَوَدِ
فيهـا فـأمَّـا نَقـاً فَـأَسْفَلُهـا ... والجِيـدُ مِنْـه لِظَبْيَـةِ الجَـرَدِ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٤، ٥، ٦.

(٢) أدلج: أسير ليلاً، خفق: غاب، المجدح: نجم أو منزل للقمر أو نجم صغير بين الدبران والثريا.

(٣) الدوية: المفازة الواسعة البعيدة الأطراف يسمع فيها المسافر الأصوات، أفيح: منتشر.

(٤) قصيدة رقم ١ البيتان ٤، ٥.

(٥) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ٣، ٤.

فانظر إلى التضمين في البيت الأول «من أود»، «فيها» في البيت الثاني.

ولنترك القافية جانباً، ونأتي إلى الأوزان والموسيقى. يقول سبنسر:

«إن خير الموسيقى ما تتمشى مع الأفكار، وتتساوق مع المعاني، وتتجاوب مع نغماتها ونبراتها مع حالات النفس، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النغمة، وفي حزنه يكون منخفضاً، وفي تعجّبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافاته الصوتية قصيرة، وأما في بثّه وألمه فتكون مسافاته الصوتية قصيرة، وهكذا تساير النغمات حالات النفس، كما تساير موضوع القصيدة وفكرتها»[1].

ولا شك أن صور الأوزان المتنوعة التي يمتاز بها الشعر الجاهلي إنما حدثت بتأثير الغناء، وقد نفذوا منه إلى ضروب من التجزئة في بعض الأوزان في مجزوء الكامل والمديد، فمن مجزوء الكامل قول أحد شعراء يهود وهو شريح بن عمران[2]:

آخِ الكِـــــرامَ إن استَطَعْـ ـــتَ إلـى إخـائِهِـمُ سَبيـلا
واشْـــرَبْ بِكَـــأْسِهِـــمُ وإن شَـرِبـوا بِـهِ السّـمَّ الثَّميـلا
أأُسَيْـــدُ إن مـــالٌ مَلَكْـ ـــتَ فَسِـرْ بِـهِ سَيْـراً جَميـلا
أأُسَيْـــدُ إنَّ المـــالَ لا يُبْكَـــى إذا فَقَـــدَ الخَليـــلا
إنَّ الكَـــريـــمَ إذا تُـــوَا خيـهِ وَجَـدْتَ لَـهُ فُضـولا

هنا تظهر الموسيقى الداخلية في هذا التجزيء حيث يتغنى بهذه الأبيات ومنه كذلك قول خزز بن لوذان، وفيها نوع من الرقص إلى

---

(١) الأصول الفنية للشعر الجاهلي. د. سعد شلبي ص١١٨.
(٢) التحقيق. مقطوعة رقم ١ الأبيات ١-٥.

جانب الغناء الذي كثيراً ما يصحبه القرع على الطبول، يقول خزز بن لوذان[1]:

طَـــالَ الثَّـــواءُ بِمَـــأْرِبِ ... وَظَنَنْـــتُ أَنّـــي غَيْـــرُ زائِـــم
فَلَـــرُبَّ بـــاكٍ مـــن بَنِـــي ... ذُهْـــلٍ وقـــاعِـــدَةٍ وقـــائِـــمْ
وَمُشَقِّقَـــاتٍ للجُيُـــو ... بِ عَلَـــيَّ كـــالبَقَـــرِ الحَـــوَائِـــمْ

وقد ورد شعر يهود على بحر الكامل كثيراً كما سبق وأن ذكرنا، ويصف الدكتور عبدالله الطيب هذا البحر بأنه: «أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله إن أريد به الجدّ فخماً جليلاً مع عنصر ترنّمي ظاهر، ويجعله إن أريد به الغزل، وما بمجراه من أبواب اللين والرقة، حلواً عذباً مع صلصلة كصلصلة الأجراس ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً أو شهوانياً، وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أريد به جدّ أم هزل، ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور التي لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال[2]. ومن أمثلة شعر يهود الذي جاء على هذا الوزن، وفيه جلجلة وجلبة وهجوم المعاني والصور مع الموسيقى، قول خزز بن لوذان مؤثراً فرسه على الشراب، ولائماً امرأته التي عذلته على ذلك فيقول[3]:

كَـذَبَ العَتِيـقُ ومـاءُ شَـنٍّ بـارِدٌ ... إن كُنْـتِ سائِلَتِي غَبـوقـاً فـاذْهَبِـي
لا تَـذْكُـري فَـرَسـي ومـا أَطْعَمْتُـه ... فَيَكـونَ لـونُـكِ مِثْـلَ لَـوْنِ الأَجْـرَبِ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) المرشد إلى فهم أشعرا العرب ص٢٦٤.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٥.

وقد يجيء على هذا البحر شعر يتغنى به، وقد ورد ذلك كثيراً في شعر يهود منهم أبو الذيال الذي يتغنى في أبياته على هذا البحر فيقول[1]:

يَـا مَـنْ لِقَلْـبٍ مُتَيَّـمٍ سَـدِمٍ عَـانٍ رَهِيـنٌ أُحِيـطَ بِـالفَقَـدِ[2]
أَزْجُـرُه وهـو غَيْـرُ مُـزْدَجِـرٍ عنْهـا وَطَـرْفـي مُقَـارِن السُّهُـدِ
تَمْشِـي الهُـوَيْنـا إذا مـا مَشَـتْ فُضُـلاً مَشْيَ النَّدِيـفِ المبهـورِ في صَعَـدِ[3]

وفي مقابلة الجلبة والجلجلة تجد هذا البحر يأتي في أبيات كلها رقّة ولين وعذوبة وحلاوة لننظر إلى هذه الأبيات الغزلية لابن إسرائيل، وقد جاءت على وزن الكامل، وهي تنساب مع هذا البحر انسياب الماء، يقول في مطلعها[4]:

وَعَـدَتْ بِـوَصْلٍ والـزّمـان يُسـوِّفُ حَـوْراءُ نـاظِـرُهـا حُسـامٌ مُـرْهَـفُ
نَشْـوانَـةٌ صَهْبـاءُ مَنْهَـلُ ثَغْـرِهـا دُرٌّ وَرِيقَتُهـا سُـلافٌ قَـرْقَـفُ
تَخْتَـالُ بَيْـنَ البَـدْرِ مِنْهـا والنَّقَـا غُصْـنٌ يَميـسُ بِـهِ النَّعيـمُ مُهَفْهَـفُ

إلى أن يقول:

أو ماءُ وَجْهِكِ وَهْوَ صُبْحٌ مُشْرِقٌ وسوادُ شَعْرِكِ وَهْوَ لَيْلٌ مُسْدِفُ

ونجد أن هذا البحر يصلح للترنّم الخالص والتغني، نلحظ ذلك من

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.

(٢) السدم: الندم والهم.

(٣) النديف: القطن المندوف، واندف الرجل: إذا قال إلى الندف وهو صوت العود والندف: الأكل/ المبهور: المتتابع النفس، صعد: صعود.

(٤) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣، ٨.

استعراضنا لقصيدة ابن إسرائيل هذه والتي منها قوله أيضاً[1]:

يا بانَةً قد أَطْلَعَتْ أغصانُها ... وَرْداً جَنِيّاً باللَّواحِظِ يُقْطَفُ
وَغَزالَةٍ تَحْكي الغَزالةُ وَجْهَها ... وَبِعَيْنِ ناظِرِها الحُسامُ الأَوْطَفُ
ما تَأْمُرينَ لِمُغْرَمٍ تَسْطو بِهِ ... أَجْفانُكِ المَرضى ولا تَسْتَعْطِفُ

وبحر الكامل كما يصفه الدكتور عبدالله الطيب: «ذو نغم مجلجل رنّان يصلح لكل ما هو عنيف من الكلام...»[2].

من مثل قول السموأل بن عادياء[3]:

وَمُغيرةٍ شَعْواءَ يُخْشى دَرْؤُها ... يَوْماً رَدَدْتُ سِلاحَها بِسلاحي
وَلَرُبَّ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ وَقُودُها ... أَطْفَأْتُ حَرَّ رِماحِها بِرِماحي
وَكتيبَةٍ أَدْنَيْتُها لِكَتيبَةٍ ... وَمُضاغِنٍ صَبَّحْتُ شَرَّ صَباحِ

والحقيقة - كما يرى الدكتور أحمد الشايب: «أن لكل عاطفة أو معنى نغمة خاصة في الموسيقى والغناء، وهي أليق به، وأقدر على تعبيره، لأنها صوته الطبيعي، وصورته الحسيّة الدقيقة فهل لكل عاطفة أو معنى شعري وزن خاص، هو به أليق وعلى تصويره أقدر، ويكون الوزن أحد مقاييس الشعر النقدية كذلك؟ ويستطرد الدكتور أحمد الشايب بعد هذا التساؤل قائلاً:

ولا شك أن هذه الأسماء التي وضعها الخليل بن أحمد للأوزان الشعرية تدل على معانٍ تميز كل وزن من الباقي، وهذا الامتياز يظهر في

---

(١) نفس القصيدة الأبيات ٥، ٦، ٧.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج١ ص٣١١.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٩ الأبيات ٧، ٨، ٩.

طول البحور وقصرها وفي حركاتها المتتابعة وأنغامها العامة»[1].

والبحر الوافر، والذي يأتي بعد الكامل في نسبة ما نظم شعراء يهود عليه كثيراً من مقطوعاتهم - هذا البحر: «فيه تدفق ونغمة ينبتر في آخر كل شطر، وهذا الانبتار شديد المفاجأة، وله أثر عظيم في نغمة الوافر، إذ يكسبها رنة قوية، وهذه النغمة القوية بالطبع تسلبه مزية الإطراب الخالص، ولكنها ترشّحه للأداء العاطفي، سواء كان ذلك في الغضب الثائر والحماسة أم في الرقة الغزلية والحنين».

وتناسب هذا البحر الأساليب التي تغلب عليها الخطابة، وأحسن ما يصلح لهذا البحر، الاستعطاف والبكائيات، وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر والتفخيم والفخر[2] ومن أمثلة شعر يهود في هذا البحر، والذي جاء على أسلوب الخطاب قول الربيع بن أبي الحُقَيْق في قصيدة مطلعها[3]:

ألا مَـــنْ مُبْلِــغُ الأكْفــاءِ عنِّــي ... فــلا ظُلْـــمٌ لَـــدَيَّ ولا افْتِــراءُ
فَلَسْـــتُ بغــائِــظ الأكفــاءِ ظُلمــاً ... وَعِنْــدي للمَــلامــاتِ اجْتِــزاءُ[4]

أما في الرقة والاستعطاف فيقول السموأل على: بحر الوافر[5]:

أعَــاذِلَتــي ألا لا تَعْــذليني ... فَكَــمْ مِـنْ أمْـرِ عَـاذِلـةٍ عَصَيْـتُ
ألا يــا بَيْــتُ بــالعَلْيَــاءِ بَيْــتٌ ... ولــولا حــبُّ أهْلِـكَ مــا أتيْــتُ

---

(١) أصول النقد الأدبي ط الثامنة، مكتبة النهضة المصرية ص٣٢٢.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار الحرب ج١ ص٣٥٨، ٣٥٩.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢.

(٤) اجتزاء: اكتفاء.

(٥) التحقيق. قصيدة رقم ٧ الأبيات ١، ٧، ٨.

ألا يــا بيْــتُ أهْلُــك أوْعَــدُونــي كــأنّــي كُــلَّ ذَنْبِهِــمُ جَنَيْــتُ

فنرى فيه رنّة الرقة والاستعطاف في قوله: «ولولا حب أهلك ما أتيت».

وأما البكائيات فهذه سارة القرظية ترثي أشراف يهود الذي قتلوا بوادي ذي حُرُض بالقرب من يثرب على يد أبي جبيلة الغساني وجيشه قالت ترثيهم[1]:

بِنَفْسِــي رِمَّــةٌ لَــمْ تُغْــنِ شَيْئــاً بِــذي حُــرُضٍ تُعَفّيهــا الــرِّيَــاحُ
كُهــولٌ مــن قُــرَيْظَــةَ أتْلَفَتْهُــم سُيــوفُ الخَــزْرَجيــة والــرِّمــاحُ
رُزِئْنــا والــرَّزِيَّــةُ ذاتَ ثِقْــلٍ يُمِــرُّ لأجْلِهــا المــاءُ القَــراحُ

فتظهر فيها رنة الحزن والبكاء والمصيبة حيث الرزء والرزية والماء القراح الذي عاد مرّاً والعياذ بالله.

وهذه ثورة غضب عند أبي قيس بن رفاعة ينظمها على بحر الوافر يقول[2]:

وَذي ضِغْــنٍ كَفَفْــتُ النّفْــسَ عَنْــهُ وَكُنْــتُ علــى مَســاءَتِــهِ مُقِيــتُ[3]
وَسَيْفــي صَــارِمٌ لا عَيْــبَ فيــهِ وَيَمْنَعُنــي مِــنَ الــرَّهَــقِ النَّبِيــتُ[4]

وهذا شاعر آخر يهدد ويتوعد فيقول مخاطباً سعد بن معاذ زعيم الأوس يوم قريظة والذي حكّم فيهم السيف وهو حكم الله لخيانتهم يقول

(١) التحقيق. مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ٤، ٥.
(٣) مقيت: مقتدر.
(٤) النبيت: الأصل.

جبل في غضب على هذا البحر:

ألا يـا سعـدُ سَعْـدَ بنـي مُعَـاذٍ لِمَـا لَقِيـتْ قُـرَيْظَـةُ والنَّضِيـرُ

أمـا سمـاك اليهـودي، فقـد قلـق وأصيـب لمصـاب بنـي النضيـر الـذي أجلاهم المسلمون عن المدينة ويهدد ويتوعد أيضاً فيقول[1]:

فقـد وَأبيكُـم وَأبـي جَميعـاً أُصِيبَـتْ إذْ أُصِيـبَ بنـو النَّضِيـرِ
فَـإنْ نَسْلَـمْ لَكُـمْ نَتْـرُكْ رِجـالاً بِكَعْـبٍ حَـوْلَهُـمْ طَيْـرٌ تَـدُورُ
كمـا لاقَيْتُـمُ مِـنْ بَـأْسِ صَخْـرٍ بِـأُحْـدٍ حَيْـثُ لَيْـسَ لَهُـمْ نَصيـرُ

هكذا نظم شعراء يهود على بحر الوافر في حالات مختلفة من إنشاد واستعطاف ورقة ولين. إلى بكائيات ورثاء، ثم غضب وتهديد ووعيد. ويأتي بعد كل من الكامل والوافر البحران الطويل والبسيط، وهذان البحران أطول بحور الشعر العربي وأعظمهما أبهة وجلالاً، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة، والطويل أفضلهما وأجلّهما، وهو أرحب صدراً من البسيط، وأطلق عناناً وألطف نغماً، وقد أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبتاره، ومن رقّة الرمل دون لينه المفرط، وقد أفاده الطول أبّهة وجلالاً ونغمة من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به، وتجد دندنته مع الكلام المصوغ بمنزلة الإطار الجميل من الصورة يزينها، ولا يشغل الناظر عن حسنها شيء»[2] فهذه مقطوعة السموأل بن عادياء يتحدث فيها عن اليتامى وما سيفعله من أجلهم فيقول[3]:

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٧، ٨، ١١.
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج١ ص٣٩٢.
(٣) التحقيق. مقطوعة رقم ٣ البيتان ١، ٢.

رَأيْـتُ اليَتَـامَـى لا يَسُـدُّ فُقُـورَهُـم قِـرانـاً لَهُـمْ فـي كُـلِّ قَعْـبٍ مُشَعَّـبِ
فَقُلْـتُ لِعَبْـدَيْنـا أريحـا عَلَيْهِـمُ سَـأَجْعَـلُ بَيْتـي مِثْـلَ آخَـرَ مُعْـزِبِ

ألا تجدك وأنت تقرأ كلام السموأل هذا، لا تكاد تحس له بوزن، وإنما تشعر بمعناه ولفظه يلجان إلى قلبك ولوجاً، وما ذلك لأن الشاعر، قد أغفل ناحية الموسيقى في نظمه؟ كلا ولا لأن البحر نفسه فاتر الموسيقى، فلهذه الأبيات رنّة موسيقية قوية جداً، غير أنها مع قوتها كالمنزوية وراء كلام الشاعر، ومعاني ألفاظه، لا تزاحمها بالجلبة والطنة إلى سمعك كما تفعل رنّة الكامل ورنّة الوافر. وحقيقة الطويل كما يقول الدكتور عبدالله الطيب: «أنه بحر الجلالة والنبالة والجدّ، ولو قلنا أنه بحر العمق لاستغنينا بهذه الكلمة عن غيرها لأن العمق لا يمكن أن يتصور بدون جدّ وبدون نبل وجلالة، وما يتعمق المتعمّق إلا وهو جاد، أيّاً كان ما تعمّق فيه، ولهذا فإنك لا تجد قصائد الطويل الغرر إلا منحوا بها نحو الفخامة والأبهة من حيث شرف اللفظ وهدوء النفس، واستثارة الخيال وتخير المعاني...»[1] خذ على سبيل المثال قول السموأل بن عادياء[2]:

إذا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُـلُّ رِداءٍ يَـرْتَـديـه جَميـلُ
وإن هُوَ لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها فَلَيْـس إلـى حُسْـنِ الثَّنـاءِ سَبيـلُ
تُعَيِّـرُنـا أنّـا قَليـلٌ عَـدِيـدُنـا فَقُلْـتُ لهـا إن الكِـرامَ قَليـلُ
ومـا ضَـرَّنـا أنّـا قَليـلٌ وَجـارُنـا عَـزِيـزٌ وجـارُ الأكثـرِيـنَ ذَليـلُ

فقد تجلى في هذه اللامية العمق والجلالة كما يتجلى في معظم الأبيات التي تنظم على البحر الطويل، والذي يناسبه المدح والوصف

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج١ ص٤١٤.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١٠ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤.

والهجاء وغير ذلك، وعيون الشعر في الجاهلية وما بعدها من بحر الطويل، وخير دليل على ذلك أن أكثر المعلقات كانت على هذا البحر ومن مدح بالطويل بزّ من مدح بغيره وانظر إلى المتنبي في مدح سيف الدولة وكافور...

وهذا الوصف جميل جاء على وزن الطويل للربيع بن أبي الحُقَيْق يقول[1]:

أَذَلِكَ أَمْ غَرْسٌ من النَّخْلِ مُتْرَعٌ بِوادي القُرَى فيهِ العُيونُ الرَّواجِعُ
لـه سَعَـفٌ جَعْـدٌ ولِيـفٌ كـأنّـهُ حَـوَاشِـي بُـرودٍ حـاكَهُـنّ الصَّـوانِـعُ

حتى أن الموسيقى الداخلية بارزة في البيت الثاني مما زاد الوصف جمالاً...

أما البسيط: فهو أخو الطويل في الجلالة والروعة إلا أن الطويل أعدل مزاجاً منه ويقصر بالبسيط: أن فيه بقية من استفعالات الرجز ذات دندنة تصح نغمة أن يكون خالص الاختفاء وراء كلام الشاعر، وكامل النزول منه بمنزلة الجو الموسيقي الذي يكون من الشعر كالإطار من الصورة، ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين: العنف أو اللين...»[2] فمن العنف جاء قول سعية بن الغريض[3]:

إذا انْتَحَيْـتُ لأِقْـوَامٍ تَـرَكْتُهُـمُ مِثْلَ الجَرادِ تَنَزَّى من أذى الرَّمَضِ

وعلى عكس العنف وما فيه من رصانة وقوة جاء في اللين والرقة قول

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٥ البيتان ١، ٢.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج١ ص٤٥٢.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٤ البيت رقم ١.

سعية نفسه يتغنى بأبياته حيث يقول على نفس البحر البسيط[1]:

يا دارَ سُعْدى بِمُفضَى تَلْعَةِ النَّعَمِ   حُيِّيتِ داراً على الإقواءِ والقِدَمِ
عُجْنـا فمـا كَلّمَتْنـا الـدارُ إذْ سُئِلَـتْ   وما بها من جَوَابٍ خِلْت من صَمَمِ

وهذه مقطوعة للربيع بن أبي الحُقَيْق جاءت على وزن البسيط امتزج فيها الوَصْفُ بالغَزَل بالمدح، يقول الربيع بن أبي الحُقَيْق على وزن البسيط أيضاً[2]:

دورٌ عَفَتْ بِقُرَى الخَابور غَيَّرَها   بَعْدَ الأنيس سَوافي الرِّيح والمَطَرُ
إن تُمْـس دارُك ممـا كـان يَسْكُنهـا   وَحْشاً فذَلِكَ صَرْفُ الدّهْرِ والقَدَر
وَقَـدْ تَحِـلُّ بِهـا بِيـضٌ تَـرائِبُهـا   كَـأنَّهـا بيـنَ كُثْبـانِ النَّقـا البَقَـرُ

وخلاصة القول عن هذا البحر: «أنه يقرب من الطويل وإن كان لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني، ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب مع تساوي أجزاء البحرين، ولكنه يفوقه رقة وجزالة[3] ونظم شعراء يهود على بحر المتقارب. وهذا البحر: «فيه رنّة ونغمة مطربة على شدّة مأنوسة، وهو أصلح للعنف والسير السريع»[4].

وهذا البحر سهل يسير ذو نغمة واحدة متكررة، ويصلح لكل ما فيه تعداد للصفات وسرد للأحداث في نسق مستمر من مثل قول السموأل بن عادياء[5]:

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٦ البيتان ١، ٢.

(٢) د. أحمد الشايب. أصول النقد الأدبي ص٣٢٢.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) أصول النقد الأدبي ص٣٢٣.

(٥) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات من ١، ٥.

سَــلاَ رَبَّــةَ الخِــدْرِ مــا شَــأْنُهــا وَمِــنْ أيِّ مــا فَــاتَنــا تَعْجَــبُ
فَلَسْنــا بــأَوّلِ مَــنْ فَــاتَــهُ علــى رِفْقِــهِ بَعْــضُ مــا يطلــبُ
فَكــائِــنْ تَضَــرَّعَ مِــنْ خــاطِــبٍ تَــزَوّج غَيْــرَ الَّتــي يَخْطُــبُ
وَزُوِّجَهــا غَيْــرُهُ دونَــهُ وكــانَــت لَــهُ قَبْلَــهُ تُحْجَــبُ
وقــد يُــدْرِكُ المَــرْءُ غيــرُ الأريــبِ وَقَــدْ يُصْــرَعُ الحُــوَّلُ القُلَّــبُ

فقد تجلى في هذه المقطوعة سرد الأحداث، وتجويد الصناعة، وظهر جرس الألفاظ والأصوات وخير ما يمثل المعاني التي تصلح لهذا البحر قول الربيع بن أبي الحُقَيْق[١]:

سَئِمْــتُ وَأَمْسَيْــتُ رَهْــنَ الفِــرا شِ مِــنْ ظُلْــمِ قَــومي وَمِــنْ مُغْــرَمِ
وَمِــنْ سَفَــهِ الــرّأيِ بَعْــدَ النُّهــى وَعَيْــبِ الــرَّشــادِ وَلَــمْ يُفْهَــمِ

حيث ينساق في نسق مستمر، ويندفع وراء النغم كما يندفع التيار في غير توقف وهذا غناء حزين على بحر المتقارب يقول سماك اليهودي فيه[٢]:

إن تَفْخَــرُوا فَهُــوَ فَخْــرٌ لَكُــمْ بِمَقْتَــلِ كَعْــبِ أبــي الأشْــرَفِ
غَــداةَ غَــدَوْتُــم علــى حَتْفِــهِ وَلَــمْ يَــأْتِ غَــدْراً وَلَــمْ يُخْلِــفِ

حيث يناسب هذا البحر الغناء الحزين.

ونظم شعراء يهود على البحر المنسرح، ويقول الدكتور عبدالله الطيب عن هذا البحر: «إذا بحثت في الشعر الجاهلي لم تجد المنسرحيات فيه تخرج عند أحد غرضين: الرثاء والمراد به النوح، والنقائض...»[٣] ومن

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٢.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيتان ١، ٣.
(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج١ ص١٨٨.

أمثلة ما نظم شعراء يهود على هذا البحر قول السموأل بن عادياء[1]:

لَـمْ تَقْـضِ مـن حـاجـةِ الصِّبـا أَرَبـاً وَقَــدْ شَــآكَ الشَّبــابُ إذ ذَهَبــا
وعــاوَدَ القَلْــبَ بَعْــدَ صِحَّتِــهِ سُقْـمٌ فـلاقـى مـن الهـوى تَعَبـا

أما درهم بن زيد فهو يتوسل إلى عدم قتل أخيه لأن في قتله الخسارة والأسى فيقول على وزن المنسرح، وتظهر فيه رنّة الحزن والأسى[2]:

يـا قَـوْمِ لا تَقْتُلُـوا سُمَيْـراً فـإنَّ القَتْـلَ فيـه البَـوَارُ والأَسَـفُ
إن تَقْتُلُـوه تَـرِنَّ نِسْـوَتُكُـمْ علـى كـريـمٍ وَيَفْـزَعُ السَّلَـفُ

وقد استخدم بعضهم هذا البحر في الغزل، قال أبو الذيال[3]:

هَيْفَــاءُ يَلْتَفُّهـا معــانِقُهــا بَعْـدَ عِـلالِ الحَـديـثِ والنَّجَـدِ

وأما الرجز ففيه حركة سريعة متلاحقة تنفع للغناء كما تنفع لشعر الحرب، فهذا مرحب اليهودي يخرج من حصنه في خيبر ويقول مرتجزاً، يخاطب المسلمين، من يبارز؟ ثم يحمل سيفه ويقول[4]:

قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أَنِّـي مَـرْحَـبُ شـاكـي السِّـلاح بَطَـلٌ مُجَـرَّبُ
أَطْعَــنُ أحيــانــاً وَحينــاً أَضْـرِبُ إذا اللُّيــوثُ أَقْبَلَــتْ تَحَــرَّبُ

فلما قتله علي بن أبي طالب خرج أخوه ياسر وهو يقول مرتجزاً كذلك[5]:

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيتان ١، ٢.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيتان ١، ٢.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيت رقم ٧.
(٤) التحقيق. مقطوعة رقم ١ البيتان ١، ٢.
(٥) التحقيق. مقطوعة رقم ١ البيت رقم ١.

قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أنّـي يـاسـرُ شـاكِـي السّـلاحِ بَطَـلٌ مُغـاوِرُ

كما جاء على هذا البحر شعر لكعب بن الأشرف فيه بكاء على قتلى بدر ورثاء لهم حيث يقول[1]:

طَحَنَـتْ رَحَـى بَـدْرٍ لِمَهْلِـكِ أهْلِـهِ وَلِمِثْـلِ بَـدْرٍ تَسْتَهِـلُّ وَتَـدْمَـعُ

قُتِلَتْ سَراةُ الناسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ لا تَبْعَـدُوا إن المُلـوكَ تُصَـرَّعُ

هذه هي أهم الأوزان التي طرقها شعراء يهود، وقد تركوا أوزاناً أخرى، طرقوا ما يلائم ما قالوا فيه، وتركوا ما لا يلائم ذلك، وهذه البحور التي طرقوها هي أهم البحور التي طرقها الجاهليون. هكذا كانت موسيقاهم الخارجية ظاهرة في شعرهم، حيث طرقوا الأوزان المشهورة التي طرقها معاصروهم، وكانت عيوب قوافيهم قليلة.

ووراء هذه الموسيقى الظاهرة كما يقول الدكتور شوقي ضيف: «موسيقى خفيّة تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأن للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكلة وكل حرف وحركة بوضوح تام وبهذه الموسيقى الخفية يتفاضل الشعراء»[2].

ولهذه الموسيقى الداخلية أثر مباشر للعاطفة واهتزازات النفس الشاعرة في حالة انفعالها، وتكون الموسيقى الداخلية خفية إذا أثرت فيك القصيدة، وهزت نفسك دون أن تدرك لها سبباً معيناً لأنها حينئذ ثمرة للتكامل بين العناصر الشعرية المختلفة وتآزرها على ترك أثر موحد في نفسك، كما تكون الموسيقى الداخلية ظاهرة، إذا أمكنك أن تضع يدك

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٢.

(٢) د. شوقي ضيف في النقد الأدبي ص٩٧.

على بعض أسبابها، فأنت تلمسها لمساً، إذا انتبهت مثلاً على بعض المحسنات اللفظية الموقعة، أو إذا انتبهت أذنك إلى أن جرس الكلمات في القصائد الجيّدة يكون هامساً خافتاً في مواطن الرقة والوداعة، وعالياً صاخباً في موطن العنف والشدة. أو إذا لحظت كثرة حروف المدّ أو قلّتها في بعض الأبيات مرتبطة بالمعنى والشعور اللذين تعبّر عنهما الأبيات. ومن أمثلة المحسنات اللفظية حسن تقسيم العبارات كما في قول الربيع بن أبي الحُقَيق[1]:

وما بَعْضُ الإقامَةِ في دِيارٍ ... يُهانُ بها الفَتى إلا عَناءُ
وَبَعْضُ خَلائِقِ الأقْوامِ داءٌ ... كَداءِ الشُحِّ لَيْسَ لَهُ دَواءُ

ففي كل بيت عبارتان متوازنتان تمام التوازن. ومن المحسنات البديعية كذلك الترصيع في مطالع القصائد، وما كان يعمد إليه الشعراء أحياناً من تقطيع صوتي لأبياتهم مثل قول كعب بن الأشرف[2]:

رُبَّ خالٍ لِيَ لَوْ أبْصَرْتَهُ ... سَبِطَ المِشيَةِ أبّاءٌ أَنِفْ

وقوله كذلك:

وَلَنا بِئْرٌ رَواءٌ جَمَّةٌ ... مَنْ يَرِدْها بِإناءٍ يَغْتَرِفْ

وقوله كذلك[3]:

صَفْراءُ رادِعَة لَوْ تُعْصَرُ اعْتَصَرَتْ ... مِنْ ذي القَوَارِيرِ والحِنَّاءِ والكَتَمِ

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ٤، ٦.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيتان ١، ٩.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٣ البيت رقم ٣.

وانظر إلى هذا الترصيع الجميل عند سماك اليهودي في قوله[1]:

كَلَيْثٍ بِتَرْجٍ حِمَى غَيْلِهِ أخي غَابَةٍ هاصِرٍ أجْوَفِ[2]

فقد أحسن في تقطيع بيته، ومن هذا التقطيع جعل للبيت قافيتين داخلية وخارجية.

إننا نجد في هذا الترصيع أو حسن التقسيم، نجد العبارة الأولى قد خطّت لها في النفس مجرى، وتركت في الأذن صدى، فلما جاءت العبارة الثانية على مثال الأولى سارت في مجرى تألفه النفس، ورددت صدى تعرفه الأذن، فكأنك بهذا قد عزفت جملة موسيقية على آلة وترية ثم أعدت عزفها على آلة أخرى، وبهذا تطرب النفس والأذن معاً.

د- المعاني والأفكار

يقول الدكتور سعد شلبي: «نقرأ الشعر الجاهلي فنجد المعاني الفطرية التي يشترك بها البدوي والحضري، كالأخبار الصادقة، وأوصاف المشاهدات، وشرح الوجدانات كما يمليها الخاطر دون مبالغة، بلا جلاء للمعنى وظهوره، ومطابقته للحقيقة والواقع، فإذا جدد شاعر في معنى - أي تجديد - أو جاء بطرفة فكرية، ألفيناهم يعجبون بها، ويتناقلونها، وتسري إلى أفكار الآخرين، ويفيدون منها على الرغم من أن هذا التجديد لا يكون إلا في الجزئيات، فليس من بينهم شاعر اخترع فنّاً جديداً كل الجدّة حتى يختص به، والأمر لا يتعدى إضافة يسيرة، أو طرائف يكملون بها فكرة أو يحملون صورة من الصور»[3].

---

(١) ترج: جبل من جبال الحجاز تأوي إليه الأسود، والغيلة: أجمة الأسد.

(٢) هاصر: يكسر فريسته إذا أخذها، أجوف: عظيم الجوف.

(٣) د. سعد شلبي. الأصول الفنية للشعر الجاهلي ص٦٣، ٦٤.

وقد زاد شعراء يهود أو أضافوا بعض المعاني على معاصريهم مستمدة من عقيدتهم الدينية، فهم أهل ديانة سماوية، وكذلك من أخلاقهم فهم أهل فخر وتكبر على جميع الشعوب لأنهم - كما يزعمون - شعب الله المختار.

ولذلك فقد سلكوا المعاني التي سلكها معاصروهم، وأضافوا إليها إضافات جديدة مرتبطة كما قلنا بعقيدتهم وأخلاقهم. وبين أيدينا مقطوعات من شعر يهود توضح ما زعمناه منها قول الربيع بن أبي الحُقَيْق يتحدث عن أخلاق الناس ثم يمزج ذلك بالدين ومشيئة الله فيقول[1]:

وبَعْضُ خَلائِقِ الأقْوام داءٌ ... كَداءِ الشُحِّ لَيْسَ لَهُ دَواءُ
وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمسٌ دَوَاءً ... وَداءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ[2]
يُحِبُّ المَرْءُ أنْ يَلْقَى نَعِيماً ... وَيَأْبَى اللهُ إلاّ ما يَشَاءُ

نجد عبارة «ويأبى الله إلا ما يشاء» معنى ينبع من العقيدة الدينية، وهذا نموذج آخر من معانيهم التي زيد فيها شيء من أخلاقهم، والتي منها الغرور، والتعالي على الأمم: من ذلك قول كعب بن الأشرف يصف قومه[3]:

وَكِرامٌ لم يَشِنْهُمْ حَسَبٌ ... أهْلُ عِزٍّ وحِفاظٍ وشَرَف
سَكَنُوا من يَثْرِبٍ كُلَّ رُبىً ... وسهولٍ حَيْثُ حَلُّوا في أنفْ

وخير من يمزج معاني الجاهليين من فخر وحماسة، مع العقيدة

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٦، ٧، ٨.

(٢) النوك: الحمق.

(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٢ البيتان ٣، ٧.

والأخلاق وما فيها من كبرياء على الناس جميعاً أمير شعراء يهود في الجاهلية السموأل بن عادياء حيث يقول[1]:

وَنَحْنُ أُناسٌ لا نرى القَتْلَ سُبَّةً إذا ما رَأَتْهُ عَامِرٌ وسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ فتَطُولُ
صَفَوْنا فلم نَكْدَرْ وأَخْلَصَ سِرَّنا إناثٌ أطابَتْ حَمْلَنا وفُحُولُ
عَلَوْنا إلى خَيْرِ الظُّهُورِ وحَطَّنا لِوَقْتٍ إلى خَيْرِ البُطُونِ نُزُولُ

إلى أن يقول:

وَنُنْكِرُ إن شِئنا على النَّاسِ قَوْلَهُمْ ولا يُنْكِرونَ القَوْلَ حِينَ نَقولُ[2]

والمعاني كالكنوز، يقول الدكتور فخري الحضراوي: «ثم نلتقي بابن رشيق وهو يشير إلى أن المعاني كالكنوز، وأن مفاتيحها في أيدي الأدباء، وأن الأديب قد يفتح باباً من أبواب المعاني فيسارع الأدباء إلى الدخول فيه، ومنهم من ينقص عنه أو يقصر، ومنهم من يزيد ويسمو، بل إن منهم من لا يكاد الناقد يدرك الخيوط التي تربطه بصاحبه، وتشد الفرع بالأصل، وتصل بين اللاحق والسابق، إلا أن يكون ذا بصر حاد بالأدب، واسع الاطلاع، غزير المادة، دقيق الملاحظة»[3].

وكان شعر يهود كغيره من معظم الشعر الجاهلي شعراً صادقاً في معانيه، في وضوح وبساطة من غير تكلف ولا بعد ولا انحراف في الخيال، يستوي في ذلك حديث الجاهلي عن نفسه أو عن الطبيعة من حوله، فليس من طبعه المبالغة، وليس من رأيه الغلو الذي يخرج به عن

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٨، ٩، ١٢و ١٤.
(٢) قصيدة رقم ١٠ البيت رقم ١٩.
(٣) رحلة مع النقد الأدبي ص١١٢ دار الفكر العربي ١٩٧٧.

الحدود المعتدلة في أغلب الحالات.

ومرد ذلك أنه لم يكن يفرض نفسه على الأشياء بل يحاول نقلها في إطار من الشعر مبيناً ما يبقى على صورها الحقيقة، فلا يحدث فيها تغييراً يمس جوهرها أو يدمر حقيقتها سواء كان شعره ديواناً له ولجميع ما يحيط به ونستطيع أن نلحظ ذلك في وصفه للمعارك الدائرة بين قبيلته أو بين أصدقائه وأعدائه، فعلى الرغم من أن هذا مجال يكثر فيه التزيد والمبالغة والتهويل والكذب إلا أن الشاعر غالباً - ما كان يلتزم الصدق حتى ليعترف بهزيمة قومه أو أصدقائه إذا هزموا، ولا يبخل في أثناء ذلك أن يثني على أعدائه فيعترف لهم بالشجاعة وحسن البلاء. فهذا كعب بن الأشرف يتحدث عن قتلى بدر، ويصف مصرعهم وما حدث لهم على أيدي المسلمين فيقول[1]:

طَحَنَتْ رَحى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ   وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَعُ

قُتِلَتْ سَرَاةُ الناسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ   لا تَبْعَدُوا إن المُلوكَ تُصَرَّعُ

كَمْ قَدْ أُصيبَ بِهِ من ابيَضَ ماجِدٍ   ذي بَهْجَةٍ يَأوي إليهِ الضُّيَّعُ

فهو يعترف بأن معركة بدر طحنت أشراف الناس وسادتهم من أصدقائه، وكم قد أصيب بها من شريف يأوي إليه الضيع والجياع، ولم تمنعه حماسته لأصدقائه كفار قريش وبغضه لأعدائه المسلمين من أن يكون منصفاً يعطي كل ذي حق حقه وهو اعتراف يبدو عليه الصدق، ولكنه - في رأينا - خبث ولؤم، الغرض منه إثارة قريش ضد المسلمين ودعوتهم ورسولهم ﷺ، فقد كان من أشد أعدائه وأعداء دعوته كما سبق أن تحدثنا في مواضع أخرى سابقة. ومن الأمور العامة في الشعر

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

الجاهلي ومن شعر يهود، الصدق والوضوح والاعتدال والتزام الحقيقة، وهذه الروح هي التي طبعت نتاجهم بطابع تقريري لا خداع فيه ولا زيف، من هنا كانت معانيهم محددة تحديداً يظهرها في أتم ما يكون من وضوح، ويصدق ذلك على حكمهم التي تنم عن أحكام سليمة وخبرات واقعية، فإذا شابها الخيال زادها وضوحاً وجلاء[1]؛ فانظر إلى قول الربيع بن أبي الحُقَيْق وهو يسوق حكمه ومواعظه»[2]:

فَما يُعْطَى الحَريصُ غِنىً بِحِرْصٍ ... وَقَدْ يَنْمَى لَدَى الجودِ الثَّراءُ
وَلَيْسَ بِنافِعٍ ذا البُخْلِ مالٌ ... ولا مُزْرٍ بِصاحِبِهِ الحِبَاءُ
غَنِيُّ النَّفْسِ ما اسْتَغْنى بِشَيْءٍ ... وَفَقْرُ النَّفْسِ ما عَمَرَتْ شَقاءُ

وإذا تتبعنا صفاتهم التي يشيدون بها في المراثي والمدائح والفخر سنجدها دائماً ترتبط بالإنسان، فلا يتركها الشاعر معنى ذهنياً مجرداً ينم عن خفايا النفس البشرية، ولا يلجأ إلى هذه الحسيات ليجرد منها فكرة تخامر العقل ولا تتراءى في مثال، بل إن صورهم في الغالب حسيّة تنتزع من العالم المادي:

إذ يقدّم الشاعر المعاني منكشفة كأنها أشياء صلبة محسوسة، فهي حقائق تسرد سرداً، وقلما شابها الخيال إلا ليزيدها إمعاناً في الوضوح والجلاء.

وإن تمسكهم بهذه الحسيّة جعلهم يدققون في موصوفاتهم، فتناولوا أجزاءها وكأنهم يقيمون في كل قصيدة تمثالاً وهذا أمر شائع في الشعر

---

(١) د. شوقي ضيف. العصر الجاهلي ص٢٢٠ الطبعة السابقة، دار المعارف.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١٠.

الجاهلي كما يقول أبو الذيال اليهودي في وصف محبوبته[1]:

دارٌ لِبَهْنانَةٍ خَدَلَّجَةٍ   تَبْسِمُ عَن مِثْلِ بارِدِ البَرَدِ[2]
أثَّت فَطالَتْ حتى إذا اعْتَدَلَتْ   ما إن يَرَى النَّاظِرون مِن أَوَد[3]
فيها فأمّا نَقاً فَأسْفَلُها   والجِيدُ مِنْها لِظَبْيَةِ الجَرَدِ[4]

وهنا يرسم الشاعر صوراً متعددة وكلها حسّ جزئي يصفها جزءاً جزءاً ويكشفها أتم كشف وجلاء: وكأن محبوبة أبي الذيال ماثلة أمامنا نراها رأي العين بجسمها الممتلىء الساقين والذراعين، وعجيزتها التي عظمت وأسنانها التي تشبه حب الغمام صغراً ونصاعة، وجيدها كجيد ظبية الفلاة... إنها صور حسيّة ليس فيها صنعة، فلم يكن الشعراء قد اختلطوا بالأمم الأخرى التي تحب الصنعة: وهذا كعب بن الأشرف في رثائه لقتلى بدر يتحدث عن صفات الذين يرثيهم فيقول[5]:

كما قد أُصيبَ بِهِ من ابْيَضَ ماجِدٍ   ذي بَهْجَةٍ يأوي إليه الضُّيَّعُ
طَلْقَ اليَدين إذا الكَواكِبُ أَخْلَفَتْ   حَمَّالُ أثْقالٍ يَسودُ وَيَربَعُ

فالذي يرثيه سيد في قومه، يأوي إليه الجياع والفقراء، كثير المعروف وحمل أثقال الناس وأعباءهم فهو سيدهم، يأخذ ربع الغنيمة في الحرب، وهي عادة الرؤساء في الجاهلية. كما أن الوحدة الموضوعية للقصيدة في شعر يهود قد توجد في بعض مقطوعاتهم بدخولهم على الهدف مباشرة،

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ٢، ٣، ٤.
(٢) بهنانة: طيبة النفس «وصف لمحبوبته» خدلجة: الممتلئة الساقين والذراعين، بارد البرد: حب الغمام.
(٣) أثّت: عظمت عجيزتها، الأود: الاعوجاج.
(٤) النقا: الكثيب من الرمل، ظبية الخرد: ظبية الفلاة.
(٥) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ٣، ٤.

وقد لا توجد في بعضها الآخر، كما فعل السموأل بن عادياء حين امتزج في قصيدته البائية الوصف بالفخر بالهجاء وغيرها من الأغراض يقول[1]:

لَـمْ تَقْـضِ مِـنْ حَـاجَـةِ الصِّبـا أربـاً وَقَــدْ شَــآكَ الشَبَــابُ إذ ذَهَبَــا
وَعَــاوَدَ القَلْــبَ بَعْــدَ صِحَّتِــهِ سُقْـمٌ فـلاقـى مـن الهَـوَى تَعَبـا
إنّ لنـــا فَخْمَـــةٌ مُلَمْلَمَـــةٌ تَقْــرِي العَــدُوّ السِّمَــامَ واللَّهَبــا
رَجْــراجَـة عَضَّــلَ الفَضَــاءُ بِهـا خَيْــلاً وَرَجْــلاً وَمَنْصِبــاً عَجَبــا
أكْنــافُهــا كــلُّ فــارسٍ بَطَــلٍ أغْلَـبَ كـاللَّيْـثِ عـادِيـاً حَـرِبـا

إلى أن يقول:

لِنَصْــرِكُــمْ والسُّيُــوفُ تَطْلُبُهُــمْ حتَّـى تَـوَلَّـوْا وأمْعَنُـوا هَـرَبـا
وَأنْـتَ فـي البَيْـتِ إذْ يُحَـمُّ لـك الـ ـمـاءُ وَتَـدْعـو قِتـالَنـا لَعِبـا

وكذلك فعل سعية أخوه في قصيدته التي نقتطف منها بعض الأبيات في أغراض متعددة[2]:

إذا رَأيْـــتَ مُعَمَّـــراً فَتَعَلَّمَـــنْ أنْ سَوْفَ تُدْرِكُهُ الخُطوبُ فَيُبْتَلَى
للهِ درُّكَ مـــن سَبيـــلٍ راجِـــعٍ سِيَّـانِ فيـهِ مَـنْ تَصَعْلَـكَ وامتَنـى
أحْيَـاؤُهـم خِـزْيٌ علـى أمْـوَاتِهِـمْ والمَيِّتُـونَ شِـرارُ مَـنْ تَحْـتَ الثَّـرى

إلى أن يقول مفتخراً بنفسه[3]:

إن الكَــرِيــمَ إذا أرَدْتَ إخَــاءَهُ لَمْ تَلْفَ حَبْلي واهياً رَثَّ القُوَى
أرْعَــى أمَــانَتَــهُ وأحْفَــظُ عَهْــدَهُ عِنْـدِي ويـأتِـي بَعْـدَ ذلـك مـا أتـى

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣، ٥، ١٢، ١٣.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٦.
(٣) نفس القصيدة. البيتان ٩، ١٠، ثم البيتان ١١، ١٢.

ويختتم قصيدته بالحكمة والموعظة فيقول:

ارْفَعْ ضَعيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ   يوماً فَتُدْرِكَهُ العَواقِبُ قد نَمَى
يَجْـزِيـكَ أوْ يُثْنِـي عَلَيْـكَ وإنَّ مَـنْ   أَثْنَـى عَلَيْـك بِمَـا فَعَلْـتَ فَقَـدْ جَـزَى

ومعانيهم تكاد تكون واحدة، وكأنما اصطلحوا استخدام معان بعينها، فهم جزء من معاصريهم الجاهليين؛ يقول عن معانيهم الدكتور شوقي ضيف:

«ومن ثم تبدو في أشعارهم نزعة واضحة للمحاكاة والتقليد، وجنى عليهم ذلك ضيقاً في معانيهم، غير أنه من جهة ثانية أتاح لهم التدقيق فيها. وأن يجلوها ويكشفوها أتمّ كشف وجلاء... وستجد أيضاً براعة نادرة في إعادتها وصوغها صوغاً جديداً، فكل شاعر يحاول أن يعطيها شيئاً من شخصيته»[١].

ولنأخذ مثلاً تشبيه المرأة بالظبية، فشاعر منهم يقول بأن الظبية تشبهها في وجهها وشاعر آخر يشبه جيدها بجيد الظبية في استوائه وطوله وجماله، يقول ابن إسرائيل:

وَغَـزَالَـةٍ تَحْكـي الغَـزَالَـةُ وَجْهَهَـا   وَبِعَيْنِ نـاظِرِهـا الحُسـامُ الأَوْطَـفُ

فهذا يشبه وجه الغزالة بوجه محبوبته، وهو ما يعرف بالتشبيه العكسي أو المقلوب أما أبو الذيال اليهودي فيشبه جيدها بجيد الظبية فيقول[٢]:

أَثَّـتْ فَطَـالَـتْ حتَّـى إذا اعْتَـدَلَـتْ   مـا إنْ يَـرَى النَّـاظِـرُونَ مِـنْ أَوَدِ[٣]

---

(١) د. شوقي ضيف. العصر الجاهلي ص٢٢١.
(٢) التحقيق. قصيدة رقم ١ البيتان ١، ٢.
(٣) اثت: عظمت عجزيتها، أود: اعوجاج.

فيهـــا فـــأمّـــا نَقـــاً فـــأسْفَلُهـــا   والجِيـــدُ مِنهـــا لِظَبْيَـــةِ الجَـــرَدِ[1]

وما يزال كل شاعر يضيف تفصيلاً جديداً حتى يكاد المعنى أو الصورة كما ذكرنا[2] - تأخذ من صاحبها شيئاً خاصاً.

هـ - الألفاظ والأساليب

أول ما يتبادر إلى ذهن قارىء الشعر الجاهلي صعوبة ألفاظه، والحقيقة أن هذه الصعوبة ليست طبيعية في هذا الشعر العريق، وهذه الغرابة التي تصادفنا عندما نحاول تفهم ألفاظه وأساليبه منشؤها البعد الزماني والمكاني والاجتماعي والثقافي بيننا وبين الجاهليين، أما بالنسبة إليهم فليست هذه الألفاظ بالغريبة ولا بالغامضة بل هي لغتهم التي يتحدثون بها والشعر الذي يصاغ منها هو فنّهم المفضّل الذي كانوا ينشدونه بالبديهة أو شبه البديهة. ومن هنا كانت هذه الأبيات التي تحفل بأسماء الديار والجبال والربوع والوديان والوهاد وغيرها من الأمكنة أصعب الأبيات على أذهاننا، وأكثرها غرابة عن مداركنا فيستعصي علينا فهمها.

يقول الدكتور سعد شلبي: «. . . وربما كانت هذه الأبيات في مفتتح القصائد فتصدف نفوسنا عنها، وننصرف، وقد أعطينا القصيدة ظهورنا، ولو أخذنا أنفسنا بالصبر والأناة، وهما من سمات المتخصصين ألفينا لهذا الشعر جمالاً، ووجدنا في قراءته لذة»[3].

وعلى كل حال فيهود في الجزيرة العربية كانوا أهل حضر، يسكنون

---

(١) نقا: رمل، ظبية الخرد: ظبية الفلاة.

(٢) انظر حديثنا عن الأخيلة والصور.

(٣) الأصول الفنية للشعر الجاهلي ص٤٦.

المدن، ويعملون بالزراعة والصناعة والتجارة كما هو معروف وسبق أن تحدثنا عن ذلك في الفصل الأول (اليهود في الجزيرة العربية)، وبالتالي فليس في معظم الألفاظ التي في شعرهم كلمات وحشية لأسماء جبال ووديان وحيوانات كمعاصريهم عرب الجاهلية المتنقلون في الصحراء من مكان إلى مكان... ولكن ألفاظهم فيها معاني الغرور والتعالي والفخر، وأساليبهم خطابية في كثير من مواقفهم، كما تبرز فيها الألفاظ الدينية، فهم أهل ديانة سامية، كما تبرز في ألفاظهم معاني العمل المهني الصناعي خاصة، ولنضرب على ذلك أمثلة من نماذج شعرهم لنرى هذه الألفاظ والأساليب: يقول الربيع بن أبي الحقيق واصفاً النخل وما فيه[1]:

لَـهُ سَعَـفٌ جَعْـدٌ ولِيـفٌ كَـأَنَّـهُ حَواشِي بُرُودٍ حاكَهُنَّ الصَّوانِعُ

فانظر إلى لفظة «حاكهن»، وكذلك لفظة «الصوانع» ألا يدل ذلك على ارتباط شعرهم وألفاظه بعملهم؟

انظر إلى قوله أيضاً:

فَسَـوْفَ تَعْلَـم إمَّـا كُنْـتَ تَجْهَلُـهُ مَنْ خفَّ يومئذٍ في الوَزْنِ أوْ ثَقُلا

فلفظة «خف» وكذلك «ثقل»، «الوزن» ألا تدل هذه الألفاظ على ارتباطها بالبيع والشراء والتجارة التي اشتهر بها يهود! ثم أليس فيها أسلوب الحوار والمناقشة والجدل الذي عهد عن القوم!

ولنبق مع الربيع بن أبي الحُقَيْق أيضاً في مقطوعة له يظهر فيها أسلوب القص والتعريض والجوار والتبليغ والشرط وغير ذلك، يقول الربيع بن

---

(١) التقحيق. قصيدة رقم ٥ البيت رقم ٢.

أبي الحُقَيْق[1]:

سَئِمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الفِراشِ مِنْ ظُلْمِ قَوْمي وَمِنْ مَغْرَمِ
وَمِنْ سَفَهِ الرَأْيِ بَعْدَ النُّهى وَغَيْبِ الرَّشَادِ وَلَم يُفْهَمِ
فَلَوْ أنّ قَومي أطاعوا الحَليمَ لَمْ يَتَعَدَّوْا وَلَمْ يُظْلَمِ
وَلَكِنَّ قومي أطَاعُوا الغُوَا ةَ حتى تَعَكَّسَ أَهْلُ الدَّمِ
فَأَوْدى السَّفِيهُ بِرَأْيِ الحَليـ ـمِ وانْتَشَرَ الأمْرُ لَمْ يُبْرَمِ

وهذه ألفاظ تظهر فيها معان دينية مثل الحساب والعقاب، والموت والفناء، والخلود والبعث، وغير ذلك مما يظهر في قول شعرائهم، فهذا السموأل بن عادياء يقول[2]:

نُطْفَةٌ ما مُنِيتُ يَومَ مُنِيتُ أُمِرَت أَمْرَها وفيها بُرِيتُ
كَنَّها اللهُ في مكانٍ خَفِيٍّ وَخَفِيٌّ مكانُها لَوْ خَفِيتُ
مَيتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ثمّ حَيِيتُ وَحَيَاتي رَهْنٌ بِأنْ سَأَمُوتُ

فالنطفة، ميت، حييت، سأموت... ألفاظ تحمل معان إيمانية بالحياة والموت، والحقيقة أننا نجد أمثالها عند شعراء الجاهلية الآخرين، ولكن ليس بالقدر المنتشر عند شعراء يهود، وهذا شاعر آخر يؤمن بالموت ويسخر من الذي يظن في الخلود يقول سعية بن الغريض[3]:

لا تَبْعَدَنَّ فَكُلَّ حَيٍّ هالِكٌ لا بُدَّ من تَلَفٍ فَبِنْ بِفَلاحِ
إن امْرَءاً أمِنَ الحَوادِثَ جاهِلٌ ورجا الخُلودَ كضارِبٍ بِقِدَاحِ

ومن الظواهر الخاصة في ألفاظهم ندرة وجود لفظ الجلالة «الله» مع

---

(1) التحقيق. قصيدة رقم ١٠ الأبيات ١-٥.
(2) التحقيق. قصيدة رقم ٤ الأبيات ١، ٢، ٣.
(3) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات من ١-٥.

أنهم أهل ديانة سماوية كما قلنا، والحقيقة أن اسم (الله) لا يستعمل عندهم لأن الله في لغتهم يطلق عليه (يهوه) وهو إله بني إسرائيل واليهود لا يصرحون باسم هذا الإله إلا نادراً، ولعله لهذا السبب لم يذكر اليهود لفظة «الله» في شعرهم لأنها لا تعبّر بدقة عن «يهوه»، أو لعلهم ذكروا «يهوه» في أشعار أنف الرواة المسلمون من روايتها.

كما أن من الظواهر الخاصة في ألفاظهم كذلك استعمال بعض الكلمات العبرية، أو المعرّبة عن العبرية - إن جاز هذا التعبير - كمثل لفظة (تلعة) في قول سعية بن الغريض[1]:

يا دارَ سُعْدى بِمُفْضَى تَلْعَةِ النَّعَمِ   حُيِّيتِ داراً على الإقواءِ والقِدَمِ

ويقول مراد فرج المحامي: «والتلعة في العبرية: «تعلة» بتقديم العين، من علا يعلو بمعنى تدفق الماء من العلو، ولهذا فقد عرفت في اللغة العبرية بما ارتفع من الأرض»[2]. ومن هذه الظواهر أيضاً: تعاقب السين والشين في استعمالاتهم، يقول مراد فرج المحامي:

فاسم «سعية» و«شعية» أو «يشيعه» ومعناه «موسع» أو «يسع» في اللغة العبرية بالشين والياء والهاء آخر اسم من أسماء الله»[3] وهناك ظواهر أخرى تشيع في ألفاظ شعر يهود وأساليبه تلك التي تشيع في ألفاظ وأساليب الشعر الجاهلي بصفة عامة وهي كما يرى الدكتور سعد شلبي: «الجزالة والتصوير وما يمكن أن نسميه التكثيف»[4].

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٦ البيت رقم ١.

(٢) الشعراء اليهود العرب ص٥٢.

(٣) مراد فرج المحامي: الشعراء اليهود العرب ص٤٩.

(٤) الأصول الفنية للشعر الجاهلي. د. سعد شلبي ص٥٤.

ويقصد بالتكثيف هنا: تركيز المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، وهذا يلائم المزاج في ذلك العصر الذي يكتفي بالجملة القصيرة عن البيت، وحسبه البيت عن القصيدة طالت أو قصرت، وتشيع المقطوعات في شعر يهود أكثر بكثير من القصائد، وربما غالوا في ذلك فأتت حكمهم مركّزة، في عبارات مقتضبة أو جمل قصيرة، ومن هنا استحبوا أن يستقل كل بيت بنفسه، لا يرتبط سابقه بلاحقه، وكرهوا أن يكون معتمداً على غيره، إلا في الحالات التي نبهنا إلى أخطائهم فيها، ولنأخذ مثلاً مقطوعة للسموأل بن عادياء مكونة من بيتين يتحدث فيهما عن حال اليتامى وما فعل لهم فيقول(١):

رَأَيْتُ اليَتامى لا يَسُدُّ فُقورَهم ... قِرانا لَهُم في كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ
فَقُلْتُ لَعَبْدَيْنا أريحا عَليهِمُ ... سَأجْعَلُ بَيْتي مِثْلَ آخَرَ مُعْزِبِ

فالسموأل هنا يتحدث عن اليتامى المعوزين، ويلوم الأغنياء، وهو يتحدث عن نفسه لقلة ما يقدمونه، ثم يطلب من عبديه أن ينعما عليهم بما يملكه، وسيترك بيته خالياً كبيوت البدو في الصحراء، أو كصاحب الإبل الذي ذهبت عنه إبله فلا يملك شيئاً. أرأيت هذه المعاني الكثيرة كيف تضمنها هذان البيتان وحسب. ولعمري فإنه لو أراد شاعر غيره من شعراء هذه الأيام مثلاً أن يعبّر عمّا عبّر السموأل لما كفته قصيدة بكاملها.

وهذه مقطوعة غزلية، والغزل جميل، ويطيب فيه التطويل والوصف، ولكن أبا الذيال الشاعر اليهودي يتحدث عن محبوبته وقلبه المتيّم بها في ثلاثة أبيات يقول فيها(٢):

---

(١) التحقيق. مقطوعة رقم ٣ البيتان ١، ٢.

(٢) التحقيق. مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

يـا مَـنْ لِقَلْـبٍ مُتَيَّـمٍ سَـدِمِ عـانٍ رَهيـنٌ أُحِيـطَ بـالفَقَـدِ[1]
أزْجُـره وهـو غيـرُ مُـزْدَجِـرٍ عنهـا وَطَـرْفـي مُقـارِنُ السُّهُـدِ
تَمْشِـي الهُـوَيْنـا إذا مـا مَشَـتْ فُضُـلاً مَشْـيَ النَّـدِيـفِ المَبْهُـورِ فـي صَعَـدِ[2]

وتلك لعمري معان كثيرة تحتاج إلى قصيدة طويلة توضح ما فيها من أفكار، وصور ومعان حيّة فإذا تذكرنا أن ظروفهم لم تكن تسمح بالتطويل. كما سبق أن قلنا - لعرفنا إلى أي حد كان الواحد منهم مضطراً إلى ضغط معانيه الكثيرة في أقل عدد من الأبيات. ومن ناحية أخرى لننظر إلى لفظة «النديف» لنضيفها إلى الألفاظ السابقة التي تتعلق بعملهم فهم أهل صناعة كما ذكرنا ومنها النسيج وما فيه من سرعة رجع اليدين.

وشخصية الشاعر من شعراء ذلك العصر كما يرى الدكتور سعد شلبي: «تميل إلى ذلك كل الميل، ذلك لأن هذا الفن كان سجلاً لأحاسيسهم ومخلداً أفكارهم، فكانوا بطبيعتهم يرون أن تكثيف المعاني في الموجز من العبارات كفيل بسيرورتها وجريانها على الألسن، واستقرارها في القلوب على مدى الأزمان، وبهذا التكثيف أيضاً تكون ألصق بالذهن لسهولة حملها على الذاكرة»[3].

وتلك طبيعة شعر يهود وهو شعر غنائي غالبيته مقطوعات، مثل غالبية الشعر الجاهلي حيث تغلب عليه هذه الظاهرة.

---

(١) سدم: همّ مع ندم.
(٢) المبهور: المتتابع النفس من الإعياء والصعد: صعد المكان: ارتقى فيه، والصعد: المشقة، النديف: القطن المندوف، والمقصود سرعة رجع اليدين.
(٣) الأصول الفنية للشعر الجاهلي ص٥٦.

وجمال الألفاظ يؤثر في العقول والقلوب، انظر إلى هذه المقطوعة لدرهم بن زيد وما فيها من ألفاظ جميلة أثرت في قلوبنا وعقولنا يقول فيها[(١)]:

هَجَرْتُ الرَّبابَ وجاراتِها ... وَهَمُّكَ بالشَّوْقِ قَدْ يَطْرَحُ
يَمَانِيَّةٌ نَازِحٌ دَارُها ... تُقِيمُ بِغُمْدَانَ لا تَبْرَحُ
لَعَمْرُ أبيكَ الذي لا أُهين ... إنّي لأُعطي وأَسْتَفْلِحُ[(٢)]
وأُدْلِجُ بالقوم شَطْرَ المُلُو ... كِ حتى إذا خَفَقَ المِجْدَحُ[(٣)]
أَمَرْتُ صِحَابي لِكَيْ يَنْزِلوا ... فَنَامُوا قَليلاً وقد أَصْبَحوا

ثم انظر إلى ألفاظ أوس بن دني في مقطوعته الغزلية:

يقول أوس بن دني[(٤)]:

أَنَّى تَذَكَّرَ زَيْنَبَ القَلْبُ ... وطِلابُ وَصْلِ عَزيزةٍ صَعْبُ
ما رَوضَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ لها ... مُوْشِيَّةٌ ما حَوْلَها جَدْبُ
بِأَلَذَّ مِنْها إذْ تَقولُ لنا ... سَيْراً قَليلاً يلْحَقِ الرَّكْبُ

فانظر إلى لفظة «موشيّة»، و«جدب» و«روضة» و«سيراً قليلاً» أي سيروا سيراً قليلاً بطيئاً لكي يلحق الركب...

فحسن الألفاظ وحلاوة مخارجها تسعد القلوب وخاصة إذا كانت من مصاب بالوجد كأوس بن دني، فإن المعاني التي تكتسي بألفاظ جميلة تعشقها القلوب عشقاً، يقول الجاحظ: «إن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً،

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ١ الأبيات من ١-٥.
(٢) أستفلح: أحقق النجاة والفوز.
(٣) المجدح: نجم أو منزل للقمر أو نجم صغير بين الدبران والثريا.
(٤) التحقيق. مقطوعة رقم ١ الأبيات ١، ٢، ٣.

وأعاره البليغ مخرجاً، ومنحه المتكلم قولاً متعشقاً صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملا، والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة ولمسته الأوصاف الرفيعة تحولت عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها بمقدار ما زيّنت، وعلى حسب ما زخرف»[1].

فاللفظ الرشيق الأنيق يؤثر في القلوب والعقول تأثيراً شديداً، وكأنه يزيد في حقائق المعاني وأقدارها، وبمقدار جماله وروعته الفنية تكون هذه الحقائق والأقدار، فلننظر إلى هذا القص والحوار، والعرض الجميل لشاعر مجرّب، لنرى الأسلوب المصاغ بألفاظ جزلة تظهر هذا السرد والحوار والتبليغ يقول سعية بن الغريض في مقطوعة له[2]:

أرى الخُـلّانَ لمـا قَـلَّ مـالـي ... وَأَجْحَفَـتِ النَّـوائِـبُ وَدّعـونـي
فلمـا أن غَنِيْـتُ وعـادَ مـالـي ... أراهُـم لا أبـالَـكَ راجَعـونـي
فلمـا مَـرَّ مـالـي بـاعَـدوني ... ولمـا عـادَ مـالـي عـاوَدونـي

فالسرد يظهر فيه الحوار، وينم عن حقائق عرفها الشاعر من خلال تجاربه. وتكثر ظاهرة السرد والحوار في أساليب شعر يهود، ولم لا وهم أهل جدل معروف.

فهذا سماك يقول بعد مقتل كعب بن الأشرف: وإجلاء بني النضير في أسلوب يظهر فيه الحوار واضحاً[3]:

إن تَفْخَـروا فهـو فَخْـرٌ لكـمْ ... بِمَقْتَـلِ كعـبِ أبـي[4] الأشْـرَفِ

---

(١) د. شوقي ضيف: في النقد الأدبي ص١٦١، ١٦٢.
(٢) التحقيق. مقطوعة رقم ٧ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٣) التحقيق. قصيدة رقم ٣ الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥.
(٤) (أبي) بدل (بن) لاستقامة الوزن.

غــداةَ غَــدوْتُــم علــى حَتْفِــه ... وَلــم يَــأْتِ غَــدْراً ولــم يُخْلِــفِ
فَعَـلَّ اللَّيـالـي وَصَـرْفَ الـدُّهـورِ ... تُـدِيـلُ مـن العـادل المُنْصِـفِ
بِقَتْـلِ النَّضِيـرِ وأحْـلافِهـا ... وَعَقْـرِ النَّخِيـلِ وَلَـمْ تُقْطَـفِ
فـإن لـمْ أَمُـتْ نَـأْتِكُـمْ بِـالقَنَـا ... وكُـلِّ حُسَـامٍ معـاً مُـرْهَـفِ

فهو يعترف بأن مقتل كعب بن الأشرف فخر لأعدائه المسلمين، وهو يحاورهم، لماذا قتلتموه غدراً وهو لم يغدر[1]، ويهدد بأن الأيام سوف تثأر من العادل المنصف وهو الرسول ﷺ الذي أمر بقتل كعب بن الأشرف وأجلى النضير، وقطع نخيلهم بسبب غدرهم ومكرهم، وتهديده هذا جاء على أسلوب الشرط (فإن لم أمت نأتكم بالقنا...).

فهذا أسلوب كامل الصياغة، تام التركيب، وهذا أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي عادة. يقول الدكتور شوقي ضيف: «من أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنه كامل الصياغة فالتراكيب تامة، ولها دائماً رصيد من المدلولات عنه وهي في الأكثر مدلولات حسيّة، والعبارة تستوفي أداء مدلولاتها، فلا قصور فيها ولا عجز، وهذا الجانب في الشعر الجاهلي يصوّر رقيّاً لغوياً... فالألفاظ توضع في مكانها والعبارات تؤدي معانيها بدون اضطراب»[2] وكما سبق أن تحدثنا عن المعاني والأفكار، فالمعاني تكاد تكون واحدة، ولكن الشعراء اتجهوا إلى قوالب التعبير وهي الألفاظ. «وبذلك أصبح المدار على القالب لا على المدلول والمضمون»[3]. وألفاظ الشعر وكلماته لا تقف عند حاجز معين من حواجز النفس أو حواجز الكون، بل تنطلق بنا إلى آفاق واسعة جداً وكأنها نافذة نطل منها على

---

(١) انظر قصة مقتله في فصل شعراء يهود.
(٢) د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص٢٢٦.
(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٩ وما بعدها.

مشاهد متتابعة أو كأنها قوة تتخطى بها كل الحدود، حيث يستخدم الشاعر الكلمات الشعرية الخلابة التي يكثر فيها الإشعاع والإيحاء، ولم يسرف شعراء يهود في استعمال مثل هذه الكلمات، بل كانت ألفاظاً حسيّة ذات مدلولات واضحة تعبّر عما يحسُّونه في مجتمعهم الذي عاشوا فيه.

سمات شعر يهود الخاصة

لقد اتسم شعر يهود بسمات ميزته عن غيره من شعر القبائل العربية في ذلك الزمان، ولعل من أهم هذه السمات:

أ- شيوع المقطوعة في شعرهم: وهذا يرجع إلى عدة احتمالات منها ضياع الشعر الجاهلي ليهود كما ضاع كثير من الشعر المعاصر له، ومنها: اختيار الرواة لبعض أبيات تخدم الغرض المطلوب الذي يلائمهم وتركهم لباقي الشعر، وقد حدث في شعر يهود وغير يهود. ومن تلك الاحتمالات أيضاً، عدم انشغال اليهود بالحرب كمعاصريهم الجاهليين، وما كانت تقوم بينهم من أيام حرص يهود على عدم الدخول فيها لأنهم أصحاب مهن وعمل، ولخوفهم على مراكزهم بين القبائل، ولذلك رأينا قبائلهم في المدينة وحولها تتوزع الولاء بين الأوس والخزرج، كما رأينا صداقتهم المتينة لقريش وانحيازهم معهم ضد المسلمين في صدر الإسلام.

- ومنها كذلك عدم ذيوع الغزل في شعرهم الذي يستوعب الأبيات الكثيرة، وربما يستغرق القصائد الطوال، وربما لأن الغزل فيه من العبث ما يعف عنه المتدينون وقد كان شعراء يهود متدينين إذا قيسوا بمعاصريهم العرب الوثنيين.

ومنها طبيعة عمل اليهود في التجارة والصياغة والزراعة وغيرها مما لا يسمح بالتطويل في الشعر والانصراف إليه.

- ومنها عدم وجود شعراء متخصصين للشعر حتى السموأل نفسه الذي وجدنا له ديواناً من الشعر فهو صاحب حصن يأتي إليه الناس ويمتارون عنده ويحميهم ويجيرهم، وقد اشتهر بالوفاء وغلبت قصة وفائه على شعره حتى ضرب به المثل المشهور: «أوفى من السموأل» يقول في ذلك مفتخراً[1]:

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إنّي ... إذا ما ذُمَّ أَقْوامٌ وَفَيْتُ

فهم ليسوا متفرغين لقول الشعر أو متكسبين به كما كان الشأن عند معاصريهم من الجاهليين كالأعشى والنابغة وغيرهما.

ب- ومن سمات شعر يهود - غير شيوع المقطوعة - عدم الحرص على المقدمات لأنه ليس لدى أصحاب العمل وقت فراغ للمقدمات والتطويل، فهم يدخلون إلى غرضهم مباشرة ودون حاجة إلى وصف الأطلال والبكاء عندها، ووصف الناقة والفرس وغير ذلك - ونرجع هذه الظاهرة إلى أحد أمرين:

أولاهما: احتمال ضياع أبيات تلك المقدمات وعدم ورودها على ألسنة الرواة.

وثانيهما: أن غالبية شعر يهود مقطوعات ليس في حاجة إلى مقدمات.

جـ- الصدق الفني: والصدق يكون في صدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحسّ بها فعلاً، وإعلان عقيدته التي يعتقدها، وليس معناه

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٨ البيت ١٢.

أن يكون نقلاً حرفياً للواقع الخارجي بكل حذافيره. أما وظيفة الأدب فهي أن يصوّر عاطفة الإنسان نحو واقع ما، ونظرته الشخصية إليه، وموقفه منه، ورد فعله عليه بمعنى آخر فإن الصدق كما يرى النويهي: «هو إخلاص الأديب لعاطفته وتجربته الانفعالية فهو مطابقة الكلام لعقيدة المتكلم»[1].

ومن يتصفح شعر يهود في العصر الجاهلي يجد أن التزام الحقائق ظاهرة من ظواهره الواقعة، وإن كان الصدق الفني يعني مطابقة الشعر لما يعتقده الشاعر أو ما يحس به كما يقول الدكتور مصطفى ناصف[2] وغيره[3]، فإن شعر يهود بعامة كان صادقاً يصور تعصب الشاعر لعقيدته وقومه، وليس أدلّ على صدق هذا الشعر وواقعيته من إنصافه للخصوم وإعطائهم حقّهم من البأس والشجاعة وكرم الأصل، ولعل من أبرز ما يمثل ذلك شعر النقائض التي تراشق بها اليهود مع المسلمين في صدر الإسلام والتي تحدثنا عنها عندما عالجنا موضوعات وأغراض هذا الشعر، فتصدي خصوم الشاعر له، ونقضهم لمعانيه يجعله يتوخى الصدق والواقعية، ويلتزم القصد والصراحة في شعره لأنه يخشى أن يفضحه خصومه ويكشفوا عيوبه، ولم ينطلق شعراء يهود في شعرهم وراء شطحات الأوهام، فلم يجعلوا من وقائعهم خوارق، ومن فرسانهم آلهة أو أنصاف آلهة، أو مردة أو عماليق كما كان يفعل شعراء اليونان مثلاً في ملاحمهم المشهورة، وأساطيرهم المعروفة، بل وصفوا الأشياء على حقيقتها الموضوعية، وصوّروا الأحداث على نحو ما تحدث في الواقع،

---

(١) النويهي. وظيفة الأدب ص٤٩، ٥٠.

(٢) د. مصطفى ناصف: دراسة الأدب العربي ص٣٠٩.

(٣) العقاد. مطالعات في الأدب ص٢٨٨.

فكان شعرهم مرآة لحياتهم العقلية، ولما جاش في صدورهم من مشاعر.

د- قلة الشعر الديني: لقد كان اليهود يحرصون على عدم نشر دينهم عن طريق الشعر فهم قوم محافظون جداً لا يعلنون عقائدهم وأحكامهم للناس، وربما يرجع ذلك إلى عدم ثقتهم في الناس، وفي الأمم جميعها فهم شعب الله المختار - كما يدّعون - وهم أصحاب الديانة بينما الأمم الأخرى خلقت لخدمتهم، فَلِمَ ينشرون دينهم لهؤلاء الناس؟ على أن ذلك لا يعني خلوّ شعرهم من الموضوعات الدينية بل لقد ظهر فيه.

١- البعث: وقد ورد في شعر بعضهم مثل السموأل والربيع بن أبي الحُقَيْق وأوس بن دني ويتحدث السموأل عن البعث بعد الموت فيقول إنه قد جاءته الأنباء بذلك، وأن الناس سيحاسبون، يقول[1]:

مَيْتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ثُمّ حَيِيتُ	وَحَيَاتي رَهْنٌ بِأَنْ سَأموتُ
لَيْتَ شِعْرِي وأَشْعُرَنَّ إذا ما	قَرَّبوها مَنْشُورَةً وَدُعِيتُ
أَلِيَ الفَضْلُ أمْ عَلَيَّ إذا حُو	سِبْتُ إنّي على الحِسَاب مُقِيتُ
وأتاني اليَقِينُ أنّي إذا مِـ	ـتُّ وإن رُمَّ أعْظُمي مَبْعُوثُ

ثم يبدي السموأل تخوّفه مما في الصحف التي تسجّل أعمال الناس، لأنه لا يدري إن كان سيؤخذ بذنوبه أم ستتداركه الرحمة والفضل من المليك وهو يطمع في هذا العفو جزاء ما فعل من الخير وإن كان قليلاً فيقول[2]:

هل أَقُولَنَّ إن تَدَارَكَ ذَنْبِي	وتَدَكَّى عَلَيَّ إِني نُهِيتُ

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٤ الأبيات ٣، ٧، ٨، ٩.

(٢) التحقيق. قصيدة رقم ٤ الأبيات ١٠، ١١.

أَبِفَضْلٍ مِنَ المَلِيكِ ونُعْمَى أَمْ بِذَنْبٍ قَدَّمْتُهُ فَجُزِيتُ

٢- العدالة في القضاء: يحدثنا الربيع بن أبي الحُقَيْق أنهم - أي اليهود - كانوا يفصلون في قضايا أهل دينهم بالعدل والحق وفق ما جاء في كتبهم المقدسة لا يغيّرون ولا يبدلون ولا يحابون، وكان المتقاضون يرضون بهذا الحكم ويذعنون له فيقول[1]:

إنّا إذا نَحْكُم في دِينِنا نَرْضى بِحُكْمِ العادِلِ الفاصِلِ
لا نَجْعَلُ البَاطِلَ حقّاً ولا نَلَظُّ دونَ الحَقِّ بالبَاطِلِ
نَخافُ أن تَسْفَهَ أحلامُنا فَنَخْمُلَ الدَّهْرَ مَعَ الخامِلِ

ولكننا مع ذلك نقول: إن هذا فخر وادعاء فيه مبالغة وَتَمَدُّح بما ليس له حقيقة فقد ثبت أن اليهود لم يكونوا يعدلون في أحكامهم «بل غيّر أحبارهم أحكام التوراة وتشريعاتهم محاباة لأشرافهم وساداتهم»[2].

فإذا كان قضاة اليهود قد شرعوا التحميم[3] مكان الرجم ليستوي الشريف والوضيع كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم[4]، فإنهم بذلك قد لظوا دون الحق بالباطل، وها هو القرآن الكريم يؤكد لنا أن يهود وهم أهل الكتاب كانوا يلبسون الحق بالباطل، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧١﴾ [آل عمران] كما أكد القرآن الكريم أن كثيراً من الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل، فهل من يأكل أموال الناس بالباطل يحكم بالحقّ والعدل!! وهم الذين يحرِّفون الكَلِمَ عن بعض

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٨ الأبيات ٤، ٥، ٦.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٨٤.
(٣) التحميم: تسويد الوجه بالحممة.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٨٤.

مواضعه.

٣- ظهر في أشعارهم كذلك موقف المسالمة والموادعة، فقد كان الرسول ﷺ يأمل أن يؤمنوا به، لأنهم أهل الكتاب، ولأنهم كانوا يعرفون أن ما جاء به الرسول هو الحق يعرفون ذلك حق المعرفة كما أشارت الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

ويعلمون تمام العلم أن الرسول محمد ﷺ هو النبي الذي بَشَّرت به التوراة لكل هذا وقف المسلمون منهم هذا الموقف، وعقد معهم الرسول ﷺ المعاهدة المعروفة[1].

غير أن اليهود بادؤوا الرسول بالعداء، وأبت عليهم طبائعهم الغادرة إلا أن ينقضوا العهد، ويؤلبوا القبائل على المسلمين، وبلغت بهم الخسة إلى أن يتغزلوا بنساء المسلمين كيداً بهم وبرسول الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فشن الرسول ﷺ الحرب عليهم، وأخرجهم من المدينة، فكان لذلك أثر في نفوسهم ترددت أصداء منه فيما وصل إلينا من شعرهم وقد أخذ الشعر اتجاهين ينبعثان من مصدرين هما في الحقيقة مصدر واحد.

الاتجاه الأول: التعصب الديني: فمن المعروف أن اليهود شديدو التعصب لدينهم، وتمسكهم به، وقد ظهر هذا عبر تاريخهم كله، غير أنهم كانوا يعلنون هذا التعصب بكثير من الخبث والمكر، وقد نمت عن خليقة التعصب المبطن في الخبث والمراوغة أبيات لأوس بن دني القرظي

---

(١) السيرة لابن هشام قسم ١ ص٥٠١.

عندما أسلمت امرأته ودعته إلى الإسلام فقال[1]:

دَعَتْني إلى الإسلامِ يومَ لَقِيتُها ... فَقُلْتُ لها لا بَلْ تَعالي تَهَوَّدِي
فنحنُ على تَوراةِ موسى ودِينِهِ ... ونِعْمَ لَعَمْرِي الدِّينُ دينُ محمدِ
كلانا يرى أن الشَّرِيعَةَ هَدْيُهُ ... ومَنْ يُهْدَ أبوابَ المراشِدِ يَرْشُدِ

فالشاعر هنا يقف موقفاً سلبياً يثير الشكوك في نفوس الضعفاء، ومستغلاً الحكمة «من يهد أبواب المراشد يرشد».

الاتجاه الثاني: المراثي: فقد كان لمقتل كعب بن الأشرف وقع أليم في نفوس اليهود، فرثاه سمَّاك اليهودي، واصفاً له بأنه كان من كبار علمائهم، وأن قتله شق على أحبارهم، ثم أخذ يهدد المسلمين بالثأر - كما سبق أن بينا - في موضوعات شعر يهود. وأما بكاء كعب بن الأشرف وبكائه على قتلى المشركين يوم بدر فالباعث على هذا الرثاء هو الحقد على المسلمين والإسلام، وإلا فكيف نفهم أن يلتقي من يَدَّعون أنهم أهل كتاب مع قوم أهل شرك وأوثان، فرثاء كعب هذا ليس فيه سمة من الدين، فهو نوع من الرثاء المعروف عند العرب، ويصدق زعمنا هذا تلك السمة الجديدة لشعر يهود وهي:

٤- الشعوبية، فقد فَضَّل اليهود أنفسهم على العرب وغير العرب باعتبارهم شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم في الأميين سبيل، فهم أهل كتاب والعرب رعاة شاء. فمما يقول سمّاك اليهودي[2]:

أَلَسْنا وَرِثْنا الكِتابَ الحَكِيمَ ... على عَهْدِ موسى فَلَنْ نُصْرَفِ
وَأَنْتُمُ رِعَاءٌ لِشاءٍ عِجَافٍ ... بِسَهْلِ تِهَامَةَ والأَخْيَفِ

(١) التحقيق. مقطوعة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) التحقيق. مقطوعة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.

تَـرَوْن الـرِّعَـايَـةَ مجـداً لَكُـم — كَـذا كـلُّ دَهْـرٍ بِكـم مُجْحِـفِ

بل إن شاعراً آخر يتمادى في هذه الشعوبية لدرجة احتقار الشعوب الأخرى، فيهجو قوماً من تلك الأقوام غير اليهود، ويعتبرهم حيوانات، كلاب وظرابي وتيوس إلى غير ذلك فيقول(١):

وَأَنْتُـم كِـلابٌ لـدى دورِكـم — تَهِـرُّ هُـرورَ العَقـورِ الـرَّصـودْ
وأَنْتُـم ظَـرَابِـيُّ إذ تجلِسُـونَ — ومـا إن لنـا فيكُـمُ مـن نَـدِيـدْ
وَأَنْتُـم تُيـوسٌ وَقَـدْ تُعْـرَفُـونَ — بِـريـحِ التُّيُـوسِ وَقُبْـحِ الخُـدودْ

هذه السمات البارزة، وكثير غيرها تكاد تُبرز ما اتسم به شعر أولئك القوم في ذلك الزمان الذي جمعهم مع العرب في جزيرة واحدة، يتحدثون لغة واحدة، ويعيشون عصراً واحداً، ولكنهم لظروف ذكرناها احتفظوا بما ميزهم عن معاصريهم، ومما احتفظوا به تلكم السمات التي فصّلنا القول فيها. ويلاحظ أن يهود الجاهلية لم يحافظوا على يهوديتهم وعلى خصائصهم التي يمتازون بها ويحافظون عليها محافظة شديدة كما حافظوا عليها في الأقطار الأخرى، فأكثر أسماء القبائل والبطون والأشخاص هي أسماء عربية، والشعر المنسوب إلى شعراء منهم يحمل الطابع العربي والفكر العربي، فهم في أكثر أمورهم كالعرب فيما سوى الدين، ولعل هذا هو بسبب تأثير العرب المتهودة عليهم وكثرتهم بالنسبة إلى من كان من أصل يهودي مما سبب تأثيرهم وهم ذوو أكثرية في اليهود الأصليين الذين أثّروا فيهم فأدخلوهم في دينهم، فأثّروا فيهم وطبعوهم بطابع عربي.

وقد كان لليهودية أثر في الشعر الجاهلي يتمثل في القصص الديني

---

(١) التحقيق. قصيدة رقم ٣ الأبيات ٢، ٣، ٤ للربيع بن أبي الحقيق.

وأنبياء بني إسرائيل، وأعياد اليهود، ومعارف يهودية.

إن مجاورة العرب اليهود ومقامهم معاً في ديار واحدة فترة طويلة من الزمن لم تمر دون أن تترك بعض آثارها في الشعر الجاهلي، وأثر اليهودية في الشعر الجاهلي أوضح منه في شعر اليهود أنفسهم ويمكن أن نتلمس أثر اليهودية في الشعراء الجاهليين في الموضوعات التي ذكرت وهي:

أ- القصص الديني: وقد انتقل القصص الديني إلى الشعراء العرب عن طريقين طريق القراءة للعهد القديم، وطريق السماع. أما الطريق الأول فكان نادراً لا نكاد نجده إلا عند أمية بن أبي الصلت الذي كان: «قد شَامَ أهل الكتاب»[1] كما قال ابن سلام وربما كانت صلة أمية بالأسفار المقدسة أعمق من الشيم والسماع لأن معرفته بالكتب المقدسة معرفة من اطلع عليها وقرأها ودرسها، وهي معرفة لا توجد عند كثير من الشعراء قال ابن سلام: «وكان أمية بن أبي الصلت كثير العجائب يذكر في شعره خلق السموات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحدٌ من الشعراء»[2]. فإن هذه المعرفة لا تكون إلا عن طريق القراءة المباشرة للكتب المقدسة. وقال عنه الجاحظ: «إنه ادّعى النبوة، وأنه أعدّ نفسه لذلك بطلب الروايات ودرس الكتب[3] وقص أبو سفيان أنه اصطحب أمية في رحلة إلى الشام فكانوا كلما نزلوا منزلاً أخرج أمية كتاباً يقرأ فيه»[4]. وتتضح هذه المعرفة بقصص العهد القديم في شعر أمية

(١) طبقات فحول الشعراء ١/٢٦٣.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الجاحظ. الحيوان ٢/ ٣٢٠ تحقيق عبد السلام هارون.

(٤) البداية والنهاية ٢/٢٢١.

ونكتفي بذكر قصة واحدة هي قصة الطوفان قال أمية بن أبي الصلت[1]:

تَـرَفَّـعَ فـي جَـرْيٍ كـأنَّ أَطِيطَـهُ ... صَـرِيـفُ محـالٍ يستعيـدُ الـدَّواليـا
علـى ظهـر جَـوْنٍ لـم يُعَـدَّ لِـرَاكـبٍ ... ســراه وغيـم أُلْبِـسَ المـاءَ داجيـا
فســارتْ بهـم أيـامُهـا ثَـمَّ سبعـةً ... وســتَّ ليـالٍ دائبـاتٍ غَـوَاطِيـا
تشـقُّ بهـم تَهْـوِي بـأحسـن إمْـرَةٍ ... كـأنَّ عليهـا هـادِيـاً ونَـوَاتِيـا

ويقول عن الحمامة:

وما كانَ أصحابُ الحَمَامَةِ خيفةً ... غَدَاةَ غَدَتْ منهم تَضُمُّ الخَوَافِيا

وواضح أن أمية أخذ الطوفان والحمامة من سفر التكوين الإصحاحات السادس والسابع والثامن. وغير أمية الأعشى وكذلك النابغة.

ب- أنبياء بني إسرائيل: إن ما ذكرناه من قصص ديني مظهره اليهود، اشتمل على ذكر بعض أنبياء بني إسرائيل مثل يعقوب ويوسف وسليمان، وأضيف هنا معرفتهم لداوود فقد تردد اسمه كثيراً في الشعر الجاهلي مقترناً بالدروع المثقفة الصنع وهي التي تسمى (الداوودية)، وليس بعيد أن تكون معرفة الجاهليين لهذه الدروع المنسوية إلى داوود قد انتقلت إليهم من اختلاطهم باليهود، ولكن الشعر الجاهلي يضن بأي معلومات عن داود سوى نسجه الدروع. يقول بشامة بن الغدير حاثّاً قومه على الاستعداد للحرب بالرماح والخيل ودروع داوود:

وحَشُّـوا الحُـروبَ إذا أوقَـدَتْ ... رِمـاحـاً طِـوَالاً وخَيْـلاً فُحُـولا[2]
ومِـن نَسْـجِ داودَ مَـوْضُـونَـةً ... تَـرَى للقَـوَاضِـبِ فيهـا صَليـلا

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت ص٢٤٠. تحقيق د. السطلي.

(٢) ديوان بشامة بن الغدير.

ويفخر طرفة بأنه من قوم يلبسون لكل حالة لبوسها، فهم إذا لبسوا دروع داوود كانوا رجالاً للحروب ومساعيدها.

وهُـمُ مـا هُـمْ إذا مـا لَبِسـوا   نسـجَ دَاودَ لِبَـأس مُحْتَضَـرْ[1]

وكذلك زهير بن أبي سلمى وغيره.

ويبدو أن مهارة اليهود في بناء حصونهم وآطامهم، وهو فن لم يكن العرب يحذقونه حملت الشعراء الجاهليين على أن ينسبوا كل أبنية اليهود إلى سليمان. وهذا الأعشى يذهب إلى أن حصن السموأل بناه سليمان بن داود، وهذا الحصن على متانته وقوته لم يحل بين الموت وعادياء والد السموأل.

يقول الأعشى في ذلك[2]:

ولا عادِياً لَمْ يَمْنَع الموتَ مالُهُ   وحِصْـنٌ بِتَيْمَـاءِ اليَهُـودِيِّ أبْلَـقُ
بنـاه سُلَيْمَـانُ بـنُ داوَد حِقْبَـةً   لـه أَزَجٌ عـالٍ وطَـيٌّ مُـوَثَّـقُ

- أعياد اليهود: مَرَّ الشعر الجاهلي بأعياد اليهود الدينية مروراً سريعاً، وكل ما حدث به عن هذه الأعياد أنها كانت تقام لها الاحتفالات الصاخبة الراقصة على أنغام الطبول والرواقش يقول الحارث بن عباد واصفاً ديار «سلمى» بعد أن خلت من أهلها وتعاقبت عليها الأزمنة والفصول بأنها تشبه موضعاً أقام فيه اليهود عيداً راقصاً:

هل عَرَفْتَ الغَدَاةَ رَسْماً مُحِيلاً   دارِسـاً بعـدَ أهلِـهِ مـأهـولا[3]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد.

(٢) ديوان الأعشى الكبير ص٢١٧.

(٣) كتاب بكر وتغلب لابن الكلبي ص٦٧.

غَيَّـرَتْــهُ الصَّبَــا وكُـــلُّ مُلِـــتٍّ	يــرتمــي بــالعِضَــاهِ جِيــلاً فَجِيــلا
فكــأن اليهــودَ فــي يــوم عيــدٍ	ضَــرَبَــتْ فيــه رَوْقَشــاً وطُبُــولا

د- معارف يهودية: عرف الشعراء الجاهليون شيئاً من أساطير اليهود وبعض عاداتهم الاجتماعية، فمن الأساطير اليهودية التي ورد ذكر لها في الشعر الجاهلي قصة «عرار»، و«كحل» وهما ثور وبقرة كانا في بني إسرائيل فعقر «كحل» فعقرت به «عرار» فوقعت الحرب بينهم حتى تفانوا[1].

وقد استمد ابن عنقاء الفزاري من هذه الأسطورة مثلاً لما حدث بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء:

إن تأتِ عبسٌ وتَنْصُرْها عشيرتُها	فليس جارُ ابن يَرْبُوعٍ بمخذولِ
كِـلاَ الفـريقيـنِ أعْيـا قَتْـلَ صَـاحِبِـهِ	هــذا القَتيــلُ بمَيْــتٍ غيــرِ مطلــولِ
بـاءتْ عَـرَارٌ بكحـلٍ والـرِّفـاقُ معـاً	فـلا تَمَنَّـوْا أمَـانِـيَّ الأضـاليـلِ[2]

ومن العادات التي نسبها الشعراء الجاهليون لليهود وربما كان لها أصل عندهم: أن من أراد دخول خيبر عليه أن يحبو، وينهق مثل الحمير حتى لا تصيبه حمى خيبر، ولكن عروة بن الورد يرى ذلك كذباً ويرى أنه لو فعله كان دليلاً على خوفه من الموت:

وقالوا احْبُ وانْهَقْ لا تَضِيركَ خَيْبَرٌ	وذلـكَ فـي دِيـنِ اليهـود وُلـوعُ[3]
لَعَمْرِي لئِنْ عشَّرْتُ مِنْ خشيةِ الوَرَى	نهـــاقَ الحميـــرِ إننـــي لَجَـــزُوعُ

---

(١) نقائض جرير والفرزدق ١/١٠٧، لسان العرب مادة «عرر».
(٢) نقائض جرير والفرزدق ١/١٠٧، ولسان العرب مادة «عرر».
(٣) ديوان عروة بن الورد ص٩٥، ولوع: كذب، التعشير: أن ينهق الحمار عشر نهقات.

ويحدثنا الأعشى عن خمر اليهود التي كانوا يُعدُّونها لأعيادهم ولعلهم كانوا يقدمون شيئاً منها قرباناً لإله بني إسرائيل فيقول: إن اليهودي إذا أخرج هذه الخمر طاف حولها وتمتم عليها بالصلاة وباركها:

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا … وأبْرَزَهَا وعليها خَتَمْ[1]
وقابلها الرِّيح في دَنِّها … وصَلَّى على دَنِّهَا وارْتَسَمْ

وعرف الشعراء الجاهليون كذلك شيئاً من كتب اليهود وكتاباتهم ولكنها معرفة لم تتناول ما في هذه الكتب من تعاليم وتشريعات، واكتفوا بما رأووا من سطورها وخطوطها فاستغلوا ذلك في تشبيهاتهم، يقول الأسود بن يعفر[2]: إن بقايا الديار بعد أن خلت من مجالس السمر وانطفأت فيها النيران وتناثرت الدمن تشبه سطوراً من كتاب كتب اليهود قد جُوِّد خَطُّه ونُمِّق:

كأنَّ بَقَايا رَسْمِها بعدَما جَلَتْ … لك الرِّيحُ منها عن مَحَلٍّ مُدَمَّنِ[3]
مجالسُ أيسارٍ وملعبُ سامرٍ … وموقدُ نارٍ عهدُها غيرُ مزمنِ
سُطُورُ يهودِيَّيْنِ في مُهْرَقَيْهِما … مجيدَيْنِ من تَيْمَاءَ أو أهل مَدْيَنِ

---

(١) ديوان الأعشى الكبير.

(٢) كنيته أبو الجراح، كان شاعراً فحلاً، وكان يكثر التنقل في العرب يحاورهم فيذم ويمدح، له شعر كثير من شعره قصيدة يمدح فيها الحارث بن هشام ابن المغيرة وقد قام بغزوة أحد وله فيها أثر قال:

إن الأكارم من قريش كلها … قاموا فراموا الأمر كل مرام

إلى أن يقول:

وغزا اليهود فأسلموا أبناءهم … صمّي لما لقيت يهود صمام

وصمى صمام: أي زيدي يا داهية...

(٣) ديوان الشماخ بن ضرار. تحقيق الدكتور صلاح الدين عبد الهادي. ط دار المعارف ١٩٦٨.



القسم الثاني
التحقيق



الفصل الخامس

شعراء يهود وأشعارهم

أ- شعراء يهود في العصر الجاهلي

أولاً: السموأل بن عادياء[1] (٦٥ ق.هـ - ٥٦٠م):

هو السموأل بن عريض بن عادياء - كما ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وابن حبيب - والناس يدرجون (عريضاً) في النسب وينسبون السموأل إلى جده[2] وذكر عمرو بن شبية، فنسبه إلى عادياء، ولم يذكر عريضاً في النسب[3] وكذلك صنع أبو الفرج، ولكنه أسمى السموأل «غريضاً» بالغين المعجبة.

وروى أبو الفرج وغيره: أن السموأل من ولد الكاهن بن هارون بن عمران[4] وأنه صاحب الحصن الشهير المعروف بـ(الأبلق) الذي ذكره

---

(١) اختلفت المصادر في اسمه فصاحب الأغاني يقول في ج١٩ ص١٢: «السموأل بن عادياء» بينما يقول الميداني في أمثاله ج٢ ص٣٨٢: «السموأل بن حيّان بن عادياء»، وصاحب تاج العروس يقول: «السموأل بن أوفى بن عادياء» (تاج العروس ٣/ ٣٨٤، وصاحب معاهد التنصيص ١/ ١٣١: «أنه ولد الكاهن بن عمران» وبعضهم يقول: إنه من غسان كالأب لويس شيخو محاولاً تنصيره.

(٢) معاهد التنصيص ١/ ١٣١.

(٣) معاهد التنصيص ١/ ١٣١.

(٤) الأغاني ٣/ ١٣.

الشعراء ووصفوه أجمل وصف. وكان أول من أسسه عادياء، جدّه كما أشار إلى ذلك السموأل بقوله:

بَنَى لي عادِيا حِصْناً حَصيناً وعَيْناً كُلّما شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

«وكانت العرب تنزل به فيضيفها، وتمتار من حصنه، ويقيم هناك سوقاً»[1].

وهو الذي ضرب به المثل في الوفاء، لأنه، رضي بقتل ابنه في سبيل عدم الخيانة بالأمانة، حيث أودع لديه امرؤ القيس[2] أدرعه لما خرج إلى قيصر يستنجده على بني أسد بن خزيمة، أودعه مائة درع: فلما هلك امرؤ القيس بلغ الحارث بن أبي شمر الغساني خبر الدروع، فأتى السموأل في جيش، فتحصّن منه السموأل وأخذ الحارث ابناً له - وقد كان خارج القصر ورجع من الصيد - فقال له: إني قد أسرت ابنك فادفع إليّ الدروع، وإلا ضربت عنقه» فأبى السموأل أن يخفر بعهده، ويسلّم الأمانة لغير صاحبها، وآثر قتل ولده على أن يخون العهد ويسيء إلى الوفاء والصدق. فقرّب الحارث الغلام وضرب عنقه على مرأى من أبيه ورجاله، وفي ذلك يقول السموأل:

وَفَيْتُ بأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إنِّي إذا ما ذُمَّ أقْوامٌ وَفَيْتُ
بَنَى لي عادِيا حِصْناً حَصيناً وماءً كلما شِئْتُ استَقَيْتُ
وقالوا إنّهُ كنزٌ رَغِيبٌ فلا - واللهِ - أغدرُ ما مَشَيْتُ

وكان السموأل بن عادياء الغساني يهودياً عظيم الخطر في قومه،

---

(١) معاهد التنصيص ١/١٣١.
(٢) امرؤ القيس بن حجر أشعر شعراء الجاهلية يتصل نسبه بملوك كندة كان أبوه حجر بن الحارث حاكماً على قبائل بني أسد وغطفان وقد حاربهم فقتلوه.

وضربت به العرب المثل فقالوا: «أوفى من السموأل». قال دِعْبِل بن علي الخزاعي[1]:

وما مِثْلُ السَّمَوْألِ في نِزارٍ ... ألاَ هَيْهَاتَ قد قَطَعَ القَرِينا[2]

أما حصن السموأل، فهو الأبلق، وسمي الأبلق الفرد، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام على رابية، وإنما قيل له الأبلق لأن في بنائه بياض وحمرة، وكان أول من بناه عاديا أبو السموأل أو جدُّه.

قال الأعشى[3] يصفه:

يُوَازي كُبَيْداتِ السَّماءِ ودونَهُ ... بلاطٌ وداراتٌ وكِلْسٌ وخَنْدَقُ[4]

له دَرْمَكٌ في رأسِهِ ومَشَارِبٌ ... ومِسْكٌ ورَيْحَانٌ ورَاحٌ تُصَفَّقُ

وحُورٌ كأمثالِ الدُّمَى ومَنَاصِفٌ ... وقِدْرٌ وطَبَّاخٌ وصَاعٌ ودَيْسَقُ

فذاكَ ولم يَجْزَعْ من الموتِ رَبُّهُ ... ولكِنْ أتاه الموتُ لا يَتَأَبَّقُ

وكان الأعشى قد استجار بشريح بن السموأل عندما أسره الكلبي فقال

---

(١) دعبل بن علي الخزاعي: عربي من اليمن شديد التعصب للقحطانية. جاء إلى بغداد من الكوفة بطلب من هارون الرشيد. كان شاعراً فحلاً ولكنه هجاء لم يسلم منه أحد مات سنة ٢٤٦هـ.

(٢) هذا البيت من قصيدة له يجيب فيها على الكميت جاء في مطلعها:

أقلّي من ملامك يا ظعينا ... كفاك اللوم مر الأربعينا

مروج الذهب ٣/ ١٦٢.

(٣) الأعشى هو ميمون بن قيس من بني قيس بن ثعلبة. كان أعمى ويكنى بأبي بصير جاهلي قديم أدرك الإسلام في آخر عمره، ولم يلحق بالنبي ﷺ، وكان يفد على ملوك فارس، ولذلك ظهرت الفارسية في شعره، له ديوان شعر مطبوع (الشعر والشعراء ص٤٤ والأغاني ٨/ ٧٧).

(٤) معجم البلدان ١/ ٨٦.

مستنجداً به:

شُـرَيْـحُ لا تَتْـرُكَنِّـي بعـدَمـا عَلِقَـتْ حِبَـالُـكَ اليـومَ بعـدَ اللهِ أظفـاري[1]
قـد جُلْـتَ مـا بيـنَ بَـانَقْيَـا إلـى عَـدَنٍ وطال في العُجْم تَكْرَارِي وتَسْيَارِي[2]

كان شعره في غالبيته دروساً وعبراً وعظات في الدين والخلق والصفات الإنسانية الرفيعة، منبعثاً من قلب شاعر لم يعرف اللهو والغزل، والمتع الجسدية الرخيصة، ولم يأبه بتصوير البيداء، والخيل والإبل، والوقوف على الأطلال كما كان يفعل شعراء عصره.

لقد كان السموأل متجهاً بكل شعوره وملكاته وعواطفه نحو الخير المحض، والدعوة إليه، ونحو تركيز الخصال الفضلى، والتباهي بها، ونحو خوف الله والخشية من عقابه، ونحو الندم على ما سلف منه من ذنوب وهفوات، ونحو التفاخر بما تنطوي عليه جوانحه من خلال فذة، تضم الكرم والحلم والشجاعة والوفاء والشهامة والمروءة.

ومن يطلع على شعره يحس شرفاً وإباء فلا يجد فيه روح تكسب أو مدح. ولكنه يشعر بوثبة اندفاع إلى المجد والفخر، شيمة العربي في صحرائه التي تبعث روح العزة والتباهي بالحسب والنسب وحفظ الذمام، وبسطة اليد، فهو في رأينا يهودي في نسبه عربي في أخلاقه.

هكذا كان السموأل مَعْنياً في شعره كل العناية بتسجيل هذه المعاني المثالية التي ندر من شعراء عصره من حاول تسجيلها والعناية بها،

---

(١) في ديوان الأعشى «بعد الغد» ص١٢٦.
(٢) قد طفت «بدل» قد جلت في ديوانه، بانِقيا: بكسر النون. ناحية من نواحي الكوفة ورد ذكرها في تاريخ الفتوحات الإسلامية، حيث دارت بها عدة معارك بين المسلمين والمشركين.

بالشكل الصحيح، ويكفيه فخراً أن التاريخ يسجل أغرودة المثل العربي الشهير: «أوفى من السموأل».

ثانياً: الربيع بن أبي الحُقَيْقِ:

الربيع بن أبي الحُقَيْق من شعراء يهود من بني قريظة، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران، يقال لهما الكاهنان، وكانِ الربيع أحد الرؤساء في يوم بعاث، وكان حليفاً للخزرج وقومه، فكانت رياسة بني قريظة للربيع، ورياسة الخزرج لعمرو بن النعمان البياضي، وكان رئيس بني النضير يومئذ سلام بن مشكم.

ويقول صاحب الأغاني[1]: «أخبرني عمي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن الحسن الأنصاري قال: «أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أطمه، فلما أشرفا على السوق، سمعا الضجة، وكانت سوقاً عظيمة، فحاصت بالنابغة ناقته فأنشأ يقول:

كادت تهال من الأصوات راحلتي،

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أجز يا ربيع فقال الربيع:

والنفر منها إذا ما أوجزت خلق.

فقال النابغة: ما رأيت كاليوم قط. ثم قال:

لولا أنهنهها بالسوط لاجتذبت.

---

(١) الأغاني ج٢١ ص٩.

أجز يا ربيع، فقال الربيع: مني الزمام وإني راكب لبق.

فقال النابغة:

قد ملّت الحبس في الآطام واستعفت[1].

أجز يا ربيع: فقال الربيع:

إلى مناهلها لو أنها طلق.

فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعر الناس.

وهو من بني قريظة على رواية، أو من بني النضير على رواية أخرى. وقد اشترك في يوم بعاث، وعاصر النابغة الشاعر الشهير، وخلف جملة أولاد ناصبوا الرسول ﷺ العداء[2].

ثالثاً: سعية بن الغريض:

سعية بن غريض (بلا تعريف) كما ذكر محقق طبعات فحول الشعراء[3]. والأول بالسين المهملة، والثاني بالعين المهملة مضبوطاً في مخطوطة (طبقات فحول الشعراء) التي بالمدينة المنورة بفتح العين والياء (سَعيَه)، وهكذا ضبطه ابن ماكولا في الإكمال[4] وقال: سعية بن غريض بن عادياء أخو السموأل يهودي، شاعر ثم ذكر ثعلبة بن سعية وأخاه أسيد بن سعية كانا من اليهود، وأسلما وصحبا النبي ﷺ.

---

(١) استعفت: اشتاقت.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ج٦ ص

(٣) طبقات فحول الشعراء تحقيق مسعود محمود شاكر ج١ ص٢٨١.

(٤) الإكمال ٥/٦٧.

وقال العسكري في شرح التصحيف[1]: «ومن شعراء قريظة والنضير سعنه بالنون بن الغريض» ويقال (ابن الغُريض) بضم الغين أخو السموأل بن غريض بن عادياء اليهودي. وأما الآمدي في المؤتلف والمختلف[2]، فقد ذكر في باب الشين المعجمة في أوائل الأسماء، فقال: وشعبة اليهودي: وهو شعبة بن غريض أخو السموأل بن غريض بن عادياء اليهودي وفي الإصابة: في «أسيد بن سعية»، و«أسيد بن سعية» وسعنه بن غريض بن عادياء وسعية بن غريض. واختلف في اسم أبيه فقيل بالنون، وقيل بالتحتانية. وهناك سعية، وسعنه في الإصابة وكذلك في الاستيعاب وأسد الغابة ثم الأغاني[3].

وقال هناك: ذكر خبر جده[4] السموأل بن غريض بن عادياء.

وعلى كل حال «فتعاقب السين والشين والعين والغين في أسماء يهود معروف وجائز»[5] و«شعية أو يشيعة، ومعناه: موسع يسع عبريا بالشين والياء والهاء آخر الاسم من أسماء الله»[6].

وأسد بن سعية القرظي: أحد من أسلم من اليهود، روى ابن السكن من طريق سعيد بن بزيغ عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة: أن شيخاً من بني قريظة حدّثه أن إسلام ثعلبة، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد إنما كان عن حديث ابن الهيبان، فذكر

---

(١) شرح التصحيف ص٤١٤.
(٢) المؤتلف والمختلف ص١٤٣.
(٣) الأغاني ٣/ ١١٥، ١٢٩.
(٤) الصواب أخيه وليس جده.
(٥) طبقات فحول الشعراء الجمحي ص٢٨٦ هامش.
(٦) مراد فرج الشعراء اليهود العرب ص٤٩.

قصته بطولها، وأنه كان يعلمهم بقدوم النبي ﷺ قبل الإسلام فلما كانت الليلة التي في صبحها فتح قريظة قال لهم هؤلاء الثلاثة: يا معشر يهود: إنه والله للرجل الذي كان وصف لنا ابن الهيبان، فاتقوا الله واتبعوه، فأبوا عليهم، فنزل الثلاثة إلى النبي ﷺ فأسلموا. ورواه أيضاً من طريق يحيى بن محمد بن عباد الشجري عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو عن سعيد بن المسيب عن جابر. ورواه الطبري وابن منده من طريق أخرى عن ابن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عبدالله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد وأسيد بن سعية قالت يهود: ما أتى محمداً إلا شرارنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران] إلى قوله: ﴿ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران][1].

وقد روى صاحب الأغاني[2] أن سعية كان ينادم جماعة من الأوس والخزرج يأتونه فيقيمون عنده ويزورونه في أوقات قد ألف زيارتهم فيها، وقد عمّر سعية طويلاً قيل: إنه توفي في عهد معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية إذا اجتمع الناس حوله ليفضّ مالهم من خصومات وظلامات كان يتمثل ببعض أبيات لسعية منها قوله[3]:

أنـا إذا جـارت دواعـي الهـوى	وأَنْصَـتَ السَّـامِـعُ للقـائـلِ
واعْتَلَـجَ القـومُ بـألْبـابِهِـمْ	فـي المَنْطِـقِ الفـاصِـلِ والنَّـائـلِ
لا نَجْعَـلُ البـاطـلَ حقّـاً ولا	نَلَـظُّ دونَ الحـقِّ بـالبَـاطِـلِ
نَخـافُ أن تَسْفَـهَ أحـلامُنـا	فَنَخْمُـلَ الـدهـرَ مـع الخـامـلِ

(١) الروض الأنف ج٢ ص٣٣.

(٢) الأغاني ج١٩ ص١٠٠ وما بعدها.

(٣) نفس المصدر.

وكذلك عبد الملك بن مروان كان يقيم وصيفاً على رأسه ينشده الأبيات السابقة والقصيدة جمعت بين الهوى والنُّهى تمثّل بها الحكام عند القضاء. ويذكر أنه كان غنياً صاحب أملاك وأموال... وأنه دخل في الإسلام، وأن معاوية رآه يصلي في المسجد الحرام، فطلب حضوره، وسأله عن شعر أبيه الذي يرثي به نفسه، فأنشده قصيدته التي تبدأ بقوله:

يا لَيْتَ شِعْري حينَ أُنْدَبُ هالِكاً ماذا تُـؤَبِّنُنِـي بِـهِ أَنْـواحِـي

ويذكر رواة هذا الخبر أن سعية كان شيخاً طاعناً في السن يومئذ، وأنه لم يكن يرى حقاً لمعاوية في الخلافة، ولذلك لم يقبل أن يسلّم عليه بالخلافة، وأنه أجابه أجوبة فيها خشونة وجفاء، وأن الخليفة كفّ أصحابه من الإساءة إليه قائلاً لهم، قد خرّف الشيخ فأقيموه فأخذ بيده فأقيم»[1].

رابعاً: كعب بن الأشرف النضري:

هو أحد بني نبهان الطائيين، وأمّه يهودية من بني النضير[2]، كان شاعراً فارساً قوي الشكيمة، وله مناقضات مع حسان بن ثابت، وغيره في الحروب، التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الإسلام[3].

وعند قدوم النبي ﷺ للمدينة ظهر عداؤه للنبي ﷺ حيث كان من يهود أهل الحلقة[4] والحصون - وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج، ولما كان كعب سيداً واسع النفوذ في بني النضير، استطاع أن يستغل وضع

---

(١) الأغاني في ج١٩ ص١٠٠ وما بعدها.
(٢) ابن سلام طبقات فحول الشعراء ص١١٠.
(٣) الأغاني ١٩/١٠٦.
(٤) الحلقة: السلاح.

المدينة الجديد، وأن يقود اليهود والمشركين لإيذاء النبي ﷺ وأصحابه.

وقد حاول النبي ﷺ أن يوادعهم كما حاول أن يستصلحهم، ولكن كعباً أبى أن ينزع عن المناوئة والأذى[1]. ولم يقصر نشاطه العدائي في داخل المدينة فحسب بل جهد في تأليب العرب على المسلمين، وبخاصة بعد انتصارهم في يوم بدر.

روى الطبري قال[2]: «لما ظهر المسلمون يوم بدر، وقتل من قتل من المشركين بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين، فلما علم كعب بذلك، ورأى الأسرى مقرونين، كتب ثم قال لقومه: ويلكم، أحق هذا؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى الرجلان؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس. والله لئن كان محمد قد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

هيأ كعب قومه لعداء المسلمين، ثم خرج حتى قدم مكة، فنزل على عبد المطلب بن وداعة السهمي، وعنده عاتكة بنت زيد، فأنزلته وأكرمته. وفي مكة قام كعب بنشاطه العدائي فجعل يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويخذل منه العرب، ويحرض عليه كفار قريش. وأخذ ينشد الأشعار في رثاء أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش، فقال قصيدة مطلعها[3]:

طَحَنَتْ رحى بدْرٍ لمَهلِكِ أهلِهِ ... ولِمثلِ بدرٍ تَسْتهِلُّ وتَدْمَعُ

وعندما رجع إلى المدينة تناول أعراض المسلمين بالأذى، فأخذ يشبب

---

(١) الواقدي: المغازي ١٨٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٨٨.

(٣) المغازي للواقدي ١٨٥، والسيرة قسم ٣ ص٥٥١.

بنساء النبي ﷺ المسلمين، حتى آذاهم ونال منهم، من ذلك أنه شبب بأم الفضل بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب، فتحدث عن جمالها في غزل كيدي الغرض منه إغاظة المسلمين وتحدث عن حسبها ونسبها وزعم أنها تواصله أو كما قال[١]:

أراحلٌ أنتَ لم تَحْلُلْ بِمَنْقَبَةٍ　　وتاركٌ أنتَ أمَّ الفَضْلِ بالحَرَمِ

ويبدو أن كعباً كان ذا تأثير قوي على المسلمين ويدل على ذلك قول النبي ﷺ[٢]: «اللهم اكفني ابن الأشرف بم شئت في إعلانه الشر وقوله الشعر» وكان النبي ﷺ يرصد تحركاته، فعندما علم بقدومه، وانتهى إليه ما قال من أشعار قال للمسلمين[٣]: «من لي بابن الأشرف فقد آذاني». فخرج إليه محمد بن مَسْلَمة في نفر من الأوس فقتلوه.

وحين مشى إليه المسلمون ليقتلوه، مشوا معه، فكان أبو نائلة (سلكان بن سلامة) يناشده الأشعار، فجعل كعب يفتخر بأخواله بني النضير، ويذكر ما يتمتعون به من صفات حميدة كالكرم والشجاعة والثبات والحلم، ثم أشار إلى ما أصابوا من عز وغنى، ووصف آبارهم ونخيلهم فقال[٤]:

رُبَّ خالٍ ليَ لو أبصَرْتَهُ　　سَبِطِ المِشْيَةِ أبّاءٍ أَنِفْ
لَيِّنِ الجانِبِ في أقْرَبِهِ　　وعلى الأعْداءِ سُمٌّ كالذُّعُفْ
ولنا بِئْرٌ رَواءٌ جَمَّةٌ　　مَن يَرِدْها بإناءٍ يَغْتَرِفْ

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٨٨.
(٢) المغازي ص١٨٦.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الروض الأنف ٢/١٢٥، طبقات فحول الشعراء ص٢٨٢، والأغاني ج١٩ ص١٠٥.

ونخيـــلٍ فـــي قِـــلاعِ جمَّـــةٌ تُخْـرِجُ التَّمْـرَ كـأمثَـالِ الأكُـفْ
وصَـــريـــرٍ فــي مِحــالٍ خِلْتُـــهُ آخِـرَ اللَّيْـلِ أهــازيــجَ بِـدُفّْ

وهكذا كان ابن الأشرف يتمتع بنفوذ سياسي واسع في قومه، ومن معهم من المشركين وكان شعره سلاحاً حاداً ذا خطر على النبي وأصحابه، ويبدو أن معارضته السياسية والأدبية للنبي ﷺ قد أفسحت له مكانة مرموقة في الصراع من ناحية وأكسبت تأييداً قوياً لدى اليهود والمشركين والمنافقين من ناحية أخرى، يدل على ذلك أن اليهود قد احتجوا على قتله، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: قد طرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا، قتله غيلة بدون جرم ولا حدث علمناه، فقال النبي ﷺ: «لو أنه فرّ كما فرّ غيره وهو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى، وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف»(١).

وحتى المسلمون أنفسهم كانوا يدركون خطورة مكانته لدى أعداء الإسلام، ذلك أن محمد بن مسلمة الأنصاري الذي أنيط به أمر قتله، قد انقطع عن الطعام والشراب ثلاثة أيام، وعندما سأله الرسول عن أمره قال: قلت قولاً لا أدري أني أقوم به أم لا، فقال له النبي ﷺ: «عليك الجهد»(٢).

وما بين أيدينا من شعر كعب لا يزيد عن أربع قصائد ومقطوعات، وهو على قلّته القليلة يكشف جانباً من جوانب الصراع، ويلقي ضوءاً وإن كان خافتاً على موقف اليهود من النبي ودعوته. وأكبر الظن أن شعره قد ضاع - كما ضاع غيره، من شعر اليهود، إذ لم يصل إلينا منه شيء فيه

---

(١) الواقدي: المغازي ص١٩١.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٨٩. والجهد: معناه قدرتك.

هجاء للنبي ﷺ وللمسلمين، أو فيه تسجيل لدور قومه في الصراع، مع أن المصادر القديمة[1] التي عنيت بأخبار فترة الصراع هذه وأشعارها قد أجمعت على أن ابن الأشرف كان يهجو النبي وأصحابه، ويحرّض عليهم بشعره، وأنه كان يشبب بنساء النبي ﷺ ونساء المسلمين...

خامساً: أبو قيس بن رفاعة:

قال أبو عبيدة البكري[2]: «اسمه دثار اليهودي، جاهلي» ونقل السيوطي عن ثعلب[3]: أن اسمه نفير.

ويقول صاحب الأمالي[4]: «كان قيس بن رفاعة يفد سنة إلى النعمان اللخمي بالعراق وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام، فقال له يوماً وهو عنده: يا بن رفاعة بلغني أنك تفضل النعمان عليّ، قال: وكيف أفضّله عليك أبيت اللعن؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه، ولأمك أشرف من أبيه، ولأبوك أشرف من جميع قومه، ولشمالك أجود من يمينه، ولحرمانك أفضل من نداه، ولقليلك أكثر من كثيره، ولثمادك[5] أغزر من شهوره، ولشهرك أمدّ من حوله. ولحولك خير من حقبه[6]، ولزندك أورى من زنده، ولجندك أعز من جنده، وإنك لمن غسان أرباب

---

(١) المغازي ص١٨٤، والسيرة لابن هشام قسم ٢ ص٥٢، وطبقات فحول الشعراء ص٢٧٣، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٨، والأغاني ج١٩ ص١٠٦، ومعجم الشعراء ص٣٤٤، والروض الأنف ٢/ ١٥٢.

(٢) شرح الأمالي ص٥٦ للبكري.

(٣) شرح الشواهد المغني ص٢٤٤ للسيوطي.

(٤) الأمالي لأبي علي القالي ج١ ص٢٥٧.

(٥) الثماد: الماء القليل الذي لا يمد بشيء.

(٦) الحقب: بضم وضمتين: ثمانون سنة.

الملوك، وإنه لمن لخم الكثيري النوك[1]، فكيف أفضله عليك؟!!

وذكر ابن سلام[2]: أبو قيس من شعراء يهود من طبقة الربيع بن أبي الحقيق النضيري ونظرائه، وهو شاعر مقل: حسن جاهلياً، ومن خلال شعر أبو قيس بن رفاعه نرى أنه شاعر مفاخر لا يقل عن الربيع بن أبي الحقيق، إلا أن شعره قليل، ولا ندري لعل الشعراء اختلفوا في شعره وشخصيته، فبعضهم يقول إنه من الأوس، والبعض يؤكد بأنه يهودي[3] وينسبه المرزباني[4] إلى بني واقف أدرك الإسلام فأسلم وكان أعور فنسبه مجهول ويقول بعضهم[5]: هو قيس بن رفاعة الواقفي من بني واقف بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري. ومن شعره الذي يتفاخر فيه قوله[6]:

وذي ضِغْـنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْـهُ ... وإنّـي فـي مسـاءَتِـهِ مُقِيـتُ
يَبِيـتُ الليـلَ مُـرْتَفِعَـاً ثَقِيـلاً ... علـى فُـرُشِ الفَتَـاةِ ولا أَبِيـتُ
وسَيْفِـي صَـارِمٌ لا عَيْـبَ فيـهِ ... وَيمْنَعُنِـي مـن الـوَهَـنِ النَّبِيـتُ

إلى أن يقول:

وخَيْـلٍ بعضُهـا حَـرْبٌ لِخَيْـلٍ ... بحـدِّ ظُبَـاتِهـا أُصُـلاً صَلِيـتُ

---

(١) النوك: الحمق.
(٢) طبقات الشعراء ص٢٨٨.
(٣) طبقات فحول الشعراء ص٢٨٨.
(٤) معجم الشعراء للمرزباني ص٣٢٢.
(٥) طبقات فحول الشعراء ص٢٨٨-٢٩٠.
(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ج٣ ص٣٤٦.

ويقول أيضاً[1]:

أنـا النّـذيـرُ لكـم منّـي مجـاهَـرةٌ كـي لا أُلامَ علـى نَهْـيٍ وإنـذارِ
مـن يَصْـلَ نـاري بـلا ذَنْـبٍ ولا تِـرَةٍ يَصْـلَ بنـارِ كـريـم غيـرِ غَـدارِ
وصاحبُ الوِتْرِ ليسَ الدَّهْرَ يُدْرِكُهُ عِنْـدِي وإنـي لَـدَرَّاكٌ لأوتـارِ

سادساً: أبو الذيّال - أبو الزناد اليهودي:

أبو الذيال القريمي[2]: وقريم كزبير، حي من أحياء العرب، وسماه الهمداني في (صفة جزيرة العرب)[3]: «أبو الذيال البلوي». وقد ساق أبو عبيدة البكري[4]: خبر الواقعة بين بني حشنة بن عكارمة بن عوف من بني هني من بلي، وبين أبناء عمومتهم من الربعة، وهم من بني بلي أيضاً، فقتل بنو حشنة ناساً من الربعة، ثم لحقوا بتيماء فأبت يهود أن يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم، فتهوّدوا فأدخلوهم المدينة، فكانوا معهم زماناً حتى أظهر الله دينه، وأقام بطون من بني حشنة بن عكارمة بتيماء، حتى أنزل الله باليهود - يهود الحجاز - ما أنزل من بأسه ونقمته، فجعل (أبو الذيال اليهودي) أحد بني حشنة بن عكارمة يبكي على يهود، وساق أبو عبيد بعض شعره، وهو جاهلي شهد الإسلام ولم يسلم[5].

وله قصيدة ذكرها ابن سلام الجمحي في طبقاته[6] تسير على نهج

---

(١) المرزباني - معجم الشعراء ص٣٢٢.
(٢) طبقات فحول الشعراء ص٢٩٠.
(٣) صفة جزيرة العرب للهمداني ص١٧٠.
(٤) معجم ما استعجم ص٢٩.
(٥) معجم ما استعجم ص٦٦١، ١١١١.
(٦) طبقات فحول الشعراء ص٢٩٠ وما بعدها.

الشعر الجاهلي بوصف ديار محبوبته ثم يتغزل فيها قبل أن يصل إلى غرضه ويقول في مطلعها:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ خَفَّ ساكِنُها ... بالحِجْرِ فالمُستوى إلى الثَّمَدِ

دارٌ لِبَهْانَةٍ خَدَلَّجَةٍ ... تَبْسِمُ عن مِثْلِ بارِدِ البَرَدِ

سابعاً: جبل بن جوّال الثعلبي اليهودي:

جَبل: بفتح الجيم بن جوّال بن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس، بن عبد غنم بن جحاش بن مجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان الشاعر الذبياني ثم الثعلبي، قال الدارقطني في المؤتلف: له صحبة، وقال هشام بن الكلبي: كان يهودياً مع بني قريظة فأسلم ورثى حيي بن أخطب بأبيات قال فيها:

لَعَمْرُكَ ما لامَ ابنُ أخطب نَفْسَهُ ... ولكنه من يَخْذِلِ اللهُ يُخْذَلِ

لَجاهَدَ حتى أبْلَغَ النَّفسَ عُذرَها ... وَقَلْقَلَ يَبْغي العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: إنه من ذرية الفطيون بن عامر بن ثعلبة[1].

وقال المرزباني في معجم الشعراء: كان يهودياً فأسلم، وهو القائل لما فتح النبي ﷺ خيبر:

رُمِيَتْ نَطَاةُ من النَّبيِّ بِفَيْلَقٍ ... شَهْباءَ ذاتِ مناقِبٍ وَفِقَارِ

وفي ديوان حسان بن ثابت الذي صنفه أبو سعيد السكري عن ابن حبيب قال: وقال جبل بن جوال الثعلبي - وكان يهودياً فأسلم - يرد

---

(١) الروض الأنف ج٢ ص٢٢٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ج١ ص٣١٧ تحقيق محمد صبح، وسيرة ابن هشام قسم ٢ ص٢٧٢ والإصابة ج١ ص٢٢٤.

على قوله[1]:

ألا يـا سَعْـدُ سَعْـدَ بنـي مُعَـاذٍ ... لِمـا لَقِيَـتْ قُـرَيظَـةُ والنَّضِيـرُ
لَعَمْـرُكَ إن سَعْـدَ بنـي مُعَـاذٍ ... غـداةَ تَحَمَّلُـوا لَهُـو الصَّبُـورُ

إلى قوله:

تَـرْكَتُـم قِـدْرَكُـم لا شـيءَ فيهـا ... وَقِـدْرُ القـومِ حَـامِيَـةٌ تَفُـورُ

فقال حسان مجيباً جبل بن جوال الثعلبي:

تَفَـاقَـدَ معشـرٌ نَصَـروا قُـرَيْشـاً ... فليـس لهـم بِبَلْـدَتِهـم نَصِيـرُ
هـم أُوتـوا الكتـابَ فَضَيَّعـوه ... فهُـمْ عُمْـيٌ عـن التَّـوراةِ بُـورُ
كـذبْتُـمْ بـالقُـرَان وقـد أُتِيتُـم ... بتصـديـقِ الـذي قـال النَّـذِيـرُ

وأورد المرزباني لجبل الأبيات المذكورة سابقاً وزاد فيها البيتين التاليين[2]:

ولكـنْ لا خُلُـودَ مـع المنـايـا ... تَخَطَّـفُ ثـم تَضْمَنُهـا القُبـورُ
كـأَنَّهُـمُ عَتَـائِـرُ يـوْمِ عِيـدٍ ... تُـذَبَّـحُ وهـي ليـس لهـا نكِيـرُ

ثامناً: درهم بن زيد:

يقول محقق طبقات فحول الشعراء للجمحي[3]: «في المخطوطة (درهم بن يزيد) وفي مخطوطة المدينة التي رمز إليها بالحرف (م): (درهم بن زيد)، ولم نجد له ترجمة ولكن جاء في مخطوطة النسب

---

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٩٤ تحقيق محمود محمد شاكر هامش

لابن الكلبي[1]: قال: درهم بن زيد بن ضبيعة، الشاعر الجاهلي، وسياقة نسبه في الأنصار: «درهم بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس».

ويقول الأستاذ محمود محمد شاكر: وأكاد أقطع أنه درهم بن زيد لا «ابن يزيد» لأن جلّ الكتب ذكرته كذلك فهو درهم بن زيد الأوسي كما ورد في معظم الكتب[2].

ودرهم هذا رجل جدٌّ وإقدام معطاء سخيّ كما حدّث عن نفسه، يطرح عن نفسه ما قد يملكه من الشوق إلى المحبوبات وأنه يعرف الملوك، ويحبون وفادته إليهم، لا يعطي لنفسه راحة إلا قليلاً من الليل، يذكر ذلك في أبيات منها قوله[3]:

هَجَرْتَ الرَّبَابَ وجاراتِها	وَهَمُّك بالشَّوْقِ قد يُطْرَحُ[4]
يَمَانِيَةٌ نَازِحٌ دارُها	تُقيمُ بِغُمْدَانَ لا تَبْرَحُ[5]
لَعَمْرُ أبِيكَ الذي لا أُهِينُ	إني لأُعطِي وأَسْتَفْلِحُ[6]
وأُدْلِجُ بالقومِ شَطْرَ الملو	كِ حتى إذا خَفَقَ المِجْدَحُ[7]
أَمَرْتُ صِحَابي لكي يَنْزِلوا	فناموا قليلاً وقد أصْبَحوا

---

(١) مخطوطة النسب لابن الكلبي ص٢٥٥.

(٢) البيان والتبيين ٣/١٠١، والأصنام لابن الكلبي ١٩، وحماسة البحتري ١١٣، وحماسة الشجري ٣٩، والعسكري في شرح التصحيف ٤١٤، وفي شعراء الأنصار أيضاً وفي خزانة الأدب ٢/١٩٢.

(٣) طبقات فحول الشعراء للجمحي ص٢٩٤.

(٤) الرباب: اسم صاحبته.

(٥) يمانية: أي من اليمن، غمدان: قصر من أكبر قصور اليمن لسيف بن ذي يزن.

(٦) استفلح: يكسب الفوز والنجاة والبقاء في الخير والنعيم.

(٧) المجدح: نجم أو منزل للقمر أو نجم صغير بين الثريا والقمر.

تاسعاً: خزز بن لوذان السدوسي:

هو خزز بالخاء معجمة من فوق وزايين، فهو خزز بن لوذان أحد بني عوف بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن الصعب بن علي بن بكر بن وائل، ويعرف بالمرقم الذهلي. وهو شاعر جاهلي له معرفة بالكتب الدينية حيث يقول[1]:

وكـــــذاكَ لا خَيْـــــرٌ ولا — شـــرٌّ علـــى أَحَـــدٍ بـــدِائـــمْ
قـــد خُـــطَّ ذَلِـــكَ فـــي الـــزُّبُـــو — رِ الأَوَّلِيَّـــاتِ القـــدائِـــم

وهو شاعر ينكر ما كان يعتقده أهل زمانه آنذاك من التشاؤم والتفاؤل بالسوانح والبوارح وعقد التمائم لدفع الغوائل، ويقرر فيها أن الدهر قلّب لا يدوم له خير، ولا يتصل له شر، ولو أننا لم نقف عند هذه المعاني العقلية التي لا تصدر إلا من مثقف متعلم، يثور على معتقدات أهل زمانه، وأباطيلهم فإننا نستطيع أن نقف عند آخر بيت منها، إذ نكاد نفهم منه أن هذا الشاعر قد قرأ الكتب الدينية القديمة واشتق منها هذه المعاني التي يصورها من ذلك قوله[2]:

لا يَمْنَعَنَّـــكَ مـــن بُغـــا — ءِ الخيـــرِ تعقيـــدُ التَّمـــائِـــم
ولقـــد غَـــدَوْتُ وكُنْـــتُ لا — أغـــدو علـــى واقٍ وحـــائِـــم
فـــإذا الأشـــائِـــمُ كـــالأيـــا — مِـــنِ والأيـــامِـــنُ كـــالأشـــائِـــم
وكـــــذاك لا خَيْـــــرٌ ولا — شـــرٌّ علـــى أَحَـــدٍ بـــدَائِـــمِ
قـــد خُـــطَّ ذلـــكَ فـــي الـــزُّبُـــو — رِ الأَوَّلِيَّـــاتِ القَـــدَائـــمِ

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص١٠٢.
(٢) وقد صحف لقبه فيقال المرقش السدوسي ويروي بعض شعره في حماسة البحتري وكتاب الاختيارين.

وهو من الشعراء الذين يفضلون الخيل على أي شيء آخر وخاصة الصبوح والغبوق فإنه يؤثر فرسه على أحب شيء إليه فيقول في ذلك:

كَـذَبَ العتيـقُ ومـاء شَـنٍّ بـاردٌ ... إن كُنْتِ سائِلَتي غَبوقاً فاذهبي[1]

لا تُنْكِـري فَـرَسـي ومـا أطعَمتُـهُ ... فيكـونَ لـونُـكِ مثـلَ لـونِ الأجْـرَبِ

عاشراً: سماك اليهودي:

ذكر الواقدي أن عمر أسره يوم خيبر، فلما فتحوا النطاة، فقدّمه ليضرب عنقه، فقال: أَبْلِغْني أبا القاسم، فأبلغه، فدَلّه على عوراتهم، ثم أسلم سمّاك، وخرج من خيبر، فلم يعد إليها بعد أن استوهب من أبي القاسم (النبي ﷺ) زوجته (قفلة) فوهبها له، استدركه ابن فتحون وذكره الرشاطي في الخيبريين[2]. وقد كان شاعراً حاقداً على المسلمين كل الحقد مستهزئاً بهم مغروراً بقومه حيث يقول[3]:

أَلَسْنـا وَرِثْنـا الكتـابَ الحَكِيـمَ ... علـى عهـدِ مـوسى فَلَـم نُصْـرَفِ

وأنْتُـم رِعـاءٌ لشـاءِ عِجَـافِ ... بِسَهْـلِ تِهـامَـةَ والأَخْيَـفِ

تَـرَوْنَ الـرِّعـايـةَ مجـداً لَكُـمْ ... كَـذا كُـلُّ دَهْـرٍ بِكـم مُجْحِـفِ

ويظهر في هذه الأبيات ظاهرة الشعوبية عند سمّاك حيث يفضل شعبه على غيرهم ولقد كان سمّاك في فترة الصراع في عهد النبوة من أكبر الحاقدين على الإسلام ودعوته وعلى المسلمين، فلقد ضامه هم كبير عندما قتل كعب بن الأشرف فقال[4]:

---

(١) لسان العرب مادة «عتق».

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ج٣ ص٢٤٦.

(٣) الأحكام السلطانية ص٥٢، وتفسير القرطبي ٧/١٨.

(٤) سيرة ابن هشام قسم ٢ ص٢٠٠.

أَرِقْتُ وضافَنِي هَمٌّ كبيرُ ... بِلَيلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصيرُ
أرى الأَحْبارَ تُنْكِرُهُ جَميعاً ... وَكُلُّهُمُ لَهُ عِلْمٌ خَبيرُ
وكانوا الدَّارسينَ لِكُلِّ عِلْمٍ ... بهِ التَّوراةُ تَنْطِقُ والزَّبورُ

وعندما حوصر بنو النضير، وقطعت نخيلهم وحرّقت ثم أجلوا عن المدينة، بعد ذلك أحس سمّاك كغيره من اليهود بالفاجعة، وفاض شعره بالحقد على المسلمين، والأسى على مصابهم فسماك الذي ألم لمقتل كعب بن الأشرف يألم مرة أخرى لمصير بني النضير، ويستعظم الأمر، ويستغرب المحنة، فيندفع إلى التعريض بالرسول ﷺ، ولما كان قومه لا يملكون القوة التي يدافعون بها عن أنفسهم لجأ إلى تهديد المسلمين، وتخريب قريش، وأشياعهم حيث يقول(١):

إن تَفْخَروا فهو فخرٌ لكُمْ ... بمقتلِ كعبٍ أبي الأشرفِ
غداةَ غَدَوْتُم على حَتْفِهِ ... ولم يأتِ غدراً ولم يُخْلِفِ
فعلَّ اللَّيالي وصَرفَ الدُّهورِ ... تُديلُ من العادل المنصفِ
بقَتْلِ النَّضيرِ وأحلافِها(٢) ... وعقرِ النَّخيلِ ولم تُقْطَفِ
فإن لم أمتْ نأتِكم بالقَنا ... وكُلِّ حسامٍ معاً مُرْهَفِ

حادي عشر: أوس بن دني القرظي:

أوس هذا: رجل من بني قريظة، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهما الكاهنان وهما من ولد الكاهن وهارون بن عمران أخو موسى عليه السلام، وكانوا نزولاً بنواحي يثرب بعد وفاة موسى بن عمران.

وأوس بن دني كان من الحاقدين على الإسلام وأهله وكان مخادعاً

---

(١) سيرة ابن هشام قسم ٢ ص١٩٨.
(٢) أرى أنها «وإجلائها» بدل «وأحلافها».

حيث حاول أن يخدع زوجته عندما أسلمت وفارقته، فلما قابلته ذات يوم دعته إلى الإسلام لترجع إليه فأبى، وحاول خداعها باعترافه بالإسلام لكنه كان اعترافاً مبطناً بالخداع فيقول[1]:

دَعَتْني إلى الإسلامِ يومَ لَقيتُها فَقُلْتُ لها لا بل تعالَيْ تَهَوَّدي
فَنَحْنُ على توراةِ موسى وَدِينِهِ ونِعْم لَعَمْرِي الدِّينُ دينُ محمدِ
كلانا يَرَى أن الشَّريعةَ دينُهُ ومَنْ يُهْدَ أبوابَ المراشدِ يَرْشُدِ

ثاني عشر: أبو عفك:

هو شيخ من بني عمرو بن عوف يقال له: أبو عفك، وكان شيخاً كبيراً، قد بلغ عشرين ومائة سنة حين قدم النبي ﷺ المدينة، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، ورجع وقد ظفره الله ما ظفره فحسده، وقال[2]:

لَقَدْ عِشْتُ حيناً وما إنْ أَرَى مِنَ النَّاس داراً ولا مَجْمَعا
أجَمَّ[3] عقولاً وآوَى إلى مَبِيتِ سُرَاها إذا ما دعا
فَسَلَّبَهُمْ أمرَهُمْ راكبٌ حراماً حلالاً لشتَّى معا
فلو كان بالمُلْكِ صَدَّقْتُمُ وبالنَّصْرِ تَابَعْتُمُ تُبَّعا

ثالث عشر: كعب بن أسد بن سعيد القرظي:

يهودي من بني قريظة، جاهلي، له مع قيس بن الخطيم في يوم بعاث مناقضات[4]:

---

(١) التحقيق مقطوعة رقم ٢ الأبيات ١، ٢، ٣.
(٢) الواقدي. المغازي ص١٧٣-١٧٤.
(٣) أجم: أجم الأمر والفراق: دنا وحضر.
(٤) معجم الشعراء ص٣٤٣.

لا تعـدمُ الأوسُ منّـا فـي مـواطِنِهـا   ناباً لِمَنْ نابَها في الحربِ ميمونا
لا نستخـفُّ إذا كـان الصَّبـاحُ ولا   نُعطـي السَّـوابِـغَ إلا أهلَهـا فينـا

رابع عشر: القعقاع بن شبث اليهودي:

أحد بني قينقاع جاهلي يقول[1]:

إن تسـألـي جَحْجَبَـى وإخِـوَتَهـا   تُخْبِـرْكِ أنّـي مـن خيـرِهِـم نَسَبـا
أنمـى إلـى الصِّيـدِ مـن رفـاعـةَ والـ   أخيـارِ مِنهـم إنْ حَصَّلُـوا سَبَبَـا

خامس عشر: شريح بن عمران:

شريح بن عمران هذا هو ابن السموأل، وقيل له ابن عمران، لأن أباه السموأل من ولد الكاهن هارون أخي موسى بن عمران عليهما السلام، وهو الذي استنجد به الأعشى الشاعر المعروف عندما ظفر به الكلبي ثم أهداه لشريح فلما علم الكلبي بأن الأعشى الذي أطلقه هو الذي كان يهجوه بعث في طلبه من شريح فقال الأعشى مستنجداً[2]:

شُـرَيـحُ لا تَتْـرُكَنّـي بعـدَمـا عَلِقَـتْ   حِبـالُـكَ اليـومَ بعـدَ اللهِ أظفـاري
قـد جُلْـتُ مـا بيـنَ بـانَقْيَـا إلـى عَـدَنٍ   وطَال في العُجْمِ تَكْراري وتَسْيَاري
فكـان أكْـرَمَهُـمْ عهـداً وأوثقَهُـمْ   عقـداً أبـوكَ بِعُـرْفٍ غيـرِ إنكـارِ
كـالغَيْـثِ مـا استمطـروه جـادَ وابلُـهُ   وفي الهَزاهِزِ كالمُسْتَأْسِدِ الضَّاري
كنْ كالسَّمَوْأَلِ إذ طافَ الهُمَامُ بِهِ   فـي جَحْفَـلٍ كَسَـوادِ اللّيـلِ جَـرّارِ[3]

---

(١) نفس المصدر السابق ص٣٢٩.

(٢) طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر ص٢٨٩.

(٣) ديوان الأعشى ص١٢٦.

وشريح هذا صاحب حكمة على ما يبدو فهو القائل[1]:

آخِ الكـــــــرامَ إن اسْتَطَعْـ ـــتَ إلــى إخــائِهِــمُ سبيـــلا
واشــرَبْ بكـــأسِهِـــمُ وإنْ شــرِبُــوا بهــا السُّـــمَّ الثَّمِيـــلا

ولم يصلنا شعره إلا أبيات قليلة، ولعل شهرة أبيه في الشعر والوفاء طمست عليه وأنست الرواة شعره...

سادس عشر: سارة القرظية:

يهودية من بني قريظة، لما قتل أبو جبيلة الغساني أشراف يهود بوادي ذي حُرُض بسبب فحشهم قالت ترثيهم[2]:

بنَفْســي رِمَّــةٌ لــم تُغْــنِ شَيْئــاً بِــذِي حُــرُضٍ تُعَفِّيهــا الــرِّيَــاحُ
كُهُــولٌ مــن قــريظــةَ أتْلَفَتْهُــمْ سُيــوفُ الخَــزْرَجيــةِ والــرِّمــاحُ
رُزِئنــا والــرَّزِيَّــةُ ذاتُ ثِقْــلٍ يُمِــرُّ لأجْلِهــا المــاءُ القَــرَاحُ
ولــو أُذِنُــوا بِحَــربِهِــمُ لحــالَــتْ هنــالِــكَ دونَهُــمْ حَــرْبٌ رَداحُ

سابع عشر: عمرو بن أبي صخر بن أبي جرثوم اليهودي:

أبو حمضة جاهلي يقول[3]:

أَشَــطَّ بِجيــرانِــكَ المَنْــزِلُ أم انـــت لبينهـــمُ مُثْقَـــلُ
وقـــد عُمِّـــرُوا بينَنَــا حِقْبَــةً فصــرَّفَهُــمْ دَهْــرُنــا المفصــلُ

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص٢٨٩ والأغاني ج٧ ص٩٩-١٠٠ وحماسة البحتري ص٥٧.

(٢) الأغاني ج١٩ ص٢٦ دار الكتب، والبدء والتاريخ ج٣، والروض الأنف ج٢ ص٢٤، ومعجم البلدان ج٧ ص٤٢٨، وخلاصة الوفا ص٧٩-٨٤.

(٣) معجم الشعراء ص٢٣٥.

مـراقيـدُ حيـن يُحَـبُ الـرُّقَـادُ إن أخصـبَ النَّـاسُ أو أمحلـوا
رأيـتُ لهـا فضلَهـا بـارزاً على كـلِّ حـالٍ إذا يعـزل

ثامن عشر: مرحب وأخوه ياسر الخيبريان:

مرحب: فارس من فرسان يهود خيبر، خرج عندما حاصر المسلمون حصون خيبر، خرج من حصنهم وقد جمع سلاحه يدعو المسلمين للمبارزة وهو يقول[١]:

قـد عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أنّـي مَـرْحَـبُ شـاكـي السِّـلاحِ بَطَـلٌ مُجَـرَّبُ
أَطْعَـنُ أحيـانـاً وحينـاً أضْـرِبُ إذا اللُّيُـوثُ أقْبَلَـتْ تَحَـرَّبُ
إن حمـايَ لَلْحِمَـى لا يُقْـرَبُ يُحْجِـمُ عـن صَـوْلَتِـيَ المُجَـرَّبُ

ياسر: أخو مرحب، وعندما قتل علي بن أبي طالب أخاه مرحباً خرج ياسر وهو يقول[٢]:

لَقَـدْ عَلِمْـتْ خَيْبَـرُ أنّـي يـاسـرُ شـاكـي السِّـلاحِ بَطَـلٌ مُغَـاوِرُ
إذا اللُّيـوثُ أقبلـتْ تُبـادِر ما أحجَمَتْ عن صَوْلَتي المَخاطِرُ
إن حِمَـايَ فيـه مـوتٌ حـاضِـرُ

تاسع عشر: مالك بن عمرو النضيري:

جاهلي يقول[٣]:

أُنبِئْتُ حَيّاً وعوفاً ينذِرونَ دمي وذاك مِن قِلَّةِ الأحلامِ والخَرَقِ
مهـلاً وعيـدي مهـلاً لا أبـالكُـمُ إن الـوَعِيـدَ سـلاحُ العـاجـزِ الحَمِـقِ

---

(١) الواقدي. المغازي ص٣٩٠ وحياة محمد لمحمد حسين هيكل ص٣٥٨.
(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٣١٥، ٣١٦.
(٣) معجم الشعراء ص٣٦١.

كـي لا يَنَـالَكُـمْ كيـدي ومَقْـدِرَتـي فقـد تُحَـاذَرُ منـي زَلَّـةُ الغَلِـقِ

عشرون: كنانة بن أبي الحقيق:

من بني النضير، جاهلي يقول[1]:

فلـو أنَّ قَـومـي أطـاعـوا الحليـمَ لـم يَتَعَـدَّوْا ولـم يُظْلَـم
ولكـن قـومـي أطـاعـوا الغُـوَا ةَ حتـى تَلفَّـظَ أهـلُ الـدَّمِ
فـأوْدَى السَّفِيـهُ بـرأي الحَلِيـمِ وانْتَشَـرَ الأمْـرُ لَـمْ يُبْـرَمِ

حادي وعشرون: نجّاد الخيبري:

من يهود خيبر، له أبيات منها[2]:

ليـس بجِلْحَـابٍ ولا هَقَـوَّرِ
لكنـه البُهْتُـرُ وابـنُ البُهْتُـرِ
عِـضٌّ لئيـمُ المُنْتَمـى والعُنْصُـرِ

وله أيضاً[3]:

لمـا رأيـتُ الـرَّجُـلَ العَمَلَّطـا
يـأكـلُ لَحْمـاً بـائِنـاً قـد ثَعِطـا
أكثـرَ مِنْـهُ الأكـلَ حتـى جَـرِطـا

---

(١) معجم الشعراء ص٣٥٢، ونسبها صاحب الأغاني للربيع بن أبي الحقيق ج٢١ ص٩٠.
(٢) لسان العرب مادة (هقر).
(٣) نفس المصدر مادة (جرط).

ب- ما صحت نسبته من الشعر ليهود

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أقمت منهجي في جمع هذا الشعر على الخطوات التالية:

أولاً: قمت باستقصاء هذا الشعر في المصادر التي عنيت بروايته، فجمعت ما قاله شعراء يهود في الجاهلية وصدر الإسلام، وقد بذلت في هذا الاستقصاء ما استطعت من جهد.

ثانياً: قمت بترتيب هذا الشعر حسب قائليه من حيث الكثرة، فأوردت أولاً شعر المكثرين، مرتباً شعر كل شاعر حسب قوافيه مبتدئاً بالهمزة فالباء فالتاء... ثم عمدت بعد ذلك إلى شعر المقلّين.

ثالثاً: وقد أشرت بعد كل نصّ أوردته للشاعر إلى المراجع التي ورد فيها واعتبرت أكثر هذه المراجع أبياتاً مصدراً أساسياً، ثم أوردت بعدئذ المراجع الأخرى مشيراً إلى أرقام الأبيات التي وردت في كل منها.

رابعاً: وعنيت بذكر الفروق بين الروايات المختلفة للألفاظ، وأشرت إلى مواطن الاختلاف في الكتب التي رجعت إليها، هذا بالنسبة للقسم الأول وهو غالبية شعر يهود، أما القسم الثاني وهو عدة نصوص اختلف في صحة نسبتها لشعراء يهود، فقد حرصت على إثبات ملاحظات بعض العلماء على النص، كالتشكيك في صحته أو اختلاف المصادر في نسبته.

خامساً: واتجهت من ثمّ إلى شرح النص، فتناولت ألفاظه الصعبة بالشرح والتبسيط، ووضحت ما ورد فيه من أسماء الأعلام والمواضع بقدر ما أسعفتني به المراجع التي اعتمدتها، وقد استعنت على هذا الشرح بالمعاجم اللغوية، وبعض المصادر التي عنيت بشرح الشعر الذي ورد

فيها مثل طبقات فحول الشعراء، وسيرة ابن هشام، والروض الأنف للسهيلي، والحماسات وغيرها من كتب الأدب وكان ترتيب الشعراء حسب كثرة شعرهم كالآتي:

١- السموأل بن عادياء: اثنا عشر نصاً: منها سبعة نصوص في ديوانه وخمسة نصوص من خارج ديوانه.
وتشتمل هذه النصوص على ستة عشر بيتاً ومائة بيت.
٢- الربيع بن أبي الحُقَيق اثنا عشر نصاً تشتمل على واحد وخمسين بيتاً.
٣- سعية بن الغريض سبعة نصوص تشتمل على ثمانية وأربعين بيتاً.
٤- كعب بن الأشرف ثلاثة نصوص، وتشتمل على واحد وثلاثين بيتاً.
٥- قيس بن رفاعة أربعة نصوص وتشتمل على سبعة وعشرين بيتاً.
٦- درهم بن زيد خمسة نصوص وتشتمل على سبعة وعشرين بيتاً.
٧- سمّاك اليهودي ثلاثة نصوص وتشتمل على ثلاثة وعشرين بيتاً.
٨- أبو الذيال اليهودي نصّان ويشتملان على واحد وعشرين بيتاً.
٩- جبل بن جوّال نصّان ويشتملان على خمسة عشر بيتاً.
١٠- خزز بن لوذان نصّان ويشتملان على ثلاثة عشر بيتاً.
١١- ابن إسرائيل نصّ واحد ويشتمل على تسعة أبيات.
١٢- نجّاد الخيبري ثلاثة نصوص وتشتمل على سبعة أبيات.
١٣- أوس بن دني نصّان ويشتملان على ستة أبيات.
١٤- شريح بن عمران نصّ واحد ويشتمل على خمسة أبيات.
١٥- كعب بن أسد بن سعيد القرظي نصان ويشتملان على خمسة أبيات.
١٦- سارة القرظية نصّ واحد ويشتمل على أربعة أبيات.
١٧- عمرو بن أبي صخر نصّ واحد ويشتمل على أربعة أبيات.
١٨- أبو عفك نصّ واحد يشتمل على أربعة أبيات.
١٩- مالك بن عمرو النضيري نصّان ويشتملان على ثلاثة أبيات.

٢٠- مرحب الخيبري نصّ واحد ويشتمل على ثلاثة أبيات.

٢١- ياسر الخيبري نصّ واحد ويشتمل على ثلاثة أبيات.

٢٢- القعقاع بن شبث اليهودي نص واحد ويشتمل على بيتين.

مجموع الأبيات ٤٢٨ بيتاً

بالإضافة إلى سبعة نصوص تشتمل على اثنين وأربعين بيتاً

المجموع الكلي ٤٧٠ بيتاً

منهج التحقيق:

اعتمدت في تحقيق شعر يهود في العصر الجاهلي على المصادر التالية:

أولاً: ديوان السموأل بن عادياء - مخطوط - وقد أطلقت عليه الرمز «م» والنسخة التي طبع عليها الديوان محفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد تحت رقم (١٤٠١ - B - 15 مخطوطات). وهي مكتوبة بخط واضح مقروء، وقد جُعِلَتْ فيها أبيات الشعر أظهر وأجلى من كلمات الشرح ليتميز كل منهما عن الآخر. جاء في الصفحة الأولى من هذه النسخة: «شعر السموأل بن عادياء صنعة أبي عبدالله نفطويه».

وجاء في الصفحة الأخيرة منها:

«تمّ شعر السموأل بن عادياء اليهودي من صنعة إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزديّ المعروف بنفطويه، وذلك سحرة ليل أربعاء ثاني ذي الحجة من شهور سنة تسع وأربعين وستمائة هلالية نبوية، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً حمداً مباركاً طيباً كما هو أهله ومستحقه وصلاته على خير بريّته مولانا محمد النبي وآله وسلامه.

وراوي الديوان وشارحه هو: «إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة. أبو عبدالله العتكي الأسدي الواسطي»[١] الملقب بنفطويه تشبيهاً له بالنفط لدمامته[٢].

كان عالماً بالعربية واللغة والحديث. أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما.

---

(١) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد ٦/ ١٥٩.

(٢) الحموي. معجم الأدباء ١/ ٢٥٥.

روى عنه أبو عبدالله المرزباني، وأبو الفرج الأصفهاني وابن حيوية، وغيرهم[١]. جلس للإقراء أكثر من خمسين سنة، وكان يبتدىء في مجلسه بالقرآن الكريم على رواية عاصم ثم يقرىء، وكان عالماً باللغة والحديث، فقيهاً على مذهب داوود حافظاً للتواريخ والسير[٢].

ذكر له ابن النديم في فهرسته عدة مؤلفات في اللغة[٣] كما ذكر له ياقوت عدة قطع شعرية تدل على شاعرية مرموقة وروية خصبة[٤]، ومن جملة شعره ما أنشده لنفسه:

كم قد خَلَوْتُ بمن أهوى فَيَمْنَعُني … منه الحَيَاءُ وخوفُ اللهِ والحَذَرُ
كم قد خَلَوْتُ بمن أهوى فيُقْنِعُنِي … منه الفُكَاهةُ والتَّحديثُ والنَّظَرُ
أهوى المِلاَحَ وأهوى أن أُجَالِسَهم … وليس لي في حَرَامٍ منهمُ وَطَرُ
كذلك الحُبّ لا إتيان معصيةٍ … لا خيرَ في لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِها سَقَرُ[٥]

قال جمال الدين القفطي: «له التصانيف الحسان في الآداب. وكان عالماً بارعاً ولد سنة أربع ومائتين بواسط[٦]. وسكن بغداد وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة يوم الأربعاء لست خلون منه بعد

---

(١) نفس المصدر ١/٢٥٦.
(٢) عمر عبدالله. سلم الوصول في علم الأصول ١/ ٣٤-٣٥.
(٣) ابن النديم. الفهرست ١٢١.
(٤) معجم الأدباء ١/٢٥٦-٢٧١.
(٥) تاريخ بغداد ٦/ ١٦١.
(٦) في ضبط تاريخ ولادة نفطويه اختلاف كثير، فالخطيب البغدادي يروى أنه ولد عام ٢٤٠ (تاريخ بغداد ٦/ ١٦٢) وابن العماد ينقل أنه ولد سنة ٢٤٤ أو سنة ٢٥٠ (شذرات الذهب ٢/ ٢٩٨) وأرجح أن أصحّ الروايات هي رواية ابن خلكان المذكورة في الأصل وهي المطابقة لما نقله ابن العماد من أنه عاش ثمانين سنة.

طلوع الشمس بساعة، وقيل: توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة هو وابن مجاهد المقري ببغداد - والله أعلم - ودفن ثاني يوم بباب الكوفة رحمه الله تعالى[١].

وأما ناسخ النسخة فهو: «العلامة رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن حيدر العدوي العمري الهندي اللغوي نزيل بغداد. ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدوهور ونشأ بغزنة[٢]. وقدم العراق وحج، ثم دخل اليمن، ونفق له بها سوق، وكان وروده إلى عدن سنة عشر وستمائة»[٣] شيخ وقته، ومقدم أهل زمانه في علم اللغة وفن الأدب مع معرفة بعلم الحديث والتفسير والفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان زاهداً عابداً كثير الصمت. قدم بغداد سنة خمس عشرة وستمائة، وقرأ الناس عليه وانتفعوا به»[٤]، «وكان إليه المنتهى في معرفة اللغة. له مصنفات كبار في ذلك، وله بصر في الفقه مع الدين والأمانة»[٥]. «صنّف كثيراً وحفظت لنا خزائن المخطوطات في العالم ببقية من مصنفاته»[٦] «كما نظم الشعر وأجاد، وقد ذكر ياقوت له أربعة أبيات من شعره»[٧]. توفي عام ٦٥٠هـ ودفن بمكة المكرمة.

وقد نشر الأب لويس شيخو هذا الديوان المخطوط في مجلة المشرق

---

(١) ابن خلكان. وفيات الأعيان ١/ ٣٠.

(٢) ابن العماد. شذرات الذهب ٥/ ٢٥٠.

(٣) معجم الأدباء ٩/ ١٨٩-١٩٠.

(٤) الحوادث الجامعة ٢٦٢-٢٦٣.

(٥) شذرات الذهب ٥/ ٢٥٠.

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية لمصطفى الرافعي ٣/ ٤٩-٥٠.

(٧) معجم الأدباء ٩/ ١٩٠ لياقوت الحموي.

العدد الثالث سنة ١٩٠٩ بعنوان (ديوان السموأل) ص١١٦ وما بعدها، وسنطلق على هذا الديوان الرمز (خ).

وكذلك قام عيسى سابا سنة ١٩٥٠ بجمع قصائد ومقطوعات السموأل من كتب الأدب المختلفة، جمعها في كتيب صغير بعنوان (شعر السموأل) وفي سنة ١٩٥٥ قام الشيخ محمد حسن آل ياسين في بغداد بتحقيق الديوان المخطوط والموجود بمكتبة المتحف العراقي ببغداد، وسنطلق على هذا الديوان المحقق الرمز (س).

وقد قارنت بين المخطوط، وبين ما نشر الأب لويس شيخو، وما جمعه عيسى سابا، وما حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين، فوجدت: أن هناك بعض الكلمات في بعض القصائد عند لويس شيخو تختلف عنها في الديوان المخطوط. كذلك كان تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين أوضح وأشمل، بينما كان عمل لويس شيخو عبارة عن نشر للديوان فقط، وأما عيسى سابا فكان عمله جمعاً لقصائد ومقطوعات السموأل من كتب الأدب المختلفة، وتقسيمها إلى أغراض شعرية كذلك قام بتخميس لامية السموأل مع قصيدة لصفي الدين الحلي.

ثانياً: كتاب طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر.

وابن سلام معروف بغزارة علمه، ودقة نقده، وسلامة ذوقه، وصرامته في اتهاماته لكثير من الرواة، أمثال حماد الراوية وغيره، وانتقاده الشديد لابن إسحاق صاحب السيرة وتوضيحه لأسباب وعوامل انتحال الشعر كما يتضح ذلك في كتابه «طبقات فحول الشعراء» وقد خصص ابن سلّام في كتابه لشعراء يهود طبقة من طبقاته، وذكر لنا شعراً لثمانية منهم هم على

الترتيب: السموأل بن عادياء والربيع بن أبي الحُقَيْق، وكعب بن الأشرف، وشريح بن عمران، وسعية بن الغريض، وأبو قيس بن رفاعة، ودرهم بن زيد، وأبو الذيال[١].

ولكنه لم يذكر قصائد كاملة لهؤلاء الشعراء، وإنما اقتصر على مقطوعة لكل منهم. يقول مثلاً: يقول السموأل في كلمة له[٢]: ثم يذكر له عدة أبيات، ويقول سعية في قصيدة له، ويأتي له ببعض الأبيات ويقول أبو الذيال في قصيدة أولها... وهكذا.

ثالثاً: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وفيه شعر كثير ليهود إلا أن هناك بعض الاختلافات في روايات الأغاني عن روايات المصادر الأخرى سنوضحها - إن شاء الله - عند عرض شعرهم.

رابعاً: سيرة ابن هشام تحقيق الأستاذين مصطفى السقا وعبد السلام هارون وقد أورد فيها شعراً ليهود وأنكر شعراً آخر لهم، إذ تعقّب ابن هشام عمل ابن إسحاق بالإنكار في أشعار عدة وكان يقول مثلاً في عدة مواضع «وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرونه له».

خامساً: كتب المختارات: ومنها: المفضليات: للمفضل الضبي وقد ذكر فيها مقطوعة واحدة قال إنها لرجل من يهود، وهي المفضلية رقم «٣٧» ومكونة من ثمانية أبيات.

ثم الأصمعيات: للأصمعي، وفيها قصيدتان من شعر يهود، إحداهما للسموأل بن عادياء والأخرى لسعية بن غريض.

---

(١) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٧٩ وما بعدها. مطبعة المدني. تحقيق محمود محمد شاكر.

(٢) نفس المصدر.

ثم كتب الحماسات والتي منها حماسة أبي تمام، وحماسة البحتري، وحماسة الخالديين وحماسة ابن الشجري.

ثم جمهرة أشعار العرب. وكتاب الوحشيات، وأغلبها مقتطفات ومقطوعات قصار باستثناء لامية السموأل التي وردت في حماسة البحتري وعددها واحد وعشرون بيتاً.

سادساً: معجم الشعراء والموشح للمرزباني، والمؤتلف والمختلف للآمدي وقد ورد في هذه الكتب أسماء عديدة لشعراء يهود، وكان يحرّف بعضهم، ويذكر لكل واحد منهم مقطوعة أو أبياتاً قليلة والمرزباني معروف صدقه وأمانته وحسن أخذه عن الرواة ولكنه لا يشفي الغليل في ذكر أشعار يهود، فأحياناً يقول: «عمرو بن صخر بن أبي جرثوم اليهودي، أو أبو حمضة، جاهلي يقول، ثم يذكر له أربعة أبيات فقط»[1] وينتقل إلى شاعر آخر غيره، فيقول في موضع آخر: «كنانة بن أبي الحقيق من بني النضير جاهلي يقول، ثم يذكر له ثلاثة أبيات[2]، ثم ينتقل إلى شاعر ثالث فيقول: وهذا شاعر يهودي اسمه القعقاع بن شبث اليهودي أحد بني قينقاع جاهلي يقول ثم يذكر له بيتين فقط[3] وهكذا.

سابعاً: كتب الحديث والتفسير: مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، والإصابة في معرفة الصحابة، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وتفسير الطبري وتفسير القرطبي، والروض الأنف وغيرها.

ثامناً: المعاجم اللغوية: وأهمها لسان العرب لابن منظور، وقد وردت

---

(١) المرزباني في معجم الشعراء ص٢٣٥.

(٢) المرزباني. معجم الشعراء ص٢٥٣.

(٣) نفس المصدر ص٣٣٩.

فيه أشعار ليهود منهم السموأل بن عادياء، وكعب بن الأشرف والربيع بن أبي الحقيق، وخزز بن لوذان، وقيس بن رفاعة، ودرهم بن زيد، ثم جمهرة اللغة لابن دريد، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وتهذيب اللغة للأزهري.

تاسعاً: كتب التاريخ، وأهمها تاريخ الطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي.

عاشراً: كتب الأدب والنحو: مثل كتاب البيان والتبيين للجاحظ وكذلك كتاب الحيوان، ومعاهد التنصيص، وأمالي القالي، وأمالي المرتضي، وأمالي ابن الشجري، وأمالي الزجاجي، وسمط اللآلىء، والمزهر للسيوطي، والعقد الفريد لابن عبد ربه. ومن كتب النحو كتاب سيبويه وكتاب المغني، وشذور الذهب، والمخصص لابن سيده وغيرها. ويقوم التحقيق والتخريج على المقارنة بين الروايات المتعددة في هذه المصادر لشعر يهود للوصول إلى ما يقرب من الصواب وصحة نسبته لهم.

١- السموأل بن عادياء[١]

القصيدة رقم - ١ - للسموأل بن عادياء **(من المتقارب)**

١- سَلاَ رَبّةَ الخِدْرِ ما شَأنُها ... ومِنْ أيِّ ما فَاتَنَا تَعْجَبُ

(١) اختلفت المصادر في اسمه، فصاحب الأغاني يقول: «السموأل بن عادياء» (ج١٩ ص١٢. ط دار الكتب» بينما يقول الميداني في أمثاله «السموأل بن حيّان بن عادياء (ج٢ ص٣٨٢)، وصاحب تاج العروس يقول: «السموأل بن أوفى بن عادياء» (تاج العروس ٣/ ٣٨٤)، وصاحب معاهد التنصيص يقول: «إنه ولد الكاهن هارون بن عمران (معاهد التنصيص ١/ ١٣١) أما الأب لويس شيخو فيقول إنه من غسّان محاولاً تنصيره.

٢- فَلَسْنــا بِــأَوَّلِ مَــنْ فَــاتَــهُ   علــى رِفْقِــهِ بعــضُ مــا يَطْلُــبُ
٣- فكـائِـنْ تَضَـرَّعَ مِـنْ خـاطِـبٍ   تَـــزَوَّجَ غَيْـــرَ الَّتـــي يَخْطُـــبُ
٤- وزُوِّجَهـــا غَيْـــرُهُ دُونَـــهُ   وكـــانَـــتْ لـــه قَبْلَـــهُ تُحْجَـــبُ
٥- وقـد يُـدْرِكُ المَرءُ غيرُ الأريبِ   وقـــدْ يُصْـــرَعُ الحُـــوَّلُ القُلَّـــبُ
٦- أَلَـمْ تَـرَ عُصْـمَ رؤوس الشَّظَـا   إذا جـــاء قَـــانِصُهـــا تُجْلَـــبُ
٧- إلَيْــهِ ومــا ذاكَ عَــنْ إرْبَــةٍ   يكـــونُ بهـــا قَـــابِـــضٌ يَـــأربُ
٨- ولكـــنْ لهـــا آمِـــرٌ قـــادِرٌ   إذا حـــاوَلَ الأمْـــرَ لا يُغْلَـــبُ

تخريج الأبيات:

المفضليات تحقيق شاكر وعبد السلام هارون المفضلية رقم (٣٧) والأبيات ٢، ٥، ٨ في شعر السموأل لعيسى سابا ص٢٩ والبيتان ٦، ٧ في لسان العرب مادة (أرب) غير منسوبين.

المعاني:

٥- يدرك: ينال ما يطلب، الأريب: العاقل والذكي، الحوّل: ذو الحيلة، القلب: الذي يتقلّب في الأمور، البصير بعواقبها، والحوّل القلّب: صفتا مدح.

٦- العصم: جمع أعصم وهو الوعل، سمي بذلك لبياض في يديه، والشظا: جبل أو روؤس الجبال.

٧- إليه: متعلق بقوله «تجلب» في البيت السابق، والإربة: الحاجة، يأرب: يحتاج.

قصيدة رقم - ٢ - **(من المنسرح)**

١- لم تَقْضِ من حاجةِ الصِّبا أَرَبا ... وقد شآك الشَّبابُ إذْ ذَهَبا[١]

٢- وَعاوَدَ القَلْبَ بعدَ صِحَّتِه ... سُقْمٌ فلاقى من الهَوَى تَعَبا

٣- إنّ لنا فَخْمةً مُلَمْلَمَةً ... تَقْري العَدُوَّ السِّمَامَ واللَّهَبا

٤- رَجْراجةً عَضَّلَ الفَضاءُ بها ... خَيْلاً ورَجْلاً ومَنْصِباً عَجَبا

٥- أكْنَافُها كُلُّ فارسٍ بَطَلٍ ... أغْلَبَ كَاللّيْثِ عَادِياً حَرِبا

٦- في كفِّهِ مُرْهَفُ الغِرَار إذا ... أهوى به من كريهَةٍ رَسَبا

٧- أعدَّ للحَرْبِ كُلَّ سَابِغَةٍ ... فَضْفاضَةٍ كالغَديرِ واليَلَبا

٨- والسُّمْرُ مطرورَةٌ مُثَقَّفَةٌ ... والبِيضُ تَزهو تَخالُها شُهُبا[٢]

٩- يا قيسُ[٣] إن الأحسابَ أحْرَزَها ... من كان يَغْشَى الذَّوائِبَ القُضُبا[٤]

١٠- من غادَرَ السَّيِّدَ السِّبَطْرَ لدى الـ ... مَعْرَكِ عَمْراً مُخَضَّباً تَرِبا

١١- جاشَ مِنَ الكاهِنَيْنِ إذ بَرَزوا ... أمواجَ بَحْرٍ تَقَمَّصُ الحَدَبَا

١٢- لِنَصْرِكُمْ والسُّيُوفُ تَطْلُبُهمْ ... حتى تَوَلَّوْا وأمْعَنُوا هَرَبَا

١٣- وَأنْتَ في البَيْتِ إذ يُحَمُّ لَكَ الـ ... مَاءُ وتَدْعو قِتالَنَا لَعِبا

تخريج الأبيات:

في «م» ص٣١، وفي «خ» ص١٧٥-١٧٧، وفي «س» ص٣٧-٤٢، وفي شعر السموأل لعيسى سابا

---

(١) في شعر السموأل لعيسى سابا ص٣٦: «لم يقض».

(٢) في شعر السموأل لعيسى سابا: «تزهى».

(٣) قيس.

(٤) في شعر السموأل: «الذوائب».

المعاني:

١- الأرب: الحاجة، وكذلك المأربة وهي المآرب. ومنه قوله عز وجل على لسان موسى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه]، شآك: فاتك، يقال: شآه إذا سبقه وفاته.

٣- فخمة: يعني كتيبة عظيمة، وربما تكون فخمة صفة للكتيبة والتي حذفت، ململمة مجتمعة بعضها إلى بعض.

٤- رجراجة: كثيرة الحركة، عضّل الفضاء بها: أي ضاق بها الشقّة، ويقال: عضّلت المرأة بولدها إذا نشب في بطنها فعسر مخرجه، ومنها قول عمر بن الخطاب: «أعضل بي أهل الكوفة لا يرضون عن وال ولا يرضى عنهم وال».

٥- أكنافها: جوانبها، والضمير يعود على الكتيبة واحدتها «كنف»، وبطل: يعني شجاع تبطل الحيلة فيه.

٦- مرهف الغرار: السيف، والمرهف: المحدّد، وغرار السيف: حدّه، رسبا: أي لم ينب.

٧- سابغة: الطويلة التامة من الدروع، وكذلك الفضفاضة، وقوله كالغدير: شبه الدروع في صفائها بغدير الماء.

٨- السمر: يعني الرماح، ويقول الأصمعي: «إنما توصف بالسمرة لأن الرماح إذا تركت مكانها حتى تجف ثم خلعت كانت سمراً، وكان ذلك أجود لها، مثقّفة: مقوّمة، والبيض: السيوف، شهبا: جمع شهاب وهي الكواكب فهي تبرق كأنها كواكب.

٩- يحرز الأحساب كل من ضارب بالسيف وأغشي الذوايب،

والقضب جمع قضيب وهو السيف.

١٠- السبطر: العظيم الأمر، والمعرك: موضع القتال، ويقال: اعترك القوم وتعاركوا وبهذا سمّيت المعركة.

١١- الكاهنان: من قريظة، وقوله: جاش: يعني هاج، بحر: يريد كثرة المقاتلة والخيل، والحدب: أمواج البحر وأعاليه، وكذلك الحدب: من الأرض ما علا - قال الله عز وجل: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء] تقمّص: لبس، ومن هذا قماص الدابة وهو أن ترفع يديها وتضعهما معاً.

١٢- الإمعان: المبالغة، يقول: بالغوا في الهرب.

١٣- يحمّ لك الماء: أي يسخن، والحميم: الماء الحار، وبه سمي الحمام، وبهذا سمي المحموم، وتدعو قتالنا لعبا: أي تسمّيه لجهلك به.

قصيدة رقم - ٣-　　　　(من الطويل)

١- رَأَيْتُ اليَتامى لا يَسُدُّ فُقورَهُمْ	قِرانا لَهُمْ في كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ
٢- فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنا أريحا عَلَيْهِمُ	سَأَجْعَلُ بيتِي مِثْلَ آخَرَ مُعْزَبِ

تخريج الأبيات:

في «م» ص٣٧، وفي «خ» ص١٧٧، وفي «س» ص٤٣.

المعاني:

١- لا يسد فقورهم: أي لا يسد فقرهم أن نسقيهم اللبن في الأقداح، القعب: القدح الصغير، مشعب: يعني مصلح، يقال: شعبت الإناء

وشعّبته.

٢- أريحا: أي ردّا الإبل من المرعى إلى مراحها لينحرها لهم سأجعل بيتي مثل آخر معزب: أي أني أخليه من الإبل وأنحرها للضيوف، ومن يسألني حتى أكون مثل الرجل المعزب، وهو الذي تباعدت عنه إبله، يقال: رجل معزابه إذا تباعد في الرعي ويقال: عزب ضيره وعزب له يَعْزُبُ وَيَعْزِبُ: أي بَعُدَ.

قصيدة رقم - ٤ - (من الخفيف)

١- نُطْفَةٌ ما مُنِيتُ يَوْم مُنِيتُ ... أُمِرَتْ أَمْرَها وفيها بُرِيتُ
٢- كَنَّها اللهُ في مَكَانٍ خَفِيٍّ ... وَخَفِيٌّ مكانُها لو خَفِيتُ
٣- مَيْتُ دَهْرٍ قد كُنْتُ ثم حَييتُ ... وحَيَاتِي رَهْنٌ بأنْ سأموتُ
٤- إنّ حِلْمِي إذا تَغَيَّبَ عَنِّي ... فاعْلَمِي أنَّني كبيراً رُزِيتُ[1]
٥- ضَيِّقُ الصَّدْرِ بالأمانةِ لا يَفْـ ... ـجعُ فَقْرِي أمانتي ما بَقِيتُ[2]
٦- رُبَّ شَتْمٍ سَمِعْتُهُ فَتَصامَمْـ ... ـتُ وَغَيٍّ تَرَكْتُهُ فَكُفِيتُ[3]
٧- ليتَ شِعْرِي وأَشْعُرَنَّ إذا ما ... قَرَّبُوها مَنْشُورةً وَدُعِيتُ[4]
٨- أَلِيَ الفَضْلُ أم عَلَيَّ إذا حُو ... سِبْتُ إنّي على الحِسَابِ مُقِيتُ
٩- وأتاني اليَقِينُ أنّي إذا مِـ ... ـتُّ وإن رُمَّ أعْظُمِي مَبْعُوثُ
١٠- هل أَقُولَنَّ إن تَدَارَك ذَنْبِي ... وَتَذَكّى عليّ: إني نُهِيتُ
١١- أَبِفَضْلٍ من المَلِيكِ ونُعْمَى ... أم بِذَنْبٍ قَدَّمْتُهُ فَجُزِيتُ
١٢- يَنفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيلُ من الرِّزْ ... قِ ولا يَنْفَعُ الكثيرُ الخَبِيثُ

---

(١) في طبقات فحول الشعراء «عظيما» بدل «كبيرا» ص٢٨٠.

(٢) في نفس المصدر «ضيق الصدر بالخيانة لا ينقض».

(٣) في طبقات فحول الشعراء ص٢٨٠ «كم فظيع سمعته».

(٤) في نفس المصدر «فقريت».

١٣ـ فَاجْعَلِ الرِزْقَ في الحلالِ من الكَسْـ	ـبِ وبَـراً سَـرِيـرَتـي مـا حَييـتُ
١٤- وَأَتَتْني الأنبـاءُ عـن مُلْكِ داوو	دَ فَقَـرَّتْ عَيْنـي بِـهِ وَرَضِيـتُ
١٥- وَسُلَيْمـانُ والحَـوَارِيُّ يَحْيَـى	ومتـى يـوسُـف كَـأنّـي وليـتُ
١٦- وبقـايـا الأسبـاطِ أسبـاطِ يَعقو	بَ دِرَاس[1] التَّـوْراةِ والتَّـابُـوتُ
١٧- وانفلاقُ الأمواجِ طَوْرَيْنِ عن مو	سـى وبَعـدُ المُمَلَّـكُ الطَّـالُـوتُ
١٨-ومصابُ الإفريسِ حين عَصَى اللّـ	ـهَ وإذْ صـابَ حينَـهُ الجَـالـوتُ
١٩- ليس يُعْطى القويُّ فضلاً من الرِّزْ	قِ ولا يُحْـرَمُ الضَّعِيـفُ الشَّخيـتُ
٢٠- بلْ لِكُلٍّ من رِزْقِهِ ما قَضَى اللّـ	ـهُ وإن حَـزَّ أنْفَـهُ المُسْتَميـتُ

المعاني:

١- نطفة ما منيت: من المني وكذلك أمنى، قال عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ [الواقعة]، ومني الرجل من المني وكذلك أمنى، أمرت أمرها: أي أمرها الله أن تكون علقة ثم مضغة ثم تكون عظاماً، ثم تكسى لحماً كما أخبر الله، وفيها بريت: أي خلقت، من برأ الله الخالق البرية - وهي من برء الله الخلق، والذرية - وهي من ذرأهم، والنبوة وهي من نبأه الله، وهذه الثلاثة كما يقول أبو عبيدة[2]: «تدع العرب الهمزة في ثلاثة أسماء».

٢- كنّها: جعلها ووضعها، قال عز وجل: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ

---

(١) في شعر السموأل لعيسى سابا ص٣٨ «دارس».

(٢) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم من قريش كان أجمع الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم ولد عام ١٠٠هـ، وكان يقطن البصرة ولكنه يفد على خلفاء عصره ببغداد ثم هاجر إليها سنة ١٨٨هـ وجالس الفضل بن الربيع وله عدة مؤلفات توفي عام ٢٠٩هـ راجع وفيات الأعيان ٤/٣٢٣، والفهرست ٧٩، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢/١٠٠.

أَنفُسِكُمْ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة] وكننته: جعلته في كن وهو مكنون، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات].

٣- ميت دهر: يعني الميتة الأولى، رهن: ملزم وكفيل يقال: أنا لك رهن أي كفيل.

٤- إذا غاب عني حلمي فقد رزيت أمراً عظيماً.

٥- وإذا افتقرت لم أخن أمانتي للفقر ولكنني أصبر على أداء الأمانة على كل حال.

٦- يقول: تصاممت عمن شتمني كأنني لم أسمع، حلماً وتنزهاً.

٧- قرّبوها منشورة: كتب عمله كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإسراء].

٨- مقيت: أي مقتدر، ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء] أي مقتدراً.

٩- رمّ أعظمي: أي بليت، ويقال للعظم البالي: رمة وجمعها رمم وقوله: مبعوت أي مبعوث.

١٥- إنما قال: «والحواري يحيى» ولم يقل «عيسى» لأنه يهودي لم يؤمن بعيسى عليه السلام.

١٧- انفلاق الأمواج: يعني انفلاق البحر لموسى عليه السلام حين نجاه الله من فرعون وآله، وفي الخبر: «أن موسى عليه السلام أتى البحر وهو هايج فضربه بعصاه، وقال: أيها أبا خالد، فانفلق، فمرّ هو وقومه، فلما جاء فرعون وقومه ليلحقوهم التأم عليهم البحر فغرقهم. الطور: الجبل.

١٨- الإفريس: رجل فريسي كناية عن المرائي وهي عبرانية، والمراد هنا مصاب جالوت.

١٩- الشخيت والشخت: الرقيق. والإفريس ورد ذكرها في سفر عازرا ٩/٤ ضمن أسماء الشعوب الأخرى من عيلامين ويابوسيين وعماليق وغيرهم. وهي كلمة أرامية وتعني (الفُرْس) ولما كان الفرس ضمن الشعوب التي غلبتها إسرائيل على أمرها كما يفهم من سفر عازرا مستحيلاً فإن المقصود بها كما يغلّب ذلك أكثرية شراح التوراة أنهم قبيلة من قبائل الفرس لا غير (عبد المنعم الحنفي - الموسوعة اليهودية).

قصيدة رقم - ٥ - (من الكامل)

١- أَصْبَحْتُ أفني عادياً وَبَقِيتُ	لَمْ يَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَتِي وأَموتُ
٢- ولقد لَبِسْتُ على الزَّمَانِ جَدِيدَهُ	ولَبِسْتُ إخوانَ الصِّبَا فَبَلِيتُ
٣- غَلَبَ العَزَا[1] عَمَّنْ أرى فَتَبِعْتُهُ	وَخُدِعْتُ عما في يدي فَأَسِيتُ
٤- ومَسَالِكٍ يَسَّرْتُها فَتَرَكْتُهَا	وَمَوَاعِظٍ عُلِّمْتُها فَنَسِيتُ

تخريج الأبيات:

في «م» ص٢٢-٢٣، وفي «خ» ص١٧٢، وفي «س» ص٢٨-٣٠.

المعاني:

١- الحشاشة: بقية النفس، يقال: أفلت بحشاشته إذا فرّ.

٢- يقول: كنت صبياً أصحب إخوان الصبا فلبست جديد الدهر فأبلاني ذلك.

---

(١) في «خ» غلب العرا.

٣- يقول: غلب العزا عمن أرى ممن ذهب وبقي وخدعت عما في يدي، فأسيت عليه: أي حزنت عليه، يقال: أسى يأسى أسى. مقصور. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ [المائدة] أي لا تحزن عليهم.

٤- مسالك: أي رب مسالك: مذاهب من الصواب، يسرّتها: هيأتها يقال: يسرته لهذا الأمر: أي هيأته له، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل] قال الفراء[1]: ليس في العسرى تيسير إنما معناه: فسنهيؤه.

قصيدة - رقم ٦ - (من الكامل)

١- إسْلَمْ سَلِمْتَ ولا سَلِيمَ من البِلَى	فَنِيَ الرِّجالُ ذوو القوى فَفَنِيتُ[2]
٢- كيف السَّلامةُ إن أردْتُ سلامةً	والمَوتُ يَطْلُبُني وَلَسْتُ أفوتُ[3]
٣- وَأُقِيلُ حيثُ أُرى فلا أَخْفَى له	ويَرَى فلا يَعْيَا بِحَيْثُ أَبِيتُ
٤- مَيْتاً خُلِقْتُ وَلَمْ أكُنْ مِنْ قَبْلِها	شيئاً يَمُوتُ فَمِتُّ حينَ حَيِيتُ[4]
٥- وأموتُ أُخرى بَعْدَها وَلأَعْلَمَنْ	إنْ كانَ يَنْفَعُ أنني سَأَمُوتُ

---

(١) الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد الأسلمي الكوفي تلميذ الكسائي كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، حكى عن ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها وكانت له حظوة كبرى عند المأمون توفي عام ٢٠٧هـ، يقال إنه لقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام.

(٢) في شعر السموأل لعيسى سابا.

(٣) في «خ» ولست أموت.

(٤) في «م» فمت حيث حييت وكذلك في «خ» وأما في البيان والتبيين، حين حييت وهي الأصوب.

تخريج الأبيات:

في «م» ص٢٤ - ٢٥، وفي «ص» ص٣٠ - ٣١ وفي «خ» ص١٧٣ وفي البيان والتبيين للجاحظ ج٣ ص١٨٦، وفي شعر السموأل لعيسى سابا ص٢٩.

المعاني:

١- إسلم: دعاء، ثم رجع فقال: لا سليم على البلى، أي البلى لا يسلم عليه شيء حتى يبليه، فني الرجال ذوو القوى ففنيت: أي كانوا شباباً وكنت شاباً فلما فنوا فنيت لأننا بسن واحدة.

٤- يقول: إنما خلقت للموت فكان كرني سبب موتي، ومنه قول أعرابية مات ابنها فقيل لها: ما كان سبب موته؟ قالت: كونه.

قصيدة - رقم ٧ - (من الوافر)

١- أعـاذِلَتِـي ألَا لا تَعْـذُلِيني	فَكَـمْ مـن أمـرِ عَـاذِلـةٍ عَصَيْـتُ
٢- دَعِيني وارشُدِي إن كنتُ أغْوِي	ولا تَغْوَيْ - زعمتِ - كما غَوَيْتُ
٣- أعـاذلُ قـد طَلَبْتِ اللَّـوْمَ حتى	لـو انـي مُنْتَـهٍ لقـد انْتَهَيْـتُ[1]
٤- وَصَفْراءِ المَعَاصِمِ قد دَعَتْني	إلـى وَصْـلٍ فَقُلْـتُ لهـا أبَيْـتُ
٥- وَزِقٍّ قـد جَـرَرْتُ إلـى النَّـدامى	وَزِقٍّ قـد شَـرِبْـتُ وقـد سَقَيْـتُ
٦- وحَتَّـى لا يكـونَ[2] فتـى أُنـاس	بَكَـى مِـن عَـذْلِ عـاذِلَـةٍ بَكَيْـتُ
٧- ألا يـا بَيْـتُ بـالعليـاءِ بَيْـتٌ	ولـولا حُـبُّ أهْلِـكَ مـا أتَيْـتُ
٨- ألا يـا بَيْـتُ أهْلُـكَ أوْعَـدوني	كـأنّـي كُـلَّ ذَنْبِهِـمُ جَنَيْـتُ

---

(١) قد أطلت ربما تكون أصح من «قد طلبت» وقد وردت في شعر السموأل ص٣٧.

(٢) في شعر السموأل ص٣٧ «لو» بدل «لا».

٩- إذا مـا فـاتنـي لَحْـمٌ غـريـضٌ ضَـرَبْـتُ ذِراع بَكْـري فـاشْتَـوَيْـتُ

تخريج الأبيات:

شعر السموأل لعيسى سابا ص٢٧، الأغاني ج٦ ص١٥ ط دار الكتب وفيها الأبيات من ١-٦، والأبيات من ٧-٩ في سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص٦١.

المعاني:

١- العذل: اللوم، والعذّال والعذّل والعواذل من النساء جمع عاذلة.

٢- أغوى: أهلك وأخذل. وضل وانهمك في الجهل، زعم: ظن.

٣- ارشدي: من الرشاد وهو الهداية.

٤- صفراء المعاصم: كناية عن المرأة الغاوية في زينتها.

أبيت: رفضت بشرف.

٥- الزق: قدح الخمر.

٩- بكري: ناقتي، غريض، الطري من اللحم، واللّين من الخبز والصافي من اللبن.

قصيدة رقم - ٨ - (من الوافر)

١- عَفَـا مِـن آلِ فـاطمـةَ الخُبَيْـتُ إلـى الإحْـرام ليـس بِهِـنَّ بَيْـتُ

٢- أعـاذِلَتَـيَّ قَـولَكمـا عَصَيْـتُ لِنَفْسـي إن رَشَـدْتُ وإن غَـوَيْـتُ

٣- بَنى لـي عـاديـا حِصْنـاً حَصِيناً وَعَيْنـاً كُلّمـا شِئْـتُ اسْتَقَيْـتُ

٤- طِمِـرّاً تَـزْلَـقُ العِقْبَـانُ عَنْـهُ إذا مـا ضَـامَنِـي شـيءٌ أبَيْـتُ

٥- وَأَوْصى عَادِيا جدّي[١] بـألاّ ... تُضَيِّـعَ يـا سمـوألُ مـا بَنَيْـتُ

٦- وَبَيْـتٍ قـد بَنَيْـتُ بغيـرِ طِيـنٍ ... ولا خَشَـبٍ ومَجْـدٍ قـد أتَيْـتُ

٧- وَجَيْشٍ في دُجَى الظَّلْماءِ مَجْرٍ ... يَـؤُمُّ بِـلادَ مَلْـكٍ قـد هَـدَيْـتُ

٨- وذَنْـبٍ قـد عَفَـوْتُ لغيـرِ بـاعٍ ... ولا وَاعٍ وعنْـهُ قـد عَفَـوْتُ

٩- فـإنْ أهْلِـكْ فقـد أبْلَيْـتُ عُـذْراً ... وَقَضَّيْـتُ اللُّبَـانَـةَ واشْتَفَيْـتُ

١٠- وأصْرِفُ عن قَوَارِضَ تَجْتَدِيني ... ولـو أنـي أشـاءُ بهـا جَـزَيْـتُ

١١- فأَحْمِي الجارَ في الجُلَّى فَيُمْسِي ... عَـزِيـزاً لا يُـرَامُ إذا حَمَيْـتُ

١٢- وَفَيْـتُ بِـأَدْرُعِ الكِنْـدِيِّ إنّـي ... إذا مـا ذُمَّ أقـوامٌ وَفَيْـتُ[٢]

١٣- وقـالـوا إنَّـهُ كَنْـزٌ رَغِيـبٌ ... فـلا - واللهِ - أغْـدُرُ مـا مَشَيْـتُ

١٤- ولـولا أن يُقـالَ صَبَـا[٣] عُنَيْسٌ ... إلـى بعـضِ البيـوتِ لقـد صَبَـوْتُ

١٥- وَقُبَّـةِ حَـاصِـنٍ أدْخَلْـتُ رَأْسِي ... وَمعْصَمَهـا المُـوَشَّـمَ قـد لَـوَيْـتُ

١٦- ودَاهِيَـةٍ يَظَـلُّ النَّـاسُ مِنْهـا ... قيـامـاً بـالمَحَـارِفِ قـد كَفَيْـتُ

تخريج الأبيات:

في «م» ص٢٥، وفي «خ» ص١٧٣-١٧٥ وفي «س» ص٣١-٣٧ نهاية الأرب.

المعاني:

١- الخبيت: تصغير «خبت» وهو ما اطمأن من الأرض، ومنه إخبات الرجل وهو في الطمأنينة والتواضع.

---

(١) في نهاية الأرب «يوماً» بدل «جدي»، «تهدم» بدل «تضيّع».

(٢) في نهاية الأرب «إذا ما القوم قد غدروا وفيت».

(٣) في «خ» (حبا) بدل (صبا) وكذلك في شعر السموأل (حبا وحبوت) بدل «صبا وصبوت». الكندي: هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلي المعروف.

٤- الطمّر: الشرف وهو هنا صفة للحصن، وقوله: «تزلق العقبان عنه» لعلوّه وملاسته كما قال الأعشى:

فـــي مجــدل شيــد بنيـــانــه   يـــزل عنـــه ظفـــر الطـــائـــر

(البيت في ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص١٠٨).

٦- يعني بيت الشرف ويقال: بيت الشعر، ويقول شارح الديوان «نفطويه» وسمعت من ينشد هذا البيت يعني بيت الشعر:

وبيـت ليـس مـن وبـر وطيـن   علـى ظهـر المطيـة قـد بنيـت

٧- المجر من الجيش: الكثير العدد: يقال: مجرت الشاة وامتجرت إذا عظم بطنها من الحبل. يؤم: يقصد، ومَلْك: يعني ملكاً.

٨- باع: قال الفراء: بعاه يَبْعوه يعني: اقترفه.

١٠- القوارض: الكلمات المكروهة كما قال الفرزدق:

قـوارض تـأتينـي وتحتقـرونهـا   وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

تجتدبني: تعيبني، يقال: اجتدبه وجدبه إذا عابه ومنه حديث سلمان الفارسي.

(جدب لنا عمر بن الخطاب السمر بعد العشاء الآخر، أي عابه.

١١- الجُلّى: الأمر الجليل الخطير يقال أمر أَجَلّ وقصة جُلّى وكذلك أمر أمرّ وخصلة مرّى.

١٢- وفيت: يقال: وفى وأوفى في لغة قريش وأهل الحجاز وفي لغة تميم كما قال الفراء وأنشد:

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

١٣- المعنى: فلا والله لا أعذر منزلة «لا» لأن المعنى يدل عليها.

١٤- عنيس: تصغير عانس وهو الرجل الذي يبقى زماناً طويلاً بعد أن يدرك لا يتزوج.

١٥- المعصم: موضع السوار، والموشم: عليه أثر الخضرة وكان هذا من زينة نساء الجاهلية فنهى عنه رسول الله ﷺ.

١٦- المحارف: الأميال واحدها محرف، وهو المسبار يقدّر به الشجّة والجرح ثم يعالج.

قال أوس بن حجر:

كما زل عن رأس الشجيج المحارف.

ويقال سبرت ما عنده: أي عرفت مقداره (أوس بن حجر: أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين وهو شاعر تميم).

قصيدة رقم - ٩ - (من الكامل)

١- يا لَيْتَ شِعْري حِينَ أُنْدَبُ هالِكاً ماذا تُؤَبِّنُني بِهِ أَنْواحي

٢- أَيَقُلْنَ لا تَبْعدْ فَرُبَّ كَرِيهَةٍ فَرَّجْتُها بشَجاعَةٍ وسَمَاحِ

٣- وَلَقَدْ أَخَذْتُ الحَقَّ غيرَ مُخاصِمٍ وَلَقَدْ بَذَلْتُ الحَقَّ غيرَ مُلاحِ

٤- إن امْرَأً أَمِنَ الحَوادِثَ جاهِلٌ يَرْجُو الخُلودَ كضَارِبٍ بِقِدَاحِ

٥- من بعدِ عاديِّ الدُّهورِ وَمأربٍ وَمَقاوِلٍ بِيضِ الوُجُوهِ صِبَاحِ

٦- مَرَّت عليهِمْ آفَةٌ فكَأَنَّها عَفَّتْ على آثارِهِم بِمُتَاحِ

٧- وَمُغيرةٍ شَعْواءَ يُخْشَى دَرْؤُها يَوْماً رَدَدْتُ سِلاحَها بِسِلاحِي

٨- وَلَرُبَّ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ وَقودُها أطْفَأْتُ حَرَّ رِمَاحِها بِرِماحِي

٩- وَكَتيبَـــةٍ أَدْنَيْتُهَـــا لِكَتيبَـــةٍ وَمُضَـاغِـنٍ صَبَّحْـتُ شَـرَّ صَبَـاحِ

١٠- وإذا عَمَـدْتُ لِصَخْـرةٍ أَسْهَلْتُهَـا أدعُــو بِــأَفْلَــحَ مَــرَّةً ورَبَــاحِ

١١- لا تَبْعَـدَنَّ فَكُـلُّ حـيٍّ هـالِـكٌ لا بُــدَّ مِــن تَلَـفٍ فَبِــنْ بِفَـلاحِ

١٢- ولقد ضَرَبْتُ بِفَضْلِ مالي حَقَّهُ عِنْــدَ الشِّتــاءِ وَهَبَّــةِ الأَرْواحِ

تخريج الأبيات:

الأبيات من ١-١٢ في شعر السموأل لعيسى سابا ص٣٢ ط دار صادر لبنان، والأبيات من ١-٣ في سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون.

المعاني:

١- ليتني أعرف ما تندبني به النوادب عندما أهلك أي أموت.

٣- ملاح: ملام.

٤- الضرب بالقداح: لعب الميسر.

٦- متاح: مهيأ، وأتاح: هيأ، وأتاح الله له خيراً أو شراً، وتاح في مشْيته: تمايل، آفة: بليّة.

٧- المغيرة: الخيل المغيرة في الحرب، درؤها: ردّها.

٨- مشعلة: المشعلة والمشعل: القنديل، وكتيبة مشعلة، أي مبثوثة منتشرة.

٩- الكتيبة: جماعة من الفرسان.

١٠- بأفلح: نزل منزلة اسم الفعل فقال بأفلح: أي انتصر. وأفلح ورباح من أسماء العبيد.

١١- فبن: انتصر.

١٢- الأرواح: المقصود بها الرياح.

قصيدة رقم - ١٠ - (من الطويل)

١- إذا المَرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فكُلُّ رِداءٍ يَرْتَديهِ جَميلُ

٢-وإنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَهَا ... فليسَ إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبيلُ

٣- تُعَيِّرُنا أنَّا قَليلٌ عَديدُنا ... فقُلْتُ لها: إن الكِرَامَ قَليلُ

٤- وما ضَرَّنا أنَّا قَليلٌ وجارُنا ... عَزيزٌ وجَارُ الأكْثَرينَ ذَليلُ

٥- وما قَلَّ مَنْ كَانَتْ بقاياه مِثْلَنا ... شَبَابٌ تَسامَىٰ للعُلَى وكهولُ[1]

٦- لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ من نُحِلُّهُ ... مُنيفٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كَليلُ[2]

٧- رَسَا أصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَما بِهِ ... إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُرامُ طَويلُ[3]

٨- وَنَحْنُ أُناسٌ لا نَرى القَتْلَ سُبَّةً ... إذا ما رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ[4]

٩- يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجَالَنا لنا ... وتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فتَطُولُ

١٠- تَسِيلُ على حَدِّ الظُّبَاتِ نُفوسُنا ... ولَيْسَتْ على شيءٍ سِواهُ تَسِيلُ[5]

١١- وما ماتَ مِنّا مَيِّتٌ في فِراشِهِ ... ولا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كانَ قَتِيلُ[6]

---

(١) في معاهد التنصيص ١/ ١٢٩: «تسامت» بدل «تسامى».

(٢) في المستطرف ١/ ١٣٢: «يحتله من نجيره منيع».

(٣) في المستطرف ١/ ١٣٢: «فرع لا يزال»، وفي مجاني الأدب ٥/ ٢٥٩: «لا ينال».

(٤) في المستطرف ١/ ١٣٢، وفي نهاية الأرب ٣/ ١٩٨: «وإنا أناس»، وفي معاهد التنصيص ١/ ١٢٩: «وإنا لقوم»، وفي البيان والتبيين ٢/ ١٢١: «وما ترى».

(٥) في نهاية الأرب والمستطرف: «وليست على غير الظبات»، وفي معاهد التنصيص «وليست على غير السيوف»، وفي البيان والتبيين أبدل لفظ «الظبات» بالسيوف في الموضعين.

(٦) في المستطرف ونهاية الأرب: «وما مات منا سيد حتف أنفه»، وفي معاهد التنصيص والبيان والتبيين: «وما مات منّا سيد في فراشه».

١٢- صَفَوْنا فَلَمْ نَكْدُر وأَخلَصَ سِرَّنا   إِنَـاثٌ أَطَـابَـتْ حَمْلَنَـا وَفُحُـولُ
١٣- فَنَحْنُ كَماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا   كَهَـامٌ ولا فِينَـا يُعَـدُّ بَخيـلُ[(١)]
١٤- عَلَوْنا إلى خَيْرِ الظُّهورِ وَحَطَّنا   لِـوَقْـتٍ إلـى خَيْـرِ البُطُـونِ نُـزُولُ[(٢)]
١٥- وَأيـامُنـا مشهـورةٌ فـي قَـدِيمِنـا   لهـا غُـرَرٌ معلـومَـةٌ وحُجُـولُ[(٣)]
١٦- وَأَسْيـافُنـا فـي كُـلِّ يـومِ كَـرِيهـةٍ   بهـا مِـنْ قِـراعِ الـدَّارِعِيـنَ فُلـولُ[(٤)]
١٧- مُعَـوَّدَةٌ أن لا تُسَـلَّ نِصـالُهـا   فَتُغْمَـدَ حتـى يُسْتَبَـاحَ قَبيـلُ[(٥)]
١٨- سَلِي إن جَهِلْتِ النّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ   وَلَيْـسَ سَـوَاءً عـالِـمٌ وَجَهـولُ[(٦)]
١٩- وَنُنْكِرُ إن شِئْنَا على النَّاسِ قَوْلَهُمْ   ولا يُنْكِـرُونَ القَـوْلَ حِيـنَ نَقُـولُ
٢٠- إذا سَيِّـدٌ منـا مَضَـى قـامَ سَيِّـدٌ   قَـؤُولٌ لِمـا قـالَ الكِـرامُ فَعُـولُ[(٧)]
٢١- وما أُخْمِدَتْ نارٌ لنا دُونَ طارِقٍ   ومـا ذَمَّنـا فـي النَّـازِليـنَ نَـزِيـلُ[(٨)]

تخريج الأبيات:

في «م» ص٧-١٣، وفي «خ» ص١٦٦-١٦٨، و«س» ص١٠-٢٠، وفي نهاية الأرب ٣/١٩٨، وفي البيان والتبيين ٣/١٢١، ٢٦٢، وسمط اللآلىء ٥٩٥ ومعاهد التنصيص ١/١٢٩، والمستطرف ١/١٣٢، وشرح الأشموني للألفية هامش ص٣٤٨، وتاريخ آداب اللغة العربية ١/١٣٧،

---

(١) في معاهد التنصيص: «وما في نصالنا».
(٢) سجل هذا البيت في هامش «م».
(٣) يروى في أكثر كتب الأدب: «مشهورة في عدوّنا»، وفي المستطرف: «غرر مشهورة» وفي معاهد التنصيص: «معروفة».
(٤) في أكثر كتب الأدب: «وأسيافنا في كل شرق ومغرب».
(٥) في المستطرف ومعاهد التنصيص: «يستباح قتيل».
(٦) في معاهد التنصيص والمستطرف وشرح الأشموني للألفية: «فليس سواء».
(٧) في أكثر كتب الأدب: «خلا» بدل «مضى».
(٨) في أكثر كتب الأدب: «ولا ذمّنا» بدل «وما ذمنا».

ومجاني الأدب ٥/ ٢٥٩، وحماسة البحتري شرح المرزوقي ص١٤٣.

المعاني:

١- الرداء: ها هنا مستعار من العمل، أراد أن أي عمل عمله بعد تجنب اللؤم كان حسناً واللؤم: اسم الخصال، يريد البخل.

٤- العزيز: المنيع، وقولهم: أعزّك الله أي جعلك الله عزيزاً منيعاً لا تذل ولا ينال منك، والعزاز: الأرض الغليظة العالية، ويقال: عزّه يعزّه أي غلبه ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص].

٦- منيف: أي عال على ما سواه ومنه سمي عبد مناف (هم بنو هاشم وجد عبد المطلب زعيم العرب في عصره ومن سادات مكة)، ومنه قوله: نيف وعشرون: أي زيادة.

٧- رسا: أي ثبت، ومنه سميت الجبال الراسيات، ويقال: أرساه الله فرسا ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات].

٨- يقول: نصبر على الحرب، ولا نرى القتل سبة - أي عاراً - إنما السبة في الفرار.

٩- يعني أن هلاك أنفسنا هيّن علينا إذا خفنا أن نعيّر بالفرار.

١٠- الظبات: جمع ظبة وهي طرف حد السيف.

١١- يقول: لا نموت في فراشنا لأننا أصحاب حرب ومنايانا القتل في القتال كما قال زهير بن أبي سلمى أحد فحول الشعراء في العصر الجاهلي وشاعر من شعراء الحكمة:

وإن يقتلوا فيشتفى من دمائهم   وكانوا قديماً من مناياهم القتل

(ديوان زهير).

وقوله: «وما طلّ منا حيث كان قتيل» يقال: طل دمه وأهدر إذا ذهب باطلاً ولم يدرك بثأره.

١٢- سراة القوم: خيارهم يقال: إنه من سر قومه ومن صيابتهم ومن صميمهم ومن لبابهم وسراة القوم: سادتهم.

١٣- المزن: السحاب الأبيض واحدته مزنه، والكهام: السيف غير القاطع وكذلك الددان، فإذا قيل للرجل: كهام - بالذم - فإنما هو كالسيف غير القاطع.

١٦- يوم الكريهة: يوم القتال، والقراع والمقارعة: المجادلة، يقال: نقارع القومُ إذا تجادلوا بالسيوف، وفلول: كسور لكثرة الضرب بها.

١٧- نصل السيف ومنصله، قال الفراء: غمدت السيف أغمده، والقبيل: الفرقة قال الله في ذكر الشيطان: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۝٢٧﴾ [الأعراف] ويقال قبيلة، وتجمع القبيلة على قبائل.

١٩- يقال: نكرته، وأنكرته. وقد جاء بها القرآن قوله: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۝٧٠﴾ [هود].

٢٠- يقول: لسنا كمن إذا مات سيدهم بقوا بلا سيد، ولكن يسود العقب بعد العقب.

٢١- يقول: لا تطفأ نارنا إذا ما أتانا ضيف ليخفى عنه مكاننا، والطارق: من أتى ليلاً ولا يقال لمن أتى بالنهار طارق، وبهذا سمي النجم طارقاً لأنه يأتي ليلاً، وأما قول هند بن عتبة:

نحـــن بنـــات طـــارق نمشـــي علـــى النمـــارق

أي نحن بنات النجم كرماً. نزيل: ضيف.

قصيدة رقم - ١١ - (من الكامل)

١- إنّي إذا ما المَرْءُ بيَّنَ شَكَّهُ وَبَـدَتْ عَـواقِبُـهُ لِمَـنْ يَتَـأمَّـلُ
٢- وَتبَـرّأَ الضُعَفَـاءُ مِـنْ إخْـوانِهِـمْ وَألَـحَّ مِـنْ حـرِّ الصَّميـم الكَلْكَـلُ
٣- أدَعُ التي هي أرْفَقُ الحَالاتِ بي عنـدَ الحَفيظَـةِ للَّتِـي هـيَ أجْمَـلُ[1]

تخريج الأبيات:

سرح العيون: ٦٠، ومجاني الأدب ٥/ ٧٠ وشعر السموأل لعيسى سابا ص٣٨.

المعاني:

٢- حر الصميم: داخل القلب أو العظم، الكلكل: الصدر من كل شيء.

٣- الحفيظة: الغضب.

القصيدة رقم - ١٢ - (من الطويل)

١- وقائلةٍ ما بالُ أسْرَةَ عاديا تُنَـادِي وفيهـا قِلَّـةٌ وخُمُـولُ
٢- هو الأبْلَقُ الفَرْدُ الذي شَاعَ ذِكْرُهُ يَعِـزُّ علـى مَـنْ رَامَـهُ ويَطُـولُ
٣- فإنّ بني الدَّيّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ تَـدُورُ رَحَـاهُـم حَـوْلَهُـم وَتَجُـولُ[2]

تخريج الأبيات:

البيت الأول: في نهاية الأرب ٣/ ١٩٨.

---

(١) في شعر السموأل «أرمق» بدل «أرفق».
(٢) في المستطرف «بني الريان» بدل «بني الديان».

البيت الثاني: في مجاني الأدب ٥/ ٢٦٠.

البيت الثالث: في نهاية الأرب ٣/ ١٩٨، والحماسة ١/ ١٣١، وأمالي القالي ١/ ٢٧٠ والمستطرف.

٢- الربيع بن أبي الحقيق

قصيدة رقم - ١ - للربيع بن أبي الحقيق (من الوافر)

١- ألا مَـنْ مُبْلِـغُ الأكْفَـاءِ عَنِّـي ... فـلا ظُلْـمٌ لَـدَيَّ ولا افْتِـرَاءُ

٢- فَلَسْـتُ بِغـائِـظِ الأكْفـاءِ ظُلْمـاً ... وَعِنْـدِي للمَـلامـاتِ اجتِـزَاءُ

٣- فلـمْ أرَ مِثْـلَ مَـنْ يَـدْنو لِخَسْـفٍ ... لَـهُ فـي الأرْضِ سَيْـرٌ واسْتِـوَاءُ

٤- ومـا بَعْـضُ الإقَـامَـةِ فـي دِيَـارٍ ... يُهَـانُ بهـا الفتـى إلاّ عَنَـاءُ

٥- وَبَعْـضُ القَـوْلِ ليـسَ لَـهُ عِنَـاجٌ ... كَمَخْـضِ المَـاءِ ليـسَ لَـهُ إنَـاءُ[1]

٦- وَبعـضُ خـلائِـقِ الأقْـوام داءٌ ... كَـدَاءِ الشُّـحِّ ليـسَ لَـهُ دَوَاءُ

٧- وَبَعْـضُ الـدَّاءِ مُلْتَمـسٌ شِفَـاءً ... وداءُ النَّـوْكِ لَيـس لـه شِفَـاءُ

٨- يحـبُّ المَـرْءُ أن يَلْقَـى نَعِيمـاً ... وَيَـأْبَـى اللهُ إلاّ مـا يَشَـاءُ

٩- وَمَنْ يكُ عاقِلاً لم يَلْقَ بُؤْساً ... يُنِـخْ يَـوْمـاً بسـاحَتِـهِ القَضَـاءُ

١٠- تُعـاوِرُهُ بنـاتُ الـدَّهْـرِ حتَّـى ... تُثَلِّمُـهُ كمـا ثُلِـمَ الإنَـاءُ

١١- وَكُـلُّ شَـدَائِـدٍ نَـزَلَـتْ بِحَـيٍّ ... سَيـأْتـي بَعْـدَ شِـدَّتِهـا رَخَـاءُ

١٢- فَقُـلْ للمُتَّقِـي عَـرَضَ المَنـايـا ... تَـوَقَّ فَلَيْـسَ يَنْفَعُـكَ اتِّقَـاءُ

١٣- فما يُعْطَى الحَرِيصُ غِنىً بِحِرْصٍ ... وقـد يُنَسَّـى لـدى الجُـودِ الثَّـرَاءُ

١٤- وَلَيْـسَ بِنـافـعٍ ذا البُخْـلِ مـالٌ ... ولا مُـزْرٍ بِصـاحِبِـهِ الحِبَـاءُ

١٥- غَنِيُّ النَّفْس ما استَغْنَى بِشَيءٍ ... وَفَقْـرُ النَّفْـس مـا عَمَـرتْ شَقَـاءُ

١٦- يَـوَدُّ المَـرءُ مـا تَفِـدُ اللَّيَـالـي ... كـأنَّ فَنـاءَهُـنَّ لَـهُ فَنَـاءُ

---

(١) في كتاب الحيوان «كمغض الماء».

تخريج الأبيات:

القصيدة ستة عشر بيتاً في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦٦٨/١- ٦٦٩ ط دار صادر، والأبيات ٦، ٩، ١٠، ١١ في البيان والتبيين ج٣ ص١٨٦، والأشباه والنظائر وردت الأبيات ٧٢/١ الأبيات ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٥، ١٦ المنازل والديار.

المعاني:

١- الأكفاء: جمع كفء وكفىء: وهو النظير والأكفاء: النظراء.

٢- اجتزاء: اكتفاء.

٥- عناج: عنج الشيء: جذبه، وعناج الدلو: عروة في أسفل الغرب تشدّ على الدلو، فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع في البئر.

وقول لا عناج له: أرسل بلا رويّة.

٧- النوك: الحمق، والأنوك: الأحمق.

١٠- تعاوره: تتلفه، أو تتعاون عليه بالضرب.

١٤- الحباء: الكرم والعطاء.

جو القصيدة:

قالها الربيع في عراض قول عامر بن الأطنابة بمناسبة حرب فارع وقتل الغلام القضاعي الذي قتله رجل من بني النجار.

قصيدة رقم - ٢ - (من البسيط)

١- تَرْمي إليَّ بِأطْرافِ الهَوَانِ وَمَا كـانَـتْ رِكـابـي بِـهِ مَـرْحـولـةً ذُلُـلا

٢- فَسَوْفَ تَعْلَمُ إمـا كُنـتَ تَجْهَلُـهُ   مَنْ خَفَّ يَوْمَئِذٍ في الوَزْنِ أو ثَقُلا

٣- وَسَوْفَ تَعْلَمُ يَوْمَ الرَّوْعِ ما حَسَبي   إذا الذي كُنْتَ تَرجو خَامَ أو خَمَلا

٤- أنـا ابـنُ عَمِّـكَ مـا نَـابَتْـكَ نَـائِبَـةٌ   ولسـتُ مِنْـكَ إذا مـا كَعْبُـكَ اعتَـدَلا

تخريج الأبيات:

الأبيات الأربعة في كتاب الوحشيات لأبي تمام تحقيق شاكر ص١٤١-١٤٢. والبيتان ١، ٢ في حماسة البحتري ص٧٩، وفي مجموعة المعاني ص٦٤. والبيت الرابع في الصداقة والصديق تحقيق شاكر ص١١٢.

المعاني:

١- الرَّحْل: مركب البعير، وجمعه أرحل ورحال، ومرحل إذا أخذ بعيراً صعباً فجعله راحلة.

ذلك: ضد الصعب، ومعناه السهولة، وذلك: رفيق ورؤوف ومعناه: الذلة.

٣- الروع: الفزع، وموضع الروع القلب.

٤- اعتدلا: مال واعوج وهو من التضاد أو الأضداد.

قصيدة رقم - ٣ -   (من المتقارب)

١- قَلِيـلٌ غَنَـاؤُهُـمُ فـي الهِيَـاجِ   إذا مـا تَنَـادَوْا لأمـرٍ شـدِيـدْ

٢- وَأَنْتُـم كِـلابٌ لَـدَى دُورِكُـمْ   تَهِـرُّ هَـرِيـرَ العَقـورِ الـرَّصُـودْ

٣- وأنتـم ظِـرابـيُّ إذا تَجْلِسُـونَ   ومـا إنْ لنـا فِيكُـمُ مـن نَـدِيـدْ

٤- وأنتـم تُيـوسٌ وقـد تُعْـرفـونَ   بـرِيـحِ التُّيـوسِ وقُبْـحِ الخُـدُودْ

التخريج:

الأبيات الأربعة في كتاب الحيوان ج١ ص٢٤٨ تحقيق عبد السلام هارون ج١. الحلبي.

المعاني:

٢- هرير وهرور الكلب: صوته، وتهر هرور: هرَّ الشيء: كرهه.

الرصود، الرصد: الترقب بالشر كالحية التي ترصد لتلسع، والرصود من الإبل التي ترصد الإبل لتشرب بعدها.

ومراصد الحية: مكانها، والمرصد عند العرب: الطريق.

٣- نديد: مثيل.

جو القصيدة:

يهجو الربيع قوماً فذكر الظربان حين رماهم بأنهم يخرجون ريحاً في مجالسهم لأن الظربان أنتن خلق الله ريحاً وهو يهجوهم أيضاً بريح التيوس.

القصيدة رقم - ٤ - (من البسيط)

١- دورٌ عَفَتْ بِقُرَى الخَابُورِ غَيَّرَها	بَعْدَ الأَنِيس سَوافي الرِّيح والمَطَرُ
٢- إن تُمْس دَارُكَ ممنْ كان يَسْكُنُهَا	وَحْشاً فذلكَ صَرَفُ الدَّهْرِ والقَدَرُ
٣- وَقَدْ تَحِلُّ بها بِيضٌ تَرائِبُها	كَأَنَّها بَيْنَ كُثْبانِ النَّقَا البَقَرُ

تخريج الأبيات:

الأبيات في المنازل والديار لأسامة بن منقذ ص٢٩٣.

المعاني:

١- الخابور: من أعمال الموصل في شرق دجلة وهو نهر كبير يخرج من الجبال عليه عمل واسع.

قرى: نهر في شمال الموصل، يصب فيه دجلة، ومنبعه من أرض الزوزان.

٣- البقر: يريد بقر الوحش، والعرب تشبه المرأة بالبقرة الوحشية في جمال العينين.

القصيدة رقم - ٥ -

١- فلا تُكْثِرِ النَّجْوى وَأَنْتَ مُحارِبٌ   تُـؤامـر فيهـا كـلُّ نكـسٍ مقصِّـر

التخريج:

البيت في البيان والتبين للجاحظ ج٢ ص١٤.

جو البيت:

قال الربيع بن أبي الحقيق هذا البيت لأبي ياسر النضري وهو أبو ياسر بن أخطب أخو حيي بن أخطب كلاهما يهودياً من أعداء المسلمين، وكان من العلماء بالتوراة وفيه وفي عبدالله بن صوريا ووهب بن يهوذا نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة] (السيرة: سيرة ابن هشام ص٣٥ وما بعدها).

القصيدة رقم - ٦ -   (من الطويل)

١- أذلكَ أَمْ ضَرْسٌ من النَّخْلِ مُتْرَعٌ   بِوادِي القُرَى فيهِ العُيونُ الرَّواجِعُ
٢- لـه سَعَـفٌ جَعْـدٌ وَلِيـفٌ كَـأَنَّـهُ   حَـواشِـي بُـرودٍ حـاكَهُـنَّ الصَّـوَانِـعُ

٣- إذا مـات مِنّـا سَيِّـدٌ قـامَ بَعْـدَهُ لَـهُ خَلَـفٌ يَكْفِـي السِّيَـادةَ بَـارِعُ
٤- مـن ابْنـاءِهِ والعِـرْقُ يَنْصُـرُ فَـرْعَـهُ علـى أصْلِـهِ والعِـرْقُ للعِـرْقِ نـازِعُ

التخريج:

البيتان الأول والثاني في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ج٢ ص٣٩ والبيتان الثالث والرابع في أمالي المرتضي ج٣ ص٢٧، ٢٨.

المعاني:

٢- حواشي: جماعة من النخل ضمّ بعضها إلى بعض.

البرد: كساء مخطط يلتحف به، والجمع أبراد وأبرد وبرود.

٤- من ابنائه: كما هو مفهوم موصول لا مهموز، والعرق للعرق نازع: أي شبيه له ينجذب إليه، ويحن إليه، وينزع إليه في الشبه.

القصيدة رقم - ٧ - (من الرمل)

١- رُبَّ عـمٍّ لـي لـو أبْصَـرْتَـهُ حَسَنِ المِشْيَةِ في الدّرعِ الزعَف

التخريج:

البيت في لسان العرب لابن منظور مادة «زعف».

المعاني:

الزغف: هي الدرع المحكمة، وقيل الواسعة الطويلة، وقيل اللينة وقيل الدقيقة الحسنة السلاسل.

القصيدة رقم - ٨ - (من الطويل)

١- مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ قَوْمِي رِسَالَةً فلا تَهْلِكوا فَقْراً على عِرْقِ ناهِق

٢- فإنَّ بِهِ صَيْداً غزيراً وَهَجْمَةً طِوَال الهَوَادي بائنات المَرَافِقِ

٣- نجائِبَ عِيدِيٍّ يكون بُغاؤُهُ دعاءً وقد جاوزنَ عُرْضَ الشَّقَائِقِ

التخريج:

الأبيات في معجم البلدان: مادة (عرق، نهق) مع اختلاف في رواياتها.

المعاني:

١- عرق ناهق: هو شظاظ الضبي وكان لصّاً.

٢- البائن: الذي يأتي الحلوبة من قبل شمالها. وبان الشيء: اتضح فهو بيّن، الهوادي، الهوادة: الميل والصلح، والهوادة: الرخصة، والهوادة: الحرمة والسبب.

٣- النجب: لحاء الشجر، رجل نحيب: كريم، والنجائب من الإبل: القويّة والخفيفة السريعة.

العيدانة: أطول ما يكون من النخل، ولا تكون عيدانة إلا إذا سقط كريها كلّه ويصير جذعها أجود.

الشقائق: سحائب تبقجت بالأمطار، وشقائق النعمان: نبت واحدها شقيقة.

والشق: الصدع البائن.

القصيدة رقم - ٩ - (من السريع)

١- سائِلْ بنا خابِرَ أكْفَائِنا والعِلْمُ قد يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ[١]

---

(١) في البيان والتبيين: «خابر أكمائنا» بدل «أكفائنا».

٢- لَسْنَا إذا جَارَتْ دَوَاعِي الهَوَى واستَمَعَ المُنْصِتُ للقَائِلِ[(١)]

٣- واعْتَلَجَ القَوْمُ بأَلْبَابِهِمْ بِقَابِلِ الجَوْرِ ولا الفَاعِلِ

٤- إنّا إذا نَحْكُمُ في دِينِنا نَرْضَى بِحُكْمِ العَادِلِ الفَاصِلِ

٥- لا نَجْعَلُ البَاطِلَ حقّاً ولا نَلُظُّ دونَ الحَقِّ بالبَاطِلِ[(٢)]

٦- نَخَافُ أن تَسْفَهَ أحلامُنا فَنَخْمُلَ الدَّهْرَ مع الخَامِلِ[(٣)]

تخريج الأبيات:

الأبيات في طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر ٢٨١/١، والأغاني ١٠٠/٢١ ونسبها لسعية بن الغريض، ومثله في الخزانة ٥٦/٣ ثم رواها الجاحظ للربيع بن أبي الحقيق في البيان والتبيين ج١ ص٣١٣ وصاحب لباب الآداب ص٣٥، وفي البصائر والذخائر ج٢ ص٤٣١، وفي نسب قريش ص٤٣، وفي أنساب الأشراف ٢٠٦/١١ وفي التيجان ص٢٤٤، وفي الروايات اختلاف كما هو موضح بالهامش.

المعاني:

١- الخابر: الذي يخبر ويختبر، وقيل العالم المتثبت الذي اختبر حقيقة الشيء ومنه الخبير.

٢- اعتلج الناس بألبابهم: اضطربت عقولهم، وقيل تدافعوا وتصارعوا، وقوله: يقابل الجور: خبر لسنا في البيت السابق.

يقول: إذا غلبت الأهواء عند المخاصمة واصطرعت عقول أهل الجدال

---

(١) في البيان والتبيين: «إنا إذا مالت»، «أنصت» بدل «استمع» و«السامع» بدل «المنصت».

(٢) نلط بالطاء، و«الناس» بدل «القوم» ونقضي بحكم عادل فاصل.

(٣) في البيان والتبيين: «فنحمل الدهر مع الخامل»، «نكره» بدل «نخاف».

والمنازعة فلسنا بالذي يقبل جوراً من عدوه أو يجور على عدوه.

٥- نلظّ: أي لا يتشددون له، ولاط أو ألط: لزمه، ولطا الشيء: ستره أو كتمه.

٦- نسفه أحلامنا: السفه: الطيش وقلّة التؤدة والروية.

الخامل: الخفي الساقط الذي لا نباهة له، ويقال له: خامل الصوت والذكر.

القصيدة رقم - ١٠ - **(من البسيط)**

١- تَنْفِي السُّرى وجياد النبّل تتركه ... من بين مُنْقَصِفٍ كسراً ومفلولِ

تخريج البيت:

البيت في لسان العرب لابن منظور مادة «سرا».

المعاني:

السّري: نصال دقاق، ويقال قصار يرمى بها الهدف.

والسروة: تدعى الدرعية وذلك أنها تدخل في الدرع ونصالها منسلكة.

كالمخيط كما يقول الأسدي في لسان العرب «مادة سرا».

القصيدة رقم - ١١ - **(من المتقارب)**

١- سَئِمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الفِرا ... شِ مِنْ جُرْمِ قَوْمِي وَمِنْ مَغْرَمِ
٢- وَمِنْ سَفَهِ الرأْيِ بَعْدَ النُّهَى ... وَعَيْبِ الرَّشَادِ وَلَمْ يُفْهَمِ
٣- فَلَوْ أن قَوْمِي أطَاعُوا الحَلِيمَ ... لَمْ يَتَعَدَّوْا وَلَمْ يُظْلَمِ

٤- ولكــنَّ قَــوْمــي أطــاعُــوا الغُــوَا ةَ حتـــى تَعَكَّـــسَ أَهْـــلُ الـــدَّمِ[1]

٥- فَـــأَوْدَىُ السَّفِيـــهُ بِـــرَأْيِ الحَلِـ ـيـــمِ وانتشـــرَ الأمْـــرُ لـــمْ يُبْـــرَمِ

التخريج:

الأبيـات مـن ٣-٥ فـي معجـم الشعـراء للمـرزبـانـي ص٣٥٢ ونسبهـا لكنانة بن أبي الحقيق أي ابن الربيع، وفي الأغاني ٩/٢١ البيتان ١، ٢ وكذلك في البيان والتبيين للجاحظ، الأبيات من ١-٥ للربيع.

جو القصيدة:

مناسبة الأبيات هي أن بني النضير وبني قريظة من اليهود أعملوا السيف في رقاب إخوانهم بني قينقاع لانضمام هؤلاء عليهم إلى الخزرج، فقال الربيع هذه الأبيات يعتب على بني قريظة والنضير ويلومهم على ما فعلوا.

المعاني:

١- أن يحمل عن القوم ديّاتهم وغرمهم.

٢- تعكّس: تعكّس الرجل: مشى مشي الأفعى كأنه قد يبست عروقه، وربما مشى مشي السكران.

٣- سعية بن الغريض

قصيدة رقم - ١ - لسعية بن الغريض (من الرجز)

١- إذا رَأَيْــتَ مُعَمَّــراً فَتعلَّمَــنْ أنْ سَوْفَ تُدْرِكُهُ الخُطُوبُ فَيُبْتَلَى

---

(١) في معجم الشعراء يلفّظ بدل «تعكّس»، وفي البيان والتبيين «تعكّل» ومعناها: تحبسوا لينظر في أمورهم.

٢- للهِ دَرُّكَ مِـنْ سَبِيـلٍ رَاجِـعٍ ... سِيَّـانِ فيـه مَـنْ تَصَعْلَـكَ وامتَنـى
٣- إِبِـلٌ تَبَـوَّأُ فـي مَبَـارِكِ ذِلَّـةٍ ... إذ لا ذَلِيـلٌ ذلَّ مِـنْ وادِي القُـرَى
٤- مَنْ يَغْلِبوا يَهْلِكْ ومن لا يَغْلِبوا ... يَلْحَـقْ بـأَرْضِ ثَمُـودَ حتـى لا يُـرَى
٥- هل في السَّمَاءِ لِصَاعِدٍ من مُرْتَقَى ... أم هـل لحَتْـفٍ نـازِلٍ مـن مُتَّقَـى
٦- أَحَيـاؤُهـم خِـزْيٌ علـى أَمْـوَاتِهـم ... والمَيِّتُـونَ شِـرارُ مَـنْ تَحْـتَ الثَّـرَى

تخريج الأبيات:

القصيدة اثنا عشر بيتاً في كتاب الوحشيات تحقيق شاكر تعزى لغريض ولسعية وفي سمط اللآلىء ص٢٠٦، وفي الخزانة السلفية ٣/ ٣٥١ ونسب ابن عساكر ٥/ ٣٨٧.

المعاني:

امتنى: متن: رجل متين قوي صلب، والمتين: ذو القوة الشديد.

القصيدة رقم - ٣ - (من الوافر)

١- ألا إنّـي بَلِيـتُ وقـد بَقِيـتُ ... وإنـي[1] لـن أعـودَ كمـا غَنِيـتُ
٢- فـإن أَوْدَى الشَّبَـابُ فلـم أُضِعْـهُ ... ولـم أَتْكَـلْ[2] علـى أنّـي غُـذِيـتُ
٣- إذا مـا يهتـدى حِلْمِـي كَفَـانِـي ... وأسـألُ ذا البَيَـانِ إذا عَيِيـتُ
٤- ولا أَلْحَى على الحَدَثَانِ قَوْمِي ... علـى الحَـدَثَـانِ مـا تُبْنَـى البُيُـوتُ
٥- أُيَـاسِـرُ مَعْشَـرِي فـي كُـلِّ أمْـرٍ ... بـأَيْسَـرَ مـا رَأَيْـتُ ومَـا أُرِيْـتُ
٦- وداري فـي مَخَلِيهـم ونَصْـري ... إذا نَـزل الألَـدُّ المُستَميـتُ
٧- وَأَجْتَنِـبُ المَقَـاذِعَ حيـثُ كـانَـتْ ... وأتـرُكُ مـا هَـوِيـتُ لمـا خَشِيـتُ

---

(١) «وأنّي» بفتح الهمزة أصحّ من «وإني» بكسرها.

(٢) «أتكل» بفتح الهمزة وسكون التاء وأصلها «أتّكل» بتشديد التاء، فخففت بحذف إحدى التائين، وهذا التعريف سماعي.

التخريج:

الأبيات في الأصمعيات، الأصمعية رقم «٣٣» وفي معجم الشعراء ص١٤٣ وفي الوحشيات ٢، ٥، ٦، ٧ تنسب لسعية والأبيات ١، ٣، ٤ تنسب للأسفع بن الغدير.

المعاني:

١- يريد أنه صار شيخاً فانياً وأنه لن يعود إلى ما كان عليه من شباب.

٢- أودى: ذهب وولى.

٤- لا ألحى: لا ألوم، والحدثان: بفتح الحاء والدال: نوب الدهر وحوادثه.

٦- الألد: الخصم الجدل، الشحيح: الذي لا يرضخ إلى الحق.

٧- المقاذع: من القذع وهو الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره.

القصيدة رقم - ٣ - (من الكامل)

١- يا لَيْتَ شِعْري حِينَ أُنْدَبُ هالِكاً ... مـاذا تُـؤَبِّنُني بـه أنـواحـي[1]

٢- أيَقُلْـنَ لا تَبْعـدْ فكـلُّ كَـريهَـةٍ[2] ... فَــرَّجْتُهــا بِيسَــارةٍ وسَمَــاحِ

٣- وَمُغيـرةٍ شَعْـواءَ يُخْشَـى دَرْؤُهـا ... يَـوْمـاً رَدَدْتُ سِـلاحَهـا بِسِـلاحِـي

٤- وَلَـرُبَّ مُشْعَلَـة يُشَـبُّ وَقُـودُهـا ... أطْفَـأْتُ حَـدَّ رِمَـاحِهـا بِـرِمـاحِـي

٥- وَكَتِيبَــــةٍ أدْنَيْتُهَـــا لِكَتِيبَــــةٍ ... وَمُضـاغِـنٍ صَبَّحْـتُ شَـرَّ صَبَـاحِ

---

(١) في طبقات فحول الشعراء «بل» بدل «يا»، «يؤبنني» بدل «تؤبنني».

(٢) في طبقات فحول الشعراء «فربَّتَ كربة» بدل «فكل كريهة».

٦- وإذا عَمَـدْتُ لِصَخْـرَةٍ أَسْهَلْتُهَـا ... أدعُـو بِـأَفْلَـحَ مَـرَّةً وَرَبَـاحِ
٧- لا تَبْعَـدَنَّ فَكُـلُّ حَـيٍّ هَـالِـكٌ ... لا بُـدَّ مِـنْ تَلَـفٍ فَبِـنْ بِفَـلاحِ
٨- إن امْرَأً أَمِـنَ الحَـوادِثَ جَاهِـلاً ... وَرَجـا الخُلُـودَ كضَـارِبٍ بِقِـدَاحِ
٩- وَلَقَدْ أَخَذْتُ الحَقَّ غَيْرَ مُخاصِمٍ ... ولقـد دَفَعْـتُ الضَّيْـمَ غَيْـرَ مُـلاَحِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في طبقات فحول الشعراء للجمحي ج١ ص٢٨٦، وفي البصائر والذخائر ص٥٧٤.

والأغاني ٣/١٢٩-١٣١، وقد نسبها عيسى سابا في كتابه شعر السموأل ص٣٠ للسموأل.

المعاني:

١- تؤبنني. من التأبين: وهو ذكر آثار الميت وصنائعه.

أنواحي: جمع نوح: النساء يجتمعن للحزن فيندبن الميت وينحن عليه.

٢- لا تبعد: كلمة تدور في لسان العرب حين يندبون ميتهم وربما أخذها سعية عنهم ومعناها لأخطأك الخبر فتهلك.

واليسارة واليسار: الغنى وسهولة البذل.

والسماح: السخاء والجود والبشاشة.

٣- مغيرة: يعني خيلاً مغيرة من عدوهم، شعواء: فاشية متفرقة تأتي من هنا وهناك، درء السيل: دفعه وانصبابه يعني شدة هجمتها على من تهجم عليه.

٥- وكتيبة أدنيتها: يعني طاعة أصحابه له، لم يتفرقوا عنه إذا حمي الوغى وتلجلج الأبطال، مضاغن: منطوي على الأحقاد الدفينة، صبحت: صبح القوم: أتاهم مع الصبح منزلاً بهم الشر قبل أن يستعدوا له.

٦- بأفلح: أجرى اسم الفعل مجرى الاسم، والمعنى انتصر أو أن (أفلح ورباح من أسماء العبيد) ففي حديث مسلم عن سمرة بن جندب قال: «نهانا رسول الله ﷺ أن نسمي رقيقنا بأربعة أسماء: أفلح ورباح، ويسار ونافع»، ويقول الشاعر ليعلى بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

كأن على مفارق رأس يعلى ... خنافس مونت زمن البطاح
على اسم الله ثم لدى غلاماً ... فتسميه بأفلح أو رباح

٧- فبن: ابتعد.

٨- القداح: سهام الميسر.

٩- ملاح: ملام، والضيم: الذل والهوان.

القصيدة رقم - ٤ - (من البسيط)

١- إذا انْتَحَيْتُ لأقْوَامٍ تَرَكْتُهُمُ ... مِثْلَ الجَرَادِ تَنَزَّى مِنْ أَذَى الرَّمَضِ
٢- أرْمِيهِمُ بالأذَىَ حتّى تَخَالَهُمُ ... مَرْضَى سُلَالٍ وما بالقَوْمِ مِنْ مَرَضِ
٣- تَرَكْتُهُمْ إذْ أبَوْا إلاّ مُسَابَقَتِي ... على مماطَلَةٍ من مُؤْلِم المَضَضِ
٤-أرمي المَذَاكي لما أرعى على جَذَعٍ ... ولا ثَنِيٌّ كما يُرْمَى مَدَى الغَرَضِ

التخريج:

الوحشيات على الحماسة الصغرى تحقيق شاكر ص١١١.

المعاني:

١- تنزى: النزاء: الوثب، ونزى الحصان من شدة الحر: أي قفز، ونزى دمه: أي جرى ولم ينقطع، ومنه الوثوب، وثوب الذكر على الأنثى.

٣- مضض: وجع المصيبة، ومضني الجرح وأمضني: آلمني، ومض الكحل العين أمضها: أي آلمها وأحرقها.

٤- المذاكي الموضع التي توضع عليه آلة الذبح.

الجذع: الصغير السن، إذا طلع قرن العجل فهو «عضب» ثم بعد ذلك «جذع» وبعده «ثني» وبعده «رباع»، والجذع: ما كان له سنتان.

والمعنى: أن يرمي الجميع دون اهتمام بصغير ولا كبير.

القصيدة رقم - ٥ - (من الرجز)

١- لُبَابُ هَلْ عِنْدَكِ مِنْ نائِلِ	لعاشِقٍ ذي حَاجَةٍ سائِلِ
٢- عَلَّلْتِهِ منكِ بمَا لَمْ يَنَلْ	وربما عللت بالباطِلِ
٣- لُبَابُ يا أُخْتَ بَنِي مَالِكِ	لا تشتري[1] العَاجِلَ بالآجِلِ
٤- لُبَابُ داوِينِي ولا تَفْتِكِي	قد فُضِّلَ الشَّافِي على القَاتِلِ
٥- إن تَسْأَلِي بي فاسألي خابِراً	والعِلْمُ قد يُلْفَى لدى السائِلِ
٦- يُنْبِيكِ مَنْ كان بِنَا عالِماً	عنّا، وما العالِمُ كالجَاهِلِ
٧- إنّا إذا جارَتْ دَواعِي الهَوَى	وَأَنْصَتَ السَّامِعُ للقَائِلِ
٨- واعْتَلَجَ القَوْمُ بألْبَابِهِمْ	في المَنْطِقِ الفَاصِلِ والنَّائِلِ
٩- لا نَجْعَلُ البَاطِلَ حَقّاً ولا	نَلَظُّ دونَ الحَقِّ بِالبَاطِلِ

(١) الصحيح «لا تشترِ» مجزوم بحذف حرف العلة.

١٠- نخـــافُ أن تَسْفَــهَ أحــلامُنــا فَنَخْمُــلَ الــدَّهْــرَ مــعَ الخَــامِــلِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في الأغاني ج١٩ ص١٠٠ وما بعدها، والبيتان ٩، ١٠ من القصيدة وهي مكونة من عشرة أبيات - في طبقات فحول الشعراء ينسبان للربيع بن أبي الحقيق.

المعاني:

١- هل من نائل: أي ما يمكن أن ينال منها من عطف ورضا بدل الصد والهجران، فالنائل والنيل بمعنى واحد.

٢- عللته: وعدته وأخلفت.

٤- فضّل الشافي على القاتل: أي أنها إذا وفت بوعدها شفته وإلا قتلته.

٨- اعتلج القوم بألبابهم: تخبّطت عقولهم واضطربت.

٩- نلظّ: أي لا يتشدّدون له، ونلط مثل «نلظ».

١٠- تسفه الأحلام: خفة التؤدة وطيش الروية.

ويقول صاحب الأغاني ج١٩ ص١٠٠: «لقد قيل إنّ معاوية كان يتمثل بهذا الشعر إذا اجتمع الناس حوله لفضّ مالهم من خصومات وظلامات، وكان عبد الملك بن مروان يقيم وصيفاً على رأسه ينشد الأبيات من ٧-١٠ من هذه القصيدة، والقصيدة جمعت بين الهوى والنهى تمثّل بها الحكام عند القضاء».

القصيدة رقم - ٦ - (من البسيط)

١- يا دارَ سُعْدَى بِمُفْضَى تَلْعَةِ النَّعَمِ حُيِّيتِ داراً على الإقْوَاءِ والقِدَمِ
٢- عُجْنا فما كَلَّمَتْنَا الدَّارُ إذْ سُئِلَتْ وما بها من جَوَابٍ خِلْتَ من صَمَمِ
٣- ما يُجْزِعَنَّكَ إلاَّ الوَحْشُ سَاكِنَةً وهامِدٌ[1] مِنْ رَمَادِ القِدْرِ والحِمَمِ

التخريج:

الأغاني ج١٩ ص١٠٠ وما بعدها. ط دار الكتب.

المعاني:

١- المنضى: المنشف.

٢- التلعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط ضده سيل الماء، وهذا هو المراد هنا، يعني أن دار محبوبته أصبحت كالأرض جافة قاحلة وكانت عامرة بفيض النعم.

التلعة: هي عبرياً «تعلة» بتقديم العين من «علا يعلو» بمعنى تدفق الماء إلى العلو ولهذا هي عرفت في العبرية بما ارتفع من الأرض (الشعراء اليهود العرب/ لمراد فرج ص٥٢ وما بعدها).

والتلع: طول العنق.

٣- الوهاق: وجوم القلب وضيق الصدر، والقدر: واحدة القدور الحمم: فك إدغامه لضرورة الوزن مرادفاً للنار قبله.

القصيدة رقم - ٧ - (من الوافر)

١- أرى الخُـلاّنَ لمَّـا قَـلَّ مـالـي وَأَجْحَفَـتِ النَّـوائِـبُ وَدَّعُـونِـي

(١) ربما تكون «وهامد» بدل «وهاق».

٢- فَلَمّـا أن غَنَيْـتُ وعـادَ مـالـي   أراهـم لا أبـالَـك راجعـونـي
٣- فلمّـا مَـرّ مـالـي بـاعـدونـي   ولمّـا عـاد مـالـي عـاودونـي

تخريج الأبيات:

الأبيات في الأغاني ج١٩ ص١٠٠ وما بعدها. ط دار الكتب.

جو الأبيات:

كان سعية بن الغريض ينادم قوماً من الأوس والخزرج، ويأتونه ويقيمون عنده، ويزورونه في أوقات قد ألف زيارتهم فيها، وأغار عليه بعض ملوك اليمن، فانتسف من ماله حتى افتقر، ولم يبق له مال، فانقطع عنه إخوانه وجفوه، فلما أخصب وعادت حاله، وتراجعت، راجعوه، فقال الأبيات السابقة.

٤- كعب بن الأشرف النضري

قصيدة رقم - ١ - لكعب بن الأشرف (من الرجز)

١- طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أهْلِهِ   وَلِمِثْـلِ بَـدْرٍ تَسْتَهِـلُّ وَتَـدْمَـعُ
٢- قُتِلَتْ سَرَاةُ النّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ   لا تَبْعَـدُوا إنّ المُلَـوكَ تُصَـرَّعُ
٣- كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهِ من ابيضَ ماجِدٍ   ذِي بَهْجَـةٍ يـأوِي إلَيْـهِ الضُّيَّـعُ
٤- طَلْقُ اليَدَيْنِ إذا الكَواكِبُ أخْلَفَتْ   حمَّـالُ أثْقَـالٍ يَسُـودُ وَيَـرْبَـعُ
٥- ويقـولُ أقْـوَامٌ أُسَـرُّ بِسُخْطِهِـمْ   إنّ ابـنَ الاشـرفِ ظَـلّ كَعْباً يَجْزَعُ
٦- صَدَقوا فَلَيْتَ الأرْضَ سَاعَةَ قُتِّلُوا   ظَلَّـتْ تَسُـوخُ بِـأهْلِهـا وتَصَـدَّعُ
٧- صارَ الذي أثرَ الحَديثَ بِطَعْنَةٍ   أو عـاشَ أعْمـى مُـرْعَشـاً لا يَسْمَـعُ
٨- نُبِّئْـتُ أنَّ بَنِـي المُغيـرةِ كُلَّهُـمْ   خَشَعُوا لِقتل أبي الحَكِيمِ وَجُدِّعُوا
٩- وابنـا ربيعـةَ عِنْـدَهُ ومُنَبِّـهٌ   مـا نَـالَ مِثْـلَ المُهْلَكيـن وَتُبَّـعُ

١٠- نُبِّئْتُ أنَّ الحارِثَ بنَ هِشامِهِمْ　　في النَّاس يَبْني الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ
١١- لِيَزُورَ يَثْرِبَ بالجُمُوعِ وإنَّما　　يَحْمَى على الحَسَبِ الكريمِ الأرْوَعُ

تخريج الأبيات:

سيرة ابن هشام ج٣ ص٥٤ تحقيق شلبي والأبياري والسقا.

المعاني:

١- رحى الحرب: معظمها ومجتمع القتال، وتستهل: تسيل بالدمع.

٢- سراة القوم: علية القوم.

٣- الضيّع: جمع ضائع وهو الفقير.

٤- يربع: يأخذ ربع الغنيمة، وهذه عادة الرؤساء في الجاهلية.

طلق اليدين: كثير المعروف، أخلفت: أي لم يكن معها مطر على ما كانت عليه العرب تنسب إلى هذه الكواكب.

٥- يجزع: الجزع نقيض الصبر على الشدائد.

٦- تصدع: الشق في الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما. وتصدّعت الأرض بالنبات: تشققت، وتصدع السحاب: تفرّق.

٨- التجديع: قطع الأنف، وأراد به هنا ذهاب عزّهم.

٩- تبّع: ملك من ملوك اليمن.

١١- الأروع: الذي يروعك بحسنه وجماله.

جو القصيدة:

وقد قال كعب هذه القصيدة يبكي فيها أصحاب القليب، وقتلى بدر.

القصيدة رقم - ٢ - **(من الرمل)**

١- رُبَّ خَـالٍ لـي لـو أبْصَـرْتَـهُ ... سَبِـطَ المِشْيَـةِ أَبَّـاءٌ أَنِـفْ

٢- لَيِّـنَ الجَـانِـبِ فـي أقْـرَبِـهِ ... وعلـى الأعْـداءِ سُـمٌّ كـالـذُّعُـفْ

٣- وكِـرَامٌ لـم يَشِنْهُـمْ حَسَـبٌ ... أهـلُ عِـزٍّ وحِفَـاظٍ وَشَـرَفْ

٤- يَبْـذُلُـونَ المـالَ فيمـا نَـابَهُـم ... لِحُقـوقٍ تَعْتَـرِيهِـمْ وعُـرُف

٥- ولُيُـوثٌ حيـنَ يَشْتَـدُّ الـوَغَـى ... غيـرُ أنكـاسٍ ولا مِيـلٍ كُشُـفْ

٦- فَهُـمُ أهْـلُ سَمَـاحٍ وَقِـرَى ... وحِفَـاظٍ لـمْ يُعـابُـوا بِصَلَـفْ

٧- سَكَنُـوا مـن يَثْـرِبٍ كـلَّ رُبَـى ... وسُهـولٍ حيـثُ حلُّـوا فـي أَنَـفْ

٨- وَهُـمُ أهـلُ مشـاريـبَ بِهـا ... ونَخيـلٍ وحُصُـونٍ وَغُـرَفْ

٩- ولَنَـا بِئْـرٌ رَوَاءٌ جَمَّـةٌ ... مَـنْ يَـرِدْهـا بـإنـاءٍ يَغْتَـرِفْ[(١)]

١٠- وَنَخيـلٌ فـي تِـلاَعٍ جَمَّـةٍ ... تُخْـرِجُ التَّمْـرَ كـأمْثـالِ الأكُـفْ[(٢)]

١١- وصَـريـرٍ فـي محـالٍ خِلْتَـهُ ... آخِـرَ اللَّيْـلِ أهـازيـجَ بِـدُفّْ[(٣)]

١٢- تُـدْلِـجُ الجُـونُ علـى أكْنَـافِهـا ... بـدِلاَءٍ ذاتِ أركـانٍ صُـدُفْ[(٤)]

١٣- كُـلُّ حـاجَـاتـيَ قـد قَضَّيْتُهـا ... غيـرَ حـاجـاتـيَ فـي بَطْـنِ الجُـرُف

---

(١) في معجم الشعراء «ولنا بئر رواء عذبة»، وفي معجم البلدان مادة «جرف» بعد هذا البيت بيتان من تمام معناه:

تـدلـج الجـون علـى أكنـافهـا ... بـدلاء ذات أمـراس صـدف

كـل حـاجـاتـي قـد قضيتهـا ... غير حاجاتي على بطن الجرف

(٢) في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري «الطلع» بدل «التمر».

(٣) في معجم الشعراء وطبقات فحول الشعراء «أهازيج» بدل «مهازيج».

(٤) في معجم البلدان مادة «جرف» (تدلج) بدل «تلج»، «أمراس» بدل «أركان».

تخريج الأبيات:

الأبيات ثلاثة عشر بيتاً في سيرة ابن هشام ج٣ ص٥٤ تحقيق عبد السلام هرون وآخرون، وفي الروض الأنف للسهيلي ج٢ ص١٢٥ والأبيات ١، ٢، ٩، ١٠، ١١ في طبقات فحول الشعراء للجمحي ج١ ص٢٨٣، والأبيات ١، ٢، ٩، ١٠ في معجم الشعراء للمرزباني ص٣٤٣، وفي الأغاني ج١٩ ص١٠٥، ١٠٦.

المعاني:

١- سبط المشية حسن المشية، أبّاء أنف: عفيف نزيه النفس لا يقبل الضيم ولا يرضى بالدنيئة.

٢- الذعف: الذعاف: سم ساعته.

٩- بئر رواء: أي كثيرة الإرواء بالغاً ماؤها فاها يغترف منها من شاء أن يغترف.

١٠- تلاع: جمع تلع بمعنى ما يكون في ملكه يتصرف فيه متى شاء وكيف شاء، جمة: الكثيرة في كل شيء.

١١- الصرير: الصوت الشديد، والخلّة من الخل وهو ما حمض من عصير العنب وغيره، أهازيج: جمع هزج وهو وزن من الشعر فهو يسري عن نفسه بالغناء ليلاً بعد تعب النهار.

١٢- تلج: تمشي مثقلة بحملها، والجون: الإبل السوداء.

جو القصيدة:

كان كعب بن الأشرف يتغنى بهذه القصيدة ليلة مقتله ويفتخر بها في

حضور محمد بن مسلمة والرهط الذين معه ليلة تآمرهم عليه وقتله.

القصيدة رقم - ٣ - (من البسيط)

١- أَراحِـلٌ أنْـتَ لـم تحلُـلْ بِمَنْقبَـةٍ ... وتـارِكٌ أنْـتَ أُمَّ الفَضْـلِ[1] بـالحَـرَمِ

٢- صَفْراءَ رادِعةٍ لو تُعْصَرُ اعتَصَرَتْ ... مـن ذي القَـوارِيرِ والحِنَّـاءِ والكَتَـمِ

٣- يَرْتَـجُّ مـا بَيْـنَ كَعْبَيْهـا وَمِرْفَقِهـا ... إذا تـأَنَّـتْ قِيـامَـاً ثـمَّ لَـمْ تَقُـمِ

٤- أشْبـاهُ أمِّ حَكيـمٍ إذ تُـواصِلُنـا ... والحَبْـلُ منهـا مَتِيـنٌ غَيْـرُ مُنْجَـذِمِ

٥- إحْدَى بني عَامِرٍ جُنَّ الفُؤَادُ بِها ... ولـو تَشـاءُ شَفَـتْ كَعْبـاً مـن السَّقَـمِ

٦- فَرْعُ النّساءِ وَفَرْعُ القَوْمِ والِدُها ... أهـلُ التَّحِلَّـةِ والإيفَـاءِ بـالـذِّمَـمِ

٧- لم أرَ شَمْساً بِلَيْلٍ قَبْلَها طَلَعَتْ ... حتـى تَجَلَّـتْ لنـا فـي لَيْلَـةِ الظُّلَـمِ

التخريج:

الأبيات في تاريخ الطبري ج٢ ص١٧٨ ط الاستقامة.

المعاني:

١- منقبة: الطريق الضيق بين الدارين والنقاب عند العرب هو ما يظهر منه محجر العين والمرأة حسنة النقبة.

٢- رادعة: الردع: اللطخ بالزعفران، وردع لها ردعة: أي وجم لها حتى تغيّر لونه إلى الصفرة، والردع: أثر الجلو والطيب في الجسد وفيه أثر لطيب وزعفران، القوارير الطيور الخضر، والقارية طير أخضر، والحنّاء: حنأ الأرض تحنأ: اخضرّت والتف نبتها، والكتم: دهن من دهان العرب أحمر يجعل فيه زعفران، وقيل هو نبات يخلط مع الوسمة ويصبغ به الشعر الأسود.

---

(١) أم الفضل: هي زوج العباس بن عبد المطلب، عم الرسول ﷺ.

٣- يربّح: الربح: النماء في البحر، والربح: الشحم، وهذا شيء مربح: أي فيه ربح.

٦- التحلّة: القوم المقيمون المتجاورون، ويريد بهم سكان الحرم وناساً أحلّة أي كرام.

٥- قيس بن رفاعة

القصيدة رقم - ١ - (من الوافر)

١- إذا ذُكِرَت أُمَامَةُ فَرْطَ حَوْلٍ ... ولو بَعُدَت مَحلّتُها غَرِيتُ

٢- أُكَلّفُها وَلَوْ بَعُدَت نَوَاها ... كأنّي من تَذَكُّرِها حَميتُ

٣- طَلِيحٌ لا يَؤُوبُ إلَيَّ جِسْمِي ... كَأنّي سَمَّ عاضِهَةٍ سُقِيتُ

٤- وذي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وَكُنْتُ على مَسَاءَتِهِ مُقِيتُ[1]

٥- وَسَيْفي صَارِمٌ لا عَيْبَ فيه ... وَيَمْنَعُني مِنَ الرَّهَقِ النَّبِيتُ

٦- متى ما يَأْتِ يَوْمي لا تَجِدْني ... بِمالِي حينَ أتْرُكُهُ شَقِيتُ

٧- أَلِينُ لَهُمْ وأفْدِيهِم بِنَفْسي ... مقارَشَةَ الرِّماحِ إذا لَقِيتُ

٨- وَأرْهَنُ في الحَوَادِثِ كَفَّ بِكْرِي ... لِجارِي في العَظيمَةِ إن دُهِيتُ

٩- أراهُ - ما أقامَ - عَلَيَّ حقّاً ... شَرِيكي في بِلادِي ما بَقِيتُ

تخريج الأبيات:

طبقات فحول الشعراء للجمحي ج١ ص٢٨٨، ٢٨٩، وفي حماسة ابن الشجري ج١ ص٩١ الأبيات ٤، ٥، ٦ وكذلك في الأشباه والنظائر

---

(١) في الإتقان لعلوم القرآن للسيوطي ج١ ص٧ ط الأولى ١٩٦٧ ينسب هذا البيت لأحيحة الأنصاري ويستشهد به على تفسير كلمة «مقيتاً» في قوله تعالى: في سورة النساء آية ٨٥ أي مقتدراً. وهذا ما كان يرويه ابن عباس في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم، والذي يقول فيه «الشعر ديوان العرب».

١/ ٣١.

المعاني:

١- الفرط: الحين، والعرب تقول: أتيته فرط شهر، أي بعد شهر وانقضائه ولقيه في الفرط أي الحين بعد الحين، عريت: عرى أي استوحش وغريت: غرى بالشيء أي أولع به أي أنه يحنّ إليها ويشتاق محلتها: دارها.

٢- أكلفها: كلف بالشيء أي لهج به قلبه، واشتد إليها حبّه، نواها: بيتها.

الحميت: الزق المملوء شوقاً إليها، وحميت: سخنت وعرقت من عرواء الوجد.

٣- طليح: هزيل من طلح يطلح: أعيا، يؤوب: يرجع، أي ترجع إليه صحته فهو نحيل سقيم.

٤- مقيت: مقتدر، وهو خبر حذف ناصبه لضرورة القافية، والضغن: الحقد.

٥- الرهق: السفه والحمق وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم.

النبيت: هم قبيلة الأوس من الأنصار.

٦- إذا جاء عليه يوم ليس فيه على ما تعهده من الغنى واليسر فهو لا يشقى ولا يحزن لخلوّه من المال، أو يوم يأتي نحبه يقول: يموت غير شقيّ بماله فقد أهلكته في المروءة والسخاء والبذل.

٧- مقارشة الرماح: تداخلها في الحرب، ووقوع بعضها على بعض،

ألين لهم: الضمير يعود على قومه: أي أوطىء لهم كنفي فيجدون عندي البذل والمعونة والتعطف عليهم، في السلم أبذل مالي لهم، وفي الحرب أقيهم بنفسي.

٨- العظيمة: المصيبة، جمعها عظائم والبكر: أول ولد الرجل وأكبرهم، والجار: من استجار به وأقام في جواره، يقول: إذا أصابت جاري نائبة لم يمنعني حب الولد أن أدفعه إلى أعداء جاري رهينة عندهم حتى أكشف غمّة جاري.

٩- يرى أن جاره شريكه في أرضه ما بقي.

القصيدة رقم - ٢- (من الوافر)

١- وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ	وإنّي في مَسَاءَتِهِ مُقِيتُ
٢- يَبِيتُ اللّيلَ مُرْتَفِعاً ثَقيلاً	على فُرُشِ الفَتَاةِ ولا أَبِيتُ
٣- وَسَيْفِي صَارِمٌ لا عَيْبَ فيه	ويَمْنَعُنِي من الرَّهَقِ النَّبِيتُ
٤- بأُسْدٍ لا تُنَهْنَهُ عن هَوَاها	بها مِنْ دُونِ أَشْبُلِها نُهِيتُ
٥- متى ما يَأْتِ يَوْمي لا تَجِدْني	بمالي حينَ أتركُهُ شَقِيتُ
٦- وفِتْيَانٍ أطالوا اللَّهْوَ عِنْدِي	فَآبُوا حَامِدِينَ وما خَزِيتُ
٧- وخَيْلٍ بَعْضُها حَرْبٌ لِبَعْضٍ	بِحَدِّ ظُبَاتِها أُصُلاً صُلِيتُ

التخريج:

الأبيات في الحماسة الشجرية ١/٩١، والأبيات ١، ٣، ٥ في طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٨٨، وفي الأشباه والنظائر ١/٣١.

المعاني:

١- مقيت: مقتدر، من قولهم: أقات على الشيء: اقتدر عليه

وأطاقه.

٣- الرهق: الخفة إلى الشر، وفلان فيه رهق أي هو سريع إلى الشر، سريع إلى الحدة، النبيت: قبيلة الأوس.

٥- متى ما يأت يومي: يعني يوم يقضي نحبه، فهو يموت غير شقي بحاله فقد أنفقه في المروءة والسخاء والبذل.

القصيدة رقم - ٣ - (من البسيط)

١- مَنْ يَصْلَ ناري بلا ذَنْبٍ ولا تِرَةٍ يَصْلى[1] بنارِ كَريمٍ غيْرِ غدَّارِ
٢- أنا النَّذيرُ لكُمْ منِّي مُجاهَرَةً كَيْ لا أُلَامَ على نَهيي وإنْذاري
٣- فإنْ عَصَيْتُمْ مَقَالِي اليَوْمَ فاعْتَرِفُوا أنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ خِزْياً ظَاهِرَ العارِ
٤- لَتَرْجِعُنَّ أحاديثاً مُلَعَّنَةً[2] لَهْوَ المُقيمِ وَلَهْوَ المُدْلِجِ السَّارِي
٥- من كان في نَفْسِه حَوْجاءُ يَطْلُبُهَا عِنْدي فإني لهُ رَهْنٌ بِإِصْحَارِ
٦- أُقيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوَجٍ كما يُقَوِّمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ البارِي
٧- وصَاحِبُ الوِتْرِليسَ الدَّهْرَ يُدْرِكُهُ عِنْدي، وإني لَدَرّاكٌ بِأَوْتَارِي

التخريج:

الأبيات في لسان العرب لابن منظور مادة «حوج» وفي معجم الشعراء ص٣٢٢، وفي الأمالي لأبي علي القالي ١/١١-١٢.

المعاني:

٤- الأحاديث: الأعاجيب، كأنه يتحدث بها ويتعجب، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۝١٩﴾ [سبأ].

---

(١) الصحيح (يصل) جواب الشرط مجزوم، وجاءت هنا هكذا للضرورة الشعرية.
(٢) في معجم الشعراء «وملعبة» بدل «ملعنة».

٥- إصحار: بروز إلى الصحراء، فلا أستتر عنه، ولا أمتنع في الأماكن الحصينة يقال: أصحر القوم: أي برزوا إلى الصحراء.

٧- أي من كان له عندي ثأر لا يستطيع إدراكه (الأخذ بثأره مني) أما أنا فأستطيع أن أثأر لنفسي ممن شئت.

القصيدة رقم - ٤ - (من الطويل)

١- وَأُنبِئْتُ أخوالي أَرَادُوا نَقِيصَتِي ... بِشَعْواءَ فيها ثامِلُ السُّمِّ مُنْقَعا
٢- سَأَرْكَبُها فيكمْ وأُدْعَى مُفَرِّقا ... وإن شئتُ من بعد كنتُ مُجَمِّعا
٣- وإنّا وإيّاكُمْ عَبيدُ بنِ أَرْقَم ... كما الأَنْفُ والأُذْنَانِ في الرَّأس أجْمَعا
٤- فإنْ يُصْلَمِ العِرْنِينُ يَقْبُحْ مكانُهُ ... وإنْ تُقْطَعِ الأُذْنانِ أُدْعَ مُجَدَّعا

تخريج الأبيات:

البيتان ١، ٢ في معجم الشعراء ص٣٢١، والبيتان ٣، ٤ في كتاب الوحشيات تحقيق شاكر ص

المعاني:

١- شعواء: غارة شعواء: فاشية منتشرة.

٤- يصلم: صلم الشيء: قطعه من أصله، وقيل: الصلم: قطع الأنف مع الأذنين من أصلهما.

ورجل أصلم: أي مقطوع الأذنين.

٦- درهم بن زيد

القصيدة رقم - ١ - لدرهم بن زيد (من المتقارب)

١- هَجَرْتَ الرَّبابَ وجاراتِها ... وَهَمُّكَ بالشَّوْقِ قدْ يُطْرَحُ

٢- يَمَانِيَةٌ نَازِحٌ دارُهَا ... تُقيمُ بِغُمْدَانَ لا تَبْرَحُ

٣- لَعَمْرُ أَبِيكَ الَّذِي لا أُهين ... إنِّي لأُعْطِي وأَسْتَفْلِحُ

٤- وَأُدْلِجُ بِالقَوْمِ شَطْرَ المُلُو ... كِ حتى إذا خَفَقَ المِجْدَحُ[1]

٥- أمَرْتُ صِحَابي لكي يَنْزِلُوا ... فَنَامُوا قليلاً وقَدْ أصْبَحُوا

٦- أجَدّوا سِرَاعاً فَأَفْضَى بِهِمْ ... سَرَابٌ بِدَوِيَّةٍ أَفْيَحُ

التخريج:

الأبيات في طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٩٤، وفي لسان العرب مادة «جدح» الأبيات ٤، ٥، والبيتان ٥، ١ في الأزمنة للمرزوقي ١/١٧٩ وفي الأنواء ص٣٧ وفي المخصص لابن سيده ٩/١١.

المعاني:

١- الرباب: البيضاء، صفة لحبيبته، وإن المشتاق قد يملك نفسه وينصرف بشوقه عمن يحب يقول: تشتاق إلى بعيد الدار وذكر مكانها البعيد في البيت التالي له.

٢- يمانية: محبوبته ذات مكانة وقدر، نازح: بعيد وتقيم بغمدان فهي عزيزة منيعة. وغمدان: قصر أو حصن بصنعاء لسيف بن ذي يزن من أشهر قصور بلاد اليمن القديمة.

٣- معطاء: سخي كريم، يستفلح: يكسب الفوز والنجاة والبقاء في الخير والنعيم، لا أهين: لا آتي ما فيه مهانة وتحقير.

٤- أدلج: سار أول الليل، خفق: غاب، المجدح: هو نجم أو منزل للقمر أو نجم صغير بين الدبران والثريا.

---

(١) في لسان العرب «أطعن» بدل «أدلج».

٦- أفيح: أي منتشر مالىء الأرض، والمعنى أنه رجل جدّ وإقدام، الدويّة والدو: المفازة، الواسعة المستوية البعيدة الأطراف يسمع فيها المسافر دوي الأصوات والأصداء.

القصيدة رقم - ٢ - (من المنسرح)

١- يا قومِ لا تَقْتُلُوا سُميراً م فإنَّ القَتْلَ فيه البَوَارُ والأَسَفُ
٢- إنْ تَقْتُلُوهُ تَرِنَّ نِسْوَتُكُمْ عَلَى كَرِيمٍ وَيفْزَعُ السَّلَفُ
٣- إنّي لَعَمْرُ الذي يَحُجُّ له النا سُ ومَنْ دونَ بيتِهِ سَرِفُ
٤- يَمينَ بَرٍّ باللهِ مُجْتهِدٍ يَحْلِفُ إنْ كانَ يَنْفَعُ الحَلِفُ
٥- لا نَرْفَعُ العَبْدَ فوقَ سُنَّتِهِ ما دام مِنَّا ببطنِها شَرَفُ
٦- إنَّكَ لاقٍ غداً غُوَاةَ بَني عَمِّيَ فانْظُرْ ما أنت مُزْدَهِفُ
٧- يَمْشُونَ في البَيْضِ والدُّرُوعِ كما تَمْشِي جِمَالٌ مَصَاعِبٌ قُطُفُ
٨- فَأَبْدِ سِيمَاكَ يَعْرِفوكَ كما يُبْدُونَ سِيمَاهُمُ فَتَعْتَرِفُ
٩- كَأنَّها في الأكُفِّ إذا لَمَعَتْ وَمِيضُ بَرْقٍ يَبْدُو ويَنْكَسِفُ

تخريج الأبيات:

الأغاني ٣/ ٢١، وديوان حسان تحقيق المرزوقي ص٢٨٠، وفي البيان والتبيين ج٣ ص١٠١.

المعاني:

٢- ترن: الرنّة: الصيحة الحزينة، والرنين: الصياح عند البكاء ورنّت ترنّ رنيناً: أي صاحت، والرنين: الصوت الشجيّ.

٦- مزدهف: ازدهاف: كذب وتزيّد، والازدهاف: الشدة والأذى والتقحم في الشر، وازدهفه: استعجله، وازدهفه: ذهب به وأهلكه.

٧- المصاعب: جمع صعب وهو الفحل الذي يودع من الركوب والعمل، والقطف: جمع مقطوف وهو الذي يقارب الخطو في سرعة.

٨- أبد سيماك. أي أظهره. وكان مالك بن العجلان إذا شهد الحرب يغيّر لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد.

جو القصيدة:

عندما قتل سمير بن زيد أخو درهم بن زيد «بجيرا» وهو عبد لمالك بن العجلان زعيم الخزرج آنذاك، وأصرّ مالك على قتل سمير ورفض أخذ ديّة العبد.

القصيدة رقم - ٣ - **(من المنسرح)**

١- يا مالِ[1] لا تَبْغِيَنْ ظُلاَمَتَنا	يا مالِ إنّا مَعَاشِرٌ أُنُفُ
٢- يا مالِ والحَقُّ إنْ قَنِعْتَ بِهِ	فِيهِ وفِينَا لأَمْرِنَا نَصَفُ
٣- إن بُجَيْراً عَبْدٌ فَخُذْ ثَمَناً	فالحقُّ يُوفَى بِهِ وَيُعْتَرَفُ
٤- ثم اعْلَمَنْ إن أردْتَ ضَيْمَ بَنِي	زَيْدٍ فَإنِّي ومَنْ له الحَلِفُ
٥- لأَصْبَحَنْ داركم بِذِي لَجَبٍ	جَوْنٍ لهُ مِنْ أمَامِهِ عَزَفُ
٦- البَيْضُ حِصْنٌ لَهُمْ إذا فَزِعُوا	وسابِغاتٌ كأنَّها النُّطَفُ
٧- والبِيضُ قَدْ ثُلِّمَتْ مَضَارِبُها	بِها نُفُوسُ الكُمَاةِ تُخْتَطَفُ

التخريج:

الأغاني ج٣ ص٢١. ط دار الكتب.

---

(١) مال: هو مالك بن العجلان زعيم الخزرج في الجاهلية وصدر الإسلام وهنا جاء الاسم مرخماً.

المعاني:

٥- الجون: الأسود، ويطلق على النبات الذي يضرب إلى السواد لشدة خضرته.

٦- النطف: اللؤلؤة الصافية، وقطرة الماء، كلاهما توصف بهما الدروع لصفائها.

القصيدة رقم - ٤ - (من المنسرح)

١- وإنَّ مـــا بَيْنَنَـــا وَبَيْنَكُـــمُ حِيـنَ يُقـالُ الأَرْحُـامُ والصُّحُـفُ

تخريج البيت:

هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت تحقيق المرزوقي ص٢٨٠.

المعنى:

هذا البيت يوضح موضع تسجيل الأحلاف، ويذكر الخزرج وما بينهم من عهود مكتوبة، وهو من أوضح الشعر الجاهلي الذي يذكر الأحلاف وتسجيلها.

القصيدة رقم - ٥ - (من الطويل)

١- مَنَعْنا على رَغْمِ ابنِ عَجْلاَنَ ضَيْمَنَا بِمُـرْهَفَـةٍ كـالمِلْـحِ مُحْـدَثَـةِ الصَّقْـلِ
٢- ضَرَبْناهُمُ حتى اسْتَبَاحَتْ سُيُوفُنَا حِمَـاهُـمْ فَـوَلَّـوْا هَـارِبِيـنَ مِـنَ القَتْـلِ
٣- وَرَدَّ سَراة الأوسِ ما قالَ مالكٌ بِضَـرْبٍ كـأفـواهِ المُعَبَّـدةِ الهُـدْلِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في الحماسة الشجرية ١/ ١٥١.

المعاني:

الهدل: جمع هدل وأهدل وهو البعير الذي أرخى مشفره.

المعبّدة: الإبل المطلية بالقطران أو المذللة.

٧- سمّاك اليهودي

القصيدة رقم - ١ - لسماك (من الوافر)

١- أرِقْتُ وضَافَنِي هَمٌّ كَبِيرٌ ... بِلَيْلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصيرُ
٢- أرى الأخْبارَ تُنْكِرُهُ جَميعاً ... وَكُلُّهُمُ لَهُ عِلْمٌ خَبِيرُ
٣- وكانُوا الدَّارِسِينَ لِكلِّ عِلْمٍ ... بِهِ التَّوْرَاةُ تَنْطِقُ والزَّبُور
٤- قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الأخْبَارِ كَعْباً ... وَقِدْماً كان يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرُ
٥- تَدَلَّى نَحْو مَحْمُودٍ أَخِيهِ ... وَمحْمُودٌ سَرِيرَتُهُ الفُجُور
٦- فَغَادَرَهُ كَأنَّ دَماً نَجِيعاً ... يَسيلُ على مدارِعِهِ عَبِيرُ
٧- فَقَدْ وَأبيكُمُ وأبي جميعاً ... أُصِيبَتْ إذ أُصيبَ بِهِ النَّضِيرُ
٨- فَإِنْ نَسْلَمْ لَكُمْ نَتْرُكْ رِجالاً ... بِكَعْبٍ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورُ
٩- كَأنَّهُم عَتَائِرُ يَوْم عِيدٍ ... تُذَبَّحُ وهي ليس لها نكيرُ
١٠- بِبِيضٍ لا تُلِيقُ لَهُنَّ عَظْماً ... صَوَافِي الحَدِّ أكْثَرُها ذُكُورُ
١١- كما لاقَيْتُمُ مِنْ بَأسِ صَخْرٍ ... بِأُحْدٍ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ

تخريج الأبيات:

القصيدة أحد عشر بيتاً في سيرة ابن هشام قسم ٢ ص٢٠٠ تحقيق مصطفى السقا وعبد السلام هارون.

المعاني:

١- أرقت: امتنع النوم عني، ضافني: نزل بي.

٦- النجيع: الدم الطري، مدارع: لباس.

عبير: زعفران.

٩- عتائر: ذبائح.

١٠- لا تليق: لا تبقى.

١١- صخر: أبو سفيان بن حرب.

جو القصيدة:

سماك هذا قد طال له، وضامه هم كبير، لأن مقتل سيد الأحبار إنما هو قتل لبني النضير جميعاً كما يظهر ذلك من شعره.

القصيدة رقم - ٢ - (من المتقارب)

١- أَلَسْنا وَرِثْنَا الكِتَابَ الحَكِيمَ ... على عَهْدِ مُوسى فَلَمْ نُصْرَفِ
٢- وأَنْتُم رِعَاءٌ لِشَاءٍ عِجَافٍ ... بِسَهْلِ تِهَامَةَ والأَخْيَفِ
٣- تَرَوْنَ الرِّعَايَةَ مَجْداً لَكُمْ ... كَذا كُلُّ دَهْرٍ بِكُمْ مُجْحِفِ
٤- فيا أَيُّها الشَّاهِدُونَ انْتَهُوا ... عن الظُّلْمِ والنُّطْقِ المُؤْنِفِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في الأحكام السلطانية ص٥٢، وتفسير القرطبي ٧/١٨.

المعاني:

٢- رعاء: رعاة، عجاف: ضعاف.

تهامة والأحنف: سهلان في الجزيرة العربية.

٣- الرعاية: رعي الغنم، مجحف: ظالم.

المؤنف: الرذيل السيىء.

جو القصيدة:

حوصر بنو النضير، وقطعت نخيلهم، وحرّقت ثم أجلوا عن المدينة بعد ذلك فأحس اليهود بالفاجعة وفاض شعرهم بالحقد على المسلمين، والأسى على مصابهم فسماك الذي ألم لمقتل ابن الأشرف يألم مرة أخرى لمصير بني النضير، ويسْتعظم الأمر، ويستغرب المحنة وهو لا يكاد يصدِّق ما يرى، أليس قومه شعب الله المختار؟ أليسوا هم ورثة موسى عليه السلام، ثم أليس العرب في الجاهلية رعاء شاء فهو يستاء ويتعجب.

القصيدة رقم - ٣ - (من المتقارب)

١- إنْ تَفْخَروا فهو فَخْرٌ لَكُم ... بمَقْتَلِ كَعْبِ أبي الأشْرَفِ
٢- غَدَاةَ غَدَوتُم عَلَى حَتْفِهِ ... وَلَمْ يَأتِ غدْراً ولم يُخْلِفِ
٣- فَعَلَّ اللَّيَالي وَصَرْفَ الدُّهُور ... تُديلُ من العَادِلِ المُنْصِفِ
٤- بِقَتْلِ النَّضِيرِ وَأحْلافِها[1] ... وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفِ
٥- فَإنْ لا أمُتْ نَأتِكُم بالقَنَا ... وَكُلّ حُسَامٍ معاً مُرْهَفِ
٦- بِكَفِّ كَمِيٍّ بِهِ يُحْتَمَى ... مَتَى يَلْقَ قِرْناً له يتلِفِ
٧- مع القَوْمِ صَخْرٌ وأشْيَاعُهُ ... إذا غَادَرَ القَوْمَ لم يَضْعُفِ
٨- كَلَيْثٍ بِتَرْجِ حِمَى غِيْلِهِ ... أخِي غَابَةٍ هَاصِرٍ أجْوَفِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في سيرة ابن هشام قسم ٢ ص١٩٨ تحقيق السقا والأبياري

---

(١) يروى «بإجلائها» و«إخلائها».

وعبد السلام هارون وهي ثمانية أبيات.

المعاني:

٣- العادل المنصف: النبي ﷺ، والشاعر لا يعتقد ذلك، فالجواب أن يقال: أن يكون ذلك مما لفظه لفظ المدح ومعناه الذم مثل قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الدخان] فهذا ظاهره المدح ومعناه الذم.

٤- الأحلاف: جمع حلف وهو الصاحب، ويروى «وإخلائها» يعني وإخراجها من بلادها ولم تقطف: لم يؤخذ ثمرها، أي لم تبلغ زمن القطاف.

٥- الحسام المرهف: السيف القاطع.

٦- الكميّ: الشجاع، والقرن: الذي يقاومك في القتال.

٧- صخر: هو أبو سفيان بن حرب.

٨- ترج: جبل بالحجاز تنسب إليه الأسود، والغيل: أجمة الأسد، والهاصر: الذي يكسر فريسته إذا أخذها والأجوف: العظيم الجوف.

جو القصيدة:

يذكر سماك حادث قتلى النضير وأحلافهم أو إجلائهم وعقر نخيلهم وقتل كعب بن الأشرف وغدر المسلمين به - كما يقول - فيندفع إلى التعريض بالرسول ﷺ، ولما كان قومه لا يملكون القوة التي يدافعون بها عن أنفسهم لجأ إلى تحزيب قريش لأشياعها وتهديد المسلمين.

٨- أبو الذيال أو أبو الزناد اليهودي

القصيدة رقم - ١ - لأبي الذيال (من المنسرح)

١- هل تَعْرِفُ الدَّارَ خَفَّ سَاكِنُها بالحِجْرِ فالمُستَوى إلى الثَّمَدِ

٢- دارٌ لِبَهْنَانَةٍ خَدَلَّجَةٍ تَبْسِمُ عن مِثْلِ بارِدِ البَرَدِ

٣- أَتَتْ فطالَتْ حتى إذا اعْتَدَلَتْ ما إن يَرَى النَّاظِرونَ مِنْ أَوَدِ

٤- فِيها، فَأَمّا نَقاً فأَسْفَلُها والجِيدُ منها لِظَبْيَةِ الجَرَدِ

٥- لا الدَّهْرُ فانٍ ولا مَوَاعِدُها تأتِي فليتَ القَتُولَ لم تَعِدِ

٦- وعداً محاصِيلُهُ إلى خُلُفٍ ذاك طِلابُ التَّضليلِ والنَّكَدِ

٧- هَيْفاءُ يلْتَذُّها مُعَانِقُها بَعْدَ عِلالِ الحَديثِ والنَّجَدِ

٨- تَمْشِي إلى نَحْوِ بَيْتِ جارَتِها واضعةً كَفَّها على الكَبِدِ

٩- نِعْمَ شِعَارُ الفَتَى إذا بَرَدَ اللَّيْلُ وآضَتْ كَوَاكِبُ الأَسَدِ

١٠- كَأَنَّ ماءَ الغَمَامِ خالَطَهُ راحٌ صَفَا بعدَ هَادِرِ الزَّبَدِ

١١- والمِسْكُ والزَّنْجبيلُ عُلَّ بِه أَنْيابُها بَعْدَ غَفْلَةِ الرَّصَدِ

١٢- دعْ ذا ولكنْ رُبَّ عَاذِلَةٍ لو عَلِمَتْ ما أُريدُ لَمْ تَعُدِ

١٣- هَبَّت بِلَيْلٍ تَلُومُ في شُرْبِ الْـ خَمْرِ وذِكْرِ الكَوَاعِبِ الخُرُدِ

١٤- فَقُلْتُ مَهْلاً فما عَلَيْكِ إنَ امْـ سَيْتُ غَوِياً غَيِّي ولا رَشَدي

١٥- إني لمُسْتَيْقِنٌ لَئِنْ لم أَمُتْ مِلْ يومِ إني إذن رهينُ غَدِ

١٦- هَلْ نَحْنُ إلاّ كَمَنْ تَقَدَّمَنا منّا ومَنْ تَمَّ ظِمْؤُه يَرِد

١٧- نَحْنُ كَمَنْ ما مَضَى وما انَ أَرَى شُحَّاً يزيدُ الحَرِيصَ مِنْ عَدَدِ

١٨- فلا تَلُومِنَّنِي على خُلُقِي واقْنَيْ حَياءَ الكَريمِ واقْتَعِدِي

تخريج القصيدة:

القصيدة ثمانية عشر بيتاً في طبقات فحول الشعراء للجمحي ص٢٩١،

وفي الأغاني ج١٩ ص١٠١، ١٠٢ وفيه الأبيات ١، ٢، ٨، ٩.

المعاني:

١- الحجر: بمعنى النقا أي الرمل، والمستوي: بمعنى الوسط، والثمد: نقرة في الجبل يجتمع فيه الماء فيشرب به الناس شهرين من الصيف، فإذا دخل القيظ انقطع، فعجز البيت وصف لدار محبوبته أين هو...

٢- البهنانة: وصف بمحبوبته وهي: الطيبة النفس، اللينة في عملها ومنطقها، ضحّاكة خفيفة الروح، خدلّجة: الممتلئة الساقين والذراعين، بارد البرد: حب الغمام، يصف بها أسنانها صغراً ونصاعة.

٣- أثّت: عظمت عجيزتها، والأود: الإعوجاج.

٤- النقا: الكثيب من الرمل، وظبية الجرد: أي ظبية الفلاة.

٥- مواعدها: ميعاد، والقتول: الكثيرة القتل لعشاقها.

٧- الهيفاء: الضامرة البطن الرقيقة الخصر، وعلال الحديث: مجاذبته.

النجد: الإعياء، يعني أنه إذا أنس إليها عناقاً فهو إنما يأتي بعد الحديث بينه وبينها سجالاً، وبعد أن يشعر بالحاجة إلى الراحة منه.

٨- وضع كفّها على الكبد حين تمشي إلى بيت جارتها: أي خوفاً وخجلاً ممن يراها.

٩- آضت: عادت إلى منزلها، كواكب الأسد: بعض أفلاك السماء.

الشعار: الرداء على الجسم قبل غيره، يكنى به عن محبوبته.

١٠- شبه ريقها بماء الغمام نقياً طاهراً، يخالطه الماء الصافي: أي

يمازجه صريحاً به.

هادر الزبد: أي بعد انطفاء مثل ما يعلو الكأس من مثل النجوم أو العيون الصغيرة.

١١- ولم يكفه هذا بل زاد عليه المسك والزنجبيل تعطر بهما أنيابها.

غفلة الرصد: هجوم الرقباء، فلا عين ترى ولا أذن تسمع.

١٢- العاذلة: اللائمة، فلو علمت حاله من الحب لعذرته ولم تعد إلى لومه.

١٣- الكواعب الخرد: النواهد البكر.

١٤- وإني لأوثر أن أغوى كما تزعمين ولا أرشد.

١٥- وإني متأكد أنني ميت مثل غيري، فإن لم يكن اليوم فغداً مثل من تقدمني.

١٦- كالماء لمن اشتد عليه الظمأ فيرده.

١٧- الشّح: الحرص، يزيد من عدد: أي زيادة في سنين العمر.

١٨- اقْنَيْ: قصري عن اللوم وراعي حياء الرجل الكريم.

القصيدة رقم - ٢ - (من الكامل)

١- يا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ سَدِمِ ... عـانٍ رَهِـينٌ أُحِيـطَ بـالفَقَـدِ
٢- أزْجُـرُهُ وهـو غـيـرُ مُـزْدَجِـرٍ ... عنهـا وطـرْفـي مُقَـارِنُ السُهُـد
٣- تَمْشِي الهُوَيْنا إذا مَشَتْ فُضُلاً ... مَشْيَ النَّدِيفِ المَبْهُورِ في صَعَدِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في الأغاني ج١٩ ص١٠٢.

المعاني:

١- سدم: الندم والحزن، والسدم: الهم، وقيل: همّ مع ندم.

رهين: أي احتبس فهو رهينه.

٢- السهد القلق، والقليل من النوم، والسهد: نقيض الرقاد.

٣- النديف: القطن المندوف، وأندف الرجل: إذا مال إلى الندف: وهو صوت العود. وندفت الدابة: هي سرعة رجع اليدين، وندفت السحابة البرد ندفاً، والندف: الأكل. صعد: صعد المكان: ارتقى فيه، والصعود: الطريق صاعداً، والصعد: المشقّة. المبهور: المتتابع النفس من الإعياء، وانبهر: تتابع نفسه. ويقال بهر الرجل: إذا عدا حتى غلبه البهر فهو مبهور.

٩- جبل بن جوّال اليهودي الثعلبي

القصيدة رقم - ١- لجبل بن جوال (من الوافر)

١- ألا يا سَعْدُ سَعْدَ[1] بني معاذٍ ... لِمَا لَقِيتْ قُرَيظَةُ والنَّضِيرُ

٢- لَعَمْرُكَ إنّ سَعْدَ بني مُعَاذٍ ... غَدَاةَ تَحمّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ

٣- فَأمّا الخَزْرَجِيُّ أبو حُبَابٍ ... فقَالَ لِقَيْنُقَاعِ لا تَسِيرُوا

٤- وَبُدِّلَتِ المَوَالِي مِنْ حُضَيْرٍ ... أُسَيْدٌ والدَّوائِرُ قد تَدُورُ

---

(١) سعد بن معاذ: زعيم الأوس وهو الذي استشاره الرسول ﷺ في أمر بني قريظة الذين نقضوا العهد فأشار بأن يقتل الرجال وتسبى النساء، فوافق الرسول على ذلك، وتخلص المسلمون من بني قريظة الغادرين.

٥- وَأَقْفَرت البُوَيْرَةُ مـن سَلَامٍ ... وَسَعْيَـةَ وابـنِ أَخْطَبَ فهـي بُـورُ

٦- وَقَـدْ كـانـوا بِبَلْدَتِهِـمْ ثِقَـالاً ... كمـا ثَقُلَـتْ بِمَيْطَـانَ الصُّخُـورُ

٧- فـإنْ يَهْلِـكْ أبـو حَكَـم سَلَامٌ ... فَـلا رَثُّ السِّـلاحِ ولا دَثُـورُ

٨- وَكُـلُّ الكـاهِنيـنَ وكـانَ فِيهـم ... مـع اللِّيـنِ الخَضَـارِمَـةُ الصُّقـورُ

٩- وَجَـدْنـا المَجْـدَ قـد ثَبَتُـوا عَلَيْـهِ ... بِمَجْـدٍ لاَ تُغَيِّبُـه البُـدُورُ

١٠- أقيمُـوا يـاسَـراةَ الأوْسِ فيهـا ... كَـأنَّكُـمُ مِـنَ المَخْـزاةِ عُـورُ

١١- تَـرَكْتُـم قِـدْرَكُـم لا شَيْءَ فِيـهِ ... وَقِـدْرُ القَـوْم حَـامِيَـةٌ تَفُـورُ

١٢- ولكـنْ لا خَلـودَ مـع المَنَـايـا ... تَخَطَّـفُ ثـم تَضْمَنُهـا القُبُـورُ[1]

١٣- كَـأنَّهُـم عَتَـائِـرُ يـومِ عيـدٍ ... تُـذَبَّـحُ وهـيَ لَيـسَ لهـا نَكيـرُ

تخريج الأبيات:

القصيدة ثلاثة عشر بيتاً في سيرة ابن هشام قسم ٢ ص٢٧١- ٢٧٣، والإصابة في أخبار الصحابة ج١ ص٢٢٢، وصحيح مسلم ٥/٦١- ٦٢.

المعاني:

٤- الموالي: الحلفاء، حضير وأسيد: قبيلتان.

٦- ميطان: جبل من جبال المدينة به عين ماء.

٧- الدثور: الدارس المتغيّر، الرثّ: الخلق.

٨- الكاهنان: حيّان، والحضارمة: الأجواد الكرماء والواحد حضرم.

٩- البدور: الشهور والدهور.

١٠- عور: جمع أعور.

(١) البيتان ١٢، ١٣ في معجم الشعراء ص٩٨.

القصيدة رقم - ٢ - (من الطويل)

١- لَعَمْرُكَ ما لام ابنُ أخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكنـه مَـنْ يخْـذِل الله يُخْـذَلِ
٢- لجاهَدَ حتى أبْلَغَ النَّفسَ عُذْرَها وَقَلْقَـلَ يَبْغِـي العِـزَّ كُـلَّ مُقَلْقَـلِ

تخريج الأبيات:

البيتان في صحيح مسلم ج٥ ص٦١-٦٢.

جو القصيدة:

قال جبل هذين البيتين يفتخر ويعتز بشجاعة حيي بن أخطب حينما ضربت عنقه حيث بعث هذا الموقف الحزن والشجاعة في نفس جبل بن جوّال فاندفع يتمثل كلامه.

١٠- خزز بن لوذان السدوسي

القصيدة رقم - ١ - لخزز بن لوذان (من الكامل)

١- كَـذَبَ العَتيـقُ ومـاءُ شِـنٍّ بـاردٌ إن كُنْـتِ سـائِلَتِي غَبُـوقـاً فـاذْهَبِـي
٢- لا تَـذْكُـرِي فَـرَسِـي ومَـا أطْعَمْتُه فيكـونَ لَـوْنُـكِ مِثْـلَ لَـوْنِ الأجْـرَبِ
٣- إنـي لأخْشـى أنْ تَقـولَ حَليلَتـي هــذا غُبَــارٌ ســاطِــعٌ فَتَلَبَّــبِ
٤- إنَّ الـرِّجَـالَ لَهُـمْ إليـكِ وَسيلَـةٌ إنْ يَــأخُــذوكِ تَكَحَّلــي وَتَخَضَّبــي
٥- ويكونُ مَرْكَبَكِ القَلُوصُ وظِلُّهُ وابـنُ النَّعَـامَـةِ يـومَ ذلـك مَـرْكَبـي

هكذا رويت في لسان العرب لابن منظور مادة «عتق» وتروى أيضاً على النحو التالي:

١- لا تـذكـري فَـرَسي ومـا أطْعَمْتُهُ فَيكونَ جِلْدُكِ مَثْلَ جِلْدِ الأجربِ[1]

(١) وفي البيان والتبيين «مهري» بدل «فرسي».

٢- إنّ الصَّبُوحَ لـه وأنْـتِ مَسـوءَةٌ | فَتَـأَوَّهِـي مـا شِئْـتِ ثُـمَّ تَحَـوَّبِـي[١]
٣- إنـي أُحـاذِرُ أن تَقـولَ ظَعِينَتـي | هــذا غُبَـارٌ سـاطِـعٌ فتَلَبَّبِـي[٢]
٤- وَيكونُ مَرْكَبَكِ القَعودُ وَرَحْلُهُ | وابنُ النَّعَامَـةِ عِنْدَ ذلك مَرْكَبِي[٣]
٥- وأنـا امْـرُؤٌ إن يَـأخـذوني عَنْـوَةً | أُقْـرَنْ إلـى شَـرِّ الـرِّكـابِ وَأُجْنَـبِ
٦- كَـذَبَ العَتِيـقُ ومـاءُ شَـنٍّ بَـارِدٌ | إنْ كُنْـتِ سـائِلَتِـي غَبُـوقـاً فـاذْهَبِـي
٧- إن العَـدُوَّ لَهُـمْ إلَيْـكِ وَسيلَـةٌ | إنْ يَـأْخُـذُوكِ تَكَحَّلِـي وَتَخَضَّبِـي

التخريج:

الأبيات في لسان العرب مادة عتق، وفي البيان والتبيين، وفي الحماسة الشجرية ١/

القصيدة رقم - ٢ - **(من مجزوء الكامل)**

١- طَـــالَ الثَّـــواءُ بِمَـــأْرِبِ | وَظَنَنْـــتُ أَنّـــي غَيْـــرُ زائِـــمْ
٢- مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عَمْـــرَو بـــنَ لا | وِي حيـــثُ كـــان مِـــنَ الأقـــادِمْ
٣- فَلَـــرُبَّ بَـــاكٍ مِـــنْ بَنِـــي | ذُهْـــلٍ وقـــاعِـــدَةٍ وقَـــائِـــمْ
٤- وَمُشَقَّقَـــاتِ للجُيُـــو | بِ علـــيَّ كـــالبَقَـــرِ الحَـــوَائِـــمْ
٥- لا يَمْنَعَنَّـــكَ مِـــنْ بُغَـــا | ءِ الخَيْـــرِ تَعْقِيـــدُ التَمَـــائِـــمْ
٦- وَلَقَـــدْ غَـــدَوْتُ وَكُنْـــتُ لا | أغـــدو علـــى وَاقٍ وحَـــائِـــمْ
٧- فَـــإذا الأشَـــائِـــمُ كـــالأيـــا | مِـــنِ والأيـــامِـــنُ كـــالأشَـــائِـــمْ
٨- وَكَـــذاكَ لا خَيْـــرٌ ولا | شَـــرٌّ علـــى أَحَـــدٍ بِـــدَائِـــمْ

---

(١) وفي البيان والتبيين «الغبوق» بدل «الصبوح».
(٢) في البيان والتبيين «إني لأخشى» أن تقول خليلتي.
(٣) في البيان والتبيين «وسرجه» بدل «ورحله».

تخريج الأبيات:

في معجم الشعراء ص١٠٢ وفي حماسة البحتري وكتاب الاختيارين.

المعاني:

١- زأم يزأم: مات موتاً وحياً، زأمتي: حاجتي.

زئم: خوف، ورجل مزآم: غاية الذعر.

٢- حوائم: كل ما رام شيئاً حام عليه حوماً، وحائمة: عطشى.

والحوم: القطيع من الإبل، وإبل حوائم: عطاش.

٥- واق: دافع، ووقاه: صانه وحماه وستره، وهو من باب الطيرة والفأل.

١١- ابن إسرائيل

القصيدة رقم - ١ - (من الكامل)

١- وَعدَت بِوَصْلٍ والزَّمَانُ يُسَوِّفُ ... حَوْرَاءُ نَاظِرُها حُسَامٌ مُرْهَفُ

٢- نَشْوانَةٌ صَهْبَاءُ مَنْهَلُ ثَغْرِها ... دُرٌّ وريقَتُها سُلاَفٌ قَرْقَفُ

٣- تَخْتالُ بَيْنَ البَدْرِ منها والنَّقَا ... غُصْنٌ يَمِيسُ به النَّعِيمُ مُهَفْهَفُ

٤- لا تَحْسَبَنَّ الخُلْفَ شِيمَةَ مِثْلِها ... وَعَدَتْ ولكنَّ الزَّمَانَ يُسَوِّفُ

٥- يا بانَةٌ قد أَطْلَعَتْ أَغْصَانُها ... وَرْداً جَنِيّاً باللَّوَاحِظِ يُقْطَفُ

٦- وَغَزالةٍ تَحْكي الغَزالةُ وَجْهَها ... وَبِعَيْنِ ناظِرِها الحُسامُ الأَوْطَفُ

٧- ما تَأْمُرِين لِمُغْرَمٍ تَسْطُو بِهِ ... أجفانُكِ المَرْضَى ولا تَسْتَعْطِفُ

٨- أو ماءُ وَجْهِكِ وهو صُبْحٌ مُشْرِقٌ ... وَسَوَادُ شَعْرِك وهو لَيْلٌ مُسْدِفُ

٩- وَيُهِزُّ غُصْنُ البانِ مِنْكِ على النَّقا ... فإلَيَّ مِنْ أحدٍ سِواكِ تَشَوُّفُ

تخريج الأبيات:

وجدت هذه الأبيات في مخطوطة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد تحت عنوان «مختارات شعرية» ضمنت نماذج جيدة من عيون الشعر القديم ملكها ابن عبد الغني أفندي المتوفى سنة ٢٤٧هـ، ورقم المخطوطة (٢٣٥) و= ١٥ز، ٢×١٥س ص٤٠/ ٣١.

المعاني:

٦- الأوطف: كثير شعر أهداب العين، وبعير أوطف: كثير الوبر سابغة وعين وطفاء: فاضلة الشعر مسترخية النظر.

٨- سدف: المضني والمظلم وهو من الأضداد، والسدفة في لغة بني تميم: الظلمة والسدف: ظلام الليل.

٩- تشوّف: الشوف: الجلو، والشوفة من النساء: التي تظهر نفسها ليراها الناس، وتشوّفت المرأة: تزيّنت.

١٢- أوس بن دني القرظي

القصيدة رقم - ١ - (من الكامل)

١- أنَّــى تَــذَكَّــرَ زَيْنَــبَ القَلْــبُ ... وَطِــلَابُ وَصْــلِ عَــزيــزَةٍ صَعْــبُ

٢- مــا رَوْضَــةٌ جَــاد الــرَّبيــعُ لهــا ... مَــوْشَيَّــةٌ مــا حَــوْلَهــا جَــدْبُ

٣- بِــأَلَــذَّ مِنهــا إذْ تَقُــولُ لنــا ... سَيْــراً قَليــلاً يَلْحَــقِ الــرَّكْــبُ

تخريج الأبيات:

الأبيات في الأغاني ج١٩ ص٩٣، ٩٤، ط. دار الكتب.

القصيدة رقم - ٢ - (من الطويل)

١- دَعَتْني إلى الإسلام يومَ لَقيتُها فَقُلْتُ لها لا بَلْ تَعالي تَهَوَّدي
٢- فَنَحْنُ على تَوراةِ موسى ودينِهِ وَنِعْمَ لِعَمْري الدينُ دينُ مُحمد
٣- كِلانا يَرى أنَّ الشَريعَةَ دينُهُ وَمَنْ يَهْدِ أبْوابَ المَراشدِ يُرشد

تخريج الأبيات:

الأبيات في الأغاني ج١٩ ص٩٣. ٩٤. ط. دار الكتب.

جو القصيدة:

حوار دار بين الشاعر وزوجته التي أسلمت وتركته ثم اشتاقت لزوجها، فلما لقيته ذات يوم دعته إلى الإسلام كي ترجع إليه، فقال هذه الأبيات.

١٣- شريح بن عمران

مقطوعة رقم - ١ - (من مجزوء الكامل)

١- آخِ الكِرامَ إنِ اسْتَطَعْـ ـتَ إلى إخائِهِمُ سَبيلا
٢- واشْرَبْ بِكأسِهِمُ وإنْ شَرِبوا بِها السُّمَّ الثَّميلا
٣- أأَسَيْدُ إن مالٌ مَلَكْـ ـتَ فَسِرْ بِهِ سَيْراً جَميلا
٤- أأَسَيْدُ إنَّ المالَ لا يُبْكى إذا فَقَدَ الخَليلا
٥- إنَّ الكَريمَ إذا تُوَا خيهِ وَجَدْتَ لَهُ فُضولا

تخريج الأبيات:

الأبيات في طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٨٤، والبيت الأول والثاني في حماسة البحتري ص٥٧، وكذلك توجد هذه الأبيات في الأغاني ج٧ ص٩٩-١٠٠ في قصيدة طويلة، ولكنها منسوبة لذي الإصبع العدواني.

المعاني:

١- المؤاخاة: المعاشرة.

٢- الثميل: اللبن الحامض وهو هنا بمعنى الحاد، صفة للجسم، أو هو بمعنى الثمال: وهو السم المنقع أي المحض الخالص.

٣- الهمزة في البيت الثالث والرابع للنداء والتنبيه: أي: يا أيها السيد الفضول: جمع فضل، صفة الكرام.

١٤- سارة القرظية

مقطوعة رقم - ١ - (من الوافر)

١- بِنَفْسي رِمَّةٌ لم تُغْنِ شَيْئاً ... بِذِي حُرُضٍ تُعَفِّيها الرِّياحُ
٢- كُهُولٌ من قُرَيْظَةَ أَتْلَفَتْهُم ... سُيُوفُ الخَزْرَجِيَّةِ والرِّماحُ
٣- رُزِئْنَا والرَّزِيَّةُ ذاتُ ثِقْلٍ ... يمرُّ لأَجْلِها الماءُ القُراحُ
٤- ولو أذِنوا بِحربِهِمُ لَحالَتْ ... هُنالِكَ دُونَهُمْ حَرْبٌ رَدَاحُ

تخريج الأبيات:

الأغاني ج١٩ ص٩٦، والبدء والتاريخ للمقدسي ج٣.

والروض الأنف ج٢ ص٥٤ ومعجم البلدان ج٧ ص٤٢٨، وخلاصة الوفا ص٧٩-٨٤.

المعاني:

١- بنفسي: أي نفسي فداء للقتلى، ذي حرض: واد بالمدينة عند أحد وهو المكان الذي قتل فيه أشراف اليهود، تعفيها: تذريه وتزيل أثره.

٣- الماء القراح: الماء الخالص الصافي العذب، يصير مراً كناية عن تغيير الحال وانقلابها إلى شقاء.

٤- أذنوا: علموا. حرب رداح: حرب قوية غلبوا فيها أعداءهم.

مناسبة قول الأبيات:

لما قتل أبو جبيلة الغساني أشراف يهود بوادي ذي حرض عندما استعان به مالك بن العجلان زعيم الخزرج على يهود، قالت سارة القرظية هذه الأبيات ترثيهم.

١٥- كعب بن أسد بن سعيد القرظي

رقم - ١ - (من البسيط)

١- إنّي زَعِيمٌ لَئِنْ لمْ يُجْتَنَبْ سَخَطِي ... أن تَزْهَقَ السَّاقُ يوماً نَعْلَها زَلَلا

٢- في مَأقِطٍ يُبْتَلَى أهلُ الحِفَاظِ به ... ويَحْشُدُ الجَهْدُ فيه الوانيَ الوَكِلا

٣- وإن أراد اعتِرَاضاً دُونَ ذي حُرَمٍ ... فلــن أُحَمِّلَــهُ إلاّ الَّــذِي احْتُمِــلا

تخريج الأبيات:

الأبيات في معجم الشعراء ص٣٤٣.

المعاني:

١- المأقط: المضيق في الحرب، والمأقط: المكان الذي يقتتلون فيه.

٢- الواني: الضعيف المقصر، البطيء في القيام.

الوكل: الذي يكل أمره إلى غيره، ورجل وكل: أي ضعيف والوكل: البليد الجبان.

رقم - ٢ - (من البسيط)

١- لا تَعْدَمُ الأَوْسُ مِنّا في مَوَاطِنِها نابأً لمن نابُها في الحَرْب مَيْمُونا
٢- لا نُسْتَخَفُّ إذا كانَ الصباحُ ولا نُعْطِـي السَّـوَابِـغَ إلا أَهْلَهَـا فِينَـا

تخريج الأبيات:

الأبيات في معجم الشعراء ص٣٤٣.

١٦- نجاد الخيبري

مقطوعة رقم - ١ - (مجزوء الكامل)

١- عِـضٌّ لَئِيـمُ المُنْتَمَـى والعُنْصُـرِ
٢- لَيْـسَ بِجِلْحَـابٍ ولا هَقَـوَّرِ
٣- لَكِنَّـهُ البُهْتُـرُ وابـنُ البُهْتُـرِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في لسان العرب لابن منظور مادة (هقر).

المعاني:

العض: الرجل الداهية المنكر، الجلحاب: الكثير الهم.

الهقور: الطويل، وخص بعضهم القصير من الإبل.

البهتر: جمع البهاتر وهو القصير من الإبل.

مقطوعة رقم - ٣ - (من مجزوء الكامل)

١- لمـا رَأَيْـتُ الـرَّجُـلَ العَمَلَّطـا
٢- يـأكُـلُ لَحْمـاً بـائِنـاً قـد ثَعِطـا

٣- أَكْثَرَ مِنْهُ الأَكْلَ حتى جَرِطا

تخريج الأبيات:

الأبيات في لسان العرب لابن منظور مادة (جرط).

المعاني:

الجرط: الفصص.

مقطوعة رقم - ٣ -

١- وأكْثَرَ المذبوب منه الضَرِطا فَظَلَّ يبكي جَزِعاً وفَطْفَطا

تخريج الأبيات:

البيت في لسان العرب مادة (فطفط).

المعاني:

فطفط الرجل: إذا لم يفهم كلامه: والفطفطة: السلح.

١٧- عمرو بن أبي صخر بن أبي جرثوم اليهودي

مقطوعة رقم - ١ - **(من المتقارب)**

١- أَشَطَّ بِجيرَانِكَ المَنْزِلُ أم انْتَ لَبيْنِهِمُ مُنْقَلُ

٢- وقد عُمِّرُوا بيننَا حِقْبَةً فَصَرَّفَهُمْ دَهْرُنا المُفْصِلُ

٣- مراقيدُ حينَ يُحَبُّ الرُّقَادُ إنْ أَخْصَبَ النَّاسُ أو أَمْحَلوا

٤- رَأَيتُ لها فَضْلَها بَارِزاً عَلَى كُلِّ حالٍ إذا يَغْزِلُ

تخريج الأبيات:

الأبيات في معجم الشعراء ص٢٣٥.

المعاني:

٣- الرقاد: النوم، والرقدة: النومة، وقيل الرقود النوم بالليل، والرقاد: النوم بالنهار.

١٨- أبو عفك

رقم - ١ - لأبي عفك (من المتقارب)

١- قَـدْ عِشْـتُ حِينـاً ومـا إنْ أرَى ... مِـنَ النَّـاس داراً ولا مَجْمَعَـا

٢- أَجَـمَّ عُقُـولاً وآوَى إلـى ... مَبِيـتِ سُـرَاهـا إذا مـا دعـا

٣- فَسَلَّبَهُـم أمْـرَهُـم راكِـبٌ ... حَـرَامـاً حَـلاَلاً لِشَتَّـى مَعَـا

٤- فلـو كـانَ بـالمُلْـكِ صَـدَّقْتُـمُ ... وبـالنصـر تَـابَعْتُـمُ تُبَّعـا

تخريج الأبيات:

الأبيات في كتاب المغازي للواقدي ص١٧٣، ١٧٤.

المعاني:

أجم الأمر والفراق: دنا وحضر.

١٩- مالك بن عمرو النضيري

مقطوعة رقم - ١ - (من البسيط)

١- نُبِّئْتُ حَيّاً وَعَوْفاً يَنْذِرُونَ دَمِي ... وذاكَ مِـنْ قِلَّـةِ الأحْـلامِ والخُـرُقِ

٢- مَهْلاً وَعِيـدِيَ مَهْـلاً لا أبـالكُـمُ ... إن الـوَعِيـدَ سـلاحُ العـاجـزِ الحَمِـقِ

٣- كيْ لا يَنَالَكُمْ كَيْدِي وَمقْدِرَتِي فقــدْ يُحَــاذَرُ منّــي زَلَّــةُ الغَلِــقِ

تخريج الأبيات:

الأبيات في معجم الشعراء ص٣٦١

المعاني:

١- الخرق: الكذب، وهي لغة في الكلام.

٣- الغلق: رجل غلق: سيىء الخلق، والغلق: الكثير الغضب، والغلق: الضيق الخلق.

وأولي غلق: صاحب فقر وجوع.

مقطوعة رقم - ٢ -

١- تَعَـرَّضَ ضَيْطَـارو فُعَـالَـةَ دُونَنَـا ومـا خَيْـرُ ضَيْطَـارٍ يُقَلِّـبُ مِسْطَحـا

تخريج الأبيات:

البيت في لسان العرب لابن منظور مادة (ضطر).

المعاني:

يقول ليس له سلاح يقاتل به غير مسطح، والضيطار الضخم الذي لا غناء عنده.

والمسطح: الخشبة المسطحة على دعامتي الكرم وتسمى المساطح بالأطر.

٢٠- مرحب الخيبري

**رقم - ١ -		(من الرجز)**

١- قـد عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أنّـي مَـرحَـبُ		شـاكـي السِّـلاحِ بَطَـلٌ مجـرَّبُ
٢- أطْعَـنُ أحْيـانـاً وحينـاً أضْـرِبُ		إذا اللُّيُـوثُ أقْبَلَـتْ تَحَـرَّبُ
٣- إنّ حِمَـاي لَلْحِمَـى لا يُقْـرَبُ		يُحْجِـمُ عـن صَـوْلَتِـيَ المُجَـرَّبُ

تخريج الأبيات:

الأبيات في المغازي ص٣٩٠.

الجو الذي قيلت فيه الأبيات:

خرج مرحب وهو فارس من فرسان يهود خيبر خرج عندما حاصر المسلمون حصون خيبر، وقد جمع سلاحه يدعو المسلمين للمبارزة وهو يرتجز بهذه الأبيات.

٢١- ياسر الخيبري

**رقم - ١ - لياسر		(من الرجز)**

١- قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أنّـي يـاسِـرُ		شـاكِـي السِّـلاحِ بَطَـلٌ مُغَـاوِرُ
٢- إذا اللُّيُـوثُ أقْبَلَـت تُبَـادِرُ		ما حَجَمَتْ عن صَولَتِي المَخَاطِرُ
إنّ حِمَـاي فيـه مَـوْتٌ حَـاضِـرُ

تخريج الأبيات:

الأبيات في إمتاع الأسماع ج١ ص٣١٥، ٣١٦.

جو الأبيات:

قال ياسر هذه الأبيات عندما قتل أخوه مرحب على يد علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فخرج ياسر من حصنه وهو يرتجز بهذه الأبيات.

٢٢- القعقاع بن شبث اليهودي

رقم - ١ - للقعقاع (من البسيط)

١- إن تَسأَلي جَحْجَبَى وإخْوَتَها — تُخبِرْكِ أَنّي مِنْ خَيْرِهِمْ نَسَبا

٢- أَنْمِي إلى الصِّيدِ من رِفَاعَةَ والـ — أخيارِ منهم إنْ حصَّلُوا سَبَبا

التخريج:

معجم الشعراء ص٣٢٩.

المعاني:

الجحجب: السيد المسيح، وقيل الكريم، ولا توصف به المرأة.

وجحجب: بقلة تنبتِ نبتة الجزر.

والجحجب: الكبش.

جـ- ما لم تصح نسبته من الشعر ليهود

رقم - ١ - لقيس بن رفاعة وتنسب لغيره

١- إمّا تَرَيْنا وقد خَفَّتْ مَجالِسُنا — والمَوْتُ أمرٌ لهذا الناس مَكْتُوبُ

٢- فقد غَنِينا وَفِينا سامِرٌ غَنِجٌ — وساكِنٌ وكأنّي اللَّيلَ مَرْهُوبُ

٣- منّا الذي هو ما إن طُرَّ شارِبهُ — والعَانِسونَ ومنّا المُرْدُ والشِّيبُ

تخريج الأبيات:

معجم الشعراء للمرزباني ص١٧، والبيت الثالث في سمط اللآلىء ص١٧٢ ونسبه ابن الجراح لعمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي وأنشد قبله البيتين والبيت الثالث عن صاحب الأغاني لقيس بن الأسلت.

رقم - ٢ - لكعب بن الأشرف وينكرها عليه أهل العلم بالشعر

١- ألا فَازْجُرا سَفِيهاً لِتَسْلَموا	عن القَوْلِ يَأْتي مِنْهُ غَيْرَ مُقَارِبِ
٢- أَتَشْتُمُنِي أنْ كنتُ أبكي بِعَبْرَةٍ	لِقومٍ أتاني وُدُّهُم غيرَ كَاذِبِ
٣- فإني لَبَاكٍ ما بقيتُ وذاكرٌ	مآثرَ قومٍ مَجْدُهُمْ بالجَبَاجِبِ
٤- لَعَمْرِي لقدْ كانَتْ مُرَيْدٌ بِمَعْزِلٍ	عَنِ الشَّرِّ فاحْتالَتْ وُجُوهَ الثَّعالِبِ
٥- فَحُقَّ مُرَيْدٌ أن تُجدَّ أُنُوفُهُمْ	بِشَتْمِهِمُ حَيَّيْ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ
٦- وَهَبْتُ نصيبي مِنْ مُرَيْدٍ لِجَعْدَرٍ	وفاءً وبيتُ اللهِ بينَ الأخاشِبِ

سيرة ابن هشام قسم ٢ ص٥٤ تحقيق السقا والأبياري وشلبي.

ويقول ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر أبيات ميمونة وينكر نقضيتها يعني (هذه الأبيات) لكعب بن الأشرف.

المعاني:

يريد بالسفيه: ميمونة قائلة الشعر الذي أجاب عليه كعب بهذه الأبيات وهي امرأة من المسلمين من بني مريد، وذكر لأنه حمل ذلك على معنى الشخص والشخص يذكر ويؤنث.

٣- الجباجب: منازل مكة.

٤- احتالت: تغيرت، وقيل فاختالت: بمعنى الزهو، وقيل «فاجتالت» بمعنى تحركت.

رقم - ٣ - ينسب لشريح بن عمران وغيره

١- رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فانْصَرفوا ما عليهم لو أنهم وَقَفوا

البيت في ديوان قيس بن الخطيم، ونسبه ابن السيرافي في شرح أبيات الإصلاح إلى شريح بن عمران من بني قريظة، ويقال إنه لمالك بن العجلان.

رقم - ٤ - للسموأل ويروى لغيره (الطويل)

١- إذا سَيِّدٌ منّا خلا قامَ سَيِّدٌ قَؤولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعولُ

البيت في الحماسة ١/ ٦٠ وقيل لابنه أي ابن السموأل «شريح»، وقيل لدكين «وقيل لعبدالله بن عبد الرحيم الحارثي، وقيل للملاح الحارثي السيوطي ١٨٠، وسرد العيني ٢/ ٧٨ القصيدة اللامية.

رقم - ٥ - للسموأل بن عادياء وهي قصيدة منحولة

١- ألا أيُّها الضيفُ الذي عابَ سادَتي ألا اسمعْ جَوابي لستُ عنكَ بغَافِلِ

٢- ألا اسمعْ لفخْرٍ يَتْرُكُ القَلْبَ مُوَلهاً ويُنْشِبُ ناراً في الضُلُوعِ الدَّواخِلِ

٣- فأحظى مزايا سادةٍ بشواهدٍ قد اختارَهم رَحْمَانُهم للدَّلائلِ

٤- قد اختارَهم عُقْماً عَوَاقِرَ للوَرَى ومِنْ ثَمَّ ولاهُمْ سَنَامَ القَبائِلِ

٥- مِنَ النَّارِ والقُرْبى والمِحَنِ الَّتي لها اسْتَسْلَمُوا حبَّ العُلَى المتكاملِ

٦- فهذا خليلٌ صيَّرَ الناسَ حولَه رياحِينَ جنَّاتِ الغُصونِ الذَّوابلِ

٧- وهذا ذَبِيحٌ قد فَداه بكَبْشِه يَراهُ بَدِيهاً لإنتاجِ الثَياتِلِ

٨- وهذا رئيسٌ مُجْتَبَىً تَمَّ صَفْوُهُ وسَمَّاه إسرائيلَ بِكْرَ الأوائلِ

٩- ومن فضلِهِ السَّامي أبو الفضل يوسُفُ الـ ـذي أشْبَعَ الأسباطَ قَمَحَ السَّنَابِلِ

١٠- ألسنا بني مِضَرَ المنكلمة التي لنا ضُرِبَتْ مِضَرٌ بعشرٍ منا كلِ

١١- ألسنا بني البَحرِ المُغَرَّقِ والذي لنا غَرِقَ الفرعونُ يوم التَّحَامُلِ

١٢- وأخرجه الباري إلى الشَّعْبِ كي يَرَى أعاجيبَهُ مع جودِه المُتَواصِلِ

١٣- وكيمَا يفوزوا بالغَنِيمَةِ أهلُها من الذَّهَبِ الإبريزِ فوقَ الخَمَائِلِ

١٤- ألسنا بني القُدْسِ الذي نُصِبَتْ لهمْ غمام تَقِيهِمْ في جميعِ المَرَاحِلِ

١٥- من الشَّمسِ والأمطارِ كانت صيانةً تُجيرُ نواويهم نزولَ الغوائلِ

١٦- ألسنا بني السَّلوى مع المَنِّ والذي لهم فُجِّرَ الصَّوَّانُ عَذْبَ المَنَاهِلِ

١٧- على عَدَدِ الأسباطِ تجري عُيُونُها فُراتاً زُلالاً طعمُهُ غيرُ حَائِلِ

١٨- وقد مكثوا في البَرِّ عُمْراً مُجَدَّداً يُغَذِّيهُمُ الباري بغيرِ المآكلِ

١٩- فلم يَبْلَ ثوبٌ من لباسٍ عَلَيْهِمُ ولم يُحْوَجُوا للنَّعْلِ كلَّ المَنَازِلِ

٢٠- وأرسل نوراً للعمود أمامَهم يُنيرُ الدُّجَى كالصُّبْحِ غيرَ مُزَايِلِ

٢١- ألسنا بني الطُّورِ المُقَدَّسِ والذي تَدَكْدَكَ للجَبَّارِ يومَ الزَّلازِلِ

٢٢- ومن هَيْبَةِ الرَّحمٰن دُكَّ تَذَلُّلاً فشَرَّفَهُ البَاري على كلِّ طائِلِ

٢٣- وناجى عليه عَبْدَه وكَلِيمَهُ فَقَدَّسَنَا للرَّبِّ يَوْمَ التَّبَاهُلِ

٢٤- وفي آخرِ الأيام جاءَ مَسِيحُنا فأهدى بَنِي الدُّنيا سلامَ التَّكامُلِ

هذه القصيدة نشرت في مجلة الشرق البيروتية يوليو سنة ١٩٠٦ منقولة عن مجلة الجمعية الآسيوية الإنجليزية إبريل سنة ١٩٠٦ وصححها المطران غريغوريوس بطرس الموصلي على نسخته، ولكن الأب أنستانس الكرملي عثر على هذه القصيدة في إحدى مخطوطاته منسوبة إلى السموأل القرظي، وعلى كل فالقصيدة بنسبها للسموأل موضع شك وتردد لأنها لا تتناسب في أسلوبها ومعانيها مع أسلوب وأفكار السموأل..

المعاني:

١- غافل: جاهل.

٢- مولّه: حائر، ينشب ناراً: يشعل.

٤- عقماً: جمع أعقم: الذي لا يلد أولاداً، الورى: العالم، سنام الجمل: قمته، والمراد هنا أرفع مقام.

٥- المحن: جمع محنة: تجربة أو مصيبة.

٧- إشارة ما وقع لإبراهيم عليه السلام وولده إسحق على رأي عيسى سابا - والحقيقة هو (إسماعيل) وقد تراءى له تضحية ابنه إسماعيل فاستبدله الله بكبش، والثياتل: جمع ثيتل: تيس الجبل وفي القصيدة عرض لقصة يوسف وتفسير الأحلام بعد أن باعه إخوته وملاقاته لهم كما جاء في التوراة وخروج بني إسرائيل من مصر على يد النبي موسى عليه السلام.

١٦- السلوى: طير، المن: عسل الصحراء، أرسل الله تعالى بهما طعاماً لبني إسرائيل وهم في التيه.

الصوان: الصخرة التي ضربها النبي موسى بعصاه، فأنبط منها ماء.

١٧- الفرات: الماء العذب.

حائل: متغيّر.

٢١- تدخدخ أو تدكدك: مال وتزلزل.

٢٣- كليمه: كليم الله: أي النبي موسى عليه السلام، التباهل: المفاخرة.

٢٤- هذا البيت كان سبباً - على رأي عيسى سابا - لانتحال القصيدة للسموأل وهو يهودي لا يؤمن كقومه بمجيء المسيح، وهم لا يزالون

ينتظرون مجيئه على زعمهم.

رقم - ٦ - مختلف في نسبتها للسموأل

١- إنّي لَعمْرك ما أخشى إذا ذُكِرَت　　منى الخَلائِقُ في مُسْتكْرَهِ الزَمَنِ
٢- ألاّ أكـون إذا مـا أزمـةٌ أزَمَـت　　مـريبـاً ذا قـريـض أمْلَـسَ البَـدَنِ
٣- ولم أبالي إذا لم أجن فاحشةً　　طـول الشحـوب ولا أرتـاح للسِمَـنِ

الأبيات في الوحشيات تحقيق شاكر ص١٦٥ لعبد الرحمن القيني وتروى للسموأل وتروى لأبي الوليد، وتروى لعبدالله بن عجلان النهدي.

الخاتمة

تعرض اليهود في بلاد الشام بسبب فسادهم إلى اضطهاد كل من الآشوريين والبابليين والكلدان وأخيراً الرومان، وقد اتفق معظم المؤرخين على أنهم فروا من بلاد الشام إلى أقطار متعددة، ومن هذه الأقطار جزيرة العرب وخاصة يثرب، فقد نزحوا إلى يثرب وسكنوا مرتفعاتها، وبنوا الحصون والآطام لتحميهم من أي اعتداء، وكانوا قبائل عدة منهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وغيرهم سكنوا يثرب وتيماء وخيبر، وأقاموا المزارع وعملوا بالصياغة والدباغة والحدادة والزراعة والتجارة، وهي أعمال يأنفها العرب، فلما جاء الأوس والخزرج من اليمن بعد انهيار سد مأرب، وجدوا اليهود مُتمكنين في يثرب وهم أصحاب الحول والطول فيها، فاستطاعوا بتعاونهم ومساعدة أصدقائهم الغساسنة في الشام أن يتغلبوا على اليهود. ويلاحظ أن يهود الجاهلية قد أثروا في العرب وتأثروا بهم فلم يحافظ يهود الجاهلية على يهوديتهم وعلى خصائصهم التي يمتازون بها محافظة شديدة كما حافظوا عليها في الأقطار الأخرى. فأكثر أسماء القبائل والبطون والأشخاص هي أسماء عربية، والشعر المنسوب إلى شعراء منهم يحمل الطابع العربي، ولعل هذا بسبب تأثير العرب المتهودة عليهم، لكنهم يختلفون عن العرب في الفكر والدين، فهم أهل دين سماوي وكانوا يحتقرون العرب عباد الأوثان فلما بزغ فجر الإسلام أصبحوا حرباً عليه وعلى أنصاره، ولكنهم لم يفلحوا، فقد أيّد الله رسوله والمسلمين معه بالنصر حتى تم إجلاء اليهود نهائياً من جزيرة العرب في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وقد اتخذ اليهود في

الجزيرة العربية اللغة العربية وسيلة للتعبير عن حياتهم بكل مجالاتها حتى إنهم نظموا بها شعراً وصل إلينا على شكل مقطوعات منسوبة إلى مجموعة من شعرائهم كالسموأل بن عادياء والربيع بن أبي الحُقَيْق وسعية بن الغريض وكعب بن الأشرف وقيس بن رفاعة وأبي الذيال وسماك وجبل بن جوال وأوس بن دني وغيرهم.

- وقد حام الشك في الشعر الجاهلي كما هو معروف وكانت قضية الوضع والانتحال فيه، وقد بيّنا في الفصل الثاني أن شعر يهود لم يجد من الرواة والوضاعين من يروّج له ولم يوجد من ينتحل شعراً لقوم هم أعداء للإسلام والمسلمين، فكان الشك في أبيات قليلة من شعرهم.

- أما الأغراض التي تناولها شعر يهود في الجاهلية فهي الفخر والهجاء والنقائض والغزل والحكمة والوصف والمدح والرثاء. أما الفخر في شعرهم فكان دفاعاً عن كيانهم الديني والقومي والاقتصادي فهم منعزلون يعيشون في حصون خاصة بهم يخشون الاندماج فيمن حولهم حتى لا يذوبوا في غيرهم، ويجب أن يبقى هذا الشعب في نظرهم - متميزاً عن البشر جميعاً، فذلك الفخر كان اعتزازاً بجنسهم وعنصرهم واحتقاراً لمن سواهم من الناس، ومع ذلك فإن وجودهم في المجتمع العربي بين القبائل التي همها غزو بعضها البعض قد جعلهم يتجاوزون في بعض الأحيان لهؤلاء أو لهؤلاء، كما جعلهم يتفاخرون بما تفاخر به معاصروهم من الكرم والنجدة والحماية للجار وشرف المحتد والشجاعة وكرم الأصل وغير ذلك مما ورد في أشعارهم. وأما الهجاء فكان المقصود به احتقار كل من سواهم من الناس وإلباسهم صفات لا تليق إلا بالحيوانات وذلك مما يلائم اعتقاداتهم في الناس الذين هم جهلاء، أميون، رعاء شاة، أقل من مستوى يهود، لا يدينون بدين كما يدين يهود

إلى غير ذلك من الأوصاف الأخرى، ومن الفخر الذي هو التعالي والسمو على الناس جميعاً وهم بزعمهم شعب الله المختار، والهجاء الذي هو احتقار الناس جميعاً وأنهم خلقوا لخدمة اليهود من الفخر والهجاء ظهر شعر النقائض والمعارضات التي بدأت حقيقة واضحة بعد بزوغ فجر الإسلام حيث ناصبوا العداء له ولأصحابه، وقف شعراء المسلمين مدافعين عن دينهم وعقيدتهم. أما الغزل فكان محاكاة للشعر الجاهلي وهو قليل وأهم ما نلحظ فيه نضوب العاطفة على عكس معاصريهم من شعراء العرب، ولعل ذلك راجع إلى وضعهم الاجتماعي فهم أصحاب عمل غير متفرغين للغزل وأشباهه وكذلك الوضع العقيدي لم يترك لهم المجال للتوسع في هذا المضمار، مع أنه كان للمرأة مكانة عند اليهود حيث إنها تعمل إلى جانب الرجل، وتغزل الكتان وتنسج الملابس فكانت تدخل السعادة على بيتها وزوجها وأبنائها، وظهر ما يسمى بالغزل الكيدي عند بعضهم مثل كعب بن الأشرف الذي شبب بنساء الرسول ونساء المسلمين حتى كانت نتيجة ذلك إهدار دمه وقتله. وأما الحكمة فنتجت مما كان يعاني منه يهود من التشرد والشتات، فبعد أن دمر هيكلهم ساحوا في الأرض هنا وهناك هائمين على وجوههم لا يجمعهم إلا تمسكهم بأسفار عهدهم القديم وما فيها من نصائح وحكم وعظات إلى جانب الأمور الأخرى، فكانت أبيات الحكمة في أشعارهم متناثرة، وكأني بهم قد شغلهم الحديث عن الموت والخلود والخلق وتقدير الأرزاق عن معظم الأشياء وربما يرجع ذلك كما أسلفنا إلى التشرد والشتات الذي كانوا يعانون منه، والنكبات التي حلّت بهم جعلتهم يذكرون الموت دائماً، وهذا نتيجة العزلة والخوف والكراهية لكل البشر، فهم في حاجة إلى تذكر الموت، - وهو من دينهم - وإلى التّصبّر والتجمّل تلاؤماً مع ظروف حياتهم.

وأما المدح فلم يكن غرضاً بارزاً وليس فيه تزلف للحكام والملوك لنيل العطايا كما كان يفعل بعض معاصريهم من الجاهليين أمثال النابغة والأعشى وغيرهما، ولكنه كان لوناً من الفخر بفرسانهم وسادتهم، فهو مدح الغرض منه التعالي على الناس وتهديدهم بقوة فرسانهم وأصالة نسبهم، وهذا ليس بعجيب، فإن الملوك والأمراء في ذلك الزمان كان أكثرهم من الوثنيين، وكان بعضهم من النصارى، وكلا النوعين يبغض اليهود ويبغضهم اليهود، فمن هو الذي سيستقبل شاعراً يهودياً ليسمع منه مدحاً!! وَمَنْ مِنَ الشعراء اليهود كان يرضى بمدح أحد من أولئك الذين هم جميعاً أعداء في قاموس اليهود وكيف يمدح اليهودي غير اليهود!! وهم يترفعون عن كل البشر!! لذلك عزف شعراء يهود عن مجاراة شعراء الجاهلية في هذا الميدان. وأما الوصف فيحتاج إلى قصائد طوال وإلى طول بال في الرواية، ويهود لم يكن لديهم الوقت الكافي للوصف والتفصيل فهم أصحاب - عمل مهني، وكان جل شعرهم مقطوعات تتطلبها ظروف سريعة، وأبرز ما ظهر في الوصف أبيات لوصف الدرع أو السيف أو الجيش أو الكتائب أو النبال أو غير ذلك من أدوات الحرب وإن كان لا يخلو شعرهم من وصف لبعض الأطلال محاكاة لمعاصريهم الجاهليين، وخاصة إذا كان الشاعر عربياً متهوداً كأبي الذيال مثلاً...

وأما الرثاء فكان قليلاً وربما يرجع ذلك إلى أنهم أهل كتاب سماوي ودين سماوي يؤمنون بالموت وأنه لا خلود على الدنيا، فالكل ميت، لهذا فهم لا يكثرون البكاء والندب والنواح كغيرهم من معاصريهم الوثنيين والمشركين، ومع ذلك فقد وردت أشعار فيها بكاء لأشرافهم الذين قتلوا في الحرب وغيرها، وهناك أشعار وصلت إلينا في أغراض أخرى كالتهديد والوعيد وكان ذلك في صدر الإسلام حيث بدأ وضعهم يتزلزل وكيانهم ينهار فأخذوا يهددون ويتوعدون وهذا سلاح العاجز.

كما ظهرت أشعار فيها عتاب على بعضهم البعض حين كان بأسهم بينهم شديد كما وصفهم القرآن الكريم وكما ظهر في تناصرهم مع بعضهم البعض حين اعتدى بنو قريظة والنضير على بني قينقاع الذين انضموا لإحدى قبائل يثرب وهم الخزرج ومنها الشعر الديني وما فيه من علم بالخلق والبعث والحساب والعقاب وتاريخ الأديان وغير ذلك من ادعاء بمعرفة العلم والحكمة والمعرفة.

- وأما الخصائص الفنية لشعرهم فكانت محاكاة للقصائد العربية التي قيلت في العصر الجاهلي، إلا أنها تتميز بخصائص أخرى، فمن حيث المقدمات فهي لم تتوفر في أشعار يهود نظراً لأن غالبيتها مقطوعات، وهم أصحاب عمل ليس لديهم الوقت الكافي للمقدمات بل يدخلون إلى أغراضهم مباشرة دون تقديم اللهم إلا ما ورد في بعض قصائد لهم جاءت على النمط التقليدي للقصيدة العربية.

- أما الصورة الفنية لأشعارهم فقد اعتمدت بشكل أساسي على التشبيه الذي جاء منتزعاً من البيئة والحياة بما فيها من صناعة وزراعة وتجارة، وظهرت أيضاً الاستعارات والكنايات، وكان للخيال أثر واضح، كيف لا وهو شعر جاهلي كما كان لعقيدتهم وعواطفهم أثر واضح في صورهم الشعرية، وقد امتزجت هذه القصائد والعواطف بالبيئة المحيطة بهم وبالأحداث التي تمر عليهم فجاءت صورهم صادقة معبّرة مستمدة من بيئتهم وواقعهم ومجتمعهم إلى حد كبير. أما الأوزان فهي التي طرقها الشعر الجاهلي، وهي لا تخلوا كغيرها من الشعر الجاهلي من عيوب القافية، كالسناد والإيطاء والتضمين وغير ذلك، وبها ترصيع وحسن تقسيم للعبارات وكل مزايا الشعر الجاهلي بموسيقاه الداخلية والخارجية. أما المعاني والأفكار التي اشتملت عليها أشعار يهود فهي نفس المعاني

التي اشتمل عليها الشعر الجاهلي كالأخبار الصادقة وأوصاف المشاهدات وشرح الوجدانات بما يمليها الخاطر دون مبالغة، بل جلاء للمعنى وظهوره ومطابقته للحقيقة والواقع.

- وقد أضاف شعراء يهود بعض المعاني على معاصريهم مستمدة من عقيدتهم الدينية التي تجعلهم يتكبرون على جميع الأمم. أما من حيث الألفاظ والأساليب فهي ألفاظ جزلة وأساليب يغلب عليها ما يمكن أن يسمى بالتكثيف أي تركيز المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة وألفاظهم غالباً ما تحمل معاني التعالي والتفاخر، وأساليبهم في الغالب خطابية، كما تبرز فيها الألفاظ الدينية وألفاظ فيها معاني العمل المهني.

- وقد كان لشعر يهود في الجاهلية سمات خاصة من أهمها: شيوع المقطوعة في شعرهم، وهذا يرجع - في رأينا - إلى ضيق الوقت لديهم كما هو معروف لأصحاب العمل.

- ومن هذه السمات أيضاً: عدم الحرص على المقدمات لنفس الأسباب السابقة. كما أن من هذه السمات الصدق الفني حيث لا تهويل ولا مبالغة ومنها أيضاً قلة الشعر الديني، ومع ذلك فقد وردت أشعار تدل على الإيمان بالقضاء والقدر والبعث، ومنها موقفهم من الإسلام الذي كان متأثراً بالتعصب الديني وبالمراثي التي قيلت في مقتل أشراف يهود الذين حاربوا المسلمين وحاولوا خداعهم والكيد لهم.

- كما أن من سمات شعرهم الخاصة ظاهرة الشعوبية وهي ظاهرة في معظم أشعارهم حيث احتقارهم لشعوب الأمم جميعها ما عدا اليهود.

- وقد كان لليهودية تأثيرات في الشعر الجاهلي، ومن هذه التأثيرات: القصص الديني الذي ظهر عند أمية بن أبي الصلت والأعشى وغيرهما،

كذلك ظهرت المعارف اليهودية والأعياد اليهودية في أشعار الجاهليين، كذلك ظهرت أسماء أنبياء بني إسرائيل وخاصة سليمان. وداود باعتبار الدروع المثقفة تنسب إلى داود والمباني إلى سليمان وغير ذلك كما ظهر ذلك في أشعار الأعشى وغيره من شعراء الجاهلية.

والله المستعان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



المصادر والمراجع

أ- المصادر

١-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت٩١١هـ مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ط٣.

٢-الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.

٣-إرشاد الأريب لأحمد بن داود، أبو حنيفة الدينوري ٢٨٢هـ، طبعة دار السعادة.

٤-الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، طبع الهند ١٣٣٢هـ.

٥-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضر مصر.

٦-الاشباه والنظائر، للخالديين، أبي بكر محمد ٣٨٠هـ، وأبي عثمان سعيد ٣٩١هـ، لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٥٨م.

٧-الاشتقاق لابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.

٨-الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي، المعروف بابن حجر ت٨٥٢هـ، مطبعة مصطفى محمد.

٩-الأصمعيات، اختيار الأصمعي، أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن

عبد الملك ١٢٢-٢١٦هـ، تحقيق أحمد شاكر، عبد السلام هارون دار المعارف بمصر.

١٠-الأعلاق النفيسة، ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر بن رستة، طبعة ليدن ١٨٩١م.

١١-الأعلام، خير الدين الزركلي، مصر، ط٥، ١٩٥٤-١٩٥٩م.

١٢-الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين ٣٥٦هـ، طبعة دار الكتب وساسي.

١٣-أمالي المرتضى، للشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي ٣٥٥-٤٣٦هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١. الحلبي.

١٤-الأمالي، لأبي علي القالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، طبعة دار الكتب المصرية.

١٥-إمتاع الأسماع، للمقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، صححه وشرحه، محمود محمد شاكر مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

١٦-الأمثال، للميداني، ٥١٨هـ، القاهرة ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.

١٧-أنساب الأشراف، للبلاذري، أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق محمد عبدالله دار المعارف بمصر.

١٨-الأنواء في مواسم العرب، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، طبعة دار المعارف العثمانية بحيدر أباد سنة ١٩٥٦م.

١٩-البدء والتاريخ، للمقدسي، مطهر بن طاهر المقدسي، ترجمة كليمان هوا ١٨٩٩م، مطبعة السعادة.

٢٠-البداية والنهاية، لابن الأثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ.

٢١-البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي.

٢٢- البيان والتبيين، للجاحظ، أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ١٥٥-٢٢٥، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.
٢٣- بين الحبشة والعرب، عبد المجيد عابدين، القاهرة، دار الفكر العربي.
٢٤- تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق محمود محمد الطناجي، مطبعة حكومة الكويت.
٢٥- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون ٧٣٢هـ - ٨٠٨هـ - بيروت ١٩٥٦م.
٢٦- تاريخ أبو الفداء، مطبعة التقدم.
٢٧- تاريخ بغداد، للبغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ، مطبعة السعادة بمصر.
٢٨- تاريخ الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة الاستقامة.
٢٩- تاريخ اليعقوبي، ت٢٩٢هـ، أوروبا ١٨٨٣، ودار صادر بيروت ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.
٣٠- تاريخ يوسفوس اليهودي، المطبعة العلمية بيروت.
٣١- تفسير الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ٢٢٤هـ-٣١٠هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، بمصر.
٣٢- تفسير القرطبي، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، مطبعة دار الكتب المصرية.
٣٣- تفسير النيسابوري على هامش الطبري، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ت٧٢٨هـ.
٣٤- تقويم البلدان، لأبي الفداء.
٣٥- التنبيه والأشراف، للمسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين بن

علي، طبعة ليدن ١٩٦٧م.
٣٦- التوراة.
٣٧- التيجان، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام ٢١٨هـ، طبع الهند ١٣٤٧هـ.
٣٨- جمهرة أشعار العرب، ابن زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر.
٣٩- حرب بني شيبان مع كسرى أنو شروان.
٤٠- حضارة العرب، جوستاف لوبون، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م.
٤١- حماسة ابن الشجري، هبةالله بن علي العلوي الحسني المتوفي سنة ٥٤٢هـ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
٤٢- حماسة البحتري، تحقيق المرزوقي، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ٤٢١هـ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٤٣- حماسة الخالديين، أبو عثمان وسعيد، دار الكتب المصرية ٥٨٧، أدب، مخطوط.
٤٤- حوادث السنة السابعة، لابن الأثير.
٤٥- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الحلبي.
٤٦- خزانة الأدب، للبغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي، المطبعة السلفية ومكتبتها.
٤٧- خلاصة الوفا، نور الدين بن علي بن عبدالله بن أحمد بن الحسين السمهودي.
٤٨- ديوان الأعشى، تحقيق د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، الإسكندرية، ١٩٥٠م.
٤٩- ديوان أمية بن أبي السلط، دار بيروت ١٩٣٤، جمع، بشيريموت.

٥٠- ديوان أبي نواس، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥١- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، مكتبة الأندلس، بيروت، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.
٥٢- ديوان السموأل بن عادياء صنفه أبو عبد الله نفطويه، مخطوط كتب سنة ٦٤٥هـ، مكتبة المتحف.
٥٣- ديوان السموأل، نقل لويس شيخو، سنة ١٩٠٦هـ، مجلة المشرق البيروتية.
٥٤- ديوان عروة بن الورد والسموأل، دار صادر، بيروت ١٩٦٤م.
٥٥- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق د. حسين نصار، طبع الحلبي سنة ١٩٥٧م.
٥٦- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار العروبة، القاهرة، طبعة ١٩٦٢م.
٥٧- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر ١٩٦٥م.
٥٨- الروض الأنف، للسهيلي، للإمام عبد الرحمن السهيلي، ٥٠٨- ٥٨١هـ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل.
٥٩- زاد المعاد، لابن القيم الجوزيّة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبي.
٦٠- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباتة المصري، ٦٨٦-٧٦٨هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.
٦١- سلم الوصول، عمر عبدالله، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٦م.
٦٢- سمط اللآلىء في شرح أمالي القالي، للوزير أبي عبدالله البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٦٣- سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وأحمد شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٦٤- السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة.
٦٥- شذرات الذهب، لابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٥١هـ.
٦٦- شرح الأشموني، للألفية، تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
٦٧- الشعر والشعراء، لابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
٦٨- الشهاب الراصف، محمد لطفي جمعة، مطبعة المقتطف والمقطم، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م.
٦٩- صبح الأعشى للقلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت٨٢١هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.
٧٠- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي.
٧١- الصداقة والصديق، تحقيق شاكر، لأبي حيان التوحيدي ت٤١٤هـ، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠١هـ.
٧٢- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة المدني، مصر.
٧٣- الطبقات الكبرى، لابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، دار صادر بيروت ١٩٥٧م.
٧٤- الطرق الحسية، لابن القيم.
٧٥- العقد الأنفس في تلخيص التاريخ المقدس، ترجمة تادرس وهبه.
٧٦- العمدة، لابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي،

مصر ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م.
٧٧- عيار الشعر، لابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي، المكتبة التجارية ١٩٥٦م.
٧٨- عيون الأخبار، لابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥م.
٧٩- غرائب اللغة، روفائيل نخله اليسوعي، ط٢ بيروت، المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٠م.
٨٠- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط٢، بيروت، دار المعرفة.
٨١- فتوح البلدان، للبلاذري، نشره صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة التوفيقية بمصر سنة ١٩٥٦م.
٨٢- الفهرست، لابن النديم، أبو الفرج بن إسحق بن أبي يعقوب، المكتبة التجارية ١٣٤٨هـ.
٨٣- القصيدة الدعدية، مجهولة القائل.
٨٤- الكامل، للمبرد، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت٢٨٥هـ، تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية.
٨٥- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، ت٦٣٨هـ، دار صادر ودار بيروت.
٨٦- كتاب بكر وتغلب أو حرب البسوس، لابن إسحق، ١٥١هـ، وابن الكلبي ٢٠٤هـ، طبعة الهند سنة ١٣٠٥هـ.
٨٧- كتاب الجزية والموادعة من أهل الذمّة والحرب، البخاري.
٨٨- كتاب الاختياريين، مما روي عن المفضل الضبي ١٧٨هـ، والأصمعي ٢١٦هـ، دار الكتب المصرية ٢٥٨٧٢ز.
٨٩- لباب الآداب، للأمير أسامة بن منقذ، ٤٨٨-٥٨٤، تحقيق أحمد

محمد شاكر، مكتبة لويس سركيس، القاهرة.
٩٠- لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ت٧١١هـ، مصورة عن مطبعة بولاق.
٩١- محاسن النساء، لابن هشام، مخطوط.
٩٢- المحبر، لمحمد بن حبيب، أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي، ت١٤٥هـ، المكتبة التجارية، بيروت.
٩٣- مختارات شعرية، مخطوطة، ٤٣٥، مكتبة الأوقاف العراقية، بغداد، ملكها ابن عبد الغني أفندي المتوفي سنة ٢٤٧هـ.
٩٤- المخصص، لابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ت٤٥٨هـ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بولاق.
٩٥- مروج الذهب، للمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي.
٩٦- المزهر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب.
٩٧- المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفضل الإبشيهي، ٧٩٠-٥٨٠هـ.
٩٨- المعارف، لابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار المعارف بمصر، ط٢ ١٣٨٨هـ.
٩٩- معاهد التنصيص، للعباسي، ت٩٦٣هـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٧م.
١٠٠- معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي، مطبعة دار المأمون ١٩٣٦م.

١٠١- معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، المتوفى ٦٢٦هـ.
١٠٢- معجم ما استعجم، لأبي عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، ت٤٨٧هـ، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة.
١٠٣- معجم الشعراء، للمرزباني، أبي عبيدالله محمد بن عمران بن موسى، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٠٤- المعرَّب، للجواليقي، ٥٣٩هـ، أبو منصور الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر ط٢ القاهرة.
١٠٥- المغازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، كلكتا ١٨٥٥م.
١٠٦- المفردات، للأصفهاني، مفردات الراغب الأصفهاني في غريب القرآن.
١٠٧- المفضليات، للمفضل الضبي، ت١٧٨هـ، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.
١٠٨- المنازل والديار، لأسامة بن منقذ، ٤٨٨-٥٨٤، تحقيق مصطفى حجازي، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
١٠٩- المؤتلف والمختلف، للآمدي، أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ت٣٧٠هـ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب، عيسى البابي الحلبي.
١١٠- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الشعب، ١٩٧٠م.
١١١- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، يوسف غنيمة، مطبعة الفرات، بغداد ١٩٢٤م.
١١٢- نسب قريش، لابن بكار، أبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن

المصعب الزبيري، ت٢٣٦هـ، دار المعارف بمصر.
١١٣- نفائس المخطوطات، صنعة أبي عبدالله نفطويه، المجموعة الثالثة، ج٤٣٣٤، دار الكتب المصرية.
١١٤- نهاية الأرب، للنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت٧٣٣هـ، دار الكتب المصرية.
١١٥- نوادر المخطوطات وأسماء المغتالين من الشعراء، لمحمد بن حبيب، ت٢٤٥هـ، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٤م.
١١٦- الوحشيات، الحماسة الصغرى، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
١١٧- وفا الوفا، للسمهودي، طبع بولاق، ومطبعة الآداب المؤيد بمصر سنة ١٣٣٦هـ.
١١٨- وفيات الأعيان، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.

ب- المراجع

١١٩- إسرائيل عبر التاريخ، د. فؤاد حسنين علي، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٦٢م.
١٢٠- أصول النقد الأدبي، د. أحمد الشايب، الطبعة الثامنة، مكتبة النهضة المصرية.
١٢١- الأصول الفنية للشعر الجاهلي، د. سعد شلبي، دار المعارف بمصر.
١٢٢- الأصول الفنية، عبد الحميد حسين، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤م.

١٢٣- تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، القاهرة، مطبعة الاعتماد ١٩٢٩م.
١٢٤- تاريخ آداب العرب، للرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٤٠م.
١٢٥- تاريخ آداب اللغة العربية، للرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٤٠م.
١٢٦- تاريخ الأدب العربي، لبلاشير، ريجس، تعريب د. إبراهيم كيلاني، دار الفكر بيروت ١٩٥٦م.
١٢٧- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، تعريب د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٢ سنة ١٩٦٨م.
١٢٨- تاريخ العرب المختصر، لفيليب حتي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م.
١٢٩- تاريخ اليهود في بلاد العرب، إسرائيل ولفنسون، لجنة التأليف والترجمة، مصر ١٩٢٧م.
١٣٠- تاريخ اليهود، للسامري، مطبعة جوتا بألمانيا ١٨٦٥م.
١٣١- التركيب اللغوي، لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة، ط ١٩٧٠م.
١٣٢- التطور والتجديد، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
١٣٣- جزيرة العرب قبل الإسلام، أوليري.
١٣٤- حديث الأربعاء، د. طه حسين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
١٣٥- الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د. أحمد الحوفي.
١٣٦- حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، الطبعة الرابعة، القاهرة، مطبعة مصر ١٩٤٧م.
١٣٧- دراسة الشعر العربي، د. مصطفى ناصف، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

١٣٨- دروس اللغة العربية، ربحي كمال، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٣م.
١٣٩- الدعوة إلى الإسلام، لتوماس أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم، وعابدين، والنحراوي.
١٤٠- رحلة مع النقد الأدبي، د. فخري الحضراوي، دار الفكر العربي ١٩٧٧م.
١٤١- شاعر الغزل، عباس محمود العقاد، دار المعارف، سلسلة اقرأ، العدد الثاني سنة ١٩٥٥م.
١٤٢- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، د. نعمان القاضي، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م.
١٤٣- شعر السموأل، لعيسى سابا، دار صادر، بيروت ١٩٥١م.
١٤٤- الشعراء اليهود العرب، لمراد فراج المحامي.
١٤٥- الصورة الفنية للأدب، عبد الحميد حسين.
١٤٦- عالم الفكر، العدد الرابع من المجلد العاشر، وزارة الأعلام - الكويت.
١٤٧- عبقرية المسيح، عباس محمود العقاد.
١٤٨- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة.
١٤٩- الغزل في العصر الجاهلي، د. أحمد الحوفي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.
١٥٠- الغزل في العصر الجاهلي، د. حامد عبد القادر.
١٥١- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، د. نعمان القاضي، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٠م.
١٥٢- الفكر الديني الإسرائيلي، د. حسن ظاظا.
١٥٣- من الشعر، إحسان عباس، الطبعة الثالثة، دار الثقافة بيروت.

١٥٤- الفن ومذاهبه في الشعر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
١٥٥- في الأدب الجاهلي، د. طه حسين، دار المعارف بمصر.
١٥٦- في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، الطبعة الثامنة، دار المعارف بمصر.
١٥٧- القرآن الكريم.
١٥٨- الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج.
١٥٩- مبادىء النقد الأدبي ١٠١٠، ريتشارد، ترجمة مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
١٦٠- مجلة المجلة، العدد ١٠٠ من السنة التاسعة إبريل ١٩٦٥م.
١٦١- مجلة المشرق، لويس شيخو، عدد ١٩٠٦ بيروت.
١٦٢- المرأة في الشعر الجاهلي، د. أحمد الحوفي ط٢ القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٦٣م.
١٦٣- المرشد إلى فهم أشعار العرب، د. عبدالله الطيب المجذوب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي.
١٦٤- مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.
١٦٥- مطالعات في الأدب، عباس محمود العقاد، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٦٦م.
١٦٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف، جمع أ.ي ونسنك وآخرين ليدن ١٩٣٦م.
١٦٧- المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار مطابع الشعب.
١٦٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، المجمع

العلمي العراقي ١٩٥٦م.
١٦٩- مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، ط٢ القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م.
١٧٠- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر.
١٧١- موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس. ط٢. القاهرة مكتبة الأنجلو.
١٧٢- الموازنة بين الشعراء، زكي مبارك، القاهرة، مطبعة المقتطف.
١٧٣- النقائض، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
١٧٤- النصرانية، طبع بيروت ١٨٩٠، لويس شيخو.
١٧٥- وظيفة الأدب للنويهي، معهد الدراسات العربية ١٩٦٧م.
١٧٦- اليهود في تاريخ الحضارة، جوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٠، مصطفى حجازي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة